موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام

الجزء السابع والعشرون

الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام

تأليف
باقر شريف القرشي

تحقيق
مهدي باقر القرشي

مؤسسة الإمام الحسن عليه السلام
لإحياء تراث أهل البيت عليهم السلام

شبكة الفكر
alfeker.net

موسوعة

سيرة أهل البيت عليهم السلام

الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام

موسوعة

سيرة أهل البيت عليهم السلام

الجزء السابع والعشرون

الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام

عصر الإمام عليه السلام

تأليف

باقر شريف القرشي

تحقيق

مهدي باقر القرشي

موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام

تأليف : باقر شريف القرشي

تحقيق : مهدي باقر القرشي

الناشر : ...... دار المعروف ـ مؤسّسة الإمام الحسن عليه السلام

المطبعة : .... ستار

الطبعة الثانية : .... ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م

عدد النسخ : .... ١٠٠٠ نسخة

حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلّف

ردمك الـــــــدورة : ١ ـ ٤٢ ـ ٨٢٧٥ ـ ٩٦٤ ـ ٩٧٨

ردمك الجزء (٢٧) : ٨ ـ ٦٩ ـ ٨٢٧٥ ـ ٩٦٤ ـ ٩٧٨

عنوان الناشر : النجف الأشرف ـ شارع الرسول صلى الله عليه وآله

مكتبة الإمام الحسن عليه السلام ـ هاتف ٠٠٩٦٤ ٧٨٠٥٦٩٤٩٧٠

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

أمّا عصر الإمام الصادق عليه‌السلام فقد كان من أبشع العصور الإسلاميّة ، ومن أكثرها قلقاً واضطراباً ، خصوصاً في أيّام الحكم الأموي ، فقد امتحن المسلمون فيه امتحاناً عسيراً ، وأُرهقوا إرهاقاً شديداً ، فلم يبق إقليم في الوطن العربي الكبير منعماً بالأمن والدعة والاستقرار ، وإنّما ساد فيها الخوف وعمّ الذعر .

وكان من بين السمات البارزة في ذلك العصر انتشار الثورات الشعبيّة في كلّ قطر وهي تعلن العصيان المسلّح ، وتنادي بسقوط الدولة الأمويّة التي استعبدت الناس ، وأرغمتهم على ما يكرهون ، ومن أهمّ الثورات والانتفاضات الثورات التي قادها العلويّون وزعماء شيعتهم ، وثورات الخوارج ، وقد أدّت إلى ضعف الدولة الأمويّة وانهيارها إلى حدّ بعيد .

وكان من بين ما عاناه المسلمون في أواخر الحكم الأموي إشاعة الصراع القبلي على أشدّه بين المسلمين ، فقد عمل الحكّام الأمويّون بصورة ساخرة إلى ذلك لفرض سيطرتهم ونفوذهم على المسلمين ، وصرفهم عمّا يعانونه من الظلم والجور والاستبداد . . وقد أدّت هذه السياسة الخرقاء إلى انتشار الأحقاد والضغائن ، وهجاء بعض القبائل لبعض بأمرّ وألذع ما يكون الهجاء ، كما هو مدوّن في شعر جرير والفرزدق وغيرهما من شعراء ذلك العصر ، وقد أوجب ذلك انهيار الدولة ، وانتشار دعاة الدولة العبّاسيّة في كلّ قطر وإقليم .

وقد انتهز الإمام الصادق عليه‌السلام هذه الفرصة المليئة بالأحداث الجسام ، فأقام جامعته

الكبرى التي رفعت منار العلم ، وأشاعت التطوّر والوعي العلمي والثقافي بين المسلمين ، وقد تحدّثنا عن ذلك بصورة شاملة في إحدى حلقات هذا الكتاب .

وعلى أي حال ، فإنّا نعرض ـ في هذه الحلقة ـ للسياسة الأمويّة ، وبيان مخطّطاتها ، كما نعرض قبل ذلك لدراسة شاملة عن ملوك الأمويّين منذ بداية حكمهم إلى انهيار دولتهم ، وقيام الدولة العبّاسيّة التي لم يترقّب المسلمون بأي حال من الأحوال إلى إقامتها ، وإنّما كانوا يترقّبون إقامة الدولة العلويّة التي تحقّق ما يصبون إليه من إشاعة العدل والأمن والرخاء ، فقد قدّم العلويّون من أجل هذه الأهداف أعزّ وأغلى أبنائهم ، وتعرّضوا لأعنف الأزمات وأقسى المصاعب ، في حين أنّ العبّاسيّين كانوا قابعين في ديارهم ، يتلقّون المعونات والصلات الماليّة من الدولة الأمويّة ، ولم يكن لهم أي دور يذكر في خدمة الأُمّة ، وإنقاذها من ويلات الحكم الأموي .

ومهما يكن الأمر فإنّ الحكم حينما اختلسه العبّاسيّون انتهجوا في سياستهم الداخليّة بجميع شعبها منهج السياسة الأمويّة ، بل كانت أعنف وأقسى منها بكثير ، خصوصاً في عهد المنصور الدوانيقي ، الذي سلب اقتصاد الأُمّة ، وملأ خزائنه بالأموال الطائلة التي اختلسها من الشعوب الإسلاميّة ، وترك الفقر ينهش في جسوم الفقراء ، كما صبّ وابلاً من الظلم لا مثيل له في قسوته على السادة العلويّين دعاة العدل الاجتماعي ، ويعرض هذا الكتاب لبيان ذلك .

ومن بحوث هذا الكتاب دراسة الأحزاب السياسيّة ، والفِرق الدينيّة ، والتعرّف على مبادئها ، وأنشطتها السياسيّة ، كما يعرض إلى الحياة الثقافيّة والاقتصاديّة ، وغير ذلك من شؤون ذلك العصر ، فإنّ البحث عن ذلك ـ فيما أحسب ـ من متمّمات البحث عن شخصيّة الإمام الصادق عليه السلام رائد العلم والفكر في دنيا الإسلام .

وقد اعتمدنا في جميع بحوثنا على أوثق المصادر التاريخيّة من دون أن نتحيّز أو نتعصّب ، رائدنا دراسة التاريخ الإسلامي على واقعه ، والتعرّف على الذوات الخيّرة التي رفعت منار العلم ، وجاهدت في سبيل حقوق الإنسان ، ودافعت عن حقوق

المظلومين والمضطهدين ، ومنه تعالى نستلهم التوفيق إنّه وليّ من التجأ إليه .

مكتبة الإمام الحسن العامة
النجف الأشرف

باقر شريف القرشي

مُلُوكُ الأمَوِيِّين

ولم يتوقّع أي أحد من الأوساط الشعبيّة في العالم الإسلامي أن يظفر الأمويّون بالحكم ، ويؤول إليهم سلطان المسلمين ، فلهم ماضيهم الأسود الحافل بالإساءة للإسلام ، ومفجّر دعوته الرسول العظيم ﷺ ، فهم الذين أعلنوا الحرب عليه ، وقادوا أحزاب الشرك لمناهضته ، وإخماد نوره ، ولكنّ الله تعالى ردّ كيدهم ، وهزمهم في جميع المواقف ، ونصر رسوله الكريم ، وأعزّ دينه العظيم .

وبعدما قهرهم الإسلام ، وانهارت قواهم العسكريّة والاقتصاديّة ، وفتحت مكّة التي كانت الحصن المنيع لهم ، دخلوا في الإسلام أذلّاء صاغرين ، مقهورين ، يخافون أن يتخطّفهم المسلمون ويثأروا لدماء أبنائهم وإخوانهم التي أراقها الأمويّون ، وقد قابلتهم القيادة الإسلاميّة العليا بالاحتقار والامتهان ، كما كان المسلمون ينظرون إلى إسلامهم نظرة تتّسم بالريبة والشكّ ، فهم المنافقون الذين أعلنوا كلمة التوحيد بألسنتهم حقناً لدمائهم ، وانطوت قلوبهم على الكفر العميق ، والحقد الدفين على الإسلام .

ولمّا انتقل النبيّ ﷺ إلى حظيرة القدس ، ألمّت بالمسلمين أحداث مؤلمة كان من أفجعها وأقساها إبعاد العترة الطاهرة ، التي هي وديعة رسول الله ﷺ في اُمّته ، عن القيادة العامّة للاُمّة ، وجعلها بمعزل عن المسرح السياسي والاجتماعي ، كما صودرت مواردها الاقتصاديّة التي منها تأميم فدك ، ومنعها من الخمس ، لئلا يكون لها أي نفوذ في الميادين السياسيّة والاجتماعيّة ، وقد أدلى بذلك

الكثيرون من المحقّقين، مستندين فيما ذهبوا إليه إلى الوثائق التاريخيّة.

وعلى أي حال، فإنّ السياسة التي انتهجها الخلفاء قضت بانتشال الأمويّين من مستواهم السحيق، وتعزيز مركزهم، فأسندوا إليهم بعض المناصب المهمّة في الدولة، فقد منح أبو بكر ولاية الشام إلى يزيد بن أبي سفيان، وشيّعه إلى خارج يثرب، ولم يفعل مثل ذلك مع ولاته. وبعد وفاته أسند عمر ولاية الشام إلى أخيه معاوية بن هند، ومدّ في سلطانه، وأولاه المزيد من العناية والرعاية، تتواتر لديه الأخبار أنّه يسرف في أحوال المسلمين، ويستعمل أواني الذهب والفضّة، ويلبس الحرير والديباج، وكلّ ذلك ممّا حرّمه الإسلام، فيعتذر عنه، ويقول مقالته المشهورة في تسديده: «ذاك كسرى العرب». وليس في الإسلام كسرويّة ولا قيصريّة، فالناس جميعاً سواسية لا يفضل أحدهم على أحد إلّا بالتقوى.

وعلى أي حال، فهل يباح لكسرى العرب أن يقترف ما حرّم الله ورسوله، ويشذّ في سلوكه عمّا حرّمه الإسلام؟

لقد حظي معاوية عند الخليفة الثاني، واحتلّ مكانة متميّزة في نفسه، كان في كلّ سنة يحاسب عمّاله، ويشاطرهم أموالهم سوى معاوية، فقد أعفاه من الحساب.

ولمّا اغتيل انتخب ستّة أشخاص، وألزمهم بانتخاب واحد منهم لرئاسة الدولة، ومن أبى منهم أمر بضرب عنقه، وكان من بين المرشّحين عثمان بن عفّان عميد الأُسرة الأمويّة، ومعه أغلب العناصر المؤيّدة له، والمنحرفة عن الإمام أمير المؤمنين سيّد العترة الطاهرة.

يقول بعض المحلّلين للأخبار: إنّ الشورى التي صمّمها عمر كانت مؤامرة خطيرة لإقصاء الإمام أمير المؤمنين عن الحكم ومنحه للأمويّين، وهذا الرأي وثيق للغاية تدعمه الوثائق التاريخيّة.

ومهما يكن الأمر فإنّ عثمان حينما استولى على السلطة حمل بني أُميّة وآل أبي معيط على رقاب المسلمين، ومنحهم الثراء العريض، وحباهم بأهمّ المناصب في الدولة، فأصبحوا المهيمنين على جهاز حكومته، كما أصبحوا القوّة الرأسماليّة في البلاد.

وكان مروان من ألصق الناس به، وأقربهم منزلة منه، فهو وزيره ومستشاره، ومدير شؤونه، وكان مروان ـ حسبما يقول المؤرّخون ـ: جاهليّاً بما تحمله هذه الكلمة من معنى، لم تهذّبه الأخلاق الإسلاميّة، ولم تصقله تعاليم الدين الحنيف، كان شرساً، متجبّراً، طاغياً، منغمساً في الباطل، قد أبغضه المسلمون ونفروا منه، وقد لعب دوراً خطيراً في مجريات الأحداث، فهو الذي جرّ لعثمان المشاكل والمصاعب، وألقاه في شرّ عظيم.

وعانت الأُمّة من حكومة عثمان أعنف الأزمات، فقد ساد في جميع قطاعاتها وشرائحها القلق والاضطراب، وعمّ التذمّر والإنكار على عثمان لأنّه ولّى على المسلمين شرار الولاة أمثال الوليد وغيره من أرحامه، كما نقموا عليه تنكيله بخيار الصحابة، كأبي ذرّ وعمّار بن ياسر وعبدالله بن مسعود، وغيرهم من الذين طالبوه بتحقيق العدالة الاجتماعيّة، وإقصاء بني أُميّة عن جهاز حكومته.

وكان من أعظم ما نقم عليه المسلمون استعماله لبني أُميّة حكّاماً وولاة على الأقطار الإسلاميّة، وهم لا يفقهون شيئاً من الإسلام، وكانوا يرون أنّ الحكم وسيلة للظفر بخيرات البلاد، فأسرفوا في البذخ والترف واقتناء الجواري، وقد تكدّست عندهم الأموال الطائلة التي نهبوها من بيت مال المسلمين، وقد خالفوا بذلك ما أمر به الإسلام من الاحتياط الشديد في أموال الدولة، وإلزامه بأن تنفق على تطوير حياة المسلمين، وإنقاذهم من ويلات الفقر وكوارث الحرمان.

إنّ السياسة التي انتهجها عثمان لم تكن سديدة ولا رشيدة، فقد جرّت له الكثير

من المشاكل والخطوب ، وخلقت له جبهة معارضة ضمّت أعلام الصحابة ، ورجال الفكر في الإسلام ، وساندتهم أقاليم الدولة الإسلاميّة ، فهرع منها فريق من القوّات المسلّحة إلى يثرب ، وأحاطوا بعثمان يطالبونه بالاستقامة أو الاستقالة ، وكان يستجيب لمطالبهم بالاعتدال ، إلّا أنّه ينقض ذلك تحت ضغط من مروان ، فلم يجدوا بُدّاً من الإجهاز عليه ، فقتلوه ولم يسمحوا بمواراته ، وتوسّط الإمام في دفنه ، فسمحوا له بذلك ، فدُفن في حشّ كوكب .

حكومة الإمام

وتولّى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام رائد العدالة الاجتماعيّة السلطة بعد أن امتنع من قبولها امتناعاً شديداً ، إلّا أنّ الثوّار أجبروه على ذلك ، وفور توليته للحكم أعلن المبادئ العليا التي تبنّاها الإسلام في الميادين السياسيّة من إشاعة العدل والرخاء ، والمساواة بين الناس ، والتسوية بينهم في العطاء ، وطرد العناصر المرتزقة والعميلة للأمويّين من جهاز الحكم ، ومصادرة الأموال التي اختلسها الأمويّون وإرجاعها إلى بيت المال ، وهدم الحواجز التي اصطنعها الأمويّون بين المسلمين ، فالناس سواسية حسب شريعة الله تعالى ، فلا سيّد ولا مسود إلّا بالتقوى . وورمت أُنوف الأمويّين ، واحترقت قلوبهم من الغيظ والحقد ، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، فقد عرفوا عدل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، وأنّه لا تأخذه في الحقّ لومة لائم ، وأنّ الضعيف عنده قويّ حتّى يأخذ له الحقّ ، والقويّ عنده ضعيف حتّى يأخذ منه الحقّ ، وأنّه سيطبّق الإسلام بجميع بنوده على حقيقته النازلة من ربّ العالمين ، ولا يدع مجالاً للأمويّين للتدخّل في شؤون المسلمين ، والتلاعب في مصيرهم .

لقد أيقن الأمويّون بذلك ، ففزعوا كأشدّ ما يكون الفزع ، واتّجهوا صوب مكّة للالتقاء بالسيّدة عائشة بعد أن أعلنت التمرّد على حكومة الإمام عليه السلام ، وأخذت تنعى عثمان وتندبه ، وتندّد بقاتليه ، وقد كانت في طليعة من أجهزوا عليه ، فقد أفتت

بقتله ، وقالت : « اقتلوا نعثلاً فقد كفر » . وقد حفظ المسلمون فتواها بكفره وقتله ، ولم ينسوا أنّها كانت تخرج شعر رسول الله ﷺ وهي تقول : « هذا شعر رسول الله ﷺ لم يبل وعثمان قد أبلى سنّته » .

وعلى أي حال ، فقد التحق الأمويّون بعائشة ، وهم يثيرون حفائظها ويدفعونها لإعلان الثورة على حكومة الإمام ، كما التحق بها طلحة والزبير بعد أن أقسما بالله تعالى للإمام أنّهما يريدان العمرة ، ولكنّهما يريدان الغدرة ، ونكث البيعة ، والخروج عن إرادة الأمّة ، ووجدت عائشة بهما عوناً وحجّةً لتبرير موقفها أمام الغوغاء ، وقد زحفت بمن معها من اللصوص والظَّلمة والمارقين عن الحقّ إلى البصرة ، واحتلّتها بعد أحداث دامية ، ولمّا علم الإمام عليه السلام بالأمر زحف بجيشه نحو البصرة ، وقضى على هذا الجيب المتمرّد ، وقد أثكلت البصرة وشاع في ربوعها الحزن والحِداد .

لماذا أراقت عائشة أنهاراً من دماء المسلمين ، فهل استأثر الإمام بأموال الدولة ؟ وهل وظّف أحداً من أبنائه في الأقاليم الإسلاميّة حتّى تعلن الثورة عليه ؟ إنّ الحاكم هو الله ، وإليه مرجع أمر العباد .

وهرب الأمويّون بعد هزيمتهم بالبصرة إلى عميدهم الذئب الجاهلي معاوية بن أبي سفيان ، وأخذوا يعملون معه جاهدين للإطاحة بحكومة الإمام ، وقد طلبوا بدم عثمان واتّخذوه ورقة رابحة لهم .

يقول حسّان بن ثابت :

يا ليتَ شِعري وليتَ الطيرُ تُخبرُني ... ما كانَ شأنُ عليٍّ وابنِ عَفّانا
لَتَسْمَعُنَّ وشيكاً في ديارِهِمُ ... اللهُ أكبرُ يا ثاراتِ عُثمانا (١)

وأوعز معاوية إلى وسائل الإعلام أن تهوّل أمر عثمان ، وأنّه قُتل مظلوماً ، وتلقي

---

(١) مروج الذهب : ٢ : ٣٤٧ .

المسؤوليّة في إراقة دمه على الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وأنّ معاوية وبني أُميّة هم ولاة دمه.

يقول الأخطل لبشر بن مروان:

وَإِنْ يكُ للحقّ أَسبابٌ يُمدُّ بها ... ففي أَكُفِّهِمِ الأَرسانُ وَالسَّبَبُ
هُمُ سَعوا بابنِ عَفّانَ الإمامِ وهُمْ ... بعدَ الشِّماسِ مَرَوْها[1] ثُمّتَ احتلَبُوا[2]

ويقول الفرزدق لعبدالملك بن مروان:

تُراثُ عُثمانَ كانوا الأولياءَ لَهُ ... سِربالُ مُلْكٍ عَلَيهِمْ غيرُ مَسلُوبِ[3]

كما أوعزوا لوسائل الإعلام أن تذيع بين الناس أنّ بني أُميّة هم ورثة النبيّ صلى الله عليه وآله لا غيرهم، وقد شاع بين أهل الشام أنّ بني أُميّة إنّما استحقّوا الخلافة لقرابتهم من الرسول صلى الله عليه وآله، فقد دخل على أبي العبّاس مشيخة من أهل الشام، فقالوا له: والله ما علمنا أنّ لرسول الله صلى الله عليه وآله قرابة يرثونه إلّا بني أُميّة حتّى وليتم[4].

يقول الفرزدق لمعاوية بن هشام بن عبدالملك:

وَرِثُوا تُراثَ مُحَمّدٍ كانوا بِهِ ... أولى وكانَ لهُمْ منَ الأَقسامِ[5]

ويقول الفرزدق يخاطب بني أُميّة:

وَرِثُوا مَشورَتَها لِعُثمانَ التي ... كانتْ تُراثَ نَبِيِّنا المُتَخَيَّرِ[6]

---

(١) **مَرَوْها**: حلبوها.

(٢) ديوان الأخطل: ٣٩.

(٣) ديوان الفرزدق: ١: ٢٥.

(٤) أنساب الأشراف: ٣: ١٥٩. البدء والتاريخ: ٦: ٧٣. مروج الذهب: ٣: ٤٣.

(٥) ديوان الفرزدق: ٢: ٢٨٣.

(٦) ديوان الفرزدق: ١: ٣٣٦.

وقام عملاء الأمويّين ووعّاظ السلاطين بإذاعة ذلك بين الجماهير في خطب الجمعة وفي الأعياد ، وفي كلّ مناسبة دينيّة ، وانخدع أهل الشام بذلك ، وأصبحوا ينوحون ويبكون أمرّ البكاء على ابن عفّان ، وزجّ بهم معاوية لحرب الإمام عليه‌السلام الرائد الأوّل لحقوق الإنسان وإسعاده .

وانضمّ إلى معاوية أمهر الدبلوماسيّين في ذلك العصر أمثال : عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة ، فجعلوا يضعون له المخطّطات الرهيبة للتغلّب على الأحداث ، وقد تمسّكوا بجميع ألوان الكذب والخداع لاتّهام الإمام بدم عثمان . وساق ابن هند الغوغاء الذين تلوّنهم الدعاية ووسائل الإعلام كيفما شاءت ، لمحاربة وصيّ رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله وباب مدينة علمه ، وعسكر بصفّين ، وقد احتلّت قوّاته حوض الفرات ليموت جيش الإمام عطشاً ، واعتبر ابن هند ذلك أوّل النصر ، وزحف الإمام بجيشه الذي ضمّ أعلام الصحابة ، وحماة الإسلام أمثال : الصحابي عمّار بن ياسر ، وحجر بن عديّ ، وذو الشهادتين ، وعمرو بن الحمق الخزاعي ، ونظرائهم ممّن عرفوا منزلة الإمام ، وأنّه إمام المتّقين ، ورائد الحقّ والعدالة في الأرض .

ووجد جيش الإمام حوض الفرات قد احتلّته قوّات معاوية ، فطلبوا منهم السماح بالشرب والارتواء منه ، فأبوا وامتنعوا كأشدّ ما يكون الامتناع ، وخاض أصحاب الإمام معهم معركة رهيبة أسفرت عن هزيمة جيش معاوية ، واستيلائهم على الفرات ، وطلب أصحاب الإمام منه أن يمنعهم من الماء كما منعوهم منه ، فأبى عليه‌السلام أن يقابلهم بالمثل ، فليس ذلك من طبيعته التي جُبلت على النبل والكرامة والشرف ، فالناس سواسية في الماء لا يحقّ لأحد أن يمنعه عن الآخرين .

وعلى أي حال ، فقد عرض الإمام على معاوية أن ينصاع لحكم الله ولا يسفك دماء المسلمين ، فأبى ابن هند أن يستجيب لنداء الحقّ وأصرّ على الغيّ والعدوان ، وفتحت أبواب الحرب بين الفريقين ، واستمرّت زهاء سنتين تشتدّ تارة ، وتفتر أُخرى . وفي الأيّام الأخيرة مُنيت قوّات معاوية بهزيمة ساحقة ، وتفلّلت جميع

فصائل جيشه ، وهمّ معاوية بالفرار ، وبان النصر المحتّم لجيش الإمام في لحظات معدودة ، إلّا أنّ ابن العاص والأشعث بن قيس قد دبّرا مؤامرة أحكمت أطرافها قبل وقت ليس بالقصير ، وهي رفع المصاحف ، والدعوة إلى تحكيم القرآن الكريم ، ورفع أهل الشام المصاحف ، وتعالت أصواتهم إلى الرجوع لحكم القرآن والعمل بما فيه ، وخدع القرّاء في جيش الإمام بهذه الدعوة ، فاندفعوا بلا وعي ولا إحساس وهم ينادون بإيقاف الحرب ، والانصياع إلى هذه الدعوى التي تحمل السمّ القاتل لهم وللمسلمين ، ورفض الإمام الممتحن هذه الدعوى ، واعتبرها خديعة من معاوية ، فقد أشرفت الحرب على نهايتها ، ولم يبق منها إلّا حلبة شاة أو عدوة فرس - كما يقول مالك الأشتر القائد العامّ للقوّات المسلّحة في جيش الإمام - حتّى يقتل معاوية أو يؤتى به أسيراً .

يا لله لقلب الإمام الممتحن من هذه الكوارث التي تتصدّع من هولها الجبال ، لقد أحاط به اُولئك الزعانف يهدّدونه بالقتل إن لم يستجب لنداء التحكيم .

ولم يجد الإمام بُدّاً من إجابتهم ، فقد جرّوا لهم ولأجيالهم الويل والدمار .. لقد انتصر معاوية وانتصرت معه القوى الجاهليّة التي حاربها الإسلام ، لقد انتصر الباطل ، واندحرت قوى الحقّ والعدل . وأصرّ المتمرّدون ثانياً على انتخاب أبي موسى الأشعري ليكون ممثّلاً لهم في التحكيم ، وأبو موسى عدوّ للإمام ، غبيّ في فكره ، بليد في بصيرته ، قد ران الباطل على قلبه فأنساه ذكر الله ، وتدافع اُولئك الحشرات أمواجاً أمواجاً نحو الإمام وهم يهتفون : « لا نرشّح غير أبي موسى » .

واستجاب الإمام عليه السلام إلى ما أرادوا ، فقد أصبح لا يُطاع له أمر ، ولا يُستجاب له قول ، وتمّ انتخاب أبي موسى برأيهم لا برأي الإمام ، وضربوا وقتاً للتحكيم ، ولمّا حان الوقت اجتمع أبو موسى عمدة اُولئك الأقزام وممثّلهم بثعلب أهل الشام الماكر الخبيث عمرو بن العاص ، فأخذ يقدّم له ألواناً من الطعام ، ويقابله بمزيد

من الحفاوة والتكريم حتّى أرشاه ، واتّفقا على أن يخلع كلّ منهما صاحبه ، وينتخب المسلمون غيرهما إماماً للمسلمين .

وتقدّم الغبيّ أبو موسى فخلع الإمام عن الخلافة التي تزيّنت وتشرّفت به ، وانبرى ابن العاص فخاس بما عاهد صاحبه ، فخلع عليّاً عن الخلافة ، ورشّح معاوية لها .

ووقع الخلاف على أشدّه في جيش الإمام ، واستبان لمعظمهم فساد ما ذهبوا إليه من التحكيم والترشيح ، وانعزل فريق أعمى الله أبصارهم ، فضلّوا عن الطريق القويم عن جيش الإمام ، وهم القرّاء ، وأُطلق عليهم في ذلك اليوم اسم (الخوارج) ، وقد نقموا على الإمام قبوله لإيقاف الحرب ، كما نقموا عليه قبوله لانتخاب أبي موسى الأشعري للتحكيم ، وهم الذين أجبروه على ذلك . وأخذ الخوارج يسعون في الأرض فساداً ، فأشاعوا الخوف والارهاب ، وأباحوا دماء المسلمين ، ونهب ثرواتهم ، وقد شكّلوا بذلك خطراً على الأمن العامّ ، وجهد الإمام في هدايتهم ، وإرجاعهم إلى طريق الحقّ ، فحاججهم وناظرهم ، وأقام الحجج القاطعة على فساد ما ذهبوا إليه ، فاستجاب فريق منهم ، وانصاعوا إلى الحقّ ، وأصرَّ فريق منهم على الغيّ والعدوان ، وأعلنوا الحرب على الإمام ، ولم يجد الإمام الممتحن بُدّاً من محاربتهم ، فحاربهم وقضى عليهم ، وما انتهت هذه الحرب إلّا وجيش الإمام قد ماج بالفتن والاضطراب ، فقد أصبح على الإطلاق متمرّداً ، معلناً للعصيان ، يدعوهم الإمام فلايستجيبون له ، خصوصاً قادة الجيش ، فقد كان معظهم مع معاوية لأنّه ضمن لهم العطاء الوفير ، والمناصب العليا ، وتحقيق ما يصبون إليه .

واستعلى معاوية ، وانتصر في الميدان ، وأخذ يبعث أعوانه للغارة على جميع المناطق الخاضعة لحكم الإمام لإشاعة الذعر والرعب فيها ، وإفهام أهلها بأنّ الإمام لا يتمكّن على حمايتهم ، كما احتلّ مصر ، وقضى على حاكمها ، وكان باستطاعته احتلال العراق ، والقضاء على الامام بعدما استجاب له معظم قادة جيش الإمام ،

وبقي الإمام في أرباض الكوفة يدعو الجماهير بخطبه الحماسيّة لمناجزة معاوية، ويحذّرهم من الخطر الهائل الذي يمنون به لو استولى عليهم معاوية، إلّا أنّهم أعاروا خطبه آذاناً صمّاء.

واستوعب الأسى والحزن قلب الإمام عليه السلام الذي مزّقته الكوارث، وراح يبتهل إلى الله، ويتضرّع إليه أن ينقله إلى جواره، ويريحه من ذلك المجتمع الذي فقد الوعي.. واستجاب الله دعاء وليّه، فانبرى إلى اغتياله الخبيث المجرم عبدالرحمن بن ملجم فاغتاله في بيت الله الحرام، وهو قائم يصلّي لربّه، وصاح الإمام حينما أحسّ بلذع السيف: **«فُزْتُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ»**.

لقد فزت يا رائد الحقّ والعدل، فقد جهدت على تحرير الإنسان من الظلم والعبوديّة، ولكنّ أرجاس الأمويّين حالوا بينك وبين تحقيق أهدافك التي بقيت أنشودة الأحرار في كلّ زمان ومكان. لقد فزتَ يا إمام المتّقين لأنّك جاهدت في الله حقّ جهاده، فلم توارب، ولم تخادع، ولم تداهن في دينك، مبتغياً في ذلك الأجر عند الله تعالى.

وبعد أن توفّي الإمام عليه السلام قام سبط رسول الله صلى الله عليه وآله الإمام الحسن عليه السلام بتجهيز أبيه، فجهّزه ودفنه في مقرّه الأخير في النجف الأشرف، وقد سعدت هذه البقعة به، وأصبحت كعبة للوافدين، ومركزاً للعلم والفكر في الإسلام. وتولّى سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وريحانته الإمام الحسن عليه السلام قيادة الأمّة بعد وفاة أبيه، وقد بايعته الجماهير ولكن بتثاقل وكره على حدّ تعبير بعض المؤرّخين.

وأخذ معاوية يعمل جاهداً لإسقاط حكومة الإمام الحسن عليه السلام، فاتّصل بواسطة عملائه بقيادة جيش الإمام، فأرشاهم بالمال، وبالمناصب العالية، وبالزواج بإحدى بناته إن تخلّوا عن الإمام، فاستجابوا له طائعين صاغرين، منفّذين لجميع رغباته، وكان في طليعتهم القائد العامّ للقوّات المسلّحة عبيدالله بن العبّاس، فقد تسلّم نصف

مليون دينار من معاوية والتحق بمعسكره ، كما تعهّد فريق آخر من القادة لمعاوية باغتيال الإمام أو تسليمه له أسيراً إن شاء .

واتّجه معاوية بجيوشه المتضامنة والمطيعة لحرب سبط رسول الله صلى الله عليه وآله ، ولمّا علم الإمام بالأمر ندب جيشه لصدّ العدوان الأموي ، فلم يستجب له إلّا نفر قليل من القادة ، وأخذوا يحرّضون الجيش ويدفعونه دفعاً لمناجزة معاوية . وغادر الإمام عاصمته الكوفة مع فصائل من جيشه مختلفة كأشدّ ما يكون الاختلاف ، مختلفة في ميولها واتّجاهها وفي كلّ شيء ، فبعض الفرق ـ وهي الأكثريّة الساحقة في جيشه ـ ترى رأي الخوارج المعروفين بعدائهم لآل البيت ، وبعضهم قد سئموا من الحرب وخلدوا إلى الراحة ، والقسم الأوفر كان يميل إلى معاوية طمعاً بأمواله .

وعلى أي حال ، فقد استبان للإمام الحسن عليه السلام أنّه لم يكن عنده جيش يحميه ، ولم يكن هناك ركن شديد يأوي إليه ، وقد اعتدى عليه بعض أجلاف الخوارج فطعنه في فخذه ، وهو يصلّي قائلاً له : « أشركت يا حسن ، كما أشرك أبوك » .

ودرس الإمام بدقّة وإمعان الأوضاع الراهنة المحيطة به ، فإذا حارب معارية فإنّ النصر المحتّم سيكون لمعاوية ، فإمّا أن يمنّ عليه ، أو يقتله ، وليس في الإقدام على ذلك أيّة مصلحة تعود على الأمّة ، وإنّما تعود عليها بالأضرار البالغة ، والمصاعب الهائلة ، فاضطرّ إلى الصلح مع معاوية على ما في الصلح من قذى في العين ، وشجا في الحلق ، وشرَطَ عليه السلام شروطاً على معاوية إلّا أنّه أعلن نقضها ، وعدم وفائه ، وجعلها تحت قدميه ، قال ذلك أمام الجماهير الحاشدة ، ولو لم يكن للصلح من فائدة لكفى ، فقد أبرزت حقيقته للناس على امتداد التاريخ ، وأنّه مجرّد من جميع القيم والمبادئ الإسلاميّة[١] .

---

(١) ذكرنا عرضاً شاملاً لأسباب الصلح والشروط التي اشترطها الإمام على معاوية في الجزء الثاني من كتابنا حياة الإمام الحسن بن عليّ عليهما السلام .

حكومة معاوية

واستولى معاوية على دست الحكم بالقوّة لا برغبة الأُمّة وإرادتها ، وقد أعلن ذلك بقوله : « والله إنّي ما وليتها بمحبّة علمتها فيكم ، ولا بمسرّة بولايتي ، بل جالدتكم بسيفي هذا مجالدة »[١] . وحينما صفا له الملك وجّه جميع أنشطته السياسيّة إلى ما يلي :

أوّلاً : استئصال الشيعة والقضاء عليهم حتّى لا يكون لهم أي وجود يذكر ، سواء في الميادين السياسيّة أو الاجتماعيّة ، ومن الإجراءات القاسية التي قام بها :

١ ـ التصفية الجسديّة لأعلام الشيعة ، كحجر بن عدي وعمرو بن الحمق الخزاعي ورشيد الهجري وأمثالهم من القادة الذين كانوا من أهمّ أرصدة التشيّع في ذلك الوقت .

٢ ـ هدم دور الشيعة ، فقد قام عمّاله وولاته بهدم كلّ دار ينتمي صاحبها لآل البيت عليهم السلام .

٣ ـ إسقاط جميع حقوقهم المدنيّة التي منها عدم قبول شهادتهم في مجلس القضاء .

ثانياً : إعلان سبّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في المحافل الرسميّة والدينيّة ، وتغذية المسلمبن ببغضه .

ثالثاً : تشكيل لجنة لافتعال الأحاديث ونسبتها إلى النبيّ صلى الله عليه وآله ، وتتناول الموضوعات التالية :

١ ـ مدح الصحابة ، وخلق أرصدة دينيّة وجهاديّة لهم .

٢ ـ مدح الأمويّين ، وافتعال المآثر الكريمة لهم ، وأنّهم حماة الإسلام وبناة مجده.

---

(١) العقد الفريد : ٤ : ٨١.

٣ - ذمّ السادة العلويّين، وأنّهم ليسوا آل النبيّ ﷺ، وإنّما هم أعداؤه وخصومه.

أمّا أعضاء لجنة الوضع فهم: عمرو بن العاص، سمرة بن جندب، شيخ المضيرة، أبو هريرة الدوسي، وغيرهم، ومن المؤسف حقاً أنّ أحاديثهم دوّنت في الصحاح والسنن، واعتبرت من بنود الحديث في الإسلام.

رابعاً: اغتيال الجبهة المعارضة لحكومة معاوية، والتي يحذر أن تفوز بالحكم بعد هلاكه، وكان في طليعتهم الإمام الحسن عليه السلام، فقد دسّ إليه السمّ على يد الآثمة جعيدة بنت الأشعث فاغتالته، وكان معاوية قد عاهد الإمام الحسن عليه السلام أن ترجع إليه الخلافة بعد هلاكه، إلّا أنّه خاس بعهده ونقض وعده.

خامساً: أنّه استعمل على الأقاليم الإسلاميّة أشرار الولاة وأقساهم، فأغرقوا البلاد بالجور والظلم، ونهبوا ثرواتها، ولم يبق عند العامّة فضل من المال، وقد خاطب عقيبة الأسدي معاوية بهذه الأبيات:

مُعاوِيَ إنّنا بَشَرٌ فأَسْجِحْ ... فَلَسْنا بِالجِبالِ ولا الحَديدِ
أَكَلْتُمْ أرْضَنا وَجَرَدتُموها ... فَهَلْ مِنْ قائمٍ أوْ مِنْ حَصيدِ
ذَرُوا جَوْرَ الخِلافَةِ وَاسْتَقِيموا ... وَتَأْميرَ الأَراذِلِ وَالْعَبيدِ(١)

لقد نهب معاوية وولاته خيرات البلاد، وتركوا الفقر جاثماً على الفقراء، وكان من أعنف ولاته وأقساهم زياد ابن أبيه أخو معاوية اللّاشرعي، فقد أشاع جوّاً من الرعب والخوف في العراق لا نظير له، وقد تهدّد الفرزدق شاعر الأمويّين بالانتقام منه، ممّا اضطرّه إلى الهرب والاختفاء، وقد صوّر خوفه بهذه الأبيات:

أَتاني وَعيدٌ مِنْ زِيادٍ فَلَمْ أَنَمْ ... وَسَيْلُ اللّوى دُوني وَهَضْبُ التَّهايم(٢)

---

(١) العقد الفريد: ١: ٣٩.

(٢) **التّهايم**: الأراضي المنحدرة نحو البحر.

فَـبِـتُّ كَـأَنّي مُشْـعَرٌ خَـيبَرِيَّةً[١]   سَرَتْ فـي عِـظامي أو لُـعابُ الأَراقِـمِ
زِيـادَ بـنَ حَـربٍ لو أظـنُّكَ تـاركي   وذا الضِّـغْنِ قَـدْ حَشَّـمْتُهُ غَـيْرَ ظـالِمِ
رأيـتُكَ مَـنْ تَـغضِبْ عـليهِ مِـن امْـرِئٍ   وَلَـو كـانَ ذا رَهـطٍ يَـبِتْ غَـيْرَ نـائِمِ[٢]

وصوّرت هذه الأبيات مدى الرعب الذي عاناه الفرزدق من تهديد زياد له ، فقد بلغ به الخوف أن طار النوم من رأسه ، وكأنّ حيّة سوداء قد لسعته ، وسرى سمّها في عظامه . ويضيف الفرزدق أنّ جميع من يتهدّدهم زياد يطاردهم الرعب والفزع ، ولا ينامون من شدّة الخوف ، ويصف الفرزدق في بيت له خوفه من زياد يقول :

إذا ذَكَـرَتْ نَـفسي زِيـاداً تَكَـمَّشَتْ   مِنَ الْخَوفِ أَحشائي وشابَتْ مَفارِقي[٣]

إنّ مجرّد ذكر الفرزدق لزياد تنكمش منه أحشاؤه ، وتشيب مفارقه .

ويقول الفرزدق في زياد :

فِـراراً مِـن شَـتِيمِ الوجـهِ وَرْدٍ   يُفزُّ الأُسدَ[٤] خَوْفاً بِـالوَعيدِ[٥]

إنّ الأسود تهرب من زياد خوفاً من بطشه ، ورعباً من عقابه ، ولاقى الفرزدق أسداً في الصحراء فخاطبه :

فالأنتَ أَهـوَنُ مِـنْ زِيـادٍ جـانِباً   فَاذهَبْ إِلَيْكَ مُـخَرَّمَ السَّـنّادِ[٦]

---

(١) **الخيبريّة** : الحيّة السوداء .
(٢) ديوان الفرزق : ٢ : ٢٦٦ .
(٣) ديوان الفرزدق : ٢ : ٤٠ .
(٤) **يُفزُّ الأُسد** : يُفزعها .
(٥) ديوان الفرزدق : ١ : ١٤٦ .
(٦) ديوان الفرزدق : ١ : ٢٥٧ .

لقد عهد معاوية بولاية العراق وغيره إلى هذا الوحش الكاسر الذي جهد في ظلم الناس وإرغامهم على ما يكرهون، وقد أخضع المسلمين لحكم ابن هند بقوّة السلاح، ولم يترك لهم أي مجال ليتمتّعوا بالحريّة والعدالة.

سادساً: عهده بولاية العهد إلى ولده يزيد، فقد أخذ له البيعة بالجبر والإكراه، وولّاه أُمور المسلمين، وهو يعلم فسقه وفجوره ومروقه من الدين، وأنّه لا يتمتّع بأية صنعة كريمة تؤهّله للخلافة التي هي ظلّ الله في الأرض.

حكومة يزيد

وكان من أعظم ما امتحن به المسلمون حكومة يزيد، فقد أغرق البلاد بالظلم والجور، واقترف كلّ ما حرّمه الله من إثم، وكان من بين الموبقات التي اقترفها ما يلي:

قتل الإمام الحسين عليه‌السلام

واقترف يزيد أعظم جريمة في الأرض تميد من هولها الجبال، وهي قتل ريحانة رسول الله مع الصفوة من أهل بيته وأصحابه، وهذه صورة موجزة عن هذه الحادثة التي هزّت الدنيا بمأساتها وهول كارثتها:

١ - إنّ قوّاته المسلّحة بقيادة اللقيط المجرم عبيدالله بن زياد أحاطت بابن رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله في كربلاء، وفرضت عليه الحصار، فلم تدع أحداً يصل لنصرته، والدفاع عنه، كما منعته من التوجّه إلى أي بلد من بلاد المسلمين.

٢ - إنّ جيوشه العاتية احتلّت نهر الفرات وحرّمت عليه الماء الذي هو مباح في جميع الأعراف والشرائع، وقد أشرفت عقائل النبوّة وكرائم الوحي على الموت من شدّة الظمأ، وتعالى صراخ الأطفال وهم ينادون «العطش.. العطش»، فلم ترق

قلوب أُولئك الأنذال الممسوخين لهذا المنظر الرهيب ، واستجابوا لأوامر الأمويّين المترعة نفوسهم بالخسّة واللؤم ، فحرموا الأُسرة النبويّة من الماء .

٣ - إنّهم عمدوا إلى قتل ابن رسول الله صلى الله عليه وآله مع الكوكبة المشرقة من أهل بيته وأصحابه الممجّدين الذين هم من خيرة خلق الله ، ولم يراعوا حرمة للنبيّ صلى الله عليه وآله في أهل بيته الذين جعلهم سفن النجاة وأمن العباد .

٤ - إنّهم مثّلوا في جسم ابن رسول الله صلى الله عليه وآله بعد قتله أفظع تمثيل ، فقد جالت عليه خيولهم مقبلة ومدبرة ، وجسم الحسين هو جسم رسول الله صلى الله عليه وآله فقد قال : **« حُسَيْنٌ مِنّي وَأَنا مِنْ حُسَين »** .

٥ - إنّهم أبقوا الجثث الطاهرة على صعيد كربلاء لم يواروها ، في حين أنّهم عمدوا إلى جيف قتلاهم فدفنوها ، فعلوا ذلك استهانة بالإمام ، واستجابة لعواطف الأمويّين ورغباتهم .

٦ - إنّهم عمدوا بصورة وحشيّة لا مثيل لها في القسوة والجفاء فأحرقوا خيام آل النبيّ صلى الله عليه وآله ففررن حرائر النبوّة وعقائل الوحي ومعهنّ الأطفال في البيداء والنار تلاحقهنّ ، فأي جريمة تضارع هذه الجرائم .

٧ - إنّهم سلبوا جميع أمتعة الإمام الحسين وثيابه ، وتركوا جسده الطاهر العظيم عارياً ، كما سلبوا ما على العلويات من الحليّ وغيره .

٨ - إنّهم حملوا رؤوس أبناء النبيّ صلى الله عليه وآله على الرماح يطوفون بها في الأقطار والأمصار لإظهار التشفّي والانتقام من النبيّ صلى الله عليه وآله في عترته وإخافة الرأي العامّ .

٩ - إنّهم حملوا ودائع النبوّة وحرائر الوحي على أقتاب المطايا سبايا ، وهنّ في ذلّ الأسر ، يطوفون بهنّ في شوارع الكوفة ودمشق ، مبتهجين مسرورين لسبيهم بنات النبيّ صلى الله عليه وآله ، واستئصالهم لذرّيته .

هذا موجز لما اقترفه حفيد أبي سفيان في عترة رسول الله صلى الله عليه وآله .

واقعة الحرّة

من موبقات يزيد وجرائمه العظام واقعة الحرّة التي انتهكت فيها كرامة عاصمة الرسول ﷺ ، وذلك لمّا أعلنت رفضها لبيعة يزيد ، فعهد الطاغية إلى مسرف بن عقبة ، وهو ممّن تمرّس في الجرائم أن يحتلّ مدينة النبيّ ﷺ ويبيحها لجنده ثلاثة أيّام يصنعون بأهلها ما يشاءون ، وينهبون من أموالهم ما يحبّون.

وزحف مسرف بجنده إلى المدينة فاحتلّها ، وحسبما أمره يزيد فقد أباحها لجنده ثلاثة أيّام ، فقتلوا ونهبوا واستباحوا الأعراض ، وكلّ ما حرّمه الله من إثم ، ثمّ أخذ البيعة من أهلها على أنّهم خول وعبيد ليزيد ، ومن أبى منهم ضُربت عنقه ، وذكر المؤرّخون صوراً مروّعة ومحزنة ممّا حلّ بالمدنيّين من صنوف البلاء والخطوب.

لقد ضارعت هذه الكارثة بآلامها مأساة كربلاء الخالدة في دنيا الأحزان.. هذا موجز لجرائم خليفة معاوية وحفيد أبي سفيان ، فقد انتهك في أيّام ملكه ـ القصيرة الأمد ـ كلّ ما حرّمته الشرائع والأعراف.

هلاك الطاغية

أمّا هلاك يزيد فتعزوه بعض المصادر إلى أنّه شرب يوماً خمراً فأسرف فيه ، فأحدث ذلك انفجاراً في دماغه ممّا سبّب هلاكه ، وقد انتهت بذلك صفحة سوداء مليئة بالإثم والعار والخزي لا لنفسه ، وإنّما لأبيه وأُسرته ولمن مكّنهم من رقاب المسلمين.

معاوية بن يزيد

وورث معاوية بن يزيد ملكاً من أبيه وجدّه لم يستحقّاه ، وإنّما نهباه من أهله ، وهم أهل بيت النبوّة ، ومعدن الرسالة ، ومختلف الملائكة ، وكان معاوية مؤمناً

بذلك ، عالماً بضلالة أبيه وجدّه ، وناقماً عليهما ، فتنازل رسمياً عن الحكم ، وفضح أباه وجدّه في خطابه الرائع الذي أعلن فيه استقالته ، وقد جاء فيه :

« إنّ جدّي معاوية نازع الأمر من كان أوْلى به لقرابته من رسول الله ﷺ ، وقِدمه وسابقته ، أعظم المهاجرين قدراً ، وأوّلهم إيماناً ابن عمّ رسول الله ﷺ ، وزوج ابنته ، جعله لها بعلاً باختيارها له ، فيها بقيّة رسول الله ﷺ خاتم النبيّين ، فركب جدي منه ما تعلمون ، وركبتم معه ما لا تجهلون ، حتّى أتته منيّته ، فصار في قبره رهيناً بذنوبه ، وأسيراً بجرمه ، ثمّ قلّد أبي الأمر ، فكان غير أهل لذلك ، وركب هواه ، وأخلفه الأمل ، وقصر عنه الأجل ، وصار في قبره رهيناً بذنوبه ، وأسيراً بجرمه » ، ثمّ أغرق في البكاء ، وأضاف قائلاً :

« إنّ من أعظم الأُمور علينا علمنا بسوء مصرعه ، وبؤس منقلبه ، وقد قتل عترة رسول الله ﷺ ، وأباح الحرم ، وخرّب الكعبة »(١) .

لا أكاد أعرف خطاباً أنبل من هذا الخطاب ، فقد كشف عن ضمير نقي متحرّج كأشدّ ما يكون التحرّج في الدين ، فقد وضع جدّه وأباه على طاولة التشريح ، ونعى عليهما ما اقترفاه من عظيم الإثم باغتصابهما لحقّ أهل البيت عليهم السلام .

ومن الجدير بالذكر أنّ هذا الفتى النبيل كان يحتقر نفسه لأنّه ابن يزيد الذي هو أحقر إنسان عرفه التاريخ ، وقد أُثر عنه من الشعر ما يدلّ على براءته من أبيه . يقول :

يا ليتَ لي بِيَزيدٍ حينَ أنْتَسِبُ ... أباً سِواهُ وإنْ أَرزَى بِيَ النَّسَبُ
بَرِئتُ مِنْ فعلِهِ واللهُ يَشْهَدُ لي ... أَنّي بَرِئتُ وذا في اللهِ قَدْ يَجِبُ(٢)

وعلى أي حال ، فإنّ ملك أبي سفيان الذي جهد معاوية على بقائه قد تهدّم

---

(١) النجوم الزاهرة : ١ : ١٦٤ . جواهر المطالب في مناقب عليّ بن أبي طالب : ١٣٣ .

(٢) مروج الذهب : ٣ : ٣١ .

على يد حفيده معاوية بن يزيد ، وبذلك فقد زال ذلك الملك الذي انطمست فيه معالم الحقّ .

حكومة مروان

وليس في تاريخ الإنسانيّة مهزلة أفحش ولا أسوأ من أن تؤول الخلافة الإسلاميّة إلى مروان بن الحكم الوزغ ابن الوزغ ، الملعون ابن الملعون ـ كما في الحديث النبوي[(١)] ـ وكان فيما أجمع عليه المؤرّخون من أركان الضلال ، ودعائم الباطل ، وقد أبدى بعض الشعراء دهشته ولومه لمن أمَّره ، وانتخبه حاكماً على المسلمين . يقول :

لَعمْرُك ما أدري وإنّي لَسائِلٌ ... حَليلةَ مَضروبِ الْقَفا كيفَ يَصْنَعُ
لَحَى اللهُ قَوْماً أَمَّروا خَيْطَ باطِلٍ ... عَلَى الناسِ يُعْطي ما يشاءُ وَيَمْنَعُ[(٢)]

وكان من ألقابه الشهيرة (خيط باطل) لُقّب بذلك لطوله وانطلاقه في ميادين الباطل ، وظلّ هذا اللقب سمة عار لأبنائه ، وفي ذلك يقول يحيى بن سعيد في هجائه لعبدالملك الذي قتل عمرو بن سعيد الأشدق :

غَدَرْتُم بِعَمرٍو يا بَني خَيطِ باطلٍ ... وَمِثْلُكُمُ يَبْني البيُوتَ عَلَى الْغَدْرِ[(٣)]

ومن أبرز صفات مروان الغدر ، ونكث العهد ، فقد بايع الإمام أمير المؤمنين عليه‌السلام ثمّ غدر ، ونكث بيعته ، وخرج عليه في معركة الجمل ، ولمّا اندحرت قوّات عائشة ، جاء به الحسنان أسيراً إلى الإمام ليبايعه مرّة أُخرى ، فقال عليه‌السلام : « **لا حاجَةَ لي في**

---

(١) المستدرك على الصحيحين : ٤ : ٤٧٩ .

(٢) أُسد الغابة : ٤ : ٣٤٨ .

(٣) أنساب الأشراف : ٥ : ١٤٤ .

بَيْعَتِهِ ، إِنَّها كَفٌّ يَهودِيَّةٌ ، لَوْ بايَعَني بِيَدِهِ لَغَدَرَ بِسَبّابَتِهِ » .

ومن نزعاته الحسد . يقول فيه مالك بن هبيرة السكوني مخاطباً لداعيته الحصين ابن مغير : « والله لئن استخلف مروان ليحسدك على سوطك ، وشراك نعلك ، وظلّ شجرة تستظلّ بها »[١] .

لقد آلت الخلافة الإسلاميّة التي هي من أسمى المناصب العليا في الإسلام إلى مروان وأشباهه من ملوك الأمويّين والعبّاسيّين ، وحرمت منها ذريّة النبيّ صلى الله عليه وآله وعترته الذين هم دعاة العدل الاجتماعي وخلفاء النبيّ صلى الله عليه وآله ، وعدلاء الذكر الحكيم حسبما قال النبيّ صلى الله عليه وآله فيهم .

وعلى أي حال ، فقد كانت حكومة مروان قصيرة جدّاً ، فقد هلك بعد ستّة أشهر من حكومته ، وتحقّق ما تنبأ به الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إذ قال : « **إِنَّ خِلافَتَهُ كَلَعْقَةِ الْكَلْبِ أَنْفَهُ** »[٢] .

وتعزو بعض المصادر وفاته إلى زوجته أمّ خالد بن يزيد بن معاوية ، فهي التي أجهزت عليه ؛ لأنّه عيّر ابنها خالد بها[٣] ، وبهلاكه فقد انطوت صفحة من صفحات الخيانة والباطل .

عبدالملك بن مروان

من الكوارث التي مُني بها المسلمون حكومة عبدالملك بن مروان ، فقد أجمع المؤرّخون أنّه لم تكن فيه أيّة صفة كريمة ، أو نزعة شريفة يستحقّ بها الخلافة ،

---

(١) الكامل في التاريخ : ٣ : ٣٣٧ .

(٢) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد : ٢ : ٥٢ .

(٣) تاريخ اليعقوبي : ٣ : ٤ .

وإنّما كان طاغية جبّاراً سفّاكاً للدماء بغير حقّ.

يقول فيه المنصور الدوانيقي: «كان عبدالملك جبّاراً لا يبالي ما صنع»[١]. ومن جبروته أنّه قال في خطبته بعد قتله لابن الزبير: «لا يأمرني أحد بتقوى الله بعد مقامي هذا إلّا ضربت عنقه»[٢].

وكان من الطبيعي أن ينفر هذا الطاغية من ذكر الله تعالى الذي يأمر بالعدل والإحسان، وينهى عن الظلم والجور.

وكان هذا الطاغية أوّل من نهى عن الكلام بحضرة الخلفاء[٣]، وكان ذلك من مظاهر جبروته وكبريائه على المجتمع، ومن صفاته البخل، فقد كان يُسمّى (رشح الحجارة) لشدّة شحّه وبخله[٤]. ووصفه الرواة بالقسوة والجفاء، وأنّه قد محيت من نفسه الرأفة والرحمة، وقد بالغ بإراقة الدماء وسفكها بغير حقّ، وقد اعترف نفسه بذلك حينما قالت له أُمّ الدرداء: «بلغني أنّك شربت الطلى بعد العبادة والنسك».

فقال لها ـ غير متأثّم ـ: «إي والله، والدماء شربتها»[٥].

وقد نشر الثكل والحزن والحداد في بيوت المسلمين لكثرة من قُتل منهم، خصوصاً بعد قتله لابن الزبير، فقد أعدم كلّ من تعاون معه، أو كان مؤيّداً له، وقد خطب خطاباً قاسياً: «إنّي لا أُداوي هذه الأُمّة إلّا بالسيف حتّى تستقيم لي قناتكم»[٦].

---

(١) النزاع والتخاصم / المقريزي: ٨.

(٢) و (٣) تاريخ الخلفاء / السيوطي: ٢١٩.

(٤) تاريخ القضاعي: ٧٢.

(٥) تاريخ مدينة دمشق: ٣٧: ١٥١. البداية والنهاية: ٩: ٨٠.

(٦) البداية والنهاية: ٩: ٦٤.

إنّ هذا الضمير المتحجّر الذي لا بصيص فيه من النور لا يعي الأهداف النبيلة التي تنعش الشعوب، وتبسط الأمن، إنّه لا يؤمن إلّا بالقتل وسفك الدماء بغير حقّ.

ولايته للحجّاج

وكان أفظع عمل قام به عبدالملك أنّه سلّط على المسلمين الحجّاج بن يوسف الثقفي، وهو إرهابي ممسوخ، وأقذر مجرم عرفته البشريّة على امتداد التاريخ، وقد منحه عبدالملك صلاحيّات واسعة، فجعل يتصرّف في أرواح المسلمين وأموالهم حسب رغباته وأهوائه، لا يخضع لمنطق، ولا لقانون.

لقد خلق الحجّاج جوّاً من الأزمات والارهاب في البلاد الخاضعة لنفوذه، لم يعهد الناس مثلها في قساوتها ومرارتها، ويصوّر الفرزدق في إحدى قصائده مدى الخوف الذي لاحق النّاس من الحجّاج يقول:

إِذا ما بَدا الحجّاجُ للنّاسِ أَطرقُوا ... وَأَسْكتَ مِنْهُمْ كُلَّ مَنْ كانَ يَنطِقُ
فَما هُوَ إلّا بائِلٌ مِنْ مَخافةٍ ... وآخَرُ مِنهُمْ ظَلَّ بِالرِّيقِ يَشرَقُ
وطارَتْ قلوبُ الناسِ شَرْقاً ومَغْرِباً ... فَما النّاسُ إلّا مُهجِسٌ أو مُلَقلِقُ[1]

وصوّر الفرزدق بهذه الأبيات ما مُني به الناس من الخوف من حكم الحجّاج، فهم بين بائل، وبين شارق بريقه من شدّة الظلم والجور.

وحكى جرير في بيت له حالة الرعب والذعر التي أصابت الناس من حكم الحجّاج. يقول:

وخافوكَ حَتّى القَومُ تَنزُو قُلوبُهُمْ ... نِزاءَ القَطا التَفَّتْ عَلَيْهِ الْحَبائِلُ[2]

---

(١) ديوان الفرزدق: ٢: ٥٣.

(٢) ديوان جرير: ٣٥٣.

وحكى هذا البيت مدى الرعب الذي عاناه الناس في ولاية هذا الوحش الكاسر، فقد بلغ بهم الخوف أنّ قلوبهم تنزو من الخفقان من شدّة الرعب كما تنزو قلوب القطا حينما تلتفّ عليها حبائل الصيّاد.

وصوّر الفرزدق في أبيات له فزعه من سطوة الحجّاج يقول:

كـادَ الفـؤادُ تَـطيرُ الطـائِراتُ بـهِ ... مِـنَ المَـخافَةِ إذْ قـالَ ابْـنُ أيّـوبِ
في الدارِ إنَّك إنْ تُحدِثْ فَقَدْ وَجَبَتْ ... فـيكَ العُـقوبةُ مِـنْ قَـطْعٍ وَتَـعذيبِ
فـي مَـحْبَسٍ يَـتَردّىٰ فـيهِ ذو رِيَبٍ ... يُخْشىٰ عَلَيْهِ شَديدُ الْهَوْلِ مَرْهُوبِ(١)

وصوّرت هذه الأبيات مدى خوف الفرزدق وغيره من ظلم الحجّاج، فقد بلغ بهم الخوف أنّ قلوبهم تطير فزعاً إذا ذكر اسمه.. وعرض الفرزدق في أبيات له على الوليد ما يعانيه من ظلم الحجّاج وجوره قال:

وَقَدْ خِفْتُ حتّىٰ لو أرَى الموتَ مُقْبِلاً ... لِـيَأخُذَني والمَـوتُ يُكـرَهُ زائِـرُهْ
لَكـانَ مِـنَ الحَـجّاجِ أهـونَ رَوْعَـةً ... إذا هُوَ أغْـضى وهـوَ سـامٍ نَـواظِرُهْ(٢)

إنّ الموت أهون وأخفّ روعة من الحجّاج، فأي ظلم كان ظلمه، وأي جور كان جوره ؟!

وهجاه أحمر بن سالم المرّي بهذه الأبيات:

ثَـقيفٌ بَـقايا مِـنْ ثَـمودٍ وما لَـهُمْ ... أبٌ ماجِدٌ مِنْ قَـيسِ عَـيلانَ يُـنْسَبُ
هُـمُ ولدوكُـم غَـير شَكٍّ فَـيَمِّموا ... بـلادَ ثَـمودٍ حَـيثُ كـانُوا وَعَـذِّبوا
وأنتَ دَعِـيٌّ يـابنَ يُـوسفَ فِـيهِمُ ... زَنـيمٌ إذا مـا حُـصِّلوا تَـتَذَبْذَبُ

---

(١) ديوان الفرزدق: ١: ٢٦.

(٢) ديوان الفرزدق: ١: ٢٥١.

وبلغت الأبيات الحجّاج فطلبه حتّى ظفر به ، فقال له : « ما جزاؤك عندي إلّا أن أُعذّبك بما اختاره الله لأعدائه من أليم عقابه » ، فأحرقه بالنار[١].

يقول الدميري : «كان الحجّاج لا يصبر عن سفك الدماء ، وكان يخبر عن نفسه أنّ أكبر لذّاته إراقته للدماء ، وارتكاب أُمور لا يقدر عليها غيره »[٢].

وقد اعترف بما يحمله من حبّ لسفك الدماء يقول : « والله ما أعلم اليوم رجلاً على ظهر الأرض هو أجرأ منّي على الدم »[٣].

وكان عدد من قتلهم صبراً سوى من قتل في حروبه مائة وعشرون ألفاً[٤].

وقيل : مائة وثلاثون ألفاً »[٥].

لقد كان الحجّاج عنصراً من عناصر الجريمة والفساد في الأرض ، فقد أحرق البلاد التي حكمها بظلمه وجوره.

مروقه من الدين

كان الحجّاج ملحداً لا يؤمن بالله ، ولا باليوم الآخر ، وقد أعلن إلحاده في أعماله وأقواله ، وكان يستهين ويزدري بالرسول العظيم ﷺ ، فقد خاطب الله تعالى أمام حشد من الناس : « أرسولك ـ يعني النبيّ محمّد ﷺ ـ أفضل أم خليفتك ـ يعني عبدالملك ـ »[٦].

---

(١) تاريخ مدينة دمشق : ٧ : ٢٤٨. تهذيب تاريخ دمشق : ٢ : ٣٣٥.

(٢) حياة الحيوان : ١ : ١٦٧.

(٣) الطبقات الكبرى / ابن سعد : ٦ : ٦٦.

(٤) تهذيب التهذيب : ٢ : ٢١١.

(٥) حياة الحيوان : ١ : ١٧٠.

(٦) رسائل الجاحظ : ٩٧. النزاع والتخاصم / المقريزي : ٢٧.

إنّ عبدالملك وسائر ملوك بني أُميّة لا يساوون حذاء النبيّ ﷺ ، المحرّر لفكر الإنسان ، والرائد لحقوقه .

ويلغ من فكر هذا الإنسان الممسوخ أنّه كان يسخر ويهزأ من الذين يحضون بزيارة قبر رسول الله ﷺ قائلاً : « تبّاً لهم ، إنّما يطوفون بأعواد ورمّة بالية ، هلّا طافوا بقصر أمير المؤمنين عبدالملك ، ألا يعلمون أنّ خليفة المرء خير من رسوله »(١) .

لقد فضّل الحجّاج عبدالملك الذي انتهك جميع حرمات الله على النبيّ العظيم ﷺ الذي رفع راية التوحيد ، وأنقذ الإنسان من ظلمات الجاهليّة وخرافاتها . وعلّق الدينوري على كلام الحجّاج بقوله : « إنّما كفروه ـ يعني الحجّاج ـ بهذا لأنّ في هذا الكلام تكذيباً لرسول الله ﷺ ، فإنّه صحّ عنه أنّ الله عزّ وجلّ حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء »(٢) .

ومن كفره أنّه حاصر الكعبة المشرّفة في حربه لعبدالله بن الزبير ، ورماها من جبل أبي قبيس بالمنجنيق ، وكان جيشه يرمون الكعبة ويرتجزون :

خَطّارَةٌ مِثْلُ الفَنيقِ المُزْبِدِ نَرمي بِها عُوّاذَ هذا المَسْجِدِ(٣)

ولم يرج هذا الطاغية وقاراً لبيت الله الحرام الذي من دخله كان آمناً ، فقد انتهك حرمته .

ومن مروقه عن الدين وإلحاده أنّه كان يرى أنّ طاعته أوْلى من طاعة الله ، فقد روى أبان بن عثمان كلماته في ذلك ، قال : « قال الحجّاج : والله لطاعتي أوجب من طاعة الله ؛ لأنّ الله تعالى يقول : ﴿ فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ ، فجعلها مثنويّة ، وقال :

(١) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد : ١٥ : ٢٤٢ .
(٢) حياة الحيوان / الدميري : ١ : ١٧٠ .
(٣) تهذيب تاريخ دمشق : ٤ : ٥٠ . تاريخ مدينة دمشق : ١٣ : ٨٥ .

﴿ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا ﴾[(١)] ، ولم يجعل فيها مثنويّة ، ولو قلت لرجل : ادخل من هذا الباب فلم يدخل لحلّ لي دمه »[(٢)].

وروى ابن عبّاس ، قال : « كنّا عند عبدالملك إذ أتاه الحجّاج يعظّم فيه أمر الخلافة ، ويزعم أن ما قامت السماوات والأرض إلّا بها ، وأنّ الخليفة عند الله أفضل من الملائكة والمقرّبين والأنبياء والمرسلين ؛ وذلك لأنّه خلق آدم بيده ، وأسجد له الملائكة ، وأسكنه جنّته ، ثمّ أهبطه إلى الأرض وجعله خليفته ، وجعل الملائكة رسلاً له .

فأُعجب عبدالملك بذلك وقال : لوددت أن عندي بعض الخوارج فأُخاصمه بهذا الكتاب »[(٣)].

وبمقتضى رأي الحجّاج فقد حكم بالكفر على كلّ من خرج على عبدالملك ، فقد عرض كلّ من انضمّ على ثورة ابن الأشعث الفاشلة إلى السيف ، فمن أقرّ أنّه كفر بخروجه عليه أطلق سراحه ، ومن امتنع قتله صبراً[(٤)].

وقد ذكر ذلك الفرزدق بعد موت الحجّاج في قصيدته التي ألقاها على سليمان بن عبدالملك حينما ولي الخلافة ، يقول :

وَإذْ أَنتُمْ مَنْ لم يَقُلْ أَنا كافِرٌ ... تَرَدّىٰ نَهاراً عَثْرَةً لا يُقالُها
وفارَقَ أُمَّ الرّأسِ مِنهُ بِضَرْبَةٍ ... سَريعٍ لِبَيْنِ المَنْكِبَيْنِ زِيالُها
وإنْ كانَ قَدْ صَلّى ثَمانينَ حِجَّةً ... وصامَ وَأَهدَى البُدْنَ بِيضاً خِلالُها[(٥)]

---

(١) التغابن ٦٤ : ١٦.

(٢) حياة الحيوان / الجاحظ : ٣ : ٥.

(٣) العقد الفريد : ٥ : ٣٣٢.

(٤) تهذيب التهذيب : ٢ : ٢٤١.

(٥) ديوان الفرزدق : ٢ : ٧٥.

محنة الشيعة

وامتحنت الشيعة امتحاناً عسيراً ومرهقاً في دور هذا الطاغية، فقد أشاع فيهم القتل والتنكيل، وملأ بيوتهم حزناً وثكلاً، وأخذهم بكلّ شبهة حتّى إنّ الرجل ليقال له زنديق أو كافر أحبّ إليه من أن يقال له من شيعة عليّ(١).

وكان أوغاد الناس وسفلتهم يتقرّبون لهذا المجرم بانتقاص الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وذمّه، فقد أقبل إليه وغد رافعاً عقيرته قائلاً: «أيّها الأمير، إنّ أهلي عقّوني فسمّوني عليّاً، وإني فقير بائس، وأنا إلى صلة الأمير محتاج».

وبدا السرور على سحنات وجه الحجّاج، وراح يشكره قائلاً: «للطف ما توصّلت به، فقد ولّيتك موضع كذا»(٢).

وعلى أي حال، فقد ذهبت الشيعة طعمة للسيوف والسجون في عهد هذا المجرم، فقد قتلهم تحت كلّ حجر ومدر، وملأ سجونه بهم، ومن المؤكّد أنّه لم تشهد الشيعة دوراً قاسياً مثل ما شهدته في أيّام الحجّاج.

محنة الكوفة

وصبّ الطاغية اللئيم جام غضبه على الكوفة لأنّها كانت مركزاً للجبهة المعارضة للحكم الأموي، فقد أخضعها بالجبر والارهاب لحكم الأمويّين. وقد خطب في الكوفة خطاباً ارهابيّاً لم يحمد الله ولم يثن عليه، ولم يصلّ فيه على النبيّ صلى الله عليه وآله، وكان من جملة خطابه:

«يا أهل العراق، يا أهل الشقاق والنفاق والمراق، ومساوئ الأخلاق، إنّ أمير

---

(١) ينابيع المودّة: ٥٢٧. شرح نهج البلاغة: ١١: ٤٤.

(٢) حياة الإمام الحسن بن عليّ عليهما السلام: ٢: ٣٣٦.

المؤمنين ـ يعني عبدالملك ـ نثل كنانته فعجمها عوداً عوداً ، فوجدني أمرّها عوداً ، وأصعبها كسراً ، فرماكم بي ، وإنّه قلّدني عليكم سوطاً وسيفاً ، فسقط السوط وبقي السيف . . »[١] .

ومن فقرات خطابه : « إنّي والله لأرى أبصاراً طامحة ، وأعناقاً متطاولة ، ورؤوساً قد أينعت وحان قطافها ، وإنّي أنا صاحبها ، كأنّي أنظر إلى الدماء ترقرق بين العمائم واللحى »[٢] ، ثمّ أنشد :

أَنــا ابْــنُ جَـلَا وَطَـلَّاعُ الثَّـنايا   مَـتى أَضَـع العِـمامَةَ تَـعْرِفُوني[٣]

ومضى جلّادوه فحصدوا رؤوس الأبرياء ، ونشروا جوّاً من الارهاب لم يعهد له نظير في قسوته ومرارته ، وقد هابه الناس من شدّة بطشه ، وأليم عذابه .

يقول أبو وائل الأسدي مخاطباً للحجّاج : « وأيم الله ، ما أعلم أنّ أحداً من الناس هابوا أميراً قط هيبتهم إيّاك »[٤] .

سجونه

واتّخذ الطاغية سجوناً رهيبة لا تقي من حرٍّ ولا من برد ، كما كان يعذّب المساجين بأقسى ألوان العذاب ، فكان يشدّ على بدن السجين القصب الفارسي بعد شقّه ، ويُجرّ عليه حتّى تسيل دماؤه ، وقد توفّي في سجونه من شدّة التعذيب خمسون ألف رجل ، وثلاثون ألف امرأة ، ستّة عشر ألف منهنّ مجرّدات ، وكان

---

(١) تاريخ اليعقوبي : ٢ : ٢٧٣ .

(٢) مروج الذهب : ٣ : ٦٨ .

(٣) تاريخ مدينة دمشق : ١٣ : ٨٩ .

(٤) الطبقات الكبرى : ٦ : ٦٦ .

يحبس الرجال والنساء في موضع واحد[١].

وكان يمرّ على المساجين وهم يستغيثون فيقول لهم: «عتوّاً واستكباراً، اخسأوا فيها ولا تكلّمون»[٢]. شبّههم بأهل النار، وشبّه نفسه بالخالق العظيم[٣].

هذا موجز من ظلم الحجّاج وجوره، وانتهاكه لحرمات الله.

هلاكه

وأهلك الله هذا المجرم الخبيث الذي أغرق البلاد في المحن والخطوب، وأحال حياة الناس إلى جحيم لا يطاق، فقد أصابته الآكلة في بطنه، وسلّط الله عليه الزمهرير، فكانت الكوانين تجعل حوله مملوءة ناراً، وتدنى منه حتّى تحرق جلده وهو لا يحسّ بها، وأخذت الآلام منه مأخذاً عظيماً، فشكا ما هو فيه من العذاب إلى الحسن البصري، فقال له: «كنت قد نهيتك أن تتعرّض للصالحين فلججت».

فردّ عليه: «يا حسن، لا أسألك أن تسأل الله أن يفرّج عنّي، ولكن أسألك أن تسأله أن يعجّل قبض روحي ولا يطيل عذابي»[٤].

وظلّ هذا الجلّاد يعاني آلام الموت وقسوته، وكان يقول عند الموت: «ربّ اغفر لي، فإنّ الناس يزعمون أنّك لا تغفر لي»[٥].

وهلك الخبيث في شهر رمضان، وقيل: في شوّال سنة ٩٥هـ، وكان عمره ثلاثاً أو أربعاً وخمسون سنة[٦].

---

(١) حياة الحيوان: ١: ١٧٠.

(٢) تهذيب التهذيب: ٢: ٢١٢.

(٣) اقتباس من الآية الكريمة: ﴿ **اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ** ﴾ المؤمنون ٢٣: ١٠٨.

(٤) و (٥) وفيات الأعيان: ١: ٤٣٧.

(٦) الأخبار الطوال: ٣٢٨.

لقد مضت روحه الخبيثة إلى جهنّم مقرّنة بالأصفاد ، تلاحقها ملائكة العذاب الصفع والتعذيب . ويقول المؤرّخون : « إنّ جيفة هذا المجرم لمّا دفنت بقيت الأرض التي دفن فيها تهتزّ ثلاثة أيّام من ظلمه وجوره ، ومن المضحك أنّه نقل ذلك إلى بعض ملوك الأمويّين فترحّم على الحجّاج وقال : إنّه كان يقرأ القرآن حيّاً وميّتاً » ، أي قرآن يقرأه هذا الجلّاد ، لعلّه يقرأ قرآن مسيلمة وسجاح .

وعلى أي حال ، فقد انكسر بهلاك هذا الطاغية باب الجور ، وانحسرت روح الظلم ، فأهوت به هالكاً ومفقوداً ، وقد تلقّى المسلمون نبأ هلاكه بمزيد من الفرح والسرور ، وكانت الشتائم تلاحقه من يوم هلاكه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

قالوا في الحجاج

ونقم علماء المسلمين وخيارهم على الحجّاج ، وقد أدلوا بكلمات تعلن سخطهم عليه ، وهذا بعض ما قيل فيه :

١ - الحسن البصري

لمّا بلغ هلاك الحجّاج الحسن البصري قال : « اللّهمّ أنت أمتّه ، فأمت سنّته ، أتانا أخيفش[١] أعيمش ، قصير البنان ، والله ما عرق له عذار في سبيل الله قطّ ، فمن كبره فقال : بايعوني وإلّا ضربت أعناقكم »[٢] .

٢ - عمر بن عبدالعزيز

وسخط عمر بن عبدالعزيز على الحجّاج ، ونقم عليه ، وقال : « لو جاءت كلّ أُمّة بخبيثها وجئنا بالحجّاج لغلبناهم »[٣] ، ومعنى ذلك أنّه لو جيء بجميع المجرمين

---

(١) **الخفش** - محركة - : صغر العين ، وضعف البصر .

(٢) تهذيب التهذيب : ٢ : ١٨٦ .

(٣) نهاية الإرب : ٢١ : ٣٣٤ .

وشذّاذ الآفاق من جميع أُمم العالم وشعوب الأرض ، ووضعوا في كفّة ميزان ، ووضع هذا الارهابي في كفّة أُخرى لرجح عليهم ، وذلك لعظيم ما اقترفه من الجرائم والموبقات .

٣ ـ عاصم

قال عاصم : « ما بقيت لله عزّ وجلّ حرمة إلّا ارتكبها الحجّاج »[١] .

٤ ـ القاسم

قال القاسم بن مخيمرة : «كان الحجّاج ينقض عرى الإسلام عروة عروة »[٢] .

٥ ـ زاذان

قال زاذان : «كان الحجّاج مفلساً من دينه »[٣] .

٦ ـ طاووس

قال طاووس : « عجبت لمن يُسمّي الحجّاج مؤمناً »[٤] .

إلى غير ذلك من الكلمات التي أدلى بها علماء عصره ، وقد أجمعوا على تجريده من الهويّة الإسلاميّة ، وأنّه صفحة سوداء في تاريخ البشريّة ومن المتمرّسين في الجريمة .

ونعود بعد الحديث عن الحجّاج لنستعرض سيرة عبدالملك .

ولاته وحاشيته

أمّا ولاة عبدالملك وحاشيته فلايقلّون عن الحجّاج في زندقتهم ومروقهم من الدين ، ولنستمع إلى تصريحات بعضهم :

---

(١) البداية والنهاية : ٩ : ١٣٤ .

(٢ ـ ٤) تهذيب التهذيب : ٢ : ٣١١ .

١ ـ خالد القسري

كان خالد بن عبدالله القسري والياً على مكّة ، وقد أعلن كلمة الكفر على منبر مكّة قال : « إنّ عبدالملك بن مروان أفضل من خليل الرحمن »[١] ، يعني به شيخ الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام . أليس هذا هو الكفر والإلحاد ؟

٢ ـ ابن شفي

قام ابن شفي في مجلس هشام ورفع عقيرته قائلاً : « أمير المؤمنين خليفة الله ـ يعني عبدالملك ـ وهو أكرم على الله من رسوله ـ يعني محمّداً صلى الله عليه وآله ـ فأنت خليفته ومحمّد رسوله »[٢] .

٣ ـ يوسف بن عمر

قال يوسف بن عمر عامل هشام في خطبة الجمعة : « إنّ أوّل من فتح باب الفتنة على الناس ، وسفك الدماء عليّ وصاحبه الزنجي »[٣] ، يعني الصحابي العظيم عمّار بن ياسر .

عبدالملك مع الأخطل

أمّا الأخطل فهو شاعر بني أُميّة ، ولسانهم الناطق ، وكان مسيحياً متحلّلاً مجاهراً بالفسق ، وكان أثيراً عند عبدالملك ، فكان يدخل عليه بغير إذن ، وفي عنقه سلسلة من الذهب وصليب ، وكان عبدالملك يجلّه ويحترمه ، وقد سمّاه أمير المؤمنين ، وشاعر بني أُميّة ، وشاعر العرب[٤] ، وقد دخل عليه وهو ثمل قد لعبت الخمرة في عقله فأنشده بيتين :

---

(١) النزاع والتخاصم : ٩.

(٢) و (٣) النزاع والتخاصم : ٩.

(٤) الأغاني : ٨: ٢٨٧.

إذا ما نَدِيمي عَلَّني ثُمَّ عَلَّني ... ثَلاثَ زُجاجاتٍ لَهُنَّ هَديرُ
خَرَجتُ أَجُرُّ الذَّيلَ تِيهاً كَأنَّني ... عليكَ أميرَ المُؤمنينَ أميرُ[1]

إنّه إذا شرب ثلاث زجاجات من الخمر يخرج ثملاً يجرُّ ذيله، وهو أمير على عبدالملك الذي يُسمّى بأمير المؤمنين، ولم يتّخذ عبدالملك معه أي إجراء لتعدّيه على شخصيّته، ويقول المؤرّخون: إنّه كان يخرج من بلاطه ولحيته تقطر من الخمر[2].

وعرض عليه عبدالملك الإسلام فطلب منه أن يبيح له الخمر، وترك صوم شهر رمضان المبارك، ويدخل في الإسلام، وفي ذلك يقول:

وَلَسْتُ بِصائمٍ رَمضانَ عُمْري ... وَلَسْتُ بِآكِلٍ لَحْمَ الأَضاحي
وَلستُ بِزاجرٍ عَنساً بَكُوراً ... إلى بَطحاءِ مَكّةَ للنجاحِ
وَلستُ بِقائِمٍ كالعِيرِ يَدعو ... قُبيلَ الصُّبْحِ حيَّ عَلى الفَلاحِ
ولكِنّي سَأشرَبُها شَمولاً ... وأَسْجُدُ عندَ مُنبلَجِ الصَّباحِ[3]

وحكى هذا الشعر سخريّة الأخطل من الإسلام، وإصراره على الكفر، ورفضه لجميع ما شرّعه الإسلام من الطقوس الدينيّة، ومن هذا الفكر السافر ظلّ عبدالملك يقرّبه ويدنيه، ويجزل له المزيد من العطايا والهبات لأنّه كان من وسائل إعلامه، وممّا قاله في مدحه:

إلى إمامٍ تَغادَينا فَواضِلَهُ ... أظفَرَهُ اللهُ فَلْيَهْنأْ له الظَّفَرُ
الخائضِ الغَمرِ والمَيمونِ طائِرُهُ ... خَليفةِ اللهِ يُسْتَسْقى بِهِ المَطَرُ

---

(١) تاريخ الخلفاء: ٢٢٢.

(٢) و (٣) حياة الإمام محمّد الباقر عليه السلام: ٢: ٣٣.

والمستَمِرٌ بـهِ أمـرُ الجَـميعِ فَـما ... يَـغرُّهُ بَـعْدَ تَـوْكـيدٍ لَـهُ غَـرَرُ[1]

نَـفسي فِـداءُ أَمـيرِ المُـؤمنينَ إذا ... أَبدَى النَّواجذَ يوماً عارمُ ذَكَـرُ[2]

لقد أشاد الأخطل بعبدالملك ، ووقف أدبه على مدحه ، وقد حفل ديوانه بالكثير من قصائده في مدحه .

الإمام عليه السلام في دمشق

وذكر العيّاشي في تفسيره أنّه ظهر في أيّام عبدالملك مشعوذ من القدريّة أفسد على المسلمين دينهم ، وذلك بما أذاعه من البدع والأضاليل ، ولم يهتدِ علماء العصر إلى ردّ شبهه ، فرأى عبدالملك أن خير وسيلة للردّ عليه أن يحضر الإمام محمّد الباقر عليه السلام إلى دمشق ، ويجمع بينه وبين القدري لإفحام القدري ، وعرض العامل على الإمام ذلك ، واعتذر عن السفر لأنّه لا طاقة له على تحمّل مشقّة السفر ، وأناب عنه الإمام الصادق عليه السلام ، وسافر عليه السلام إلى دمشق ، فلمّا انتهى إليها التقى بعبدالملك ، وعرّفه عبدالملك بالأمر ، وأمر بإحضار القدري فحضر ، واكتظّ القصر بالناس ليسمعوا محاججته له ، والتفت عليه السلام إليه فأمره أن يقرأ سورة الفاتحة ، فشرع في قراءتها ، فلمّا انتهى إلى قوله : ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾[3] قال عليه السلام : **مَنْ تَسْتَعينُ ؟ وَما حاجَتُكَ إِلَى الْمَعْرِفَةِ إِنْ كانَ الْأَمْرُ إِلَيْكَ ؟**[4]

وبان العجز على القدري ولم يطق جواباً ، وواصل الإمام حديثه في إبطال مزاعمه وردّ شبهه .

---

(١) **الغرر** : الهلاك .

(٢) ديوان الأخطل : ٩٨ .

(٣) الفاتحة ١ : ٥ .

(٤) تفسير العيّاشي : ١ : ٢٣ .

وفي هذه الرواية نظر لأنّ الإمام الصادق عليه السلام لم يتجاوز عمره ثلاث سنين ، فكيف سافر إلى دمشق وهو في هذا السنّ ، وأكبر الظنّ أنّ هذه الحادثة وقعت في أيّام الوليد ، فقد ظهر رجل من القدريّة في عصره وأشاع البدع والأضاليل .

هلاك عبدالملك

ومرض عبدالملك مرضه الذي توفّي فيه ، وقد استقبل الموت وهو غير آمن ولا مطمئنّ ، وقد أخذت تراوده أعماله المنكرة وما اقترفه من صنوف الظلم والجور في حقّ المسلمين ، فهو الذي مكّن الحجّاج من رقابهم ، فولغ في دمائهم ، وأشاع الارهاب والخوف في ديارهم .

وعلى أي حال ، فقد بلغ الحزن بعبد الملك أقصاه ، وجعل يضرب بيده على رأسه ، وهو يقول : « وددت أنّي اكتسبت قوّتي يوماً بيوم ، واشتغلت بعبادة ربّي عزّ وجلّ وطاعته »(١) .

وماذا يجديه الندم وقد روّع الملايين من المسلمين ، وملأ قلوبهم خوفاً ورعباً ، وقد ختم حياته بأن عهد بالخلافة إلى ولده الوليد وهو من فسّاق الأمويّين ، وأوصاه بالحجّاج خيراً وقد جاء في وصيّته : « وانظر إلى الحجّاج فإنّه هو الذي وطّأ لكم المنابر ، وهو سيفك يا وليد ، ويدك على من ناوأك ، فلا تَسْمَعَنَّ فيه قول أحد ، وأنت إليه أحوج منه إليك ، وادع الناس إذا متّ إلى البيعة فمن قال برأسه هكذا ، فقل بسيفك هكذا »(٢) .

لقد أوصاه بالحجّاج خيراً ، وهو الذي أغرق البلاد بالثكل والحداد ، وأطاح برؤوس الأبرياء ، كما أوصاه بالقتل لكلّ من يمتنع من بيعته ، ولم يبق بعد هذه

---

(١) البداية والنهاية : ٩ : ٦٨ .

(٢) تاريخ الخلفاء / السيوطي : ٢٢٠ .

الوصيّة إلّا لحظات حتّى وافته المنيّة ، وكانت وفاته في يوم الأربعاء في النصف من شوّال سنة ٨٦هـ[١] ، وقد سئل عنه الحسن البصري فقال : « ما أقول في رجل كان الحجّاج سيئة من سيّئاته »[٢] .

ومن الجدير بالذكر أنّ الإمام الصادق عليه السلام ولد في عهد هذا الطاغية الجبّار ، وقد قطع شوطاً من طفولته في عهده ، وقد وعى الأحداث الرهيبة التي جرت على المسلمين في هذا العهد ، ومن المؤكّد أنّها تركت في نفسه أعمق الأسى والحزن .

الوليد بن عبدالملك

وتسلّم الوليد قيادة الأمّة بعد هلاك أبيه ، ووصفه المؤرّخون بأنّه كان جبّاراً ظالماً[٣] ، وكان يغلب عليه اللحن ، فقد خطب في المسجد فقال : « يا أهل المدينة ـ بالضمّ ـ» مع أنّ القاعدة النحويّة تقضي نصبه لأنّه منادى مضاف ، وخطب يوماً فقال : « يا ليتها كانت القاضية » وضمّ التاء .

فقال عمر بن عبدالعزيز : عليك وأراحتنا منك[٤] .

وعاب عليه أبوه إلحانه ، وقال له : إنّه لا يلي العرب إلّا من يحسن كلامهم ، فجمع أهل النحو ودخل بيتاً فلم يخرج منه ستّة أشهر ، ثمّ خرج منه وهو أجهل منه يوم دخل[٥] .

وطعن عمر بن عبدالعزيز في حكومته ، وقال : « إنّه ممّن امتلأت الأرض به جوراً »[٦] .

---

(١) البداية والنهاية : ٩ : ٦٨.

(٢) تاريخ أبي الفداء : ١ : ٢٠٩.

(٣) و (٦) تاريخ الخلفاء : ٢٢٣.

(٤) و (٥) الكامل في التاريخ : ٤ : ١٣٨.

ويقول المؤرّخون: إنّه كان كثير النكاح والطلاق، فقد تزوّج ثلاثاً وستّين امرأة غير الإماء[1].

ومن الجدير بالذكر أنّ الوليد هو الذي قام بإنشاء جامع دمشق الكبير المعروف بالجامع الأموي، وقد أنفق عليه ستّة ملايين دينار ذهبي من نقود زماننا[2].

كما زاد في جامع النبيّ ﷺ وزخرفه، ونمّقه، ورصّعه بالفسيفساء، وأدخل فيه حُجر أزواج النبيّ ﷺ وسائر المنازل التي حوله[3].

الإمام عليه السلام مع الوليد

ورحل الوليد إلى يثرب للاطّلاع على ما أنجزه واليه من تعمير الجامع النبوي، وكانت زيارته رسميّة، قد اقترنت بالأُبّهة والمراسيم الملكيّة، وخرج والي يثرب لاستقباله من مسافة خمسين فرسخاً، وقد أعدّ أوسع بيت في المدينة لنزول الملك وحاشيته فيه.

ولمّا انتهى الوليد إلى المدينة أذن للناس إذناً عامّاً، وكان عمر بن عبدالعزيز يحثّ الأشراف والتابعين من أبناء الصحابة ليكونوا في مقدّمة الزائرين والمرحّبين بقدومه، وقصد عمر الإمام الباقر عليه السلام وطلب منه زيارة الوليد، فامتنع الإمام من إجابته إلّا أنّ عمر استطاع بلباقته أن يقنع الإمام على زيارته، فقد قال له: «إنّ هذه المدينة مدينة جدّك، والزائر لها أينما نزل فإنّما ينزل بدارك، وهو ضيف عليك، وهذا الوليد إن لم يكن خليفة فهو مسلم نزل بدارك»، فأجابه الإمام على كره.

وفي اليوم الثاني قصد الإمام عليه السلام محلّ إقامة الوليد، فلمّا رآه رحّب به، وقابله بمزيد من الحفاوة والتكريم، وسأل الوليد الإمام عمّا يملكه، فأجابه أنّ له مزرعة

---

(١) و (٣) الإنافة في مآثر الخلافة: ١: ١٣٣.

(٢) الأعلام / الزركلي: ٩: ١٤١.

تكفيه وأهله ، ولا يحتاج إلى شيء ، وعرض عليه الوليد إعطاءه مزرعة كبيرة في أي بقعة من بقاع الدولة الإسلاميّة ليعيش مع أهله وأبنائه في يسر وراحة ، فامتنع الإمام من إجابته ، وقال : **« إِنَّ هٰذِهِ الْمَزْرَعَةَ تَكْفيني وَأَهْلي ، وَإِنَّ أَوْلادي سَوْفَ يَعْمَلونَ ، وَإِنَّ اللهَ تَعالى هُوَ الَّذي يَرْزُقُهُمْ »** ، ثمّ قام من مجلسه وودع الوليد .

وفي اليوم الثاني من قدومه دخل الوليد الجامع النبويّ فشاهد ما أنجزه الوالي من أعمال التعمير والتوسيع ، وكان الإمام الباقر عليه السلام على المنبر يلقي محاضرة على طلابه ، وكان موضوعها الجغرافيا فاستمع الوليد إلى المحاضرة ، وكان ذلك غريباً على مسمعه ، وسأل الإمام عن هذا العلم ، فقال له :

« إِنَّهُ عِلْمٌ يَتَحَدَّثُ عَنِ الْأَرْضِ وَالسَّماءِ وَالشَّمْسِ وَالنُّجومِ » .

وكان الإمام الصادق عليه السلام صبيّاً يافعاً ، وكان حاضراً درس أبيه ، فسأل الوليد عمر بن عبدالعزيز قائلاً : « من يكون هذا الصبي من بين الرجال ؟

فقال عمر : هو جعفر بن محمّد .

وبادر الوليد قائلاً : هل هو قادر على فهم الدرس واستيعابه ؟

فأسرع عمر قائلاً : إنّه أذكى من يحضر درس الإمام ، وأكثرهم سؤالاً ونقاشاً .

وطلب الوليد إحضاره ، فمثل أمامه ، فقال له : ما اسمك ؟

- **جَعْفَر** .

وقدّم له الوليد السؤال التالي : أتعلم من كان صاحب المنطق ؟

- **كانَ أَرَسْطو مُلَقَّباً بِصاحِبِ الْمَنْطِقِ ، لَقَّبَهُ إِيّاهُ تَلامِذَتُهُ وَأَتْباعُهُ** .

وبهر الوليد فقدّم له السؤال التالي : من صاحب المعز ؟

- **لَيْسَ هٰذا إِسْماً لأَحَدٍ ، وَلٰكِنَّهُ اسْمٌ لِمَجْموعَةٍ مِنَ النُّجومِ تُسَمّىٰ ذُو الْأَعِنَّةِ**[١] .

---

(١) هذه المجموعة من النجوم تسمّى في مصطلح علم النجوم الحديث « أوريكا » أو « أريجا » .

واستولت الحيرة على الوليد ، وعاد يسأله : وهل تعلم من صاحب السواك ؟

فأجابه الإمام عليه‌السلام : **هُوَ لَقَبُ عَبْدِاللهِ بْنِ مَسْعودٍ ، صاحِبِ جَدّي رَسولِ اللهِ** صلى‌الله‌عليه‌وآله .

وأُعجب الوليد بمواهب الإمام وعبقريّاته ، والتفت إلى الإمام الباقر عليه‌السلام فقال له : إنّ ولدك هذا سيكون علّامة عصره » .

وصدق تنبّؤ الوليد ، وتحقّق ما توسّم به ، فقد أصبح الإمام الصادق عليه‌السلام أعلم العلماء لا في عصره وإنّما في جميع الأعصار[١] .

وفاة الوليد

توفّي الوليد بدير مروان سنة (٩٦هـ) ، وكانت مدّة حكومته تسع سنين وسبعة أشهر ، وعمره خمس وأربعون سنة[٢] .

سليمان بن عبدالملك

وتقلّد سليمان أزمّة الحكم بعد هلاك أخيه ، وقد قام في بداية حكمه بعمل إيجابي استوجب شكر الناس له ، فقد نكّل بآل الحجّاج تنكيلاً فظيعاً ، وعهد إلى عبدالملك بن المهلّب بتعذيبهم[٣] .

كما عزل جميع عمّال الحجّاج وولاته ، وأطلق في يوم واحد من سجنه واحداً وثمانين ألفاً ، وأمرهم أن يلحقوا بأهاليهم ، وقد وُجد في ذلك السجن الرهيب ثلاثون ألفاً ممّن لا ذنب لهم ، وثلاثون ألف امرأة[٤] ، وكانت هذه المكرمة من مآثره وأياديه

---

(١) الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب : ١٠٨ ـ ١١٢ .

(٢) و (٣) الكامل في التاريخ : ٤ : ١٣٨ .

(٤) تاريخ مدينة دمشق : ٥ : ٨٠ .

البيضاء التي يُشكر عليها .

ويقول الناقدون لسياسته : إنّه كان مجحفاً أشدّ الإجحاف في جباية الخراج ، فقد كتب إلى عامله على مصر أسامة بن زيد التنوخي يأمره بتشديد الخراج ، وكان ممّا جاء في رسالته : « احلب الدرّ حتّى ينقطع ، واحلب الدم حتّى ينصرم » ، وحكت هذه الرسالة مدى ظلمه وجوره على الرعيّة .

ووفد عليه أُسامة عامله على مصر ينقل له ما يعانيه الشعب المصري من الفقر والضيق قائلاً له : « إنّي ما جئتك حتّى أنهكت الرعية وجهدت ، فإن رأيت أن ترفق بها وترفّه عليها ، وتخفّف من خراجها ما تقوى به على عمارة بلادها ، فافعل ، فإنّه يستدرك ذلك في العام المقبل » .

وسخر منه سليمان وصاح به : « هبلتك أُمّك ، احلب الدرّ ، فإذا انقطع فاحلب الدم »(١) .

أرأيتم هذا التمادي في الإثم والعدوان على حياة الإنسان ، إنّه يريد سلب اقتصاد الأمّة ، وإشاعة البؤس في ربوعها ، وكان يصرف الأموال الطائلة على جواريه ، فقد أُهدي إليه لؤلؤ ، فقال للرسول : « انثره على هذه الملحفة الحمراء » ، فنثره وقال الرسول : « ما رأيت شيئاً قطّ أحسن من بياض اللؤلؤ على الملحفة الحمراء » ، وكانت عنده جارية قائمة على رأسه فقالت له : « أعطني يا أمير المؤمنين » ، فحثا لها بيده فوضعته ثمّ قالت : « زدني » ، فأعطاها أكثر من ثلثيه ، ثمّ قالت له : « ما تصنع بهذا الباقي ؟ » ، فدفعه إليها ، وتعجّب الرجل وقال في قرارة نفسه : « قد جمع هذا ، وظلم الناس ، وأخذته هذه »(٢) .

ومن الطريف أنّه حدثت بينه وبين هشام جفوة ، فقال هشام : « والله لأشكونّ

---

(١) الوزراء والكتّاب : ٣٢.

(٢) الذخائر والتحف : ١٢.

سليمان بن عبدالملك يوم القيامة إلى أمير المؤمنين عبدالملك بن مروان »[١].

ويقول المؤرّخون: إنّ سليمان كان معجباً بنفسه كأشدّ ما يكون الإعجاب، وقد لبس ـ يوماً ـ أفخر ثيابه، وراح يتباهى ويقول: « أنا الملك الشاب المهاب، الكريم الوهّاب! ».

ونظر إلى جارية من جواريه فقال لها: كيف ترين أمير المؤمنين؟

قالت: أراه مُنى النفس، وقرّة العين لولا ما قال الشاعر.

- وما قال؟

- قال:

أَنْتَ نِعْمَ المَتاعُ لَو كنتَ تَبقَى ... غَيرَ أَنْ لا بَقاءَ للإنسانِ
أَنتَ مَنْ لا يَريبُنا مِنْكَ شَيْءٌ ... عَلِمَ اللهُ غَيْرَ أَنَّكَ فانِ
لَيْسَ فِيما بَدا لنا مِنْكَ عَيْبٌ ... يا سليمانُ غَيْرَ أَنَّكَ فانِ

وكانت هذه الأبيات كالصاعقة على رأسه، فقد تبدّد جبروته وزال إعجابه بنفسه، ولم يمكث إلّا زمناً يسيراً حتّى توفّي[٢]، وكانت مدّة حكمه سنتين وخمسة أشهر وخمسة أيّام. توفّي يوم الجمعة لعشر ليالٍ بقين من صفر سنة (٩٩هـ)[٣].

عمر بن عبدالعزيز

أمّا عمر بن عبدالعزيز فهو من أفذاذ ملوك الأمويّين، ومن أكثرهم وعياً للأحداث السياسيّة والاجتماعيّة، فقد رأى ملوك أسرته قد نهجوا نهجاً منحرفاً عن العدل

---

(١) النزاع والتخاصم: ٧.

(٢) مروج الذهب: ٣: ١٧٦.

(٣) الكامل في التاريخ: ٥: ٣٧.

والحقّ ، ممّا أوجب كراهية الأوساط الشعبيّة لهم ، فأراد تصحيح الأوضاع ، وكسب الناس ، وبذلك استطاع أن يكون نجماً لامعاً في تاريخ حكّام هذا المشرق ، وفور تولّيه للسلطة قام بتنفيذ ما يلي :

رفعه السبّ عن الإمام عليّ عليه السلام

وأصدر عمر مرسوماً يمنع سبّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على المنابر والمآذن ، وفي معاهد التربية والتعليم ، فقد اتّخذ أسلافه سبّ الإمام منهجاً من مناهج سياستهم ، ليحولوا بين المسلمين وبين معرفة هذا الإمام العظيم الذي أقام الدنيا وأقعدها في أيّام حكمه القصيرة الأمد ، وذلك بما أظهره من صنوف العدل ، ممّا لم يوجد له نظير في تاريخ الإسلام ، كما أوجد وعياً أصيلاً في الشعوب الإسلاميّة أدّى إلى تمرّدها على الظلم والطغيان ، ولم تجدِ محاربة الأمويّين للإمام شيئاً ، فإنّه كالشمس لا يخمد نوره ولا يطفأ ضياؤه .

يقول الشعبي : لقد كنت أسمع خطباء بني أُميّة يسبّون عليّاً عليه السلام على منابرهم ، وكأنّما يشال بضبعه إلى السماء ، وكنت أسمعهم يمدحون أسلافهم على منابرهم ، وكأنّهم يكشفون عن جيفة(١) .

يقول عبدالملك لبنيه : « إنّي لم أرَ الدين بنى شيئاً فهدّمته الدنيا ، ورأيت الدنيا قد بنت بنياناً فهدّمه الدين ، ما زلت أسمع أصحابنا وأهلنا يسبّون عليّاً ، ويدفنون فضائله ، ويحملون الناس على شنآنه ، فلا يزيده ذلك من القلوب إلّا قرباً ، ويجتهدون في تقرّبهم من نفوس الخلق فلا يزيدهم ذلك من القلوب إلّا بُعداً »(٢) .

يقول عمر بن عبدالعزيز : « كان أبي إذا خطب فنال من عليّ تلجّج لسانه ، فقلت : يا أبت ، إنّك تمضي في خطبتك فإذا أتيت على ذكر عليّ عرفت منك تقصيراً .

---

(١) و (٢) الإرشاد : ١٤٦ .

قال: أوَفطنت لذلك؟

قلت: نعم.

فقال: يا بنيَّ، إنّ الذين حولنا لو يعلمون من عليّ ما نعلم تفرّقوا عنّا إلى أولاده»[١].

لقد أدرك عمر بن عبدالعزيز بوعيه وذكائه ضلال آبائه في سبّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فأوعز إلى يهودي أن يخطب منه ابنته أمام المجتمع، فخطبها منه فقال له عمر: كيف تخطب إليَّ وأنت يهودي؟

فردّ عليه اليهودي: كيف زوّج نبيّكم ابنته من عليّ بن أبي طالب؟

فأجابه عمر: إنّ عليّاً من عظماء الدين وأكابر المسلمين.

فانبرى اليهودي قائلاً: فلِمَ تلعنونه على المنابر؟!

فأقبل عمر على الناس فقال: أجيبوه، فلم يستطع أحد أن يجيبه، وعلى الأثر أمر بترك اللعن، وجعل مكانه: ﴿ **رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ** ﴾[٢].

وقد أثارت هذه المكرمة إعجاب الناس، وأخذوا يتحدّثون عنه بأطيب الذكر وعاطر الثناء، وقد وفد عليه كثير عزّة الشاعر الشيعي فمدحه بقصيدة غرّاء تكريماً له على هذه المكرمة يقول:

وَلِيْتَ فلم تَشتُمْ عَلياً ولم تُخِفْ ... بَرِياً وَلَمْ تَتبعْ مَقالةَ مُجرِمِ
وَقُلْتَ فصدَّقتَ الَّذي قُلتَ بِالَّذي ... فَعَلْتَ فأضْحى راضِياً كُلُّ مُسلمِ
ألا إنَّما يَكفي الفَتىٰ بَعْدَ زَيْغِهِ ... مِنَ الأوَدِ الباقي ثِقافُ المُقَوِّمِ
لَقَدْ لَبِسَتْ لُبسَ الْمُلوكِ ثيابَها ... وَأَبدَتْ لَكَ الدُّنيا بِكَفٍّ وَمِعْصَمِ

(١) الكامل في التاريخ: ٤: ١٥٤.
(٢) الحشر ٥٩: ١٠.

وتُومِضُ أحياناً بِعَينٍ مَريضةٍ وَتَبْسِمُ عَنْ مِثْلِ الجُمانِ المُنظَّمِ
فأعرضْتَ عَنها مُشمَئِزّاً كأنَّما سَقَتْكَ مَدُوفاً مِنْ سِمامٍ وَعَلْقَمِ
وقَدْ كُنتَ مِن أجبالها في مُمَنَّعٍ وَمِنْ بحرِها في مُزْبِدِ المَوْجِ مُفْعَمِ
وما زِلتَ سَبّاقاً إلى كلِّ غايَةٍ صَعدتَ بِها أَعْلى البِناءِ المُقَدَّمِ
فلمّا أتاكَ المُلكُ عفْواً ولَمْ يَكُنْ لِطالبِ دُنْيا بعدَهُ مِنْ تَكَلُّمِ (١)

والقصيدة عامرة أشادت بعمر بن عبدالعزيز، وعرضت لمآثره التي في طليعتها رفعه السبّ عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الوجه المشرق للإسلام، والمثل الأعلى لكلّ فضيلة خلقها الله في الأرض.

وأثنى عليه بعد أحقاب من الزمن زعيم العلويّين وسيّدهم في عصره الشريف الرضي. اسمعوا رائعته وهو يقول:

يابْنَ عبدِالعزيزِ لَوْ بَكَتِ العَـ ـينُ فَتىً مِنْ أُمَيَّةٍ لَبَكَيتُكْ
غَيرَ أنّي أقولُ: إنّكَ قَدْ طِبْـ ـتَ وَإنْ لَمْ يَطِبْ وَلَمْ يَزْكُ بَيتُكْ
أنتَ نَزّهْتَنا عنِ السَّبِّ وَالقَذْ فِ فَلَوْ أمْكَنَ الْجزاءُ جَزَيتُكْ
وَلَو انّي رأيتُ قَبرَكَ لأسْتَحْـ ـيَيْتُ مِنْ أنْ أرى وما حَيَّيتُكْ
وَقَليلٌ أنْ لَوْ بَزَلْتُ دِماءَ البُـ ـدْنِ صِرْفاً على الذُّرى وَسَقيتُكْ
دَيرَ سَمْعانَ فيكَ مَأْوىٰ أبي حَفْـ ـصٍ بِوُدي لو أنَّني آويتُكْ
دَيْرَ سَمْعانَ لا أغَبَّكَ غَيْثٌ خيرُ مَيْتٍ مِنْ آلِ مَرْوانَ مَيتُكْ (٢)

وسجّل الشريف بهذه الأبيات ما يحمله من تقدير وثناء لعمر على قيامه بهذه

---

(١) الأغاني: ٨: ١٤٨.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٤: ٦٠.

المكرمة التي تذكر له بالتقدير والإعجاب على امتداد التاريخ .

صلته للعلويّين

ومن بين المآثر التي قام بها عمر بن عبدالعزيز صلته للعلويّين ، فقد جهد أسلافه منذ تأسيس دولتهم على حرمان أهل البيت ، وإشاعة الفقر في بيوتهم ، وقد عانت الأُسرة النبويّة الضيق والحرمان ، وسُدّت عليها أبواب العيش ونوافذ الحياة ، وكان عمر بن عبدالعزيز عالماً بحاجتهم وبؤسهم ، فكتب إلى عامله على يثرب أن يقسّم فيهم عشرة آلاف دينار ، فكتب إليه العامل أنّ عليّاً قد ولد في عدّة قبائل من قريش ففي أي ولده ؟

فأجابه : إذا أتاك كتابي فهذا فاقسم في ولد عليّ من فاطمة عليها السلام عشرة آلاف ، فطالما تخطّتهم حقوقهم[١] .

وكانت هذه أوّل صلة تصلهم أيّام الحكم الأموي .

ردّه فدك للعلويّين

ومن المكارم التي أسداها عمر على العلويّين أنّه ردّ إليهم فدكاً ، وهي التي منحها النبيّ صلى الله عليه وآله لسيّدة النساء فاطمة عليها السلام ، وقد صادرها الخليفة الأوّل ، وأخذت تتعاقب عليها الأيدي ، وتتناهبها الذئاب واللصوص ، وآل النبيّ صلى الله عليه وآله يعانون الفقر والحرمان[٢] .

مع الإمام الباقر عليه السلام

وتنبأ الإمام الباقر عليه السلام بمصير الخلافة إلى عمر بن عبدالعزيز ، فقد روى أبو بصير ،

---

(١) مناقب آل أبي طالب : ٤ : ٢٠٧ و ٢٠٨ .

(٢) حياة الإمام محمّد الباقر عليه السلام : ٢ : ٤٨ ـ ٥٠ ، وقد ذكرنا عرضاً مفصّلاً لردّ فدك للعلويّين .

قال: «كنت مع الإمام أبي جعفر عليه السلام في المسجد إذ دخل عمر بن عبدالعزيز وعليه ثوبان ممصّران، فقال عليه السلام: **لَيَلِيَن هـذَا الْغُلامُ الْحُكْمَ فَيُظْهِرُ الْعَدْلَ، إلَّا أنَّهُ قَـدَحَ فـي وَلايَتِهِ لِوُجودِ مَنْ هُوَ أوْلىٰ مِنْهُ بِالْحُكْمِ**»[١].

ولمّا آلت الخلافة إلى عمر طلب من الإمام الباقر عليه السلام أن يتكرّم عليه بالوفادة إلى دمشق، فاستجاب الإمام عليه السلام وسافر إلى الشام، واستقبله عمر استقبالاً رائعاً، واحتفى به، وجرت بينهما أحاديث ممتعة، وبقي الإمام في ضيافته أيّاماً، ولمّا أراد مغادرة دمشق طلب منه أن يزوّده بوصيّة ينتفع بها، فقال له الإمام: «**أُوصيكَ بِتَقْوَى اللهِ، وَأَنْ تَتَّخِذَ الْكَبيرَ أَباً، وَالصَّغيرَ وَلَداً، وَالرَّجُلَ أَخاً**».

لقد أوصاه بالرفق بالناس، والرحمة بهم، وأن لا يعلو عليهم.

وراح عمر يقول بإعجاب: «جمعت لنا ـ والله ـ ما إن أخذنا به، وأعاننا الله عليه استقام لنا الخير إن شاء الله».

وخرج الإمام من عنده، ولمّا أراد الرحيل بادره رسول عمر فقال له: إنّ عمر يريد أن يأتيك فانتظره، وانتظره الإمام فأقبل عمر وجلس بين يدي الإمام مبالغة في تكريمه وتعظيمه ثمّ ودّع الإمام بحفاوة[٢].

مؤاخذات

وتواجه حكومة عمر بن عبدالعزيز بعض الانتقادات والمؤاخذات كان من بينها:

١ ـ إنّه أقرّ القطائع التي أقطعها الملوك من أُسرته، وهي من دون شكّ كانت بغير وجه مشروع، فإقراره لها إقرار للظلم والجور، وهذا يتنافى مع العدل الذي اتّخذه

---

(١) الخرائج والجرائح: ١: ٢٧٦، الحديث ٧. بحار الأنوار: ٤٦: ٢٥١.

(٢) تاريخ مدينة دمشق: ٥١: ٣٨، (مخطوط في مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام).

منهجاً لسياسته.

٢ ـ إنّه لم يتّخذ أي إجراء حاسم ضدّ عمّاله وولاته الذين جهدوا في ظلم الناس، ونهب ثرواتهم.

يقول كعب الأشعري مخاطباً له:

إنْ كنتَ تَحفظُ ما يَليكَ فإنَّما ... عُمّالُ أرضِكَ بالبلادِ ذئابُ
لَنْ يَستجيبُوا لِلَّذي تَدعُو لَهُ ... حتّى تُجَلَّدَ بالسُّيوفِ رِقابُ
بأَكُفِّ منصلتين أهلِ بَصائرٍ ... في وَقْعِهِنَّ مَزاجِرٌ وعِقابُ[1]

وكان عمر يخطب على المنبر فانبرى إليه رجل فقطع عليه خطابه، وشكا إليه جور عمّاله بهذه الأبيات:

إنَّ الّذينَ بَعَثْتَ في أَقطارِها ... نَبذُوا كِتابَكَ وَاسْتُحِلَّ الْمُحَرَّمُ
طِلْسُ الثِّيابِ على مَنابِرِ أَرْضِنا ... كُلٌّ يَجورُ وَكُلُّهُمْ يَتَظَلَّمُ
وَأَردْتَ أَنْ يَلِيَ الأَمانَةَ مِنْهُمُ ... عَدْلٌ وَهيهاتَ الأَمينُ المُسلِمُ[2]

ومعنى هذه الأبيات وما قبلها أنّ عمّاله وولاته كانوا مجموعة من اللصوص، قد نهبوا ثروات الناس، وتركوا الفقر جاثماً عليهم.

٣ ـ إنّه أقرّ العطاء الذي فرضه أسلافه للأشراف والوجهاء، فلم يغيّر الأمر الذي يتنافى مع المبادئ الإسلاميّة التي ألزمت بالمساواة بين المسلمين، وألغت التمايز بينهم[3].

٤ ـ إنّه زاد في عطاء أهل الشام عشرة دنانير، ولم يفعل مثل ذلك مع أهل

---

(١) و (٢) حياة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام: ١: ٣٠٥.
(٣) حياة الإمام محمّد الباقر عليه السلام: ٢: ٥٤.

العراق[١]. وهذا التمييز لا يلتقي مع تعاليم الإسلام التي فرضت المساواة بين المسلمين، وحرّمت التفاضل بينهم.

هذه بعض المؤاخذات التي تواجه سياسة عمر بن عبدالعزيز، وهي بالنسبة إليه كثيرة؛ لأنّه أعلن أنّه قد تبنّى العدل الخالص والحقّ المحض في سياسته.

وفاته

وألمّت الأمراض بعمر بن عبدالعزيز، وقد امتنع من مراجعة الأطباء، فلامه الناس على ذلك، فقال: «لو كان دوائي في مسح أُذني ما مسحتها، نِعم المذهوب إليه ربّي»[٢].

ويذهب بعض المؤرّخين إلى أنّه لم يمت حتف أنفه، وإنّما سقي السمّ من قِبل الأمويّين، فقد علموا أنّه إذا امتدّت أيّامه فسوف يخرج الملك منهم، ولا يعهد بالخلافة إلّا لمن يصلح لها، فعاجلوه بالسمّ[٣].

توفّي سنة (١٠١هـ) في شهر رجب في دير سمعان[٤].

يزيد بن عبدالملك

تولّى يزيد بن عبدالملك الحكم بعد وفاة عمر بن عبدالعزيز، بعهد من أخيه سليمان، وقد أقام أربعين يوماً يسوس الناس بسياسة عمر بن عبدالعزيز، فشقّ ذلك على بني أُميّة، فأتوه بأربعين شيخاً فشهدوا عنده أنّه ليس على الخلفاء حساب

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢: ٤٨.
(٢) و (٣) الكامل في التاريخ: ٤: ١٦١.
(٤) الإنافة في مآثر الخلافة: ١: ١٤٢.

ولا عقاب[١]، فعدل عن سياسة عمر، وساس الناس بالعنف والجبروت، وعمد إلى عزل جميع ولاة عمر، وكتب مرسوماً إلى جميع عمّاله جاء فيه :

« أمّا بعد، فإنّ عمر بن عبدالعزيز كان مغروراً، فدعوا ما كنتم تعرفون من عهده، وأعيدوا الناس إلى طبقتهم الأولى، أخصبوا أم أجدبوا، أحبّوا أم كرهوا، حيوا أم ماتوا »[٢].

وعاد الظلم بجميع صوره وألوانه على الناس، وعمّ الجور والطغيان في جميع أنحاء البلاد.

وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ يزيد بن عبدالملك كان جاهلاً وحقوداً على أهل العلم، وكان يحتقر العلماء، وكان يسمّي الحسن البصري عالم البصرة بالشيخ الجاهل[٣].

كما كان مسرفاً في اللهو والمجون، فقد هام بحبّ جاريته حبّابة، وقد ثمل يوماً فقال: « دعوني أطير »، فسخرت منه حبّابة وسخرت من الأُمّة التي يحكمها قائلة له: « على من تدع الأمّة ؟ ».

فقال لها: « عليك »[٤].

وكان لا يستطيع فراقها، وقد خرجت معه إلى الأردن يتنزّهان فرماها بحبّة عنب، فدخلت في حلقها فشرقت ومرضت وماتت، فتركها ثلاثة أيّام لم يدفنها حتّى أنتنت، وهو يشمّها ويقبّلها وينظر إليها ويبكي، وكلّمه بعض رجال بلاطه في دفنها، فأذن لهم في مواراتها، وبعد الفراغ من دفنها عاد إلى قصره كئيباً حزيناً[٥].

---

(١) البداية والنهاية: ٩: ٢٣٢.

(٢) العقد الفريد: ٣: ١٨٠.

(٣) الطبقات الكبرى: ٥: ٩٠.

(٤) و (٥) الكامل في التاريخ: ٤: ١٩١.

يقول المسعودي: «إنّه أقام على قبرها وهو يقول:

إنْ تَسلُ عَنكِ النَّفسُ أَوْ تَدعِ الْهَوى ... فَبِاليَأْسِ تَسلو النَّفسُ لا بِالتَّجَلُّدِ»(١)

وقيل: إنّه نبشها بعد الدفن حتىٰ شاهدها(٢).

وله أخبار كثيرة في الدعارة والمجون، أعرضنا عن ذكرها تنزيهاً للكتاب. هلك سنة ١٠٥هـ(٣).

هشام بن عبدالملك

وهو من سيّئات الدنيا، ودعائم الضلال، ولم يكن ـ فيما أجمع عليه المؤرّخون ـ يتمتّع بصفة كريمة، أو نزعة شريفة تؤهّله ليكون زعيماً للعالم الإسلامي، ونتحدّث بإيجاز عن بعض خصائصه، وهي:

١ ـ البخل

كان هشام بخيلاً، شحيحاً، وهو القائل: «ضع الدرهم على الدرهم يكون مالاً»(٤). وقد جمع من الأموال ما لم يجمعه خليفة قبل(٥). وأعلن عن حرصه بقوله: «ما ندمت على شيء ندامتي على ما أهب، إنّ الخلافة تحتاج إلى الأموال كاحتياج المريض إلى الدواء»(٦).

---

(١) مروج الذهب: ٤: ١٩١. البدء والتاريخ: ٣: ٤٨.

(٢) الإنافة في مآثر الخلافة: ٣: ٤٨.

(٣) تاريخ الخلفاء: ٢٤٧. تاريخ اليعقوبي: ٢: ٣١٥.

(٤) البخلاء: ١٥٠.

(٥) حياة الحيوان: ١: ٧١.

(٦) حياة الإمام محمّد الباقر عليه السلام: ٢: ٥٧.

ومن شدّة بخله أنّه دخل إلى بستان له فيه فاكهة ، فجعل أصحابه يأكلون من ثمرها ، فأوعز إلى غلامه بقلع أشجار الفواكه ، وزراعة شجر الزيتون مكانها لئلا يأكل منها أحد[١] .

٢ ـ الحقد

ومن مظاهر ذاته الحقد والحسد ، فقد كان حقوداً على كلّ أحد يتمتّع بموهبة كريمة ، وصفة شريفة ، خصوصاً ذوي الأحساب العريقة ، والأنساب الشريفة ، وكان من أحقد الناس على آل البيت عليهم السلام الذين هم في قمّة الشرف والمجد ، وهو الذي أنكر معرفة الإمام زين العابدين وإمام المتّقين لما احتفّت به الجماهير ، وعلت أصواتهم بالتكبير حينما كان يطوف بالبيت الحرام ، في حين أنّ هشاماً لم يحفل به ، فبادر عيون أهل الشام يسألونه عن هذا الشخص الذي ملك قلوب المسلمين وعواطفهم حتّى قابلوه بهذه الحفاوة والتكريم ، فأنكر معرفته ، فقام إليه الفرزدق وتلا رائعته الخالدة في مدح الإمام وتعريفه لأهل الشام ، فتقطّع قلب هشام من الغيظ والحقد ، وأمر بحبس الفرزدق وحرمانه من العطاء .

٣ ـ القسوة

ومن أبرز صفات هشام القسوة ، فقد محيت من نفسه الرأفة والرحمة ، فكان قلبه كالحجارة أو أشدّ قسوة ، ووصفه اليعقوبي بأنّه بخيل ، فظّ ، شديد القسوة ، بعيد الرحمة .

٤ ـ خبث المنطق

ومن مظاهره أنّه كان خبيث اللسان ، قذراً في منطقه ، لا يقيم لأحد كرامة ،

---

(١) البخلاء : ١٠٥ . مروج الذهب : ٣ : ٢١٠ .

وهو الذي قال للشهيد العظيم زيد بن عليّ عليه السلام : « ما فعل أخوك البقرة » .

فردّ عليه زيد بمنطقه الفيّاض قائلاً: « يسمّيه رسول الله صلى الله عليه وآله باقر العلم ، وأنت تسمّيه البقرة ، لأشدّ ما اختلفت أنت وإيّاه » .

وقال لزيد : « أنت ابن أمَة لا تصلح للخلافة » .

فردّ عليه زيد : « إنّ الأمّهات لا يقعدن بالرجال عن الغايات ، وقد كانت أمّ إسماعيل أمَة لأمّ إسحاق ، فلم يمنعه ذلك أن بعثه الله نبيّاً ، وجعله أباً للعرب ، وأخرج من صلبه خير الأنبياء محمّد صلى الله عليه وآله » .

وتميّز هذا الردّ بالمنطق الأصيل ، فإنّ الأمّ لا تدخل في وصول الرجال إلى أسمى الغايات ، والوصول إلى المقاصد العالية .

مع ابنه سعيد

وولّى هشام ابنه سعيداً على حمص ، فبلغه أنّه يفجر بنساء الناس ، فقال له : يابن الخبيثة ، تزني وأنت ابن أمير المؤمنين ، أعجزت أن تفجر فجور قريش ، وأخذ مال هذا »[١] .

أرأيتم كيف يوصي ولده بالفسق والفجور ، ويوصيه بالقتل ونهب الأموال ، والإعتداء على الناس .

وعلى أي حال ، فإنّ مظاهر شخصيّة هشام وسلوكه لا يؤهّلانه لأن يكون موظّفاً عادياً ، فضلاً عن أن يتبوّأ هذا المركز المهمّ في الإسلام .

مع الإمام الباقر عليه السلام

أمّا الإمام الباقر عليه السلام فهو من ألمع أبناء الأسرة النبويّة في تقواه وفضله ، وهو الرائد

(١) النزاع والتخاصم : ٩. تقوية الإيمان : ٢٠٠.

الأوّل للحركة الثقافيّة والعلميّة في عصره ، وقد تخرّج من مدرسته كبار الفقهاء والعلماء ، أمثال الفقيه زرارة بن أعين ، ومحمّد بن مسلم ، وأبان بن تغلب ، وأمثالهم من عيون العلماء في ذلك العصر (١) .

وقد أجمع المسلمون على تعظيمه ، والإعتراف له بالفضل ، فهو البقيّة الباقية من الأسرة النبويّة التي أعزّ الله بها العرب والمسلمين ، وكان هشام من أحقد الناس عليه ، وذلك لما يسمع من فضله وشيوع مآثره ، وتقديمه بالفضل على غيره ، فأوعز إلى عامله على يثرب بحمله إلى دمشق ، وأبلغ العامل رسالة هشام إلى الإمام عليه‌السلام ، فاضطرّ إلى السفر إلى دمشق ، ولمّا انتهى إليها أوعز هشام إلى حاشيته بتوهين الإمام وتوبيخه عندما يفرغ من حديثه معه .

ودخل الإمام على هشام فسلّم على القوم ، ولم يسلّم على هشام بالخلافة ، فاستشاط غضباً ، وأقبل على الإمام قائلاً له :

« يا محمّد بن عليّ ، لا يزال الرجل منكم قد شقّ عصا المسلمين ، ودعا إلى نفسه ، وزعم أنّه الإمام سفهاً ، وقلّة علم . . » .

لقد استقبل الإمام وهو في مجلسه بمثل هذه الكلمات القاسية ، وأخذ أصحابه ينالون من الإمام ، ويسخرون منه ، فوثب عليه بشجاعة قائلاً :

« أيُّها النّاسُ ، أيْنَ تَذْهَبونَ ؟ وَأَيْنَ يُرادُ بِكُمْ ؟ بِنا هَدى اللهُ أَوَّلَكُمْ ، وَبِنا يَخْتِمُ آخِرَكُمْ ، فَإِنْ يَكُنْ لَكُمْ مُلْكٌ مُعَجَّلٌ فَإِنَّ لَنا مُلْكاً مُؤَجَّلاً ، وَلَيْسَ بَعْدَ مُلْكِنا مُلْكٌ لأَنّا أَهْلُ الْعاقِبَةِ ، وَالْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقينَ » (٢) .

وأشاد الإمام عليه‌السلام في خطابه القصير بمكانة أهل البيت عليهم‌السلام فهم مصدر هداية

---

(١) ذكرنا عرضاً مفصّلاً بأسماء الرواة وتراجمهم الذين حضروا دروس الإمام محمّد الباقر عليه‌السلام في الجزء الثاني من كتابنا (حياة الإمام الباقر عليه‌السلام) .

(٢) بحار الأنوار : ١١ : ٧٥ .

الأمّة في جميع مراحل تاريخها ، فقد رفع جدّهم سيّد الأنبياء صلوات الله عليه مشعل النور والهداية ، وأنقذ الإنسان من خرافات الجاهليّة وعاداتها ، وفي المرحلة الأخيرة من تاريخ هذه الأمّة سوف يبعث الله تعالى مهديّ آل محمّد ، فيقيم اعوجاج الدين ، ويعيد للإسلام نضارته ، وللمسلمين كرامتهم ومجدهم .

خطاب الإمام عليه السلام في دمشق

وازدحم أهل الشام على الإمام محمّد الباقر عليه السلام وهم ينظرون إليه نظرة حقد وعداء ، قد ملئت أفكارهم بالدعايات الكاذبة التي لفّقتها أجهزة الإعلام التي صوّرت أهل البيت بأنّهم أعداء الإسلام ، وأنّ بني أُميّة حماة الإسلام وحضنة القرآن ، فرأى الإمام أن يهديهم إلى سواء السبيل ، ويغسل أدمغتهم من الأفكار المعادية لآل البيت ، فقام فيهم خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلّى على الرسول صلى الله عليه وآله ، ثمّ قال عليه السلام :

« اجْتَنِبوا أَهْلَ الشِّقاقِ ، وَذُرِّيَّةَ النِّفاقِ ، وَحَشْوَ النّارِ ، وَحَصَبَ جَهَنَّمَ ، عَنِ الْبَدْرِ الزّاهِرِ ، وَالْبَحْرِ الزّاخِرِ ، وَالشِّهابِ الثّاقِبِ ، وَشِهابِ الْمُؤْمِنينَ ، وَالصِّراطِ الْمُسْتَقيمِ ، مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجوهاً فَنَرُدَّها عَلىٰ أَدْبارِها ، أَوْ يُلْعَنوا كَما لُعِنَ أَصْحابُ السَّبْتِ ».

وبعد كلام له قال عليه السلام :

« أَبِصِنْوِ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله ـ يعني الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ـ **تَسْتَهْزِئونَ ، أَمْ بِيَعْسوبِ الدّينِ تَلْمَزونَ ، وَأَيَّ سَبيلٍ بَعده تَسْلُكونَ ، وَأَيَّ حُزْنٍ بَعْدَهُ تَدْفَعونَ .**

هَيْهاتَ بَرَزَ وَاللهِ بِالسَّبْقِ ، وَفازَ بِالْفَضْلِ ، وَاسْتَوْلىٰ عَلَى الْغايَةِ ، وَأَحْرَزَ عَلَى الْخَتارِ (١) ، فَانْحَسَرَتْ عَنْهُ الْأَبْصارُ ، وَخَشَعَتْ دونَهُ الرِّقابُ ، وَفَرَعَ الذِّرْوَةَ الْعُلْيا ،

---

(١) **الختار** : الغدر.

فَكَذَبَ مَنْ رامَ مِنْ نَفْسِهِ السَّعْيَ ، وَأَعْياهُ الطَّلَبُ ، ﴿ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾(١)» .

ثمّ أنشد :

«أَقِلُّوا عَلَيْهِمْ لا أَباً لأَبيكُمُ ... مِنَ اللُّوْمِ أو سُدُّوا المَكانَ الَّذي سَدُّوا

أُولئِكَ قَوْمٌ إِنْ بَنَوا أَحْسَنوا البِنا ... وَإِنْ عاهَدُوا أَوْفَوا وَإِنْ عَقَدُوا شَدُّوا

فَأَنّى يُسَدُّ ثُلْمَةُ أَخي رَسولِ اللهِ ﷺ إِذْ شَفَعوا وَشَقيقِهِ إِذْ نَسَبوا ، وَنَدَ يَدِهِ إِذْ قَتَلوا ، وَذي قَرْنى كَنْزِها إِذْ فَتَحوا ، وَمُصَلِّي الْقِبْلَتَيْنِ إِذْ تَحَرَّفُوا ، وَالْمَشْهودِ لَهُ بِالْإِيمانِ إِذْ كَفَروا»(٢) .

وأكبر الظنّ أنّ هذه الفقرات مقتطفات من خطابه ، وليست النصّ الكامل ، وهي وإن كانت متقطعة إلّا أنّها عنت بنشر فضائل أهل البيت عليهم السلام .

اعتقال الإمام عليه السلام

ولمّا ذاع فضل الإمام عليه السلام بين أهل الشام خاف الطاغية منه ، وأمر باعتقاله ، وقد احتفّ به السجناء ، وأخذوا يتلقّون من علومه وأدبه ، وخشي مدير السجن من الفتنة ، فبادر إلى هشام وأخبره بالأمر ، فأمره بإخراجه من السجن وإرجاعه إلى يثرب(٣) .

وهناك روايات أُخرى رواها لوط بن يحيى الأسدي مطوّلة ذكرناها في كتابنا حياة الإمام محمّد الباقر عليه السلام .

---

(١) سبأ ٣٤ : ٥٢ . **التناوش** : التناول .

(٢) مناقب آل أبي طالب : ٤ : ٢٠٣ ـ ٢٠٤ .

(٣) بحار الأنوار : ١١ : ٧٥ .

إغلاق الحوانيت بوجه الإمام عليه السلام

وأمر هشام بمغادرة الإمام أبي جعفر وولده الإمام الصادق عليه السلام دمشق خوفاً من أن يفتتن الناس بهما، وأوعز إلى أسواق المدن والمحلّات التجاريّة الواقعة في الطريق أن تغلق محلّاتها بوجه الإمام، ولا تبيع إليه أيّة بضاعة، وقد أراد بذلك القضاء على الإمام في الطريق، وسارت قافلة الإمام وقد أضناها الجوع والعطش، فاجتازت على بعض المدن فبادر أهلها إلى إغلاق محلّاتهم بوجه الإمام، ولمّا رأى عليه السلام ذلك صعد على جبل هناك ورفع صوته قائلاً: **« يا أَهْلَ الْمَدينَةِ الظّالِمِ أَهْلُها، أَنا بَقِيَّةُ اللهِ. يَقولُ اللهُ تَعالىٰ: ﴿ بَقِيَّتُ اللهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنتُم مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾[1] »**.

ولمّا أنهى الإمام عليه السلام كلامه بادر شيخ من شيوخ المدينة فرفع عقيرته قائلاً:

« يا قوم، هذه والله دعوة شعيب، والله لئن لم تخرجوا إلى هذا الرجل بالأسواق لتؤخذن من فوقكم، ومن تحت أرجلكم، فصدّقوني هذه المرّة وأطيعوني، وكذّبوني فيما تستأنفون، فإنّي ناصح لكم.. ».

وخاف أهل المدينة وفزعوا، وبادروا إلى حوانيتهم ففتحوها، واشترى الإمام ما يحتاجه من المتاع[2]، وفسدت مكيدة هشام وما دبّره من مكيدة للإمام.

ثورة الشهيد زيد رضي الله عنه

أمّا ثورة زيد فهي من الثورات الخالدة في دنيا الإسلام، فقد استهدفت القضاء على الظلم الاجتماعي، والغبن الاجتماعي، وإنقاذ المسلمين من ويلات الحكم الأموي وكوارثه.

---

(١) هود ١١: ٨٦.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ٤: ٦٩٠. بحار الأنوار: ١١: ٧٥.

لقد ثار زيد بوحي من روح الإسلام ، فقد رأى باطلاً يحيا ، وصادقاً يكذّب ، وأثرة بغير تقى ، رأى جوراً شاملاً ، واستبداداً فظيعاً في أمور المسلمين ، فلم يسعه السكوت .

وقد روى بعض شيعته ، قال : « خرجت معه إلى مكّة ، فلمّا كان نصف الليل واستوت الثريا قال لي : **أما ترىٰ هٰذِهِ الثُّرَيّا ، أَتَرى أَحَداً يَنالُها ؟**

قلت : لا .

قال : **وَاللهِ لَوَدَدْتُ أَنَّ يَدي مُلْصَقَةٌ بِها فَأَقَعُ إِلَى الْأَرْضِ ، أَوْ حَيْثُ أَقَعُ ، فَأَتَقَطَّعُ قِطْعَةً قِطْعَةً ، وَإِنَّ اللهَ يُصْلِحُ بَيْنَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ** »(١) .

أرأيتم هذه النزعة الإصلاحيّة ، والتفاني في خدمة المسلمين ، وإنقاذهم من الظلم والجور .

وروى عيسى بن عبدالله عن جدّه محمّد بن عمر بن عليّ عليه السلام ، قال : « كنت مع زيد بن عليّ حين بعث بنا هشام إلى يوسف بن عمر ، فلمّا خرجنا من عنده وسرنا حتّى كنّا بالقادسيّة ، قال زيد : اعزلوا متاعي عن أمتعتكم .

فقال له ابنه : ما تريد أن تصنع ؟

قال : أُريد أن أرجع إلى الكوفة ، فوالله لو علمت أنّ رضى الله عزّ وجلّ عنّي في أن أقدح ناراً بيدي حتّى إذا اضطرمت رميت نفسي فيها لفعلت ، ولكن ما أعلم شيئاً أرضى لله عزّ وجلّ عنّي أفضل من جهاد بني أُميّة »(٢) .

إنّ زيداً لم يفجّر ثورته الكبرى طمعاً في الملك والسلطان ، وإنّما كان يبغي بها وجه الله والدار الآخرة ، وقد قال لجابر بن يزيد الجعفي : « يا جابر ، لم يسعن أن

---

(١) مقاتل الطالبيّين : ١٢٩ .

(٢) تيسير المطالب : ١٠٨ ـ ١٠٩ .

أسكت ، وقد خولف كتاب الله تعالى ، وتحوكم بالجبت والطاغوت ، وذلك أنّي شاهدت هشاماً ورجل عنده يسبّ رسول الله ﷺ فقلت للسابّ : ويلك يا كافر ، أما إنّي لو تمكّنت منك لاختطفت روحك ، وعجّلتك إلى النار .

فقال لي هشام : مه جليسنا يا زيد ، فوالله لو لم يكن إلّا أنا ويحيى ابني لخرجت عليه ، وجاهدته حتّى أفنى »[١] .

وقد جهد الطاغية هشام على إذلال زيد ، والحطّ من شأنه ، وقابله زيد بمنتهى الشجاعة غير حافل بسلطانه ، فقد قال له : « السلام عليك يا أحول ، فإنّك ترى نفسك أهلاً لهذا الاسم »[٢] .

ثمّ خرج وقد صمّم على الثورة ، وكان يتمثّل بهذه الأبيات :

وَمَنْ يَطْلُبِ الْمَجدَ المُمَنَّعَ بِالقَنا ... يَعِشْ ماجداً أو تَخْتَرِمْهُ المَخارِمُ
مَتى تَجْمَعِ الْقَلْبَ الذَّكِيَّ وَصارِماً ... وأَنْفاً حَمِيّاً تَجْتَنِبْكَ المَظالِمُ
وكنتُ إذا قومٌ غَزَوني غَزَوتُهُمْ ... فَهَلْ أَنا في ذا يا أهل هَمْذان ظالِمُ[٣]

وكان يقول : « ما كره قوم حرّ الجلاد إلّا ذلّوا » ، واتّجه صوب الكوفة ليتّخذ منها قاعدة لانطلاقه في ميادين الجهاد ، وقد عذله قوم من التوجّه إلى الكوفة لما عرف من أهلها الغدر والخيانة ، فلم يعن بذلك ، وجعل يتمثّل بقول عنترة العبسي :

بَكَرَتْ تُخَوِّفُني المَنونَ كَأَنَّني ... أصبحتُ عن عَرَضِ الحياةِ بِمَعْزِلِ
فَأَجبْتُها إنَّ المَنيّةَ مَنْهَلٌ ... لا بُدَّ أَن أُسقَى بِكَأسِ المَنْهَلِ[٤]

---

(١) حياة الإمام محمّد الباقر عليه السلام : ١ : ٧٢ .

(٢) تهذيب تاريخ مدينة دمشق : ٦ : ٢٢ .

(٣) مقاتل الطالبيّين : ١٢٩ .

(٤) الروض النضير : ١ : ٧٥ . الكامل في التاريخ : ٥ : ٢٣٣ .

أمّا أنت يا بطل الجهاد فتسخر من الحياة، وتهزأ من الموت، وأنّك بكلّ جرأة وإقدام تحتسي كأس المنيّة، ولا تعيش ذليلاً مضاماً، فأنت حفيد الحسين سيّد الأحرار والأباة في دنيا الإسلام.

وانتهى فخر هاشم إلى الكوفة فانثالت عليه الجماهير تبايعه، وهي إنّما تبايع الله ورسوله، وكانت صيغة البيعة الدعوة إلى كتاب الله وسنّة نبيّه، وجهاد الظالمين، والدفاع عن المستضعفين، وإعطاء المحرومين، وقسم هذا الفيء بين أهله، وردّ المظالم، ونصرة أهل الحقّ[١].

لقد ثار زيد من أجل هذه المبادئ لينقذ الأُمّة من عسف الأمويّين وجورهم، وبلغ عدد المبايعين له أربعين ألفاً، فرأى أن يفجّر ثورته ويزحف بجيشه إلى احتلال الكوفة، والإطاحة بالحكم الأموي، وانطلقت جيوشه من جبّانة سالم، وهي تهتف بحياة زعيمها العظيم، وتنادي بشعار الشيعة (يا منصور أمت)، ولمّا رأى زيد الرايات تخفق على رأسه قال: «الحمد لله الذي أكمل لي ديني، والله إنّي كنت أستحيي من رسول الله ﷺ أن أرد الحوض ولم آمر في أُمّته، ولا أنهى عن منكر بمعروف»[٢].

واندلعت نار الحرب في ليلة شديدة البرد[٣] لسبع بقين من المحرّم، وجرت مناوشات، واصطدام مسلّح بين أتباع زيد وبين الجيوش الأمويّة تحت قيادة والي الكوفة يوسف بن عمر.

خيانة الكوفيّين

ومن المؤسف أنّ جيش زيد المكوّن من عشرات الآلاف قد غدروا به، وأسلموه

---

(١) أنساب الأشراف: ٣: ٢٣٧. ترجمة زيد بن عليّ عليه‌السلام: ١٢٧ ـ ١٥١.

(٢) عمدة الطالب: ٢٥٦.

(٣) أنساب الأشراف: ٣: ٢٠٢.

عند الوثبة ، وتركوه عدا القلّة من خلّص أصحابه ، ولمّا رأى زيد هزيمتهم راح يقول : « فعلوها حسينيّة . . » . لقد غدروا به كما غدروا من قبل بجدّه أبي الأحرار الإمام الحسين عليه السلام ، وخاض زيد بشجاعة فائقة مع أصحابه الحرب في شوارع الكوفة وأزقّتها ، وأبلى في المعركة بلاءً حسناً ، وما رأى الناس قطّ فارساً أشجع ولا أربط جأشاً منه .

في ذمّة الخلود

وأبدى زيد من البسالة والبطولة ما يفوق حدّ الوصف ، فقد أخذ يلاحق الجيوش الأمويّة ، ويلحق بها أفدح الخسائر ، ولم تستطع الصمود أمام الضربات المتلاحقة التي يسدّدها لها زيد ، وكان يحمل ويتمثّل بقول الشاعر :

أذلُّ الحَياةِ وعِزُّ المَماتِ ... وكُلّاً أراهُ طَعاماً وَبيلا
فَإنْ كانَ لا بُدَّ مِن واحِدٍ ... فَسِيري إلى المَوْتِ سَيراً جَمِيلا (١)

لقد سرت أيّها القائد العظيم إلى الموت ، ولم تخضع للذلّ والعبوديّة ، ومتّ تحت ظلال السيوف والرماح عزيزاً كريماً ، قد رفعت راية الإسلام عالية خفّاقة ، ولمّا جنح الليل رُمي زيد بسهم غادر فأصاب جبهته الكريمة ووصل إلى دماغه الشريف ، الذي ما فكّر إلّا في إعلان حقوق الإنسان ، وإزالة الجور والظلم عن الضعفاء والمحرومين ، وحلّت الكارثة بأصحاب زيد ، وهاموا في تيّارات من الأسى والحزن ، وطلبوا طبيباً فانتزع منه السهم فتوفّي ، وقد انطفأت بذلك الشعلة الوهّاجة التي كانت تضيء الطريق ، وتوضّح القصد ، وترفع منار الحرية والكرامة لجميع شعوب الأرض وأمم العالم .

---

(١) حياة الإمام محمّد الباقر عليه السلام : ١ : ٧٧.

لقد استشهد القائد العظيم الذي أراد أن يحقّق العدالة الاجتماعيّة في الأرض، ويحقّق الفرص المتكافئة للمسلمين، ويوزّع خيرات الأرض على الفقراء والمحرومين الذين كفرت السلطة الأمويّة بجميع حقوقهم.

وعلى أي حال، فإنّ أصحاب زيد حاولوا مواراة جثمانه خوفاً عليه من السلطة الأمويّة التي لا تتورّع عن التمثيل الآثم به، وبعد المداولة في الأمر صمّموا على مواراته في نهر هناك، وعمدوا إلى النهر فقطعوا ماءه، وحفروا فيه قبراً وواروا فيه الجسد الطاهر، ثمّ أجروا عليه الماء، وانصرفوا وهم غارقون بالأسى والشجون على القائد العظيم الذي تبنّى حقوق المظلومين والمضطهدين.

وكان مع أصحاب زيد عين من عيون السلطة يراقب حركاتهم، فبادر مسرعاً إلى حاكم الكوفة وأخبره بموضع الدفن، فأوعز الحاكم إلى شرطته بنبش القبر، وإخراج الجثمان المقدّس منه، فأخرجوه وحُمل إلى قصر الإمارة، فأمر بصلبه منكوساً في سوق الكناسة، واحتزّوا رأسه الشريف، وأُرسل هدية إلى أحول بني أُميّة هشام بن عبدالملك، وأمر الطاغية بوضع الرأس في مجلسه، وأمر جميع من يدخل عليه أن يطأ الرأس بحذائه مبالغة في توهينه وإذلاله، وجعلت الدجاج تنقر دماغه، وفي ذلك يقول الشاعر القرشي:

اطْرُدِ الدِّيكَ عن ذُؤابَةِ زَيدٍ ... طَالَ ما كانَ لَا تَطَأْهُ الدَّجاجُ[١]

ابنُ بِنتِ النَّبِيِّ أَكْرمُ خَلْـ ... ـقِ اللهِ زَينِ الوفودِ وَالحُجّاجِ

حَمَلوا رأسَهُ إلى الشَّامِ رَكْضاً ... بالسُّرَى وَالبُكُورِ وَالإِدلاجِ[٢]

وأمر هشام بنصب الرأس الشريف على باب دمشق، ثمّ أرسل إلى المدينة

(١) النزاع والتخاصم / المقريزي: ٨.

(٢) أنساب الأشراف: ٣: ٢٥٢.

فنصب عند قبر النبيّ صلى الله عليه وآله يوماً وليلة[١]، ثمّ أرسله إلى مصر، كلّ ذلك لإذاعة الخوف والإرهاب بين الناس، وإعلامهم على قوّة السلطة، وقدرتها على سحق أية معارضة تقوم ضدّها، وكتب طاغية الشام إلى والي الكوفة يوسف بن عمر بأن يبقي زيداً مصلوباً، ولا ينزله عن خشبته قاصداً بذلك إذلال العلويّين والإستهانة بشيعتهم، وقد فاته أنّه قد أوقد نار الثورة في نفوس الشيعة، وزادهم عزماً وتصميماً على التضحية في سبيل مبادئهم.

حرق الجثمان

وبقي الجثمان العظيم مرفوعاً على أعواد المشانق، وهو يضيء للناس طريق الحريّة والكرامة، ويدفعهم إلى التمرّد على الذلّ والخنوع، ويبعث في نفوسهم روح الثورة على الجور والظلم، وقد وضعت السلطة عليه الحرس، وكان عددهم أربعمائة، وجعلت الرقابة في كلّ ليلة لمائة رجل، وبنيت للحرس حول الجذع بناية خوفاً من أن تختلس الشيعة الجثمان ويواروه في التراب.

ولمّا ولي الوليد الحكم كتب إلى حاكم الكوفة يوسف بن عمر كتاباً، وأمره بأن ينزل الجثمان المقدّس ويحرقه بالنار، وقام السفّاك بتنفيذ ما عهد إليه، فأحرق الجسد الطاهر الذي ثار ليطهّر الأرض من الظالمين، ويعيد للإنسان حريّته وكرامته، وبعدما أحرق الجثمان العظيم عمد الباغي اللئيم يوسف بن عمر فذرّ رماد الجثمان في الفرات، وهو يقول: «يا أهل الكوفة، لأدعنّكم تأكلونه في طعامكم، وتشربونه في مائكم»[٢].

---

(١) عمدة الطالب: ٢٥٨.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٢: ٣٩١. وقد ذكرنا مفصّلاً شهادة زيد وما رافقته من أحداث في كتاب حياة الإمام محمّد الباقر عليه السلام تحت عنوان: عقائد الزيديّة.

لقد كان جزاء النبيّ ﷺ الذي حرّر أمّته من حياة الذلّ والعبوديّة ، وجعلها سادة الأمم والشعوب ، أن عمد الأمويّون إلى قتل عترته وذرّيّته ، والتمثيل بهم تمثيلاً آثماً لا مبرّر له سوى أنّهم كانوا يطالبون بحقوق الأمّة وإشاعة العدل فيها .

الإمام الصادق عليه السلام وزيد رضي الله عنه

كان الإمام الصادق عليه السلام يبجّل عمّه زيداً ، ويحترمه كثيراً ، وكان من مظاهر تكريمه له أنّه يمسك له الركاب إذا أراد أن يركب ، ويسوّي ثيابه على السرج[(١)] .

وقال عليه السلام لمحمّد بن سالم : « **هَلْ شَهِدْتَ عَمّي زَيْداً ؟**

- نعم .
- **هَلْ رَأَيْتَ فينا مِثْلَه ؟**
- لا .
- **وَلَا أَظُنُّكَ وَاللهِ تَرىٰ فينا مِثْلَه** »[(٢)] .

إنّ زيداً فذّ من أفذاذ الإسلام ، وصفحة مشرقة من صفحات الرسالة الإسلاميّة ، ليس له ندّ في الأسرة النبويّة التي هي من أجلّ الأسر في دنيا الإسلام .

ومجّد الإمام الصادق عليه السلام ثورة عمّه زيد ، فقد قال لأصحابه : « **لَا تَقولوا خَرَجَ زَيْدٌ ، فَإِنَّ زَيْداً كانَ عالماً ، وَكانَ صَدوقاً ، وَلَمْ يَدْعُكُمْ إِلىٰ نَفْسِهِ ، إِنَّما دَعاكُمْ إِلَى الرِّضا مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَلَوْ ظَهَرَ لَوَفىٰ بِما دَعاكُمْ إِلَيْهِ ، إِنَّما خَرَجَ إِلىٰ سُلْطانٍ مُجْتَمِعٍ لِيَنْقُضَه** »[(٣)] .

وكان من إقرار الإمام عليه السلام لثورة زيد ، وأنّها مشروعة أنّه أعطى إلى عبدالرحمن بن

(١) مقاتل الطالبيّين : ١٢٩ .

(٢) الحور العين : ١٨٨ .

(٣) روضة الكافي : ٨ : ٢٦٤ ، الحديث ٣٨١ .

سيّابة ألف دينار وأمره أن يقسّمها في عيال من أُصيب مع زيد[١].

وكان من جهل الأمويّين وسوء تدبيرهم أنّهم كانوا يفخرون بإبقاء جثّة زيد مصلوبة، وقد اعتزّ بذلك وغد من عملائهم، وهو الحكيم بن عيّاش، يقول:

صَلَبْنا لَكُم زَيداً على جِذعِ النَّخْلَةِ ... ولَمْ نرَ مَهْدِيّاً عَلَى الجِذْعِ يُصْلَبُ
وقِسْتُم بِعُثمانٍ عَلِيّاً سَفاهَةً ... وعُثمانُ خَيْرٌ مِنْ عَلِيٍّ وَأَطْيَبُ

إنّ زيداً إنّما صلب على جذع نخلة لدفاعه عن حقوق المظلومين والمضطهدين، فقد حوّلت السلطة الأمويّة البلاد الإسلاميّة إلى مزرعة لهم، كما استعبدت المسلمين وأرغمتهم على ما يكرهون.

ولمّا بلغ هذا الشعر الإمام الصادق عليه السلام تألّم كأشدّ ما يكون التألّم، ورفع يديه بالدعاء قائلاً: **«اللّهُمَّ إنْ كانَ عَبْدُكَ كاذِباً فَسَلِّطْ عَلَيْهِ كَلْبَكَ»**، واستجاب الله دعاء الإمام، فافترسه أسد وهو يدور في سكك الكوفة.

ولمّا انتهى خبره إلى الإمام سجد لله شاكراً على استجابة دعائه، وهو يقول: **«الْحَمْدُ للهِ الَّذي أَنْجَزَنا وَعْدَه»**[٢].

لقد نكب الإمام الصادق عليه السلام وسائر أبناء الأُسرة النبويّة بقتل زيد الذي كان علماً من أعلام الإسلام، ومن سادات أهل البيت، كما روّع العالم الإسلامي بأسره، فقد كان قتله وحرق جثّته من الأحداث الجسام التي تصدّعت من هولها القلوب.

يقول اليعقوبي: «ولمّا قتل زيد تحرّكت الشيعة بخراسان، وظهر أمرهم، وكثر من يأتيهم، ويميل إليهم، وجعلوا يذكرون للناس أفعال بني أُميّة، وما نالوا من آل رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى لم يبق بلد إلّا فشا فيه هذا الخبر، وظهرت الدعاة، ورئيت المنامات،

---

(١) الأمالي / المجلسي: ٥٤. زهرة المقول: ٧٥.

(٢) السيرة الحلبيّة: ١: ٣٢٧.

وتدورست كتب الملاحم »[١].

وفاة هشام

ومرض هشام مرضه الذي هلك فيه ، ولمّا أشرف على الموت جعل أبناؤه يبكون ، فقال لهم : « جاد لكم هشام بالدنيا ، وجدتم عليه بالبكاء ، وترك لكم ما جمع ، وتركتم له ما كسب ، ما أسوا منقلب هشام إن لم يغفر الله له »[٢].

وقد هلك في شهر ربيع الآخر بدمشق سنة ١٢٥هـ، وهو ابن ثلاث وخمسين سنة ، ومدّة حكمه ١٩ سنة و ٩ أشهر[٣].

الوليد بن يزيد

وولي الحكم من بعد هشام الوليد بن يزيد ، بويع له بالخلافة ولم يكن بدمشق ، وإنّما كان في خارجها ، وكان جاهليّاً بما تحمله هذه الكلمة من معنى ، فقد أجمع المؤرّخون على استخفافه بالدين ، واشتهاره بالفسق ، وإدمانه على شرب الخمر.

يقول ابن عساكر : « إنّه كان منهمكاً في شرب الخمر واللذّات ، ورفض الآخرة وراء ظهره ، وأقبل على القصف واللّهو والتلذّذ مع الندماء والمغنّين ، وكان يضرب بالعود ويوقع بالطبل ، ويمشي بالدفّ ، وقد انتهك محارم الله تعالى حتّى قيل له الفاسق ».

وأضاف يقول : « إنّه لم يكن في بني أُميّة أكثر إدماناً للشراب والسماع ، ولا أشدّ مجوناً وتهتّكاً واستخفافاً بأمر الأمّة منه ، وقد واقع جارية له وهو سكران ، وجاءه

---

(١) تاريخ اليعقوبي : ٣: ٦٦ ـ ٦٧.

(٢) البداية والنهاية : ٩: ٣٥٤.

(٣) حياة الحيوان : ١: ٧١.

المؤذّنون يؤذنونه بالصلاة ، فحلف أن لا يصلّي بالناس إلّا هي ، فلبست ثيابه ، وصلّت بالمسلمين ، وهي جنب سكرانة ، وقد اصطنع بركة من الخمر ، وكان إذا طرب ألقى نفسه فيها ويشرب منها حتّى يبين النقص في أطرافها »[١].

وقد أنكر عليه هشام فقد قال له : « والله ما أدري على الإسلام أنت أم لا ؟ فإنّك لم تدع شيئاً من المنكرات إلّا أتيته غير متحاشٍ ولا متستّر » .

فكتب إليه الوليد :

يا أَيُّها السّائِلُ عن دِينِنا ... دِيني على دِينِ أَبي شاكِرِ
نَشْرَبُها صِرْفاً ومَمْزوجةً ... بِالسُّخْنِ أَحْياناً وَبِالفاتِرِ

فغضب هشام على ابنه مسلمة ، وكان يُسمّى أبا شاكر ، وقال له : تشبّهت بالوليد بن يزيد ، وأنا أريد أن أرقّيك إلى الخلافة ، فكفّ مسلمة عن الإستهتار بالدعارة والمجون ، وأظهر النسك ، وبعثه أبوه على الموسم سنة ١٢٩هـ، وقسم بمكّة والمدينة أموالاً ، فقال مولى لأهل المدينة :

يا أَيُّها السّائِلُ عَنْ دِينِنا ... نَحْنُ على دِينِ أَبي شاكِرِ
الواهبِ الجُردَ بأرسانِها ... ليسَ بِزنديقٍ ولا كافِرِ[٢]

وبلغ من كفر الوليد وإلحاده أنّه اصطنع قبّة على قدر الكعبة وأراد أن ينصبها فوق سطح الكعبة ، ويجلس هو وأصحابه هناك ، واستصحب معه الخمور وآلات الملاهي ، وغير ذلك من المنكرات ، فلمّا وصل إلى مكّة هاب أن يفعل ذلك خوفاً من النّاس[٣].

---

(١) حياة الحيوان : ١ : ٧٢.

(٢) الكامل في التاريخ : ٥ : ٢٦٥.

(٣) الكامل في التاريخ : ٤ : ٢٥٦.

ودخل يوماً فوجد ابنته جالسة ، فبرك عليها وأزال بكارتها ، فأنكرت عليه مربّيتها ، وقالت له : هذا دين المجوس ، فقال لها :

مَنْ راقبَ النّاسَ ماتَ غَمّاً   وفازَ بِاللَّذَّةِ الْجَسورُ[١]

ويقول المترجمون له : إنّه نكح أمّهات أولاد أبيه[٢] ، ومن مظاهر إلحاده ومروقه من الدين أنّه تفاءل يوماً بالمصحف الكريم ، فخرجت الآية : ﴿ **وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ** ﴾[٣] ، فمزّق المصحف وأنشأ يقول :

أَتُوعِدُ كُلَّ جَبّارٍ عَنيدٍ   فَها أَنا ذاكَ جَبّارٌ عَنيدُ

إذا ما جِئْتَ رَبَّكَ يَومَ حَشْرٍ   فَقُلْ يا رَبِّ مَزَّقَني الوَلِيدُ[٤]

ولم يلبث إلّا أيّاماً يسيرة حتّى قُتل أشرّ قتلة ، وصلب رأسه على قصره ، ثمّ على أعلى سور بلده[٥].

ومن الجدير بالذكر أنّ دعاة الدولة العبّاسيّة قد استغلّوا فساد الوليد وتحلّله إلى الثورة على الحكم الأموي.

يزيد بن الوليد

تولّى قيادة الحكم بعد قتل ابن عمّه الوليد ، وهو أوّل ملك من ملوك بني أُميّة أُمّه أمَة ، يُسمّى بالناقص ، وإنّما سمّي بهذا الإسم لأنّه أنقص أُعطيات الناس ،

---

(١) و (٢) تاريخ الخميس : ٢ : ٣٣٠.

(٣) إبراهيم ١٤ : ١٥.

(٤) مروج الذهب : ٣ : ١٤٩ ، وجاء فيه : « أنّه نصب المصحف للنشاب وجعل يرميه ». الكامل في التاريخ : ٥ : ٢٩٠.

(٥) حياة الحيوان : ١ : ٧٣.

وردّهم إلى ما كانوا عليه أيّام هشام[١]، ولم يدم طويلاً، فقد كانت مدّة حكمه خمسة أشهر ونصف، ثمّ توفّي، ولم يتعرّض الإمام الصادق عليه السلام في عهده إلى أي ضغط، وكان يزاول إلقاء محاضراته على طلابه بكلّ حريّة.

إبراهيم بن الوليد

بويع له بالملك بعهد من أخيه يزيد بن الوليد، ولم يثبت له الأمر، فكان في جمعة يسلّم عليه بالخلافة، وفي جمعة ثانية يسلّم عليه بالإمارة، وفي جمعة ثالثة لا يسلّم عليه بالخلافة ولا بالإمارة، وكانت أُمور الدولة في عهده مضطربة كأشدّ ما يكون الاضطراب، وكانت مدّة حكمه شهرين وعشرة أيّام، وقتله مروان ابن محمّد[٢].

مروان بن محمّد

هو آخر ملوك بني أُميّة، وكان من أحزمهم وأقواهم عزماً وشكيمة، تقلّد الحكم في وقت عمّت فيه الفتن، ونيران الاضطرابات قد اندلعت في أيّامه في معظم أقاليم الدولة الإسلاميّة، فلا تخمد نار الحرب في إقليم حتّى تستعر في إقليم آخر، وقد جهدت الحكومة، وضعف كيانها العسكري والاقتصادي، ووصف الشاعر الشهير الحارث بن عبدالله الجعدي الحالة الراهنة في عموم البلاد بقوله:

أَبِيتُ أَرعى النجومَ مُرتَفقاً[٣] إذا استقلّتْ تَجرِي أوائِلُها

---

(١) الكامل في التاريخ: ٥: ٢٩١.

(٢) الأخبار الطوال: ٣٥٠.

(٣) **المرتفق**: الواقف الثابت.

مِــن فِـتنةٍ أصْـبَحَتْ مُـجَلّلَةً[١] قَـدْ عـمَّ أهـلَ الصَّـلاةِ شـامِلُها
مَـنْ بِـخراسـانَ وَالعِـراقِ ومَـنْ بِـالشامِ كُـلٌّ شَـجاهُ شـاغِلُها[٢]
فـالناسُ مِـنها فـي لَـونِ مَـظلِمَةٍ دَهـــماءَ مُـلتَجَّةٍ غَـــياطِلُها
يُمسي السَّفيهُ الَّذي يُعَنِّفُ بِـالجَهـ ـلِ سَـــواءً فـــيها وعــاقِلُها
والنــاسُ فـي كُـربةٍ يَكـادُ لهـا تَـنْبِذُ أولادَهــا حَـــوامِـلُها
يَـغدونَ مِـنها فـي كُـلِّ مُـبْهَمَةٍ عَـمْياءَ تُـمنى لَـهُمْ غَـوائِـلُها
لا يَـنظُرُ النّـاسُ فـي عَـواقِـبِها إلّا الّـــتي لا يَـــبينُ قـــائِلُها
كَـرَغوةِ الْـبِكرِ أو كَـصيحَةِ حُـبـ ـلى طَـرَقَتْ حَـولَها قَـوابِـلُها
فَـــجاءَ فِـــينا أزْرَى بِـــوِجْهَتِهِ فــيها خُـطوبٌ حُـمْرٌ زَلازِلُـها[٣]

وحكى هذا الشعر ما ألمّ بالمسلمين من الفتن والخطوب التي لم تـقتصر عـلى طائفة خاصّة منهم ، وإنّما شملت جميع أنحاء العالم الإسلامي ، أمّا تلك الفتن فكانت مظلمة سوداء ، قد اكتوى بنارها العاقل والسفيه ، وبلغ من عظيم بلائها أنّ الحوامل تنبذ أولادها ، وأنّ محنها قد غطّت على الناس ، وشغلتهم عن النظر فـي عواقبها .

ووصف شاعر آخر وهو العبّاس بن الوليد الحالة الراهنة في البلاد بقوله :

إنّـي أُعـيذُكُمُ بِـاللهِ مِـنْ فِـتَنٍ مِـثْلِ الْـجِبالِ تَسامىٰ ثُـمَّ تَـندفِعُ
إنَّ الْـبَريَّةَ قَـدْ مَـلَّتْ سِـياسَتَكُم فَاستَمسِكُوا بِعَمودِ الدّينِ وَارْتَدِعُوا
لا تُـلحِمُنَّ ذِئـابَ النّـاسِ أنْـفُسَكُم إنَّ الذِّئـابَ إذا مـا اُلحِمَتْ رَتَـعُوا

---

(١) **مجلّلة** :أي شاملة .

(٢) **شجاه** :أي حزنه .

(٣) تاريخ الأمم والملوك : ٥ : ٥٨٥ .

لا تَـبْقُرنَّ بِـأَيْديكُمْ بُـطونَكُمُ   فَـثَمَّ لَا حَسرةٌ تُـغْنِي وَلَا جَـزَعُ[١]

ومعنى هذا الشعر أنّ الفتن السود قد انصبّت على المجتمع ، وهي كالجبال في هولها ، فأهلكت الناس ، وألقتهم في شرّ عظيم ، ومن الطبيعي أنّها كانت ناجمة من سوء السياسة الأمويّة التي تأسّست على الظلم والجور.

ودعا ابن الوليد ـ في هذه الأبيات ـ الأمويّين إلى الإستقامة ، وإصلاح سياستهم قبل أن يفوت الأوان وتسقط دولتهم. وعلى أي حال ، فقد أصبح سقوط الدولة الأمويّة من الأمور الحتميّة ، وذلك لما منيت به من الضعف والإنحلال ، وتوالي الثورات المحلّية ، ولم يعد للأمويّين أي رصيد شعبي.

دعاة العلويّين

وأخذ دعاة العلويّين يجوبون بحريّة تامّة مختلف البلاد الإسلاميّة ، وهم يدعون الناس إلى الرضا من آل محمّد صلى الله عليه وآله ، وكان من أساليب دعوتهم أنّهم يقولون للناس :

ـ هل فيكم أحد يشكّ أنّ الله تعالى بعث محمّداً واصطفاه ؟

ـ لا.

ـ أفتشكّون أنّ الله أنزل عليه كتابه فيه حلاله وحرامه وشرائعه ؟

ـ لا.

ـ أفتظنّونه خلّفه عند غير أهله وعترته ؟

ـ لا.

ـ أفتشكّون أنّ أهل البيت معدن العلم ، وأصحاب ميراث رسول الله صلى الله عليه وآله الذي علّمه الله ؟

(١) تاريخ الأمم والملوك : ٥ : ٥٤٥. الكامل في التاريخ : ٥ : ٢٨٤.

ـ لا [١].

وغزت هذه الدعوة القلوب ، واستجابت الجماهير بكلّ شوق ورغبة لحكم أهل البيت عليهم السلام ، وكان من جملة الدعاة المنصور الدوانيقي ، فكان يجوب في الأرياف ، وينشد مدائح أهل البيت عليهم السلام ، لقد آمن المسلمون بهذه الدعوة ، واعتبروها قاعدة أساسيّة لتطوّرهم وإنقاذهم من ظلم الأمويّين وجورهم .

مؤتمر الأبواء

وعقد الهاشميّون مؤتمراً لهم في الأبواء تداولوا فيه شؤون الدعوة ، وتعيين المرشّح للخلافة من بينهم ، وقد حضره كلّ من إبراهيم الإمام ، والسفّاح ، والمنصور ، وصالح بن عليّ ، وعبدالله بن الحسن ، وإبناه محمّد وإبراهيم ، ومحمّد ابن عبدالله بن عمرو ، وغيرهم ، وقام فيهم صالح بن عليّ خطيباً ، فقال : « إنّكم القوم الذين تمتدّ أعين الناس إليهم ، فقد جمعكم الله في هذا الموضع ، فاجتمعوا على بيعة أحدكم ، وتفرّقوا في الآفاق ، وادعوا الله لعلّ الله أن يفتح عليكم وينصركم » .

وانبرى أبو جعفر المنصور فأعلن تأييده لمقالة صالح قائلاً : « لأي شيء تخدعون أنفسكم ، والله لقد علمتم ما الناس أميل أعناقاً ، ولا أسرع إجابةً منهم إلى هذا الفتى ـ وأشار بيده إلى محمّد بن عبدالله بن الحسن ـ .

وأسرعوا قائلين : « صدقت ، إنّا لنعلم هذا » .

وقاموا جميعاً فبايعوا محمّداً ، وبايعه إبراهيم الإمام ، والمنصور ، والسفّاح ، وسائر من حضر المؤتمر [٢] ، ولم يف العبّاسيّون بهذه البيعة ، فقد خاسوا بعهدهم ، ونقضوا ميثاقهم ، وأخذوا يعملون بالخفاء لأنفسهم ، وأفهموا دعاتهم بذلك ،

---

(١) الكامل في التاريخ : ٥ : ١٧ .

(٢) مقاتل الطالبيّين : ٢٥٦ .

وأوصوهم بالكتمان خوفاً من انتفاضة العلويّين عليهم ، وعدم استجابة الناس لهم إذ لم تكن لهم أي ركيزة اجتماعيّة ، ولم يكن لهم تاريخ ناصع .

وعلى أيّة حال ، فقد اتّخذ العبّاسيون الدعوة إلى العلويّين شعاراً لهم لينالوا ثقة الأمّة ، ويكسبوا ودّ العلويّين لهم(١) .

انتخاب أبي مسلم

وانتخب إبراهيم الإمام عميد الأُسرة العبّاسيّة غلامه أبا مسلم الخراساني قائداً عامّاً للحركة الإنقلابيّة ، وألزم الدعاة والشيعة بطاعته ، وكتب إلى الشيعة في الكوفة وخراسان : « إنّي قد أمرت أبا مسلم بأمري ، فاسمعوا له وأطيعوا ، وقد أمّرته على خراسان وما غلب عليه »(٢) .

وكان عمر أبي مسلم تسع عشرة سنة ، وكان يقظاً ، حسّاساً ، فاتكاً ، غادراً ، لا يعرف الرحمة ولا الرأفة ، كما كان من أمهر السياسيّين في حياكة المؤامرات والدسائس ، وقد دهش الجميع لانتخاب أبي مسلم لهذا المنصب الخطير ، نظراً لحداثة سنّه ، وقلّة تجاربه ، وأبى جمع من الدعاة طاعته ، والإنصياع لأوامره ، إلّا أنّ إبراهيم الإمام ألزمهم بالسمع والطاعة له(٣) .

ويقول المؤرّخون : إنّ أبا مسلم أعدم جميع من عارض في اختياره .

وصيّة إبراهيم لأبي مسلم

وأوصى إبراهيم الإمام غلامه أبا مسلم بهذه الوصيّة الجهنميّة التي خالفت شريعة

---

(١) حياة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام : ١ : ٣٢٤ .

(٢) تاريخ الأمم والملوك : ٦ : ١٤ ، أحداث سنة ١٢٨هـ .

(٣) الكامل في التاريخ : ٤ : ٢٩٥ .

الله ، وقد جاء فيها : « يا عبدالرحمن ، إنّك منّا أهل البيت ، فاحفظ وصيّتي ، انظر هذا الحيّ من اليمن فأكرمهم ، وحلّ بين ظهرانيهم ، فإنّ الله لا يتمّ هذا الأمر إلّا بهم ، وانظر هذا الحيّ من ربيعة فاتّهمهم في أمرهم ، وانظر هذا الحيّ من مضر فإنّهم العدوّ القريب الدار ، فاقتل من شككت في أمره ، ومن وقع في نفسك منه شيء ، وإن استطعت أن لا تدع بخراسان من يتكلّم بالعربيّة فافعل ، فأيّما غلام بلغ خمسة أشبار فاقتله »[١].

وتمثّل هذه الوصيّة الشرّ ، وعدم التحرّج في إراقة الدماء التي احتاط فيها الإسلام كأشدّ ما يكون الاحتياط .

وأخذ أبو مسلم بوصيّة إمامه ، فأسرف في سفك الدماء ، وانتهاك الحرمات ، فقتل ـ كما يقول المؤرّخون ـ ستمائة ألف عربي بالسيف صبراً عدا من قتل في الحرب[٢].

في خراسان

وحينما تمّ ترشيح أبي مسلم زعيماً عامّاً للقيادة العسكريّة من قِبل إبراهيم الإمام ، توجّه من فوره إلى خراسان ليقود الجماهير لحرب الأمويّين ، وحين وصوله التقى بالدعاة ، فخطب فيهم قائلاً : « أشعروا قلوبكم الجرأة ، فإنّها من أسباب الظفر ، وأكثروا من ذكر الضغائن ، فإنّها تبعث على الإقدام ، والزموا الطاعة فإنّها حصن المحارب ... »[٣].

ومثّلت هذه الوصيّة خبرته العسكريّة ، فقد دعا إلى الإقدام ، وذكر الضغائن ،

---

(١) الكامل في التاريخ : ٤ : ٢٩٥.

(٢) حياة الإمام موسى بن جعفر عليه‌السلام : ١ : ٣٢٦.

(٣) العقد الفريد : ١ : ١٥٨.

والالتزام بالطاعة، وهذه الأمور من أهمّ الأسباب للظفر والتغلّب على الأعداء. وأخذ أبو مسلم ينظّم الحركة تنظيماً دقيقاً ورائعاً، وكان يصوّر للناس فساد الحكم الأموي وجوره وظلمه، وأنّ الحكم الجديد سوف ينشر العدل والرخاء والرفاهية بين الناس، وقد استجابت له الجماهير، والتفّوا حوله، وبذلك فقد تكوّنت النواة الأُولى لجيوش بني العبّاس، وكان من مهارته العسكريّة أنّه استغل العصبيّة القبليّة بين اليمانيّين والمضريّين، فقد أخذ يغذّي هذه الظاهرة العدائيّة ويوقد نارها، فكلّما أوشك جمعهم أن يلتئم على حربه أوغر صدور طائفة على أُخرى، وبذلك فقد شغلهم عن مناجزته ومقاومته.

مع نصر بن سيّار

أمّا نصر بن سيّار فهو من أقوى ولاة الأمويّين، ومن أكثرهم تعقّلاً للأحداث، وقد رأى قوّة أبي مسلم وما يتمتّع به من القابليّات التي يوشك أن تقضي على الإمبراطوريّة الأمويّة، فكتب إلى عاهل الشام مروان بن محمّد رسالة يستنهضه فيها ليمدّه بقوّة عسكريّة لمقاومة أبي مسلم، وكتب في رسالته هذه الأبيات:

أَرَى بَيْنَ الرَّمادِ وَمِيضَ نارٍ ... وَيُوشَكُ أنْ يكونَ لَهُ ضِرامُ
فَإنَّ النارَ بالعيدانِ تُذْكى ... وإنَّ الحربَ أَوَّلُها كَلامُ
فَإنْ لَمْ يُطْفِها عُقلاءُ قَوْمٍ ... يَكونُ وَقُودَها جُثَثٌ وَهامُ
أَقولُ مِنَ التَّعَجُّبِ لَيتَ شِعْري ... أَأَيْقاظٌ أُمَيَّةُ أَمْ نِيامُ
فَإنْ كانُوا لِحِينِهِمُ نِياماً ... فَقُلْ قُوموا فَقَدْ حانَ القِيامُ

وعجز مروان عن إجابته، فكتب إليه يخبره بضعفه وعجزه عن إخماد تلك النار، وجاء في آخر كتابه: «يرى الشاهد ما لا يراه الغائب».

وكتب نصر رسالة أُخرى إلى والي العراق يزيد بن عمر بن هبيرة يطلب منه أن

يمدّه بقوّة عسكريّة لمقاومة أبي مسلم ، وكتب في آخر رسالته هذه الأبيات :

أَبْلِغْ يَـزيدَ وخَـيرُ القَـولِ أَصْـدَقُهُ ... وَقَدْ تَبَيَّنْتُ أَنْ لا خيرَ في الكَذِبِ
بِــأَنَّ أرضَ خُــراسانٍ رَأَيتُ بِـها ... بَيضاً إذا أَفْرَخَتْ حُدِّثْتَ بِالعَجَبِ
فِــراخُ عــامَينِ إلَّا أَنَّــها كَـبُرَتْ ... طِــرْنَ وَقَــدْ سُـرْبِلْنَ بِـالزَّغَبِ
فَإِن يَطِرْنَ وَلَـمْ يُـحْتَلْ لَـهُنَّ بِـها ... يُــلْهِبْنَ نِـيرانَ حَـربٍ أَيَّـما لَـهَبِ

فقال يزيد لحامل الرسالة : « وقل لصاحبك لا غلبة إلّا بكثرة ، فليس عندي رجل »[١].

وفكّر نصر في الخروج من هذه الأزمة ، فأرسل إلى كلّ من الكرماني وشيبان الخارجي هذه الأبيات :

أَبْــلِغْ رَبـيعةَ فـي مَرْوٍ وفـي يَـمَنٍ ... أَنِ اغْضَبوا قبلَ أَنْ لا يَنْفَعَ الغَضَبُ
وَلْيَنْصِبوا الْحَرْبَ إِنَّ الْقَوْمَ قَدْ نَصَبوا ... حَرْباً يُحرَّقُ فـي حـافاتِها الحَـطَبُ
ما بـالُكُم تُـنْشِبُونَ الْـحَربَ بَـيْنكُمُ ... كَأَنَّ أَهْلَ الْحِجى عَنْ رَأيكمْ غُيَّبُ
وتَــتْرُكُونَ عَـدُوّاً قَـدْ أحـاطَ بِكُـمْ ... مِـمَّنْ تَـجَمَّعَ لا دِيـنٌ وَلَا حَسَبُ
لا عُرْبٌ مِثْلُكُمُ في النّاسِ نَـعْرِفُهُمْ ... ولا صَـرِيحٌ مُـوالٍ إِنْ هُـمُ نُسِـبُوا
قَوْمٌ يَـقولونَ قَـولاً مـا سَـمِعْتُ بِـهِ ... عَنِ النَّـبيِّ ولا جـاءَتْ بِـهِ الْكُـتُبُ
مَنْ كانَ يَسْأَلُني عَـنْ أَصْـلِ دِيـنِهِمُ ... فَــإِنَّ دِيــنَهُمُ أَنْ يُـقتَلَ العَـرَبُ[٢]

ولم تجد رسائل نصر ولا شعره الحماسي في التغلّب على الأحداث ، فقد اتّسع

---

(١) تاريخ الأمم والملوك : ٦ : ٣٦ و ٣٧ . الكامل في التاريخ : ٥ : ٣٦٥ .
(٢) الكامل في التاريخ : ٥ : ٣٦٧ .

نطاق الثورة ، وامتدّت وشملت جميع حواضر خراسان ، فقد سقطت بيد أبي مسلم ، وعيّن عليها ولاة من قِبله ، وقد طرب أبو مسلم من النصر الذي أحرزه ، وأخذ ينشد هذه الأبيات :

أدركْتُ بِالحَزْمِ والكِتمانِ ما عَجِزَتْ ... عنهُ مُلوكُ بَني مَروانَ إذْ حَشَدُوا
ما زِلْتُ أَسْعى بِجُهدِي في دِمائِهِمُ ... وَالقَومُ في غَفلَةٍ بِالشام قَدْ رَقَدوا
حتّى طَرَقْتُهُمُ بِالسَّيفِ فَانْتَبَهُوا ... مِنْ نَومَةٍ لَمْ يَنَمْها قبلَهُمْ أَحَدُ
وَمَنْ رَعَى غَنَماً في أرضِ مُسْبعَةٍ ... وَنامَ عَنْها تَوَلّىٰ رَعْيَها الأَسَدُ(١)

وانبرت جيوش أبي مسلم تحتلّ المدن والحصون ، وتلحق بالأمويّين الخسائر الفادحة في الأرواح والأموال ، ولم يستطع نصر الوقوف أمام تلك القوى الهائلة ، فانهزم راكباً جواده وسلك المفازة بين الريّ وهمدان ، فمات بها كمداً(٢) ، وبعدما احتلّ أبو مسلم خراسان وما والاها من المدن والقرى اتّجه بعد ذلك إلى تحرير العراق ، وسارت جيوشه كالموج تخفق عليها الرايات السود التي هي شعار بني العبّاس ، فقامت باحتلال العراق من دون أن تلاقي أي مقاومة تذكر ، وقد برزت بذلك حكومة بني العبّاس على يد أبي مسلم .

موقف الإمام الصادق عليه السلام

وتميّز موقف الإمام الصادق عليه السلام بالحياد ، وعدم القيام بأيّ نشاط سياسي ، فإنّه كان يعلم بإخفاقه ، وعدم عائدته على الأمّة بأي مكسب سوى الضرر الشامل الذي يجرّ للمجتمع كثيراً من النكبات والخطوب ، وقد أصرّ الإمام عليه السلام على هذه

---

(١) وفيات الأعيان : ١ : ٢٨٢.

(٢) مروج الذهب : ٢ : ٢٠٤.

الخطّة في موقفه مع العلويّين، ومع دعاة الدولة العبّاسيّة، وبيان ذلك.

الإمام عليه السلام مع العلويّين

واستشفّ الإمام الصادق عليه السلام من وراء الغيب أنّ الخلافة بعد سقوط الدولة الأمويّة لا بدّ أن تؤول إلى العبّاسيّين، وليس للسادة العلويّين فيها أي نصيب، وكان يمعن في نصحهم، وتحذيرهم من التصدّي لطلب الحكم، وقد روى المؤرّخون بوادر كثيرة من تحذيره لأبناء عمّه من مقاومة العبّاسيّين ومناهضتهم، وممّا رواه المؤرّخون أنّ العلويّين والعبّاسيّين أيّام الحكم الأموي اجتمعوا واتّفقوا على مبايعة محمّد ذي النفس الزكيّة، فأرسلوا خلف الإمام الصادق عليه السلام وعرضوا عليه ذلك، فنهاهم وقال لهم: «**لا تَفْعَلوا فإنَّ الأَمْرَ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ**».

وحسب عبدالله بن الحسن أنّ ذلك حسداً من الإمام لابنه، فنظر إليه برحمة وشفقة، وكشف له الواقع الذي يجهله عبدالله قائلاً: «**لَا وَاللهِ ما ذاكَ** - يعني الحسد - **يَحْمِلُني، وَلكِنَّ هذا** - وأشار إلى أبي العبّاس السفّاح - **وَإِخْوَتَهُ وَأَبْناءَهُمْ دونَكُمْ**».

ونهض الإمام عليه السلام متأثّراً، فتبعه عبدالصمد وأبوجعفر المنصور، فقالا له: يا أبا عبدالله، أتقول ذلك؟

لقد أرادا أن يطلعهم على الأمر، فقد كانا عالمَين بما خصّ الله به الإمام من علم.

فقال عليه السلام لهما: «**نَعَمْ وَاللهِ أَقولُهُ وَأَعْلَمُه**»(١).

لقد كان على يقين لا يخامره الشكّ أنّ الملك يؤول إلى بني العبّاس، وليس للعلويّين فيه أي نصيب، وقد بالغ عليه السلام في نصيحة عبدالله بن الحسن في أن يعزب عن الخلافة، ولا يورّط نفسه وابنيه، وكان ممّا قاله له: «**إِنَّها** - أي الخلافة - **وَاللهِ**

---

(١) مقاتل الطالبيّين: ٢٢٦. حياة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام: ١: ٣٤٧.

ما هِيَ إِلَيْكَ ، وَلَا إِلى ابْنَيْكَ ، وَلكِنَّها لِهؤُلاءِ ـ وأشار إلى بني العبّاس ـ **وَإِنَّ ابْنَيْكَ لَمَقْتولان »** .

إنّ هذا العلم ، وهذا الإيحاء مستمدّ من علم رسول الله ﷺ ، فهم أوصياؤه ، وورثة علمه ، وسدنة حكمته ، وموطن أسراره . لقد منح الإمام عليه السلام السادة أبناء عمّه النصيحة ، وأشار عليهم بما فيه نجاتهم ، وأعلمهم أنّهم لن ينالوا هذا الأمر ، ولو تابعوه لجنّبوا أنفسهم المهالك والمصاعب ، وما فجعوا الأمّة برزاياهم ، ولكنّهم رضي الله عنهم لهم عذرهم ، فقد لاقوا المزيد من الذلّ والهوان من تلك السلطات الظالمة ، التي لم تأل جهداً في قهر العلويّين ، وإرغامهم على ما يكرهون ، فانطلقوا إلى ساحات الجهاد أحراراً ، وماتوا كراماً تحت ظلال الأسنّة ، وسنعرض لثورتهم في البحوث الآتية .

مع أبي سلمة

ولمّا أشرفت الدولة الأمويّة على السقوط تحت وطأة ضربات الجيوش العبّاسيّة ، رأى أبو سلمة الذي كان يلقّب بوزير آل محمّد ﷺ أن يحوّل الخلافة إلى العلويّين ، وسواء أكان ذلك عن جدٍّ وإخلاص أم عن مكيدة وخديعة ، فقد كتب إلى ثلاثة من العلويّين يعرض عليهم ما فكّر به ، وهم : الإمام جعفر الصادق عليه السلام ، وعبدالله المحض ، وعمر الأشرف ابن الإمام زين العابدين عليه السلام ، وسلّم رسائله إلى مولى من مواليهم الذين يقطنون بالكوفة ، وأوصاه بما يلي : « اقصد أوّلاً جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام ، فإن أجاب فأبطل الكتابين الآخرين ، فإن لم يجب فالق عبدالله المحض ، فإن أجاب فأبطل كتاب عمر الأشرف ، وإن لم يجب فالق عمر » .

وانطلق الرسول حتّى انتهى إلى يثرب ، فبدأ بمقابلة الإمام الصادق عليه السلام فسلّمه الكتاب ، فتناول الكتاب وقرأه ، والتفت إلى الرسول فقال له : **ما أَنا وَأَبو سَلَمَةَ وَهُوَ شيعَةٌ لِغَيْري** .

وانبرى الرسول للإمام قائلاً: اقرأ الكتاب، وأجب عليه بما ترى.

فقال الإمام لخادمه: **اذْنِ السِّراجَ مِنّي**، فأدناه، فوضع الكتاب على النار حتّى احترق.

فقال له الرسول: ألا تجيبه؟

قَدْ رَأَيْتَ الْجَوابَ.

وتمثّل الإمام عليه السلام ببيت للكميت:

فَيا مُوقِداً ناراً لِغيرِكَ ضَوْؤُها ... ويا حاطِباً في غَيرِ حَبْلِكَ تَحطِبُ

ونظم أبو هريرة الأبّار تلميذ الإمام الصادق عليه السلام حرق الإمام لكتاب أبي سلمة بقوله:

وَلَمّا دَعا الدّاعونَ مَولايَ لَمْ يَكُنْ ... لِيُثني عَلَيهِ عَزْمَهُ بِصوابِ
وَلَمّا دَعَوهُ بِالْكتابِ أجابَهُمْ ... بِحرْقِ الْكِتابِ دونَ رَدِّ جَوابِ
وَما كانَ مَولايَ كَمُشرِي ضَلالَةٍ ... وَلا مُلبِساً مِنها الرَّدى بِثَوابِ
وَلكِنَّهُ لِلهِ فِي الأَرضِ حُجَّةٌ ... دَليلٌ إلى خَيرٍ وحُسنِ مآبِ[1]

فخرج الرسول آيساً من عنده، وأتى عبدالله بن الحسن، ودفع إليه الكتاب فقرأه وابتهج، فلمّا كان من الغد أتى منزل الإمام الصادق عليه السلام فقابله الإمام بمزيد من الحفاوة والتكريم، وقال له:

يا أَبا مُحَمَّدٍ ما أَتىٰ بِكَ؟

هو أجلّ من أن يوصف.

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ٤: ٢٣٠.

ما هُوَ ؟

هذا كتاب أبي سلمة يدعوني إلى الخلافة ، وقد قدمت عليه شيعتنا من أهل خراسان .

فنظر إليه الإمام بعطف ورفق ، وقدّم له النصيحة ، وعرّفه أنّ هذا لا واقع له قائلاً :

يا أَبا مُحَمَّدٍ ، وَمَتى كانَ أَهْلُ خُراسانَ شيعَةً لَكَ ؟ أَنْتَ بَعَثْتَ أَبا مُسْلِمٍ إِلىٰ خُراسانَ ، وَأَنْتَ أَمَرْتَهُمْ بِلِبْسِ السَّوادِ ، هَلْ تَعْرِفُ أَحَداً مِنْهُمْ بِاسْمِهِ أَوْ بِصورَتِهِ ؟ فَكَيْفَ يَكونونَ شيعَةً لَكَ ، وَأَنْتَ لا تَعْرِفُهُمْ وَهُمْ لا يَعْرِفونَكَ .

لقد وضع الإمام عليه السلام الحروف على النقاط ، وكلّمه بمنطق العقل ، إلّا أنّ عبدالله أخذ يحاججه بحجج هي أوهى من بيت العنكبوت ، وقطع الإمام حديثه ، وقال له :

قَدْ عَلِمَ اللهُ أَنّي أَوْجِبُ النُّصْحَ عَلىٰ نَفْسي لِكُلِّ مُسْلِمٍ ، فَكَيْفَ أُوَخِّرُهُ عَنْكَ ، فَلا تُمَنِّ نَفْسَكَ الْأَباطيلَ ، فَإِنَّ هٰذِهِ الدَّوْلَةَ سَتَتِمُّ لِهؤُلاءِ -يعني بني العبّاس- **وَقَدْ جاءَني مِثْلُ هٰذا الْكِتابِ الَّذي جاءَكَ**(١) .

وكشف الإمام في حديثه المشرق صفحة من صفحات الغد الذي يجهله عبدالله ، من مصير الخلافة لبني العبّاس ، وعقم المعارضة ، ولم تمضِ الأيّام حتّى تحقّق ما تحدّث به الإمام .

وعلى أيّة حال ، فقد كان رفض الإمام عليه السلام لدعوة أبي سلمة يحمل جانباً كبيراً من الأصالة والعمق في مجريات الأحداث ، فإنّ دعوة أبي سلمة إن كان جادّاً فيها ، فليست هي بداعي الإيمان بحقّ العلويّين في الخلافة ، وإنّما كانت ناشئة من دواعٍ أُخرى من ضياع مصالحه وأغراضه الشخصيّة ، فلماذا لم يراسلهم قبل هذا الوقت

---

(١) مروج الذهب : ٣ : ١٨٤ . الآداب السلطانيّة : ١٣٧ .

الذي تمّ فيه الأمر لبني العبّاس ، مضافاً إلى أنّ الجيوش العبّاسيّة بقادتها لم تكن شيعة للعلويّين ، وإنّما هي شيعة لبني العبّاس ، فكيف يستجيب الإمام عليه السلام لدعوة أبي سلمة مع هذه التيّارات المحفوفة بالأخطار ؟ على أنّ عبدالله بن الحسن قد استجاب له ، فماذا جنى منه غير الدمار الشامل له ولأسرته ، ولم يخف أمر أبي سلمة على العبّاسيّين ، فقد أحاطوه بعيونهم التي كانت تسجّل جميع أعماله ، وتراقب جميع تحرّكاته وترفعها إلى العبّاسيّين ، فاتّفق السفّاح وأخوه المنصور على أن يخرج المنصور لزيارة أبي مسلم ، ويحدّثه بأمر أبي سلمة ، ويطلب منه القيام باغتياله ، فخرج المنصور والتقى بأبي مسلم ، وعرض عليه أمر أبي سلمة ، فقال أبو مسلم : أفعلها أبو سلمة ، أنا أكفيكموه .

ثمّ دعا أحد قوّاده « مرار بن أنس الضبّي » ، وقال له : انطلق إلى الكوفة فاقتل أبا سلمة حيث لقيته ، فسار إلى الكوفة مع جماعة من جنوده ، وكان أبوسلمة يسمر عند السفّاح الذي تظاهر بإعلان العفو والرضا عنه ، واختفى مرار مع جماعته في طريق أبي سلمة ، فلمّا خرج أبو سلمة من عند السفّاح في منتصف الليل بادر إلى قتله ، وأشاعوا في الصباح أنّ الخوارج هم الذين قتلوه(١) ، وانتهى بذلك أمر أبي سلمة في فجر مولد الدعوة العبّاسيّة .

ندم أبي مسلم

واستبان لأبي مسلم واقع العبّاسيّين ، وأنّهم لا نصيب لهم من الوفاء ، وأنّهم كالأمويّين قد تنكّروا لجميع الصفات الكريمة التي يعتزّ بها الإنسان . لقد كتب أبو مسلم رسالة إلى الإمام الصادق عليه السلام جاء فيها : « إنّي قد أظهرت الكلمة ، ودعوت

---

(١) تاريخ الأمم والملوك : ٦ : ١٠٢ ـ ١٠٣ ، أحداث سنة ١٣٢ هـ ـ قتل أبو سلمة في خامس عشر من شهر رجب ، وذلك بعد هزيمة مروان بشهر واحد .

الناس عن موالاة بني أُميّة إلى موالاة أهل البيت ، فإن رغبت فلا مزيد عليك ».

فأجابه الإمام عليه السلام برسالة تمثّلت فيها الحكمة والإدراك لحقائق الأمور ، وجاء فيها : « **ما أَنْتَ مِنْ رِجالي ، وَلا الزَّمانُ زَماني** »[١].

كيف يكون أبو مسلم الذي أسرف في سفك دماء المسلمين من رجال الإمام أبي عبدالله عليه السلام . إنّ أصحاب الإمام إنّما هم الأخيار المتحرّجون في دينهم ، الذين يؤثرون طاعة الله تعالى على كلّ شيء . ومهما يكن من أمر فإنّ أبا مسلم المؤسّس للدولة العبّاسيّة لم ينجُ من شرّ المنصور ، فقد اغتاله ، وجزاه جزاء سنمار ، وسوف نتحدّث عن اغتياله في البحوث الآتية .

نهاية الدولة الأمويّة

وشاء الله الذي لا مردّ لقضائه سقوط الدولة الأمويّة التي عاثت في الأرض فساداً ، فإنّه حينما تولّى أبو العبّاس السفّاح منصب الحكم أرسل قوّاته المسلّحة بقيادة محمّد بن عبدالله بن عليّ لقتال العاهل الأموي مروان الحمار ، وسار عبدالله يطوي البيداء بجيشه الضخم ، فالتقى بالجيش بالزاب قرب الموصل ، وكانت رايات بني العبّاس تحملها الرجال على الجمال البخت[٢] ، وقد جعل لها بدل القنا خشب الصفصاف والغرب ، فلمّا رآها مروان فزع وذهل ، وقال لمن حوله : « أما ترون رماحهم كأنّها النخل غلظاً ! أما ترون أعلامهم فوق هذه الإبل كأنّها قطع الغمام السود ».

وبينما هو ينظر إليها ، وقد طار قلبه فزعاً وخوفاً ، إذ نفرت قطع كبيرة من الغربان السود ، فنزلت على أوّل عسكر عبدالله بن عليّ ، فاتّصل سوادها بسواد تلك

---

(١) الملل والنحل : ١ : ٢٤١.

(٢) **البخت** : نوع من الإبل . المفرد : بختي .

الرايات ، فصارت كالليل البهيم ، فازداد خوف مروان ، وانطلق يقول بنبرات الحزن والأسى : « أما ترون إلى السواد قد اتّصل بالسواد ، حتّى صار الكلّ كالسحب السود المتكاثفة » .

وطار قلب مروان من الرعب ، فقال لمن حوله : ألا تعرّفني من صاحب جيشهم ؟

فأجابه : إنّه عبدالله بن عليّ بن العبّاس بن عبدالمطّلب .

فارتبك مروان وطفق يقول : ويحك ! أمن ولد العبّاس هو ؟

نعم ، وكأنّه أيقن بالهلاك ، وزوال ملكه .

فقال بذلّ وهوان : والله لوددت أنّ عليّ بن أبي طالب مكانه .

لقد تمنّى أن يكون الفاتح والقائد الإمام أمير المؤمنين عليه‌السلام ليقابلهم بالعفو والإحسان ، ويصفح عمّا اقترفوه من الجرائم ضدّ أهل البيت ، ولم يفهم الرجل الذي معه مقصده بهذا الكلام ، فراح يقول له : أتقول هذا لعليّ مع شجاعته ؟ !

فردّ عليه مروان ، وأوضح له ما قاله سابقاً : ويحك ! إنّ عليّاً مع شجاعته صاحب دين ، وإنّ الدين غير الملك ، وإنّا نروي عن قديمنا أنّه لا شيء لعليّ ولا لولده في هذا .

لقد كانت الملاحم التي أخبر بها الأئمّة الطاهرون قد انتهت إلى ملوك الأمويّين ، وعلموا بانقراض دولتهم ، ولكنّ الحكم لا يؤول إلى العلويّين ، وإنّما لغيرهم . وعلى أي حال ، فقد اندلعت نيران الحرب بين الفريقين ، وما عتمت جيوش الأمويّين أن تحطّمت شرّ تحطيم ، وانهزم مروان وولّى منكسراً مع بعض فلول جيشه الذي انهارت معنوياته ، فاتّجه نحو الموصل ، فمنعه أهلها من الدخول لبلدهم خوفاً من نقمة الجيش العبّاسي ، وولّى منكسراً نحو حرّان ، ولم يستطع البقاء فيها خوفاً من جيوش العبّاسيّين ، فاتّجه نحو مدينة حمص والجيوش العبّاسيّة تلاحقه ، فيمّم

وجهه نحو دمشق ، فلمّا انتهى إليها أراد واليها نصرته ، إلّا أنّه لم يستطع لضيق الوقت ، فقد زحف الجيش العبّاسي وراءه ، فتوجّه نحو الأردن فوجدها قد احتلّها العبّاسيّون ، فحاد عنها ونزل في فلسطين ، وزحفت الجيوش العبّاسيّة نحو دمشق فاحتلّتها ، ففزع مروان ، وترك مقامه متّجهاً نحو مصر ، فنزل قرية بوصير ، وأقام في كنيسة كانت فيها ، فأدركته كتائب الجيش العبّاسي في ليلة مظلمة ، ودارت بين الفريقين معركة دامية قُتل فيها مروان ، وانبرى إليه شخص من أهل الكوفة ، فاحتزّ رأسه ، واستخرج لسانه ، فجاءت هرّة فاختطفته منه .

وقال شخص كان حاضراً لو لم يكن في الدنيا عجب إلّا هذا لكان كافياً لسان مروان في فم هرّة[١] .

وسقطت بذلك دولة الأمويّين التي ملئت نفوس الناس سخطاً وحفيظة عليهم لما أذاقتهم من ضروب الجور ، وصنوف الظلم . لقد انتقم الله منهم أمرّ الإنتقام وأشدّه ، فجعل ملكهم هباء ، وكتب لهم الخزي والعار على امتداد التاريخ . وحمل رأس مروان إلى أبي العبّاس السفّاح ، فلمّا رآه سجد وأطال السجود ، ثمّ رفع رأسه وقال : « الحمد لله الذي لم يبقِ ثأرنا قبلك ، وقبل رهطك ، الحمد لله الذي أظفرنا بك ، وأظهرنا عليك ، ما أبالي متى طرقني الموت ، وقد قتلت بالحسين ألفاً من بني أُميّة ، وأحرقت شِلْوَ هشام بابن عمّي زيد ، كما أحرقوا شِلْوه » .

ثمّ تمثّل بقول الشاعر :

لَوْ يَشربونَ دَمي لَمْ يُرْوَ شارِبُهُمْ ... وَلَا دِماؤُهُمْ جَمْعاً تُرَوِّيني[٢]

وحوّل وجهه إلى القبلة فسجد ثانية ، ثمّ رفع رأسه ، وتمثّل بقول الشاعر :

---

(١) تاريخ الخميس : ٢ : ٣٢٣. أخبار الخلفاء : ٢٥٥.

(٢) الكامل في التاريخ : ٥ : ٤٢٧.

أَبَى قَوْمُنا أَنْ يُنصِفُونا فأَنصفَتْ قَواطِعُ في أَيمانِنا تَقطِرُ الدِّما
إذا خالَطَتْ هامَ الرِّجالِ تَرَكْنَها كَبَيضٍ نَعامٍ في الثَّرى قَدْ تَحَطَّما

والتفت إلى حضّار مجلسه فقال لهم والسرور بادٍ على سحنات وجهه: «أمّا مروان فقتلناه بأخي إبراهيم، وقتلنا سائر بني أُميّة بحسين، ومن قتل معه، وبعده من بني عمّنا أبي طالب»[1].

وقد ثبت بذلك ملك بني العبّاس، وأصبح السفّاح ملكاً على المسلمين في جميع أقطارهم.

هرب الأمويّين

ولمّا سقطت الدولة الأمويّة هام الأمويّون على وجوههم، يطاردهم الرعب والفزع، ومن الهاربين عبدالله وعبيدالله ابنا مروان، ومعهما لمّة من نسائهم وأتباعهم، فاتّجهوا نحو بلاد النوبة، فأكرمهم عظيمها، وأرادوا اللجوء إلى بلاده فأبى خوفاً من سلطة العبّاسيّين، فخرجوا خائفين حتّى انتهوا إلى (بجاوة)، فقاتلهم عظيمها.

فانهزموا متّجهين نحو اليمن، فعرض لهم طريقان بينهما جبل، فسلك كلّ واحد منهما في طريق، وهما يعتقدان أنّهما سيلتقيان بعد ساعة، فسارا تمام اليوم وراما الرجوع فلم يمكنهما ذلك، فسارا أيّاماً، فلقي عبيدالله منسراً من مناسر الحبشة، فقاتلهم وتغلّب عليهم، فقتل عبيدالله، وأُسر أصحابه، ونهب الحبشيّون جميع ما عندهم من الأمتعة، وتركوهم حفاة عراة حتّى هلكوا من العطش، فكان الرجل منهم يبول في يده ويشربه، ويبول ويعجن به الرمل ويأكله، حتّى لحقوا عبدالله بن

---

(١) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد: ٧: ١٣١.

مروان ، وقد ناله من العناء والشدّة أكثر ممّا نالهم ، ومعه عدّة من حرمه وهنّ عراة حفاة ، قد تقطّعت أقدامهنّ من المشي ، وشربن البول حتّى تقطّعت شفاههنّ ، وقد وافوا المندب ، فأقاموا به شهراً ، وجمع الناس لهم شيئاً ، ثمّ خرجوا يريدون مكّة ، وهم في زي الحمّالين(١) .

لقد صبّ الله عليهم هذا العذاب الأليم ، فجعلهم من أعظم العبر والعظات للظالمين ولأعداء الشعوب .

إبادتهم

وعمد العبّاسيّون إلى استئصال الأمويّين وإبادتهم إبادة شاملة ، فأبادوهم تحت كلّ حجر ومدر ، فقد قام سليمان بن عليّ في البصرة بقتل جماعة من الأمويّين ، ثمّ أمر بهم فجرّوا بأرجلهم وأُلقوا في الطرق حتّى أكلتهم الكلاب(٢) .

وأعدم داود بن عليّ جماعة من الأمويّين بمكّة والمدينة ، وقد أنشده إبراهيم بن هرمة أبياتاً يحفّزه فيها على قتل الأمويّين ، يقول :

فَلا عَفا اللهُ عَنْ مَروانَ مَظلِمَةً ... ولا أُمَيَّةَ بِئْسَ المَجْلِسُ الْبادِي
كانُوا كَعادٍ فَأَمْسَى اللهُ أَهْلَكَهُمْ ... بِمثلِ ما أَهْلَكَ الغاوِينَ مِنْ عادِ
فَلَنْ يُكَذِّبَني مِن هاشمٍ أَحَدٌ ... فيما أَقولُ وَلَوْ أَكثَرْتُ تِعْدادي(٣)

لقد أخذ العبّاسيّون يطاردون الأمويّين ، فمن ظفروا به أعدموه بلا محاكمة تدعيماً لملكهم ، ورعاية لعواطف أكثر المواطنين الذين نكّلت بهم السلطة الأمويّة .

---

(١) تاريخ اليعقوبي : ٣ : ٨٤ و ٨٥ . العقد الفريد : ٣ : ١٩٨ و ١٩٩ .
(٢) حياة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام : ١ : ٣٣٩ .
(٣) مختصر أخبار الخلفاء : ٤ .

موقف الإمام الصادق عليه السلام

أمّا موقف الإمام الصادق عليه السلام تجاه الأمويّين فكان يمثّل الشرف وسموّ الذات، فقد انتقد القتل الجماعي للأمويّين، وطلب من السفّاح الكفّ عن قتلهم بعدما أخذ الملك من أيديهم، ودُهش السفّاح وتعجّب من موقف الإمام تجاه ألدّ أعدائه الذين صبّوا عليهم جميع ألوان الظلم، ولم يعلم السفّاح أنّ الإمام عليه السلام الذي هو من ثمرات الشجرة النبويّة بعيد كلّ البعد عن التشفّي والإنقياد للعواطف والأهواء، فهو من معدن الرحمة والرأفة والبرّ والإحسان.

السياسة العامّة للأمويّين

وقبل أن نطوي البحث عن ملوك الأمويّين نقدّم عرضاً موجزاً للسياسة العامّة التي انتهجها معظم ملوكهم، والتي أدّت بدورها إلى انهيار ملكهم.

إنّ السياسة الأمويّة العامّة بُنيت على العبث بمقدّسات الأمّة، وإشاعة الجهل، والكذب، والنفاق في ربوعها، ومناهضة الإصلاح الاجتماعي، فمن دعا إليه انقضّ عليه سيفهم، فمحا أثره، وأعفى ذكره، وقد صوّر سديف بن ميمون[(١)] الشاعر الملهم سوء السياسة الأمويّة بدعائه: «اللّهمّ قد صار فيئنا دولة بعد القسمة، وإمارتنا غلبة بعد المشورة، وعهدنا ميراثاً بعد الاختيار للأُمّة، واشتريت الملاهي والمعازف بسهم اليتيم والأرملة، وحكم في أبشار المسلمين أهل الذمّة، وتولّى القيام بأمرهم كلّ فاسق محلّة، فلا ذائد يذود عن هلكة، ولا مشفق ينظر إليهم بعين الرحمة، ولا رادع يردع من أوى إليه بمظلمة، ولا ذو شفقة يشبع الكبد الحرّى من السغب،

---

(١) سديف بن ميمون: شاعر مفلق، وأديب بارع، وخطيب مصقع، بليغ في رعايته للمناسبات، وإصابته للأهداف. قال النمري: «ماكان في زمان سديف أشعر منه، ولا أطبع، ولا أقدر على ما يريده من الشعر». طبقات الشعراء: ٣٩ و ٤٠.

فهم أهل جزع وضيعة ، وحلفاء كآبة وذلّة ، قد استحصد زرع الباطل ، وبلغ نهايته ، واستجمع طريده واستوسق ، وضرب بجرانه .

اللّهمّ فأتح له يداً من الحقّ حاصدة تجتثّ سنامه ، وتهشم سوقه ، وتبدّد شمله ، وتفرّق كلمته ، ليظهر الحقّ في أحسن صورة ، وأتم نوره ، وأعظم بركته »[١] .

وألمّ دعاء سديف بوصف كامل للسياسة الأمويّة التي انتهكت حقوق الناس ، وكفرت بجميع المبادئ والقيم التي أعلنها الإسلام . لقد ساس الأمويّون الأقاليم الإسلاميّة بسياسة الظلم والجور ، وأعلن معظمهم الكفر بالإسلام ، والمروق من الدين .

يقول ابن عبّاس : « إنّ بني أُميّة وطأوا على صماخ الدين ، وذبحوا كتاب الله بشفرة »[٢] . وفي ما يلي عرض موجز لبعض تلك الأحداث .

١ ـ مناهضة أهل البيت عليهم السلام

من أهمّ بنود السياسة الأمويّة مناهضة أهل البيت عليهم السلام ، وحمل المسلمين على عداوتهم وبغضهم ، فقد عمد الأمويّون بصورة سافرة إلى إبادة عترة النبيّ صلى الله عليه وآله واستئصال ذرّيّته ، فقد قام معاوية بسمّ ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وسيّد شباب أهل الجنّة ، الإمام الحسن عليه السلام ، وفرض على المسلمين سبّ الإمام أمير المؤمنين ، أخي رسول الله صلى الله عليه وآله ، وباب مدينة علمه ، على المنابر والمآذن ، وخطب الجمعة والأعياد ، وافتعال الأحاديث في ذمّه وانتقاصه .

وقام بعد معاوية ابنه يزيد ، فاقترف أفظع الجرائم مع عترة رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقتل ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله الإمام الحسين مع الصفوة المكرّمة من أهل بيته وأصحابه

---

(١) الاختصاص : ١٢٣ .

(٢) مختصر أخبار الخلفاء : ٤ .

في صعيد كربلاء ، وقد هزّت هذه الواقعة بمآسيها الضمير العالمي ، واندفع المسلمون إلى الطلب بثأره ، فكانت ثورة المدينة المنوّرة وثورة التوّابين وثورة المختار نضّر الله مثواه من أجل واقعة كربلاء الخالدة في دنيا الأحزان .

وقام الطاغية هشام بن عبدالملك بقتل الشهيد الزكيّ زيد بن عليّ بن الحسين عليهما السلام وأبنائه وتركه مصلوباً على جذع النخل ، ثمّ حرقه ونسفه في الفرات ، بالإضافة إلى ما جرى على يحيى بن زيد رضوان الله عليه ، ووضعه مصلوباً حتّى جاء أبو مسلم الخراساني فوارى جسده الطاهر .

ويضاف إلى ذلك ما جرى من التصفية الجسديّة لأعلام شيعة أهل البيت عليهم السلام ، كحجر بن عديّ ، ورشيد الهجري ، وميثم التمّار ، وأمثالهم من دعائم الفكر الإسلامي .

لقد أدّت هذه السياسة الخرقاء إلى انفجار الثورة على الحكم الأموي ، والانتصار لأهل البيت عليهم السلام ، والطلب بثأرهم ، والإطاحة بذلك الحكم الأسود .

٢ ـ احتقار الشعوب

وكان من مناهج سياسة الأمويّين ازدراء الشعوب واحتقارها ، فقد أخذ يزيد بن معاوية من أهل المدينة ـ بعد واقعة الحرّة ـ البيعة على أنّهم خول وعبيد له ، ويقول ابن العاص ـ وهو من أعمدة الحكم الأموي ـ : « إنّما السواد بستان قريش » ، ومعنى ذلك أنّ السواد بما فيه من طاقات ماليّة إنّما هو ملك للأمويّين وأذنابهم لا لأهله الذين يكدّون ويكدحون ، وكان هذا هو منطق الأمويّين في جميع فترات حكمهم ، لا يرون كرامة لأحد .

يقول الوليد بن يزيد الأموي :

فَدَعْ عَنْكَ ادِّكارَكَ آلَ سِعْدَى ... فَنَحْنُ الأَكْثرونَ حَصىً وَمالا

وَنَحنُ المالِكُونَ الناسَ قَسْراً نَسُومُهُمُ المَذلَّةَ وَالنَّكالا
وَنُورِدُهُمْ حِياضَ الْخَسْفِ ذُلّاً وَما نَألُوهُمُ إلّا خَبالا (١)

ومعنى هذا الشعر: أنّ الأمويّين قد ملكوا الناس لا باختيارهم ورغبتهم، وإنّما بقوّة السيف، وأنّهم يسومونهم البطش والجور، ويوردونهم حياض الذلّ والهوان، وهو تعبير صادق عن السياسة الأمويّة ليس فيه أيّة مبالغة.

إنّ هذه السياسة الخرقاء قد جرّت لهم الويل والدمار، وأدّت إلى الثورات الشعبيّة، وانطلاق الملايين من المسلمين إلى ساحات الوغى للإجهاز على حكمهم.

٣ ـ الاستهانة بالقيم والمبادئ

وكان البارز في السياسة الأمويّة الاستهانة بالقيم والمبادئ، وأوّل من جاهر بذلك ابن هند معاوية، فهو الذي أعلن بعد الصلح أمام الجماهير الحاشدة بقوله: «إنّي أعطيت الحسن بن عليّ شروطاً، وها هي تحت قدمي لا أفي بشيء منها».

وقد أظهر بذلك حقيقته الجاهليّة التي طبعت على الغدر والخيانة وعدم الوفاء بالعهد والوعد.

ويقول عبدالملك بن مروان: «من أوصاني بتقوى الله ضربت عنقه».

إنّ الاستخفاف بالمبادئ، والاستهانة بالقيم، كانا من أبرز صفات الأمويّين، بل من ذاتيّاتهم التي طُبعوا عليها، وقد جرّ ذلك لهم الويل، وألقاهم في شرّ عظيم.

٤ ـ العصبيّة القبليّة

وتبنّى الأمويّون في جميع مراحل حكمهم العصبيّة القبليّة التي حاربها الإسلام،

(١) حياة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام: ١: ٣٠٧.

واعتبرها من أهمّ العوائق في تقدّم وتطوير حياة الشعوب ، وأنّها من ضروب الجهل الذي يقف سدّاً حائلاً أمام النموّ الفكري والحضاري .

يقول الدكتور طه حسين : « واستأنفت في أيّام حكم الأمويّين ما كان في العصر الجاهلي من الصراع والغارات »(١) .

ونشب من جرّاء ذلك الصراع بين اليمانيّين والقحطانيّين ، فقد انفصمت عرى الوحدة بين القبيلتين اللتين تعدّان من أعظم سكّان الجزيرة العربيّة نفوذاً وعدداً ، وقد تعصّب مروان بن محمّد آخر خلفاء الأمويّين إلى النزاريّين ممّا سبّب انحراف اليمانيّين عنه ، وانضمامهم إلى الدعوة العبّاسيّة .

وعلى أيّة حال ، فإنّ العصبيّة القبليّة قد أحياها الأمويّون بعد ما أماتها الإسلام ، وقد جرّت لهم الكثير من المشاكل ، وكانت من الأسباب الفعّالة في انهيار دولتهم .

٥ ـ السياسة الماليّة

أمّا السياسة الماليّة التي انتهجها معظم ملوك الأمويّين فقد كانت مبنيّة على اصطفاء أموال الشعوب الإسلاميّة ، ونهب ثرواتها ، وإشاعة الفقر والبؤس فيها .

لقد خصّ الأمويّون أنفسهم ومن يمتّ إليهم بالأموال الهائلة والثراء العريض ، وتركوا شبح الفقر ماثلاً في كلّ بيت من بيوت المسلمين ، وقد أعرب النمري في قصيدته التي ألقاها على عبدالملك بن مروان عمّا يعانيه من الفقر والبؤس هو وقومه من جرّاء ما يلاقونه من الجباة من الظلم ، فقد سلبوهم لقمة العيش ، ولم يتركوا عندهم ما يقتاتون به . يقول النمري :

أَخليفَةَ الرَّحمنِ إِنّا معشرٌ ... حُنَفاءُ نَسْجُدُ بُكْرَةً وَأَصيلا

---

(١) تاريخ الأدب العربي : ٢ : ١٠ .

إنَّ السُّعاةَ عَصَوكَ يَوْمَ أَمَرتَهُمْ وأَتَوا دَواهِيَ لَوْ عَلِمْتَ وَغُولا
أَخَذوا العريفَ فَقَطَّعوا حَيزومَهُ بِالأَصْبَحِيَّةِ قائِماً مَغْلُولا [١]
حَتّى إذا لَمْ يَتْرُكُوا لِعظامِهِ لَحْماً وَلا لِفُؤادِهِ مَعْقولا [٢]
جاءوا بِصَكِّهِمُ وَأَحْدَبَ أَسأَرَتْ مِنْهُ السِّياطُ يَراعَةً إِجْفيلا [٣]
أَخذوا حُمُولَتَهُ فَأَصْبَحَ قاعِداً لَا يَسْتَطيعُ عَنِ الدِّيار حَويلا
يَدْعو أَميرَ الْمُؤْمِنينَ ودونَهُ خَرْقٌ تَجرُّ بِهِ الرياحُ ذُيُولا [٤]
كَهداهِدٍ كَسرَ الرُّماةُ جَناحَه تَدعو بِقارعَةِ الطَّريقِ هَديلا
أَخَليفَةَ الرَّحمنِ إنَّ عَشيرَتي أَمْسَى سَوامُهُمُ عُرِينَ فُلُولا [٥]
قَومٌ عَلى الإِسلامِ لَمّا يَتْرُكُوا ماعُونَهُم ويُضَيِّعوا التَّهْليلا [٦]
قَطَعوا اليَمامةَ يَطْرِدونَ كَأَنَّهُمْ قَومٌ أَصابوا ظَالِمينَ قَتيلا
شَهْرَي رَبِيعٍ ما تَذُوقُ لَبُونَهُمْ إِلَّا حُمُوضاً وَخْمَةً وَذَبِيلا [٧]
وأَتاهُمُ يَحيى فَشَدَّ عَلَيْهِم عِقْداً يَراهُ الْمُسلِمُونَ ثَقِيلا [٨]
كُتُباً تَرَكْنَ غَنِيَّهُم ذا عَيلَةٍ بَعْدَ الغِنَى وَفَقيرَهُمْ مَهْزُولا
فَتَرَكْتُ قَوْمي يَقْسِمُون أُمورَهُمْ إليكَ أَمْ يَتَرَبَّصونَ قَليلا [٩]

---

(١) **الأصبحيّة**: جمع أصبح: السياط، كما أنّ الحيزوم وسط الظهر.

(٢) **المعقول**: الإدراك.

(٣) **أسأرت**: أي بقيت في الإناء بقيّة. **الإجفيل**: الخائف.

(٤) **الخرق**: الصحراء الواسعة.

(٥) **عُرين**: الجماعات.

(٦) **الماعون**: الزكاة.

(٧) **الحموض**: المرّ المالح من النبات.

(٨) **يحيى**: هو أحد السعاة الظالمين.

(٩) طبقات فحول الشعراء: ٤٣٩. جمهرة أشعار العرب: ٣٤١.

وصوّر النمري بهذا الشعر الجور الهائل ، والمظالم الفظيعة التي صبّها الجباة السود على قومه المسلمين ، الذين يسجدون لله بكرة وأصيلاً ، ويؤدّون ما فرض الله عليهم من الزكاة ، فقد ألهبت سياط الجباة ظهورهم ، ونهبوا ما عندهم من قوّة ، وتركوهم كالطيور التي كسر الرماة أجنحتها ، فهي ما بين الموت والحياة ، قد نهش الجوع جسومهم ، وخوت أجسامهم من البؤس والحرمان ، في حين أنّ ثروات الأُمّة تنفق بسخاء على المجون والدعارة ، وعلى ما يفسد الأخلاق .

وصوّر أبو الأسود الدؤلي (١) ، أو أنس بن أبي أناس سرقة الولاة والحكّام لأموال الرعيّة ، وذلك حينما عيّن زياد أو ولده عبيدالله حارثة بن بدر الشاعر التميمي أميراً (٢) ، فقد قال له بسخرية :

أحارِ بنَ بَدْرٍ قَدْ وليتَ إمارةً ... فكُنْ جُرذاً فيها تَخونُ وتَسرِقُ
ولا تَحْقِرَنْ يا حارِ شَيْئاً تُصيبُهُ ... فَحَظُّكَ مِنْ مُلكِ العِراقَينِ سُرَّقُ (٣)
فإنَّ جميعَ النّاسِ إمّا مُكَذِّبٌ ... يَقولُ بِما يَهوى وإمّا مُصَدِّقُ
يَقولونَ أقوالاً بِظَنٍّ وشُبهةٍ ... فإنْ قِيلَ هاتُوا حَقِّقوا لم يُحقِّقوا
فَلاتَعجَزَنْ فَالْعَجزُ أَوْطأُ مَرْكَبٍ ... فَما كُلُّ مَنْ يُدْعَى إلى الرِّزقِ يُرْزَقُ
وكاثِرْ تَميماً بالغِنى إنَّ لِلغِنى ... لِساناً بِهِ يَسطُو العَيِيُّ وَيَنطِقُ (٤)

وتقبل حارثة النصح وأجابه :

جَزاكَ مَليكُ النّاسِ خَيرَ جَزائِهِ ... فَقَدْ قُلتَ مَعروفاً وأَوصَيتَ كافِيا

---

(١) الأغاني : ٢١ : ٣٣ .

(٢) الكامل في التاريخ : ٣ : ١٩١ . حياة الحيوان / الجاحظ : ٣ : ٣٦ .

(٣) **سُرَّق** : مدينة في إقليم الأهواز .

(٤) ديوان أبي الأسود : ٣٤٢ . الأغاني : ٢١ : ٣٣ .

أَمَـرْتَ بِـحَزْمٍ لَـوْ أَمـرتَ بِـغَيرِهِ لَأَلفَـيتَني فـيهِ لِـرأيك عـاصِيا[1]

يقول فان فلوتن: « ويدل أن يتّخذ الخلفاء ـ أي خلفاء بني أُميّة ـ التدابير لمحاسبة الولاة، ومنعهم من الظلم، نجدهم يقاسمونهم في فوائدهم من الأموال التي جمعوها بتلك الطرق المفضوحة، وهذا معناه رضى الخلفاء بسوء تصرّف العمّال مع أهل البلاد، بالإضافة إلى أنّه دليل على أنّ بعضهم كان يهمّه مصالح الخزينة المركزيّة بالدرجة الأولى »[2].

وعلى أيّة حال، فقد أجحف ملوك الأمويّين في إرهاق الناس، وسلب ثرواتهم، فلم يتركوا عند أحد فضلاً من المال إلّا استلبوه منه، وفيما أعتقد أنّ سوء السياسة الماليّة التي سار على مخطّطاتها الأمويّون كان من أهمّ الأسباب في إنطلاق الشعوب في ثورات متّصلة حتّى أطاحت بحكمهم[3].

وقبل أن نطوي الحديث عن ملوك الأمويّين نودّ أن نبيّن أنّ الإمام الصادق عليه السلام قد أدرك ثلاث سنين من خلافة عبدالملك بن مروان، وتسع سنين وثمانية أشهر من خلافة الوليد بن عبدالملك، وثلاث سنين وثلاثة أشهر وخمسة أيّام من حكم سليمان، وسنتين وخمسة أشهر من خلافة عمر بن عبدالعزيز، وأربع سنوات وشهراً من خلافة الوليد بن يزيد، وستّة أشهر من حكم يزيد بن الوليد، وبقيّة أيّام مروان بن محمّد حتّى زال حكمهم في سنة **١٣٢هـ**.

وقد شاهد الإمام الصادق عليه السلام في تلك الفترات الرهيبة صنوفاً من الظلم والجور صبّها الأمويّون على العلويّين وشيعتهم، وكان يطرق سمعه سبّ جدّه الإمام أمير

---

(١) الأغاني: ٢١: ٣٣.

(٢) السيادة العربيّة: ٢٨.

(٣) ذكرنا عرضاً مفصّلاً للأسباب الرئيسيّة التي أطاحت بالحكم الأموي في الجزء الأوّل من كتابنا (حياة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام).

المؤمنين عليه السلام على المنابر والمآذن ، وفي خطب الجمعة والأعياد ، وفي كلّ مناسبة رسميّة ، وكان يرى بعض ولاة المدينة يجمع العلويّين يوم الجمعة قريباً من المنبر ليسمعهم شتم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وانتقاصه .

وعلى أيّة حال ، فإنّ الفترة التي عاشها الإمام في أيّام الحكم الأموي كانت مضطربة كأشدّ ما يكون الاضطراب ، فقد أُزهقت النفوس ، وسفكت الدماء ، واختلّ نظام الأمن ، واختلف الناس فيما بينهم كأشدّ ما يكون الاختلاف ، وكان ذلك ناجماً عن سوء السياسة الأمويّة ، فهي التي ساست الناس بسياسة بعيدة عن الوعي والفكر .

فى عهد السفاح والمنصور

لم يحلم أحد في الأوساط الإسلاميّة أن يؤول الحكم إلى بني العبّاس، كما لم يخطر ببال أي أحد منهم أن يكونوا ملوكاً على المسلمين، إذ لم تكن لهم أيّة خدمة للقضايا الإسلاميّة، ولم يشتركوا بأيّ عمل لصالح المسلمين، فقد كانوا بمنأى عن الحركات الإصلاحيّة، والثورات الشعبيّة المناهضة للحكم الأموي، كما لم تكن لهم أيّة مكانة أو مركز اجتماعي، فقد كان المسلمون ينظرون إليهم نظرة عادية تتّسم بالريبة والحذر منهم، وذلك لما وُصم به بعضهم من الخيانة العظمى للإسلام، كعبيدالله بن عبّاس، الذي خان الله ورسوله، وغدر بسبط رسول الله ﷺ وريحانته الإمام الحسن عليه السلام، فقد كان القائد العامّ لقوّاته المسلّحة، فأرشاه معاوية بالمال الوفير، فانهزم في غلس الليل البهيم صاحباً معه العار والخزي، والتحق بمعاوية وترك الجيش العراقي يموج بالفتن والاضطراب، وقد مهّد بذلك الحكم لمعاوية وسلّطه على رقاب المسلمين.

وفي الأيّام الأخيرة من الحكم الأموي التي ماجت فيها البلاد بالفتن والاضطرابات، وتوقّع الجميع زوال سلطان الأمويّين، لم يجسر أحد من العبّاسيّين على ترشيح نفسه للخلافة، فقد كانت أنظار المسلمين متّجهة إلى العلويّين دعاة العدل الاجتماعي، والعدل السياسي في الإسلام، والذين ضحّوا بأنفسهم وأبنائهم في سبيل القضايا المصيريّة للأُمّة.

ولم يرَ السفّاح ولا المنصور أنفسهما أهلاً للخلافة، فقد بايعا السيّد الجليل

محمّداً ذا النفس الزكيّة، وكانا يجوبان القرى والأرياف وهما ينشران المظالم الهائلة التي صبّها الأمويّون على آل النبيّ ﷺ وعترته، محاولين بذلك إشاعة التذمّر والنقمة على الأمويّين، وقد موّها على الدعاة بأنّ الخلافة للرضا من آل محمّد ﷺ، ولمّا تبيّن زيف هذه الدعوى إلى أبي سلمة القائد الطليعي في الحركة الانقلابيّة حاول عزل السفّاح عن الحكم، إلّا أنّه مُني بالخيبة فتغلّب عليه السفّاح وأمر باغتياله.

وعلى أيّة حال، فإنّ الحكم العبّاسي الجديد لم يختلف بروحه ومفهومه عن الحكم الأموي، فسقوط الدولة الأمويّة وتسلّم العبّاسيّين لمقاليد الحكم لم يعدو عن كونه انقلاباً عسكرياً نقل الحكم من بني أُميّة إلى بني العبّاس، ونقل العاصمة من الشام إلى العراق، وأدّى ذلك إلى استبدال نفوذ بنفوذ، فلم تختلف النظم الإداريّة ولا الماليّة في كلا العصرين، بل من المؤكّد أنّ الحكم العبّاسي كان أقسى وأعنف بكثير من الحكم الأموي، فقد أصبح المسلمون أيّام العبّاسيّين إزاء حكم استبدادي كأشدّ ما يكون الاستبداد، حكم لا يحسب فيه أي حساب للرعيّة، فهي أدوات مسخّرة للحاكم، وليس لها من الأمر أي شيء، ففي يده كلّ الأمر، وكلّ السلطان، يولّي الولاة والقضاة والوزراء والقوّاد وأصحاب الشرطة والمحتسبين الذين يراقبون الأسواق، ويعزلهم جميعاً حسب مشيئته وهواه(١).

وقد عانت الشعوب الإسلاميّة الضيق والحرمان طيلة الحكم العبّاسي، فقد أصبحت الخزينة المركزيّة للدولة تنفق على شهوات ملوك العبّاسيّين ورغباتهم، وقد أسرفوا إلى حدّ بعيد في الملذّات والبذخ.

يقول شوقي ضيف: «ولا ريب أنّ هذا البذخ إنّما كان يتمتّع به الخلفاء وحواشيهم من البيت العبّاسي، ومن الوزراء والقوّاد وكبار رجال الدولة، ومن اتّصل بهم من الفنّانين شعراء ومغنّين، ومن العلماء والمثقّفين، وكأنّما كتب على الشعب

---

(١) العصر العبّاسي الأوّل: ٢١.

أن يكدح ليملأحياة هؤلاء جميعاً بأسباب النعيم ، أمّا هو فعليه أن يتجرّع غصص البؤس والشقاء ، وأن يتحمّل من أعباء الحياة ما لا يطاق ، ومردّ ذلك إلى طغيان الخلفاء العبّاسيّين الذين حرموا الشعب حقوقه ، وطوّقوه بالاستعباد والاستبداد والعنف . وقد مضوا وبطانتهم يحتكرون لأنفسهم أموال الدولة ومواردها الضخمة ، بحيث كانت هناك طبقتان : طبقة تنعم بالحياة إلى غير حدّ ، وطبقة قتّر عليها الرزق »[١] .

وسنعرض لهذه الجهة عند الحديث عن الحياة الاقتصاديّة في عصر الإمام الصادق عليه السلام ونعود إلى البحث عن حكومة السفّاح والمنصور ، وفيما يلي ذلك :

حكومة السفّاح

وتسلّم السفّاح قيادة الدولة الإسلاميّة بعد أن اختلسها من السادة العلويّين ، فقد اتّجه مع حاشيته إلى الجامع الأعظم في الكوفة ، فأدّى فريضة الصلاة ، ثمّ ارتقى أعواد المنبر ، وكان موعوكاً فخطب الناس وكان من جملة خطابه : « يا أهل الكوفة ، أنتم محلّ محبّتنا ، ومنزل مودّتنا ، أنتم الذين لم تتغيّروا عن ذلك ، ولم يثنكم عنه تحامل أهل الجور عليكم ، حتّى أدركتم زماننا ، وأتاكم الله بدولتنا ، فأنتم أسعد الناس بنا ، وأكرمهم علينا ، وقد زدتكم في عطياكم مائة درهم ، فأنا السفّاح المبيح ، والثائر المنيح . » .

وحفل هذا الخطاب بالثناء على أهل الكوفة ، وأنّهم الركيزة الأُولى لمحبّتهم ومودّتهم ، وأنّهم قد عانوا من الأمويّين أقسى ألوان الظلم والجور في سبيلهم ، ولكنّ ذلك من المغالطات السياسيّة ، فإنّ أهل الكوفة إنّما عرفوا بالولاء والمودّة للعلويّين ، وتحمّلوا في سبيلهم المصاعب والكوارث ، ولم يكن للعبّاسيّين أي رصيد يذكر

---

(١) العصر العبّاسي الأوّل : ٤٥.

لا في الكوفة ولا في غيرها من البلاد الإسلاميّة.

وعلى كلّ حال، فقد انبرى للخطابة بعد السفّاح عمّه داود بن عليّ، فخطب الناس خطاباً أثنى فيه على بني العبّاس، وذمّ فيه بني أُميّة، وكان ممّا قاله: «أيّها الناس، إنّا والله ما خرجنا في طلب هذا الأمر لنكثّر لجيْناً[١]، ولا عقياناً[٢]، ولا نحفر نهراً، ولا نبني قصراً، وإنّما أخرجتنا الأُنفة من ابتزازهم حقّنا، والغضب لبني عمّنا، وما كرثنا من أُموركم، فقد كانت أُموركم ترمضنا[٣] ونحن على فرشنا، ويشتدّ علينا سوء سيرة بني أُميّة فيكم، واستنزالهم[٤] لكم، واستئثارهم بفيئكم وصدقاتكم ومغانمكم عليكم، لكم ذمّة الله تبارك وتعالى، وذمّة رسوله ﷺ، وذمّة العبّاس رحمه الله، وعلينا أن نحكم فيكم بكتاب الله، ونسير في العامّة والخاصّة بسيرة رسول الله ﷺ»[٥].

أمّا خطاب داود فقد جرّد فيه نفسه وأفراد أُسرته من الأطماع الماديّة، وإنّما ثاروا طلباً بثأر العلويّين، ونصرة لأهل الكوفة الذين استأثر الأمويّون بفيئهم ومغانمهم، ويعلم الله كذب هذه الأقاويل، فقد ثار العبّاسيّون من أجل الملك والسلطان، لا من أجل العلويّين، ولا من أجل أهل الكوفة، ومتى كان يعرف هؤلاء الذئاب حقوق الأُمّة أو ينشدون مصالحها.

وعلى أي حال، فقد أخذ داود أهل الكوفة بالصلة والعطاء، ويقسم لهم بالأيمان أنّ العبّاسيّين سيحقّقون لهم العدل السياسي والاجتماعي، وسائر ما يحلمون به،

---

(١) **اللجين**: الفضّة.

(٢) **العقيان**: الذهب الخالص.

(٣) **ترمضنا**: أي تحرقنا.

(٤) في تاريخ الأمم والملوك: «واستذلالهم».

(٥) تاريخ الأمم والملوك: ٦: ٨٣. الكامل في التاريخ: ٥: ٤١٦. مروج الذهب: ٣: ٢٥٦. تاريخ دمشق: ١٩: ١١٨.

ويصبون إليه ، ولكنّها عهود ووعود كاذبة سرعان ما خاسوا بها.

ثمّ نزل أبو العبّاس السفّاح عن المنبر ومعه عمّه داود بن عليّ حتّى دخل قصر الإمارة ، وبقي المنصور يأخذ البيعة لأخيه من الناس حتّى صلّى بهم المغرب والعشاء ، وبقي إلى ساعة متأخّرة من الليل(١).

وقد استقبلت الكوفة بيعة السفاح بكثير من القلق والوجوم والاضطراب ، فقد كانت تترقّب بفارغ الصبر حكومة العلويّين ليبسطوا فيهم العدل والأمن والرخاء ، أمّا الأوساط الواعية في الكوفة ، بل في كافّة أنحاء العالم الإسلامي فإنّها قد شجبت البيعة للسفّاح ، وأفتى الفقهاء في يثرب بعدم شرعيّتها.

جهازه الإداري

أمّا الجهاز الإداري في حكومة السفّاح فقد كان غير سليم ، فقد استعمل على يثرب ومكّة واليمن واليمامة عمّه داود بن عليّ ، وكان فظّاً غليظ القلب ، لم يعرف الرحمة والرأفة ، فقد خطب أهل المدينة خطاباً قاسياً تهدّدهم وتوعّدهم ، وكان ممّا قال في خطابه :

« أيّها الناس ، أغرّكم الإمهال حتّى حسبتموه الإهمال ، هيهات منكم ، وكيف بكم ؟ والسوط كفى ، والسيف مشهر.

حَتّى يُبيدَ قَبيلةً فَقبيلةً ... وَيَعَضَّ كُلَّ مُثَقَّفٍ بِالهامِ

ويُقَمْنَ رَبّاتُ الخُدورِ حَواسِراً ... يَمْسَحْنَ عَرْضَ ذَوائِبِ الأَيتامِ »

وكشف هذا الخطاب عن تمرّسه في الإثم ، وأنّه لا حريجة له في الدين ، فبدل أن ينشر الأمن والدعة بين المواطنين باعتباره والياً لحكومة جديدة ، قابلهم بهذه

---

(١) الكامل في التاريخ : ٥ : ٤١٥ و ٤١٦.

اللهجة التي تحمل شارات الموت والدمار، وداود هو الذي أعدم المعلّى بن خنيس الذي كان من أعلام الشيعة، ومن أخلص الناس للإمام الصادق عليه السلام، فقد دعاه داود وسأله عن شيعة الإمام الصادق عليه السلام لينكّل بهم، فقال له المعلّى: «ما أعرف أحداً من أصحاب أبي عبدالله، وإنّما أنا رجل اختلف في حوائجه، ولا أعرف له صاحباً».

فثار الطاغية وصاح به: «أتكتمني، أما إنّك إن كتمتني قتلتك».

ولم يحفل المعلّى بتهديده وقال له بشجاعة: «والله لو كانوا تحت قدمي ما رفعت قدمي عنهم، وإن أنت قتلتني لتسعدني وأشقيك».

وورم أنف الطاغية، وانتفخت أوداجه، وأمر بإعدامه، فطلب المعلّى أن يخرجه إلى السوق، فأُخرج إليه، وقد اجتمع الناس حوله، فرفع صوته قائلاً: «أيّها الناس، أنا معلّى بن خنيس، من عرفني فقد عرفني، اشهدوا أنّ ما تركت من مال ومن عين أو دين أو عبد أو دار أو قليل أو كثير فهو لجعفر بن محمّد».

وشدّ عليه صاحب الشرطة فقتله، لقد قتل هذا المجاهد صابراً محتسباً في سبيل عقيدته ومبادئه، وصادر داود أموال المعلّى، وجزع الإمام الصادق عليه السلام جزعاً شديداً على المعلّى، فخرج وقد بدا عليه الغضب فدخل على الطاغية فقال له:

قَتَلْتَ مَوْلايَ وَأَخَذْتَ مالي.

فقال داود: ما أنا قتلته، ولا أخذت مالك.

وثار الإمام عليه السلام فقال له: **لَأَدْعُوَنَّ اللهَ عَلىٰ مَنْ قَتَلَ مَوْلايَ، وَأَخَذَ مالي.**

وهزأ الخبيث من الإمام وقال: إنّك لتهدّدني بدعائك.

وخرج الإمام من عنده وتوجّه نحو الله، وأخذ يدعو على الباغي اللئيم، وكان ممّا قاله في دعائه:

يا ذا الْقُوَّةِ الْقَوِيَّةِ، وَيا ذَا الْمِحالِ الشَّديدِ، وَيا ذَا الْعِزَّةِ الَّتي كُلُّ خَلْقِكَ لَها ذَليلٌ

اكْفِني هذا الطَّاغِيَةَ ».

ولم يزل الإمام عليه السلام يتضرّع إلى الله في غلس الليل البهيم في هلاك هذا الطاغية، واستجاب الله دعاء وليّه فانتقم من داود، فقد ارتفعت الأصوات بالصياح عليه في داره، وهلك غير مأسوف عليه، وما ربّك بغافل عمّا يفعل الظالمون[١].

إنّ الجهاز الإداري في حكومة السفّاح والمنصور كان مثالاً للظلم والجور، ولا يقلّ في مآسيه عمّا كان في أيّام الحكم الأموي.

السفّاح والعلويّين

وتقلّد السفّاح تقاليد الحكم باسم العلويّين الذين حصدت رؤوسهم سيوف البغي والعدوان، وكان من الطبيعي أن يقابلهم بمزيد من التبجيل والتكريم بعد أن اختلس الحكم من أيديهم، وقد انطوت قلوب العلويّين على حزن عميق، وأسى شديد، وذلك لمكيدة العبّاسيّين لهم.

وعلى أي حال، فقد وفد العلويّون على السفّاح يهنّئونه بالخلافة، وكان في الأنبار، وكان في طليعتهم السيّد عبدالله، ولم يصحب معه ولديه محمّد وإبراهيم، فارتاب السفّاح، وقال لعبدالله: « ما منعهما أن يفدا مع من وفد عليَّ من أهل بيتهما ؟ ».

فاعتذر عبدالله قائلاً: « ما كان تخلّفهما لشيء يكرهه أمير المؤمنين ».

وقبل السفّاح على مضض وكره اعتذار عبدالله، ولمّا بنى السفّاح مدينة الأنبار

---

(١) رجال الكشّي: ٣٧٧، الحديث ٧٠٨، وغيره، وجاء في الكامل للمبرد: ١: ٨١: « أنّ سليمان بن عليّ بن عبدالله بن عبّاس أخذ غلاماً من الامام الصادق عليه السلام فقال عليه السلام له: يا هذا، إنّ الرجل ينام على الثكل، ولا ينام على الحرب، أي سلب المال، فإمّا رددته وإمّا عرضت اسمك على الله في كلّ يوم وليلة خمس مرّات ».

التي اتّخذها عاصمة له ، دخلها مع أخيه المنصور وعبدالله بن الحسن ، وهو يسير بينهما ويطلعهما على ما في المدينة من المصانع والقصور ، فظهرت من عبدالله فلتة فجعل يتمثّل بهذين البيتين :

أَلَمْ تَرَ حَوشَباً قَدْ صارَ يَبني قُصوراً نَفْعُها لِبَني نُفَيله
يُؤَمِّلُ أَنْ يُعمَّرَ عُمْرَ نُوحٍ وَأَمْرُ اللهِ يَحدُثُ كُلَّ لَيْلَه

فتغيّر وجه أبي العبّاس ، والتفت المنصور الدوانيقي إلى عبدالله قائلاً بنبرات تقطر غيظاً وغضباً : « أتراهما ابنيك والأمر صائر إليهما لا محالة ! » .

فردّ عليه عبدالله معتذراً : « لا والله ما ذهبت ، ولا أردته ، ولا كانت إلّا كلمة جرت على لساني لم ألق لها بالاً » .

وأوحشت هذه الكلمات قلب السفّاح ، وتغيّر على العلويّين ، ولمّا عزم العلويّون على النزوح إلى يثرب أجزل لهم العطاء ، وبعث معهم رجلاً من ثقاته ، فقال له : « قم بإنزالهم ، ولا تأل في ألطافهم ، وكلّما خلوت معهم فأظهر الميل إليهم ، والتحامل علينا وعلى ناحيتنا ، وأنّهم أحقّ بهذا الأمر منّا ، واحصِ إليَّ ما يقولون ، وما يكون منهم في مسيرهم ومقدمهم » .

وحينما وصل عبدالله إلى يثرب اجتمع به ولده ، وسألوه عن كلّ صغيرة وكبيرة ، فأخذ يشرح لهم الحال ، وما لاقاه من السفّاح ، وأخذ في نفس الوقت يحفّزهم على الثورة ، وكان الرجل الذي بعثه السفّاح عيناً عليهم حاضراً ، فحفظ جميع ما دار بينهم من حديث .

فلمّا عاد إلى السفّاح أخبره بجميع ما شاهده من السادة الحسنيّين ، فوغر صدره عليهم ، واشتدّ غضب المنصور ورام الانتقام منهم ، إلّا أنّ السفّاح عزله عن ذلك ، وأخذ سعاة السوء يتزلّفون إلى السفّاح ويفتعلون الأكاذيب بأنّ العلويّين يدعون

الناس إلى خلع بيعته ، وضاق السفاح ذرعاً بذلك ، وكتب إلى عبدالله بن الحسن كتاباً ختمه بهذا البيت :

أُريــدُ حــياتَهُ وَيُــريدُ قَــتلِي   عَذيرُكَ مِنْ خَـلِيلِكَ مِـنْ مُـرادِ

فأجابه عبدالله برسالة فنّد فيها وشاية الأعداء به ، وكتب في آخرها هذه الأبيات :

وَكَــيفَ يُــريدُ ذاكَ وَأَنْتَ مِـنْهُ   بِــمَنزلَةِ النِّـياطِ مِـنَ الفُـؤادِ
وَكَــيفَ يُــريدُ ذاكَ وأَنْتَ مِـنْهُ   وزَنْـدُكَ حـينَ يَـقْدَحُ مِـنْ زِنـادِ
وكَــيفَ يُــريدُ ذاكَ وَأنتَ مِـنْهُ   وَأنتَ لِــهاشمٍ رَأْسٌ وَهــادِ(١)

واطمأنّ السفّاح وسكن روعـه إلّا أنّ المـنصور كـان يـحثّه ويـدفعه إلى الايـقاع بالسيّدين الكريمين : محمّد وإبراهيم ، فزجره السفّاح وقال له : « من شدّد نفر ، ومن لان تأسّف ، والتغافل من سجايا الكرام »(٢).

وسلك مع السادة العلويّين مسلك السياسي المـحنّك ، فـلم يـقابلهم بـأذى أو مكروه ، بل كان يتظاهر بالودّ والعطف عليهم .

موقف الإمام عليه‌السلام من السفّاح

أمّا موقف الإمام الصادق عليه‌السلام فـي عـهد السـفّاح ، فـقد كـان مـتّسماً بـالحكمة والسداد ، فلم يتعرّض للحكم القائم بأي لون من ألوان المعارضة ، فقد اتّجه الإمام صوب العلم يذيعه وينشره بين المسلمين ، وقد احتفّ بـه طـلاب العـلوم ، وهـم ينتهلون من نمير علومه ، وقد أوجد الإمام في تلك الفترة وعياً علميّاً أصيلاً ، عاد

---

(١) تاريخ اليعقوبي : ٣ : ٩٧.
(٢) شذرات الذهب : ١ : ١٥٩.

على الأُمّة بخير عميم ، كما أنّ السلطة لم تتّخذ معه أي إجراء قاسٍ إلّا أنّها ظلّت تراقبه ، وتحصي عليه أنفاسه ؛ لأنّه سيّد العترة الطاهرة ، وعملاق الفكر الإسلامي ، فرأته مشغولاً بالعلم يذيعه وينشره بين الناس قد أعرض عن الشؤون السياسيّة .

انتقاله إلى الحيرة

وانتقل الإمام في عهد السفّاح من يثرب إلى الكوفة ، ثمّ أقام في الحيرة[١] التي عرفت بطيب هوائها وازدهارها ، وأكبر الظنّ أنّ ذلك لم يكن ناجماً عن ضغط سياسي وفرض إقامة جبريّة عليه من قِبل السلطة العبّاسيّة ، وإنّما كان ذلك ناشئاً عن رغبة ملحّة لسكنى الكوفة التي كانت المركز المهمّ لشيعة أهل البيت عليهم السلام ، ومنها انتشر التشيّع في أنحاء العالم الإسلامي ، كما أنّ أفواج الطلبة التي كانت تتهافت بشوق عارم للانتهال من علوم الإمام كان معظمهم من أهالي الكوفة .

وقد ازدهرت مدينة الكوفة بوجود الإمام الصادق عليه السلام ، وأصبحت من المراكز العلميّة المهمّة في الإسلام ، فقد كان جامعها الأعظم يضمّ تسعمائة عالم ، وكلّ واحد منهم يرأس حلقة من طلاب العلوم يدرّسها ويغذّيها بعلوم الشريعة الإسلاميّة التي أخذوها من الإمام الصادق عليه السلام .

ومن الجدير بالذكر أنّ الإمام عليه السلام كان لا يميل إلى أهالي يثرب ؛ لأنّ معظمهم كانوا من المنحرفين عن أهل البيت ، والمعلنين العداء والبغضاء لهم ، ولم تضمّ جامعة الإمام التي كانت في يثرب إلّا عدداً يسيراً منهم .

---

(١) **الحيرة** ـ بالكسر ثمّ السكون ـ : مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة ، على موضع يقال له النجف ، زعموا أنّ بحر فارس كان يتّصل به ، وبالحيرة الخورنق بقرب منها ممّا يلي الشرق على نحو ميل ، والسدير في وسط البريّة التي بينها وبين الشام .. كانت الحيرة مسكن ملوك العرب في الجاهليّة من زمن نصر ثمّ من لخم النعمان وآبائه ، والنسبة إليها حاريٌّ، على غير قياس ، جاء ذلك في معجم البلدان : ٢ : ٣٢٨.

وعلى أي حال، فقد احتفّت الجماهير الحاشدة من أهالي الكوفة بالإمام الصادق عليه السلام وهي ترى في شخصيّته العظيمة امتداداً ذاتياً ومشرقاً لجدّه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وآبائه الذين أضاءوا الحياة الفكريّة في دنيا العرب والإسلام.

ويحدّثنا محمّد بن معروف الهلالي عن مدى احتفاء الجماهير بالإمام عليه السلام، يقول: «مضيت إلى الحيرة إلى جعفر بن محمّد عليه السلام أيام السفّاح، قد تداك الناس عليه ثلاثة أيّام متواليات، فما كان لي حيلة، ولا قدرت عليه من كثرة الناس، وتكاثفهم عليه[١].

وقد فزعت السلطة المحليّة من شدّة ازدحام الناس على الإمام، وهم ما بين سائل ومتعلّم ومتبرّك بالإمام، فرفعت ذلك إلى السفّاح، فأمر بمنع الناس وتفريقهم عنه بالقوّة، ومن الطريف أنّ بعض أصحاب الإمام عليه السلام ابتلي في مسألة في الطلاق لم يعرف حكمها، وخاف من الدخول على الإمام، فأخذ خياراً، وجعل ينادي عليه لبيعه بالقرب من دار الإمام، فخرج عليه السلام لشرائه، فسأله الرجل عن المسألة فأجابه عنها[٢].

ونعرض ـ بإيجاز ـ لبعض شؤونه حينما كان مقيماً في الكوفة والحيرة.

احتفاء العلماء به

واحتفّ العلماء والفقهاء ورواة الحديث في الكوفة حول الإمام الصادق عليه السلام وهم يدوّنون ما يفتي به، ويرويه عن آبائه العظام، وكان الإمام عليه السلام يشجّعهم على تدوين الحديث والفقه، وسائر العلوم الإسلاميّة، وأكبر الظنّ أنّ جملة من الأصول الأربعمائة التي أخذت من الإمام الصادق عليه السلام قد دوّنت حينما كان مقيماً في الكوفة، وقد أغنى الإمام عليه السلام الفقه الإسلامي بفتاواه وآرائه التي تحمل الإبداع والأصالة،

---

(١) و (٢) سفينة البحار: ٢: ٢٠.

والتي هي المرجع الأعلى لفقهاء الإماميّة فيما يفتون به .

زياراته لمرقد جدّه عليه السلام

وبقي مرقد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مستوراً لا يعرفه إلّا أبناؤه طيلة الحكم الأموي ، وذلك عملاً بوصيّته عليه السلام ، خوفاً عليه من النبش من قِبل الأمويّين والخوارج الذين كانوا من ألدّ أعدائه .

ولمّا انهار الحكم الأموي قام الإمام الصادق عليه السلام بزيارة المرقد المعظّم عدّة مرّات ، وذلك لقرب الحيرة من النجف الأشرف ، وكان في كلّ زيارة يقوم بها يصحب معه بعض أعلام شيعته لإرشادهم إلى موضع المرقد المكرّم ، وفيما يلي بعض زياراته :

١ - روى أبان بن تغلب ، قال : «كنت مع أبي عبدالله عليه السلام ، فمرّ بظهر الكوفة ، فنزل فصلّى ركعتين ، ثمّ قال : **هذا مَوْضِعُ قَبْرِ أَميرِ الْمُؤْمِنينَ** عليه السلام .

فقلت : جُعلت فداك ، والموضعين اللذين صلّيت فيهما ؟

فقال : **مَوْضِعُ رَأْسِ الْحُسَيْنِ** عليه السلام ، **وَمَوْضِعُ مِنْبَرِ الْقائِمِ** عليه السلام»[1] .

٢ - روى مبارك الخبّاز ، قال : « قال لي أبو عبدالله عليه السلام : **اسْرِجوا الْبَغْلَ وَالْحِمارَ** في وقت ما قدم وهو في الحيرة .

فركب وركبت حتّى دخل الجرف ، ثمّ نزل فصلّى ركعتين ، ثمّ تقدّم قليلاً خطوات اُخر فنزل فصلّى ركعتين ، ثمّ تقدّم قليلاً خطوات اُخر فنزل فصلّى ركعتين ، ثمّ ركب ورجع فقلت له : جُعلت فداك ، ما الأوليين والثانيتين والثالثتين ؟

قال : **الرَّكْعَتَيْنِ الْأُوْلَيَيْنِ مَوْضِعُ قَبْرِ أَميرِ الْمُؤْمِنينَ** عليه السلام ، **وَالرَّكْعَتَيْنِ الثّانِيَتَيْنِ مَوْضِعُ**

---

(١) وسائل الشيعة : ١٠ : ٣١٠.

رَأْسِ الْحُسَيْنِ عليه السلام **، وَالرَّكْعَتَيْنِ الثَّالِثَتَيْنِ مَوْضِعُ مِنْبَرِ الْقائِمِ** عليه السلام »[١] .

٣ ـ روى يونس بن ظبيان ، قال : « أتيت أبا عبدالله عليه السلام حين قدم الحيرة ، وجرى حديث معه ، ثمّ إنّه سار معه إلى زيارة مرقد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام .

قال يونس : لمّا انتهى الإمام إلى المكان الذي أراد ، قال : **يا يُونُس ، اقْرِنْ دابَّتَك ،** فقرنتها ، ثمّ رفع يديه ، ثمّ دعا ففهمته وعلمته ، فقال لي : **يا يُونُس ، أَتَدْري أَيَّ مَكانٍ هٰذا ؟**

فقلت : لا والله ، ولكنّي أعلم أنّي في الصحراء .

فقال : **هٰذا قَبْرُ أَميرِ الْمُؤْمِنينَ** عليه السلام **يَلْتَقي هُوَ وَرَسولُ اللهِ** صلى الله عليه وآله **يَوْمَ الْقِيامَةِ** »[٢] .

٤ ـ روى صفوان بن مهران الجمّال ، قال : « سار الصادق عليه السلام وأنا معه في القادسية حتّى أشرف على النجف ، فقال : **هٰذا هُوَ الْجَبَلُ الَّذي اعْتَصَمَ بِهِ ابْنُ جَدّي نوح ، فَقالَ : ﴿ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ﴾**[٣] **، فَأَوْحَى اللهُ تَعالىٰ إِلَيْهِ : أَيَعْتَصِمُ بِكَ مِنّي أَحَدٌ ؟ فَغارَ في الْأَرْضِ ، وَتَقَطَّعَ إِلَى الشّامِ .**

ثمّ قال : **اعْدِلْ بِنا ،** فعدلت به ، فلم يزل سائراً حتّى أتى الغريّ فوقف به ، ثمّ أتى القبر ، فساق السلام من آدم ، على نبيّ نبيّ ، وأنا أسوق معه السلام حتّى وصل السلام إلى النبيّ صلى الله عليه وآله ثمّ خرّ على القبر فسلّم عليه وعلا نحيبه ، ثمّ قام فصلّى أربع ركعات[٤] وصلّيت معه .

فقلت : يابن رسول الله صلى الله عليه وآله ، ما هذا القبر ؟

---

(١) وسائل الشيعة : ١٠ : ٣٠٩.

(٢) وسائل الشيعة : ١٤ : ٣٧٨.

(٣) هود ١١ : ٤٣.

(٤) وفي رواية : « فصلّى ستّ ركعات ».

فقال : **هٰذا قَبْرُ جَدّي عَلِيِّ بْنِ أَبي طالِبٍ عليه السلام »**[١] .

هذه بعض زيارات الإمام الصادق عليه السلام لجدّه الإمام أمير المؤمنين سيّد العترة الطاهرة ، وباب مدينة علم النبيّ صلى الله عليه وآله .

حثّه على زيارة جدّه عليه السلام

وتظافرت الأخبار عن الإمام الصادق عليه السلام في الحثّ على زيارة قبر جدّه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، وهذه بعضها :

١ ـ قال عليه السلام لرجل من شيعته : **« إنَّ إلىٰ جانِبِ كوفانِ قَبْراً ما أَتاهُ مَكْروبٌ قَطُّ فَصَلّىٰ عِنْدَهُ رَكْعَتَيْنِ أَوْ أَرْبَعَ إِلَّا نَفَّسَ اللهُ كَرْبَهُ ، وَقَضىٰ حاجَتَهُ .**

قال : قلت : قبر الحسين بن عليّ ؟

فقال لي برأسه : **لا** .

فقلت : قبر أمير المؤمنين ؟

فقال برأسه : **نَعَمْ »**[٢] .

٢ ـ قال عليه السلام : **« مَنْ تَرَكَ زِيارَةَ أَميرِ الْمُؤْمِنينَ عليه السلام لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إِلَيْهِ ، أَلَا تَزورونَ مَنْ تَزورُهُ الْمَلائِكَةُ »**[٣] .

٣ ـ قال ابن مارد للإمام أبي عبدالله عليه السلام : « ما لمن زار جدّك أمير المؤمنين عليه السلام ؟

قال عليه السلام : **يابْنَ مارِدٍ ، مَنْ زارَ جَدّي عارِفاً بِحَقِّهِ ، كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ حِجَّةً مَقْبولَةً ، وَعُمْرَةً مَبْرورَةً .**

---

(١) وسائل الشيعة : ١٠ : ٢٩٦ .

(٢) وسائل الشيعة : ١٠ : ٢٩٥ .

(٣) وسائل الشيعة : ١٠ : ٢٩٤ .

وَاللهِ يابْنَ مارِدٍ ما تَطْعَمُ النّارُ قَدَماً تَغَبَّرَتْ في زِيارَةِ أَميرِ الْمُؤْمِنينَ عليه السلام، ماشِياً كانَ أَوْ راكِباً.

يابْنَ مارِدٍ، اكْتُبْ هذا الْحَديثَ بِماءِ الذَّهَبِ»(١).

وأُثرت عن الإمام الصادق عليه السلام جمهرة أُخرى من الأخبار، وهي تحثّ المسلمين على زيارة بطل الإسلام، والمنافح عن كلمة التوحيد في جميع المشاهد والمواقف.

زياراته لمرقد الحسين عليه السلام

زار الإمام الصادق عليه السلام حينما كان في الحيرة مرقد جدّه الإمام الحسين، ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله، وسيّد شباب أهل الجنّة صلوات الله عليه الذي ضحّى بنفسه وأبنائه وأهل بيته وأصحابه لإنقاذ المسلمين من ويلات الحكم الأموي وشروره، وإعادة الحياة الإسلاميّة المشرقة التي يسعد بها الإنسان المسلم.

فضل زيارة الحسين عليه السلام

وأدلى الإمام الصادق عليه السلام بجمهرة كبيرة من الأحاديث في فضل زيارة أبي الأحرار، وسيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام نعرض لبعضها:

١ - روى أبو خديجة، قال: «سألت أبا عبدالله عليه السلام عن زيارة قبر الحسين عليه السلام فقال: **إِنَّهُ أَفْضَلُ ما يَكونُ مِنَ الْأَعْمالِ»**(٢).

٢ - روى أبان عن الإمام أبي عبدالله عليه السلام، قال: «**مِنْ أَحَبِّ الْأَعْمالِ إِلَى اللهِ زِيارَةُ قَبْرِ الْحُسَيْنِ عليه السلام، وَأَفْضَلُ الْأَعْمالِ عِنْدَ اللهِ إِدْخالُ السُّرورِ عَلَى الْمُؤْمِنِ**» الحديث(٣).

---

(١) وسائل الشيعة: ١٤: ٣٧٦.

(٢) وسائل الشيعة: ١٠: ٣٩٠.

(٣) وسائل الشيعة: ١٠: ٣٩٠.

٣ - روى حذيفة بن منصور، قال: « قال أبو عبدالله عليه السلام: **مَنْ زارَ قَبْرَ الْحُسَيْنِ لِلّهِ، وَفي اللهِ، أَعْتَقَهُ اللهُ مِنَ النّارِ، وَآمَنَهُ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ، وَلَمْ يَسْأَلِ اللهَ حاجَةً مِنْ حَوائِجِ الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ إِلّا أَعْطاهُ** »(١).

٤ - روى أبو أسامة زيد الشحّام، قال: « سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: **مَنْ أَتىٰ قَبْرَ الْحُسَيْنِ عليه السلام تَشَوّقاً إِلَيْهِ كَتَبَهُ اللهُ مِنَ الْآمِنينَ يَوْمَ الْقِيامَةِ، وَأُعْطِيَ كِتابَهُ بِيَمينِهِ، وَكانَ تَحْتَ لِواءِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام، حَتّىٰ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ فَيُسْكِنَهُ في دَرَجَتِهِ** » الحديث(٢).

٥ - روى أبو بصير عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: « **مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ سَكَنُهُ فِي الْجَنَّةِ، وَمَأْواهُ الْجَنَّةُ، فَلا يَدَعْ زِيارَةَ الْمَظْلومِ.**

قلت: ومن هو؟

قال عليه السلام: **الْحُسَيْنُ، فَمَنْ أَتاهُ شَوْقاً إِلَيْهِ وَحُبّاً لِرَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله، وَحُبّاً لِفاطِمَةَ عليها السلام، وَحُبّاً لِأَميرِ الْمُؤْمِنينَ عليه السلام أَقْعَدَهُ اللهُ عَلىٰ مَوائِدِ الْجَنَّةِ يَأْكُلُ مَعَهُمْ، وَالنّاسُ في الْحِسابِ** »(٣).

٦ - سئل الإمام الصادق عليه السلام عن زيارة الإمام الحسين عليه السلام هل في ذلك وقت هو أفضل من وقت؟

فقال عليه السلام: « **زوروهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في كُلِّ وَقْتٍ، وَفي كُلِّ حينٍ، فَإِنَّ زِيارَتَهُ خَيْرُ مَوْضوعٍ، فَمَنْ أَكْثَرَ مِنْها فَقَدِ اسْتَكْثَرَ مِنَ الْخَيْرِ، وَمَنْ قَلَّلَ قُلِّلَ لَهُ، وَتَحَرّوا بِزِيارَتِكُمُ الْأَوْقاتَ الشَّريفَةَ، فَإِنَّ الْأَعْمالَ الصّالِحَةَ فيها مُضاعَفَةٌ، وَهِيَ أَوْقاتُ مَهْبِطِ**

---

(١) وسائل الشيعة: ١٤: ٤٩٩.

(٢) وسائل الشيعة: ١٤: ٤٩٧.

(٣) وسائل الشيعة: ١٤: ٤٩٦.

الْمَلائِكَةِ لِزِيارَتِهِ »(١).

وسئل عن زيارته في شهر رمضان المبارك ؟ فقال : « مَنْ جاءَهُ خاشِعاً مُحْتَسِباً مُسْتَقيلاً مُسْتَغْفِراً فَشَهِدَ قَبْرَهُ في إحْدى ثَلاثِ لَيالٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضانَ : أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنَ الشَّهْرِ ، وَلَيْلَةُ النِّصْفِ ، وَآخِرُ لَيْلَةٍ مِنْهِ ، تَساقَطَتْ عَنْهُ ذُنوبُهُ وَخَطاياهُ الَّتي اخْتَرَمَها كَما يَتَساقَطُ هَشيمُ الْوَرَقِ بِالرِّيحِ الْعاصِفِ ، حَتّى إنَّهُ يَكونُ مِنْ ذُنوبِهِ كَهَيْئَةِ يَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ ، وَكانَ لَهُ مَعَ ذلِكَ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ حَجَّ في عامِهِ ذلِكَ وَاعْتَمَرَ ، وَيُناديهِ مَلَكانِ يَقولُ أَحَدُهُما : يا عَبْدَ اللهِ ، طَهُرْتَ فَاسْتَأْنِفِ الْعَمَلَ ، وَيَقولُ الْآخَرُ : يا عَبْدَ اللهِ ، أَحْسَنْتَ فَأَبْشِرْ بِمَغْفِرَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ »(٢).

هذه بعض الأخبار التي وردت عن الإمام الصادق عليه السلام في فضل زيارة جدّه الإمام الحسين عليه السلام ، وقد عرضت موسوعات الفقه والحديث إلى طائفة كبيرة من الأخبار ، وهي تحثّ المسلمين على زيارة مرقد أبي الأحرار ، الذي ثار من أجل تحقيق العدالة الإسلاميّة ، ورفع كلمة الله تعالى عالية في الأرض .

ومن الجدير بالذكر أنّ الأخبار التي حثّت على زيارة سيّد الشهداء عليه السلام لم تكن أخبار آحاد ، وإنّما هي متواترة قطعيّة الصدور عن أئمّة الهدى عليهم السلام ، وقد وعدت بالأجر العظيم ، والثواب الجزيل زوّار المرقد العظيم ؛ لأنّ للحسين منزلة كريمة عند الله ، وذلك لعظيم ما قدّمه من التضحيات في سبيل الله .

دعاؤه عليه السلام لزوّار الحسين عليه السلام

من المكاسب المهمّة ، والفوائد العظيمة التي يظفر بها الزائرون لمرقد سيّد

---

(١) وسائل الشيعة : ١٤ : ٤٧٣.

(٢) الإقبال : ١ : ٤٦.

الشهداء عليه السلام دعاء الإمام الصادق عليه السلام بهذا الدعاء العظيم لهم، استمعوا له:

روى معاوية بن وهب، قال: «استأذنت على أبي عبدالله عليه السلام فأذن لي، فدخلت عليه فوجدته في مصلّاه، فجلست حتّى قضى صلاته، فسمعته يناجي ربّه وهو يقول:

يا مَنْ خَصَّنا بِالْكَرامَةِ، وَوَعَدَنا الشَّفاعَةَ، وَحَمَّلَنا الرِّسالَةَ، وَجَعَلَنا مِنْ وَرَثَةِ الْأَنْبياءِ، وَخَتَمَ بِنا الْأُمَمَ السّالِفَةَ، وَخَصَّنا بِالْوَصِيَّةِ، وَأَعْطانا عِلْمَ ما مَضىٰ وَعِلْمَ ما بَقِيَ، وَجَعَلَ أَفْئِدَةً مِنَ النّاسِ تَهْوِي إِلَيْنا. اغْفِرْ لي، وَلإِخْواني، وَزُوّارِ قَبْرِ أَبِي الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، الَّذينَ أَنْفَقوا أَمْوالَهُمْ، وَأَشْخَصوا أَبْدانَهُمْ رَغْبَةً في بِرِّنا، وَرَجاءً لِما عِنْدَكَ في صِلَتِنا، وَسُروراً أَدْخَلوهُ عَلىٰ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، وَإِجابَةً مِنْهُمْ لأَمْرِنا، وَغَيْظاً أَدْخَلوهُ عَلىٰ عَدُوِّنا، أَرادوا بِذلِكَ رِضْوانَكَ، فَكافِهِمْ عَنّا بِالرِّضْوانِ، وَاكْلَاءْهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهارِ، وَأَخْلِفْ عَلىٰ أَهاليهِمْ وَأَوْلادِهِمُ الَّذينَ خَلَّفوا بِأَحْسَنِ الْخَلَفِ، وَاصْحَبْهُمْ وَاكْفِهِمْ شَرَّ كُلِّ جَبّارٍ عَنيدٍ، وَكُلِّ ضَعيفٍ مِنْ خَلْقِكَ أَوْ شَديدٍ، وَشَرَّ شَياطينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، وَأَعْطِهِمْ أَفْضَلَ ما أَمَّلوا مِنْكَ في غُرْبَتِهِمْ عَنْ أَوْطانِهِمْ، وَما آثَرونا عَلىٰ أَبْنائِهِمْ وَأَهاليهِمْ وَقَراباتِهِمْ.

اللّهُمَّ إِنَّ أَعْداءَنا عابوا عَلَيْهِمْ خُروجَهُمْ، فَلَمْ يَنْهَهُمْ ذلِكَ عَنِ النُّهوضِ وَالشُّخوصِ إِلَيْنا خِلافاً عَلَيْهِمْ، فَارْحَمْ تِلْكَ الْوجوهَ الَّتي غَيَّرَتْها الشَّمْسُ، وَارْحَمْ تِلْكَ الْخُدودَ الَّتي تَقَلَّبَتْ عَلىٰ قَبْرِ أَبِي عَبْدِاللهِ، وَارْحَمْ تِلْكَ الْأَعْيُنَ الَّتي جَرَتْ دُموعُها رَحْمَةً لَنا، وَارْحَمْ تِلْكَ الْقُلوبَ الَّتي جَزَعَتْ وَاسْتَرَقَّتْ

لنا ، وارْحَمْ تِلْكَ الصَّرْخَةَ الَّتي كانَتْ لَنا .

اللّٰهُمَّ إِنّي أَسْتَوْدِعُكَ تِلْكَ الْأَنْفُسَ وَتِلْكَ الْأَبْدانَ حَتّىٰ تُرَوِّيهِمْ مِنَ الْحَوْضِ يَوْمَ الْعَطَشِ .

فما زال عليه‌السلام يدعو بهذا الدعاء وهو ساجد ، فلمّا انصرف قلت له : جعلت فداك ، لو أنّ هذا الذي سمعته منك كان لمن لا يعرف الله لظننت أنّ النار لا تطعم منه شيئاً أبداً . والله لقد تمنّيت أنّي كنت زرته ولم أحجّ .

فقال لي : **ما أَقْرَبَك مِنْهُ ، فَما الَّذي يَمْنَعُكَ مِنْ زِيارَتِهِ . يا مُعاوِيَةُ ، لَا تَدَعْ ذٰلِكَ .**

قال : قلت : جعلت فداك ، لم أدرِ أنّ الأمر يبلغ هذا كلّه .

فقال : **يا مُعاوِيَةُ ، وَمَنْ يَدْعو لِزُوّارِهِ في السَّماءِ أَكْثَرُ مِمَّنْ يَدْعو لَهُمْ في الْأَرْضِ ، لَا تَدَعْهُ لِخَوْفٍ مِنْ أَحَدٍ ، فَمَنْ تَرَكَهُ لِخَوْفٍ وَرَأى مِنَ الْحَسْرَةِ ما يَتَمَنّى أَنَّ قَبْرَهُ كانَ عِنْدَهُ ، أَما تُحِبُّ أَنْ يَرَى اللهُ شَخْصَكَ وَسَوادَكَ فيمَنْ يَدْعو لَهُ رَسولُ اللهِ صلى‌الله‌عليه‌وآله وَعَلِيٌّ وَفاطِمَةُ وَالْأَئِمَّةُ عليهم‌السلام ؟**

أَما تُحِبُّ أَنْ تَكونَ غَداً مِمَّنْ يَنْقَلِبُ بِالْمَغْفِرَةِ لِما مَضىٰ ، وَتُغْفَرُ لَهُ ذُنوبُ سَبْعينَ سَنَةً ؟

أَما تُحِبُّ أَنْ تَكونَ غَداً مِمَّنْ تُصافِحُهُ الْمَلائِكَةُ ؟

أَما تُحِبُّ أَنْ تَكونَ غَداً فيمَنْ يَخْرُجُ وَلَيْسَ عَلَيْهِ ذَنْبٌ فَيُتْبَعَ بِهِ ؟

أَما تُحِبُّ أَنْ تَكونَ غَداً مِمَّنْ تُصافِحُ رَسولَ اللهِ صلى‌الله‌عليه‌وآله » (١) .

أرأيتم هذا الدعاء الخالص من سليل النبوّة ، وإمام المتّقين والعارفين لزوّار سيّد

---

(١) وسائل الشيعة : ١٠ : ٣٢٠ ـ ٣٢١ . أصول الكافي : ١ : ٣٣٥ . ثواب الأعمال : ٣٥ . التهذيب : ٢ : ١٦ .

الشهداء عليه السلام ؟ ! ولو لم يظفر الزائر إلّا بهذا الدعاء لكان هذا من أهمّ المكاسب التي حصل عليها .

ويهذا ينتهي بنا الحديث عن شؤون الإمام الصادق عليه السلام حينما كان في الكوفة والحيرة .

وفاة السفّاح

ومرض السفّاح مرضه الذي توفّي فيه ، وبقي أيّاماً يعاني شدّة المرض وآلامه ، فلمّا ثقل حاله أرسل نحو ابن أخيه عيسى بن موسى ، وقيل إلى عيسى بن عليّ ، فناوله كتاباً مغلّفاً ، وكتب على غلافه من عبدالله ووليّه إلى آل رسول الله صلى الله عليه وآله ، والأولياء وجميع المسلمين ، وأوصاه بكتمان أمره إذا خرجت نفسه حتّى يقرأ الكتاب على الناس ، ولم يدر أحد إلى من أوصى بالخلافة من بعده(١) .

وفي ليلة الأحد الموافق ١٤ ذي الحجّة سنة ١٣٦هـ توفّي السفّاح(٢) .

فسجّاه عيسى بن عليّ بثوبه ، وكتم على الناس وفاته ، فلمّا أصبح الصبح جمع رجال بني العبّاس ، وكبار رجال الدولة ، فنعى إليهم السفّاح ، وأخرج إليهم كتاب البيعة ،ففضّ الكتاب أمامهم ، وإذا به قد أوصى بالخلافة إلى أخيه المنصور ، وبولاية العهد إلى ابن أخيه عيسى بن موسى ، وأخذ البيعة على الحاضرين للدوانيقي ، ثمّ قام بعد ذلك فدفن السفّاح في قصره حسب وصيّته(٣) .

وانتهت بذلك حياة السفّاح الحافلة بسفك الدماء ، وهتك الحرمات ، وقد ختم حياته بفرض أخيه الدوانيقي خليفة على المسلمين ، وهو من أشرّ خلق الله ، ومن ألدّ

---

(١) تاريخ اليعقوبي : ٣: ٣٤٨.

(٢) مروج الذهب : ٣: ١٨١.

(٣) الكامل في التاريخ : ٤: ٣٤٧.

الأعداء لآل رسول الله ﷺ. وقد جهد هذا الذئب في نهب أموال المسلمين، حتّى ملأ خزانته بها، كما جهد في إذاعة الذعر والخوف في أنحاء العالم الإسلامي.

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام في عهد السفّاح، وقد رأى ما عاناه المسلمون من جور وظلم، وكان لذلك أعمق الأثر في حياة الإمام عليه السلام، فقد استوعب الأسى أعماق نفسه.

حكومة المنصور

وكان من أعظم ما رزئ به المسلمون من المحن والخطوب في ذلك العصر أن آلت الخلافة الإسلاميّة ـ التي هي ظلّ الله في الأرض ، والتي هي الملجأ للفقراء والبائسين والمحرومين ـ إلى ذئب من ذئاب البشريّة ، لم تعرف الإنسانيّة له نظيراً في تجرّده من كلّ عاطفة إنسانيّة ، وأكبر الظنّ أنّ بشّاراً قد عنى المنصور بقوله :

لَحا اللهُ أَقواماً رأَسُوكَ عَلَيهِمُ ... وَما زِلْتَ مَرؤوساً خَبيثَ المَطاعِمِ

كما أعلن مدحه للعلويّين بقوله :

مِنَ الفاطِمِيّينَ الدُّعاةِ إِلَى الْهُدَى ... جِهاراً وَمَنْ يَهديكَ مِثْلُ ابنِ فاطِمِ

سِراجٌ لِعَينِ المُسْتَضيءِ وَتارةً ... يَكُونُ ظَلاماً لِلْعَدُوِّ وَالْمُزاحِمِ

ويحدّثنا الرواة أنّ المنصور كان يجوب القرى والأرياف ، وينشد فضائل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ومناقبه ومآثره ، والناس يصلونه بالمال ، ولم تكن له أي شخصيّة تذكر حتّى يرشّح للخلافة الإسلاميّة .

وعلى أيّة حال ، فإنّ المنصور حينما تقلّد الحكم ساس المسلمين سياسة لم يألفوها من قبل ، حتّى تمنّوا رجوع الحكم الأموي ، وعودة أيّامهم على ما فيها من قسوة وعذاب . يقول أحد مخضرمي الدولتين :

يا لَيْتَ جَوْرَ بَني مَروانَ دامَ لَنا ... وَلَيتَ عَدْلَ بَني العبّاسِ في النّارِ

وأدلى الثائر العظيم محمّد ذوالنفس الزكيّة بحديث له عن جور المنصور وظلمه . يقول : « لقد كنّا نقمنا على بني أُميّة ما نقمنا ، فما بنو العبّاس إلّا أقلّ خوفاً لله منهم ،

وإنّ الحجّة على بني العبّاس لأوجب منها عليهم ، ولقد كانت للقوم مكارم وفواضل ليس لأبي جعفر »(١).

وعلى أيّة حال ، فلابدّ لنا من الحديث عن سمات المنصور ، وبيان سياسته وأعماله ، وما لاقاه الإمام الصادق عليه‌السلام من الظلم والجور منه ، وفيما يلي ذلك :

عناصره النفسيّة

ولم يتمتّع المنصور بأيّة صفة كريمة ، ولا بنزعة شريفة ، فقد تمرّس في الغدر والظلم والاعتداء على الناس ، وفيما يلي عرض لبعض عناصره ومقوّماته النفسيّة :

البخل

وأسرف المنصور في البخل ، فقد سيطرت عليه هذه الظاهرة ، وكانت من أبرز صفاته ، كما كان مضرب المثل في شحّه وبخله ، وقد عرّض الدولة الإسلاميّة للمجاعة الشاملة ، فقد اصطفى أموال الناس وملأ بها خزائنه ، وكان يرى أنّ الخير يجب أن يكون محجوراً عليه ، وأنّ البؤس يجب أن يعدوه إلى غيره.

قال ابن الأثير : « إنّما سُمّي المنصور بالدوانيقي لبخله ، وذلك لمّا حفر الخندق بالكوفة قسّط على كلّ منهم دانقاً ، وصرفه على الحفر ، والدانق سدس الدرهم ».

ثمّ قال : « وفي سنة ١٥٥هـ عمل المنصور للكوفة والبصرة سوراً وخندقاً ، وأمر لمن عمل بالسور والخندق لكلّ واحد خمسة دراهم ، فلمّا فرغوا أمر بجمعهم ، وأخذ من كلّ واحد أربعين درهماً ، وفي ذلك يقول الشاعر :

يا لِقَومي ما لَقِيْنا ... مِنْ أَميرِ الْمُؤمنينا

---

(١) الأغاني : ١٠ : ١٠٦.

قَسَّـمَ الخَـمْسَةَ فِـينا   وَجَبانا الأَرْبَـعِينا »[١]

ولمّا فرغ من بناء بغداد حاسب أُمراء جيشه ، وألزمهم بما بـقي عـندهم حتّى استوفى من بعضهم ما اقتضاه الحساب خمسة عشر درهـماً[٢] ، وكـان يـحاسب العمّال ولو كان بقدر الدانق والحبّة[٣] ، ونقدّم عرضاً وأمثلة من شحّه وبخله ، فيما يلي :

شحّه على نفسه

ومن أبشع ألوان البخل ، وأشدّها خساسة بـخل الإنسـان وشـحّه عـلى نـفسه ، فإنّ ذلك من ضروب اللؤم وانحطاط النفس ، وقد تميّز الدوانيقي بـهذه الظـاهرة ، فقد حرّم على نفسه لذائذ الحياة ، فكان يـتحاشى النـعم ، ويـلبس مـا خشـن مـن الثياب ، وربّما رقّع قميصه بيده ، وعلّق الإمام الصادق عليه السلام على ذلك بقوله : « **الْحَمْدُ للهِ الَّذي ابْتَلاهُ بِفَقْرِ نَفْسِهِ في مُلْكِهِ** »[٤] .

وقال جماعة للإمام الصادق عليه السلام : إنّ أبا جـعفر المـنصور لا يـلبس مـذ صـارت الخلافة إليه إلّا الخشن ، ولا يأكل إلّا الجشب .

فقال عليه السلام : « **يا وَيْحَهُ مَعَ ما مُكِّنَ لَهُ مِنَ السُّلْطانِ ، وَجُبِيَ لَهُ مِنَ الْخَراجِ** » .

فانبروا قائلين : إنّما يفعل ذلك بخلاً وجمعاً للمال .

فقال عليه السلام : « **الْحَمْدُ للهِ الَّذي حَرَمَهُ مِنْ دُنْياهُ ، وَما تَرَكَ لَهُ مِنْ دينِهِ** »[٥] .

---

(١) تاريخ الأمم والملوك : ٦ : ٢٩٨ . البداية والنهاية : ١٠ : ١٢١ .

(٢) الفخري : ١١٨ .

(٣) المجدي : ١٦١ .

(٤) الفخري : ١١٥ .

(٥) زهر الآداب : ١ : ٨٤ .

ورأته إحدى جواريه وعليه قميص مرقّع ، فسخرت منه ، وقالت : أخليفة وثوب مرقّع ؟!

فضحك وقال لها : ويحك أما سمعت قول الشاعر ابن هَرْمَة :

قَدْ يُدرِكُ الشَّرفَ الْفَتى ورداؤه   خَلِقٌ وَجَيْبُ قَميصِهِ مَرقُوعُ[١]

إنّه لم يدرك الشرف ، ولم ينل المجد ، وإنّما انتهى إلى قرار سحيق من الخسّة واللؤم وضعة النفس .

شحّه على المهدي

أمّا المهدي فهو أقرب الناس إلى الدوانيقي ، فهو خليفته ووليّ عهده ، وقد شحّ عليه ، وقدّم له عتاباً مرّاً على أبسط قضيّة ماديّة ، فقد روى واضح مولاه ، قال : « إنّي لواقف على رأس أبي جعفر إذ دخل عليه المهدي وعليه قباء أسود جديد ، فسلّم وجلس ، ثمّ قام منصرفاً ، فاتّبعه أبو جعفر ببصره لحبّه له ، وإعجابه به ، فلمّا توسّط الرواق عثر بسيفه فتخرّق سواده ، فقام ومضى لوجهه غير مكترث به ، فلمّا نظر المنصور إلى عدم اكتراثه أوعز إلى شرطته بردّه ، فلمّا مثل أمامه اندفع بشراسة وقد استولى عليه الغيظ ، فهاجمه قائلاً: يا أبا عبدالله ، استقلالاً للمواهب ، أم بطراً بالنعمة ، أم قلّة علم بالمصيبة ، كأنّك جاهل بما لك وما عليك ؟ »[٢]

لقد ساق لولده هذا العتاب المرّ من أجل أمر زهيد لا يحفل به أي أحد من الناس .

وروى واضح ، قال : « إنّ المنصور قال لي : انظر ما عندك من الثياب الخلقان فاجمعها ، فإذا علمت بمجيء المهدي فجئني بها قبل أن يدخل ، وليكن معها رقاع ،

---

(١) تاريخ الخلفاء : ٢٦٧.

(٢) عصر المأمون : ١ : ٩٣.

ففعلت ، فدخل المهدي فوجد أباه يقدر الرقاع على خروق الثياب فضحك ، وقال له : « يا أمير المؤمنين ، من هاهنا يقول الناس : انظروا في الدينار والدرهم ولم يقل الدانق لئلا يثير عواطفه .

فقال له المنصور : إنّه لا جديد لمن لا يصلح خَلقَه ، وهذا الشتاء قد حضر ، ويحتاج إلى كسوة للعيال والولد .

فقال المهدي : علَيَّ كسوة أمير المؤمنين وعياله وولده .

فتبسّم المنصور وقال : دونك فافعل »(١) .

وروت جارية المنصور خالصة ، قالت : « دخلت على المنصور فإذا هو يتشكّى وجع ضرسه ، فلمّا سمع حسّي قال : ادخلي ، فدخلت ، وإذا هو واضع يده على صدغيه ، فسكت ساعة ، ثمّ قال لي : يا خالصة ،كم عندك من المال ؟

ألف درهم .

- ضعي يدك على رأسي واحلفي .

فخافت منه ، وقالت : عندي عشرة آلاف دينار .

فقال : احمليها إليَّ ، فدخلت على المهدي والخيزران فأخبرتهما بما حدث ، فركلها المهدي برجله وقال لها : سأذهب بك إليه ، ما به من وجع ، ولكنّي سألته بالأمس مالاً فتمارض ، احملي إليه ما قلتِ له .

ولمّا جاء المهدي وجّه إليه عتاباً مرّاً وقال له : يا أبا عبدالله ، تشكو الحاجة وهذا المال عند خالصة »(٢) .

لقد قابل خليفته ووليّ عهده بهذه الجفوة من أجل المال الذي جهد في جمعه ،

---

(١) تاريخ الأمم والملوك : ٦ : ٣١٧ و ٣١٨ .

(٢) تاريخ الأمم والملوك : ٦ : ٣١٧ . حياة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام : ١ : ٣٦٦ .

فحرم نفسه ، وحرم شعبه منه ، ومنع من تداوله بين الناس ، فقد ملئت خزائنه منه .

مع حادي إبله

ومن البوادر التي تدعو إلى التفكّه في بخل المنصور وشحّه ما ارتكبه مع سَلْم حادي إبله ، فقد حدا إبله وهو في طريق مكّة بصوت جميل طرب منه المنصور حتّى كاد أن يسقط عن راحلته ، فأجازه بنصف درهم ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، لقد حَدَوْتُ بهشام بن عبدالملك فأجازني بعشرة آلاف درهم .

فثار المنصور وصاح به : ما كان له أن يعطيك من بيت المال .

وأمر حاجبه الربيع أن يقبضها منه ، فأخذ الرجل يتوسّل إليه ، ويحلف له أنّه لم يبق من تلك الأموال شيء ، وما زال يتضرّع إليه حتّى تركه وشرط عليه أن يحدو به ذهاباً وإياباً بغير ثمن »[١] .

مع ابن السمّان

كان الفقيه أزهر السمّان صديقاً للمنصور قبل أن يلي الخلافة ، فلمّا صارت إليه قصده طالباً منه أن يسعفه بشيء من المال ، فلمّا مثل عنده قال له المنصور : ما حاجتك ؟

- عليّ دين أربعة آلاف درهم ، وداري مستهدمة ، وابني يريد البناء بأهله .

فأمر له بمبلغ من المال ، ونهاه عن المجيء إليه ، وقال له : لا تأتنا طالب حاجة بعد هذا .

- أفعل .

ومضت أشهر فعاد ابن السمّان ، فنظر إليه المنصور بنظرات تقطر غيظاً وغضباً

---

(١) الأغاني : ١٣ : ١١٠ . تاريخ الخلفاء : ٢٦٧ .

وقال له : ما جاء بك ؟

- لم أجئ طالب حاجة ، ولكن مسلّماً .

فرمقه المنصور ببصره وقال له : أظنّك أتيتنا لما أتيتنا له في المرّة الأُولى ، لا تأتنا طالب حاجة ولا مسلّماً .

ثمّ أمر له بصلة ، فخرج ابن السمّان ولكنّه لم يلبث أن عاد إليه ثالثة ، فقال له المنصور : ما جاء بك ؟

- لم آتِ طالب حاجة ولا مسلّماً ، ولكن دعاء سمعته منك قبلاً أحببت أن آخذه عنك .

فصاح به : لا تأخذه فإنّه غير مستجاب لأنّي قد دعوت الله أن يريحني من خلقتك فلم يفعل ، فصرفه ولم يعطه شيئاً »[١] .

مع الوضين بن عطاء

كان الوضين بن عطاء زميلاً للمنصور أيّام فاقته وبؤسه ، وقد استدعاه المنصور لمّا آل إليه الحكم ، فلمّا مثل عنده أخذ يسأله عن حاله وشؤونه قائلاً له : يا أبا عبدالله ، ما لك ؟

- الخير الذي يعرفه أمير المؤمنين .

- ما عيالك ؟

- ثلاث بنات وامرأة وخادم لهنّ .

- أربع بنات في بيتك ؟

- نعم .

---

(١) تاريخ الأمم والملوك : ٦ : ٣٢١ ، أحداث سنة ١٥٨هـ .

وأخذ يردّد السؤال عن كمّية عياله ، حتّى اعتقد أنّه سيمنحه الصلة والعطاء ، ثمّ إنّه رفع رأسه بعد تأمّل طويل قائلاً له : أنت أسير العرب ، أربع مغازل يدرن في بيتك »[١].

لقد تسربلت نفسه الوضيعة بالبخل واللؤم ، فلا تعرف الأريحيّة والنبل .

مع الشعراء

كانت الدولة الأمويّة تغدق الأموال الطائلة على الشعراء ، واعتبرتهم من أهمّ أجهزتها الإعلاميّة ، ولمّا انتهى الحكم إلى المنصور الدوانيقي الذي هو أبخل إنسان عرفته الدنيا ، بالغ في إذلال الشعراء وحرمانهم من الصلة والعطاء ، فقد وفد عليه أبو نُخَيلة الشاعر ، فوقف بباب بلاطه مستأذناً ، فلم يأذن له ، وكان يرى الخراسانيّين وغيرهم يدخلون ويخرجون بلا عناية ، وهم يهزأون به ، ويسخرون منه ، فرآه بتلك الحالة من الذلّ والهوان بعض أصدقائه فقال له : كيف ترى ما أنت فيه من هذه الدولة ؟

فانبرى مرتجلاً بهذه الأبيات التي صوّرت سوء حاله قائلاً :

أَكـثرُ خَـلْقِ اللهِ مَنْ لَا يُـدرى   مِـنْ أَيِّ خَـلْقِ اللهِ حِـينَ يُـلقى
وَحُـلَّةٌ تُـنشَرُ ثُـمَّ تُـطوَى   وَطَـيلُسانٌ يُشْـتَرى فَـيُغْلَى
لِـعَبْدِ عَـبْدٍ أَو لِـمَولى مَـولى   يا وَيْحَ بَيْتِ المالِ ماذا يَلْقَى[٢]

لقد استهان المنصور بالشعراء والأُدباء ، وبالغ في إذلالهم استجابة لعواطفه المترعة بالشحّ والبخل . وصوّر أبو دلامة الشاعر الفكهي بخل المنصور وشحّه حينما

---

(١) عصر المأمون : ١ : ٢٩٤.
(٢) الأغاني : ١٨ : ١٤٨.

ألزم الرعيّة بلبس القلانس الطوال، قال:

وَكُنّا نُرَجِّي مِن إمامٍ زِيادَةً فَزادَ الإمامُ المُصطَفَى في القَلانِسِ
نَراها على هامِ الرِّجالِ كَأنَّها دِنانُ يَهودٍ جُلِّلَتْ بِالبَرانِسِ[١]

إنّ الرعيّة كانت ترجو من المنصور الزيادة في المال، والسعة في العيش، إلّا أنّه لم يفعل ذلك وإنّما كانت زيادته في لبس القلانس الطوال.

تدهور الاقتصاد

وجهد المنصور في سلب أموال الناس، ونهب ثرواتهم، حتّى ملأ خزائنه بها، ولم ينفق أي شيء في تطوير الحياة الاقتصاديّة، ونشر الرخاء والسعة بين الناس، وأصاب الاقتصاد شلل عامّ، فقد تكدّست الأموال في الخزينة المركزيّة، وقد عمّت المجاعة، وانتشر البؤس في جميع أنحاء العالم الإسلامي.

يقول المؤرّخون: إنّ المنصور كان يخطب فانبرى إليه شخص فقطع عليه خطابه، وتلا هذه الأبيات:

نَزَلْتُ بِأقوامٍ خِماصٍ بُطُونُهُمْ وَأَنْتَ بَطِينٌ وَالرَّعِيَّةُ جُوَّعُ
تَقومُ إذا ما قُمْتَ تُسمِعُ خُطْبَةً تُرَجِّعُ فيها والمَدامِعُ تَدمَعُ
كَأَنَّكَ صَيّادٌ تَفيضُ دُموعُهُ مِنَ الضُّرِّ وَالصَّيّادُ يَفري وَيَقْطَعُ
يَحُزُّ رِقابَ الطَّيرِ مِنْ غَيرِ رَحْمَةٍ وَعَيناهُ مِنْ بَردِ العَشيّاتِ تَهمَعُ[٢]

وصوّرت هذه الأبيات مدى ما يعانيه الناس من الضيق والحرمان، فقد خوت

---

(١) تاريخ الخلفاء: ٢٦٢.

(٢) آداب النفس: ١: ٣٠٥.

بطونهم وبطن الدوانيقي مليئة بما نهبه من أموال الرعيّة.

أسباب بخله

وعلّل الدوانيقي نهمه وحرصه في جمع الأموال، ونشر الجوع بين الناس بأمرين، وهما:

١ ـ قال: «صدق ابن الأعرابي حيث يقول: أجع كلبك يتبعك.

فانبرى إليه أبو العبّاس الطوسي فردّ عليه قائلاً: يا أمير المؤمنين، أخشى أن يلوّح له غيرك برغيف فيتبعه ويدعك»[١].

لقد جعل الطاغية إخضاع الشعب وطاعته له في جوعه وفاقته، وقد شبّه الرجس الشعب بالكلب، وكشف ذلك عن مدى احتقاره للرعيّة.

٢ ـ علّل الدوانيقي حرصه على جمع المال وتكديسها في خزائنه بقوله: «من قلّ ماله قلّ رجاله، ومن قلّ رجاله قوي عليه عدوّه، ومن قوي عليه عدوّه اتّضع ملكه، ومن اتّضع ملكه استُبيح حماه»[٢].

إنّ الأموال الهائلة التي جمعها ليست له ولا لأبيه، وإنّما هي أموال المسلمين، يجب أن تنفق على مصالحهم، وإعالة ضعفائهم وبؤسائهم، وليس لرئيس الدولة بأيّ حال من الأحوال أن يجمعها ولا ينفقها إلّا في الوجوه التي حدّدها الإسلام، ولكنّ المنصور وسائر ملوك بني العبّاس لا يفقهون أي شيء من تعاليم الإسلام وأحكامه، فهم كإخوانهم الأمويّين بعيدين كلّ البعد عمّا شرّعه الإسلام من أحكام.

---

(١) عصر المأمون: ١: ٩٣.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٣: ١٢١.

استبداده

وثمّة ظاهرة أُخرى من نزعات المنصور وهي الاستبداد، فقد كان مستبدّاً في جميع أُموره، لا يخضع لعرف ولا لقانون، ويحدّثنا التاريخ عن استبداده أنّه أحضر ابن أخيه عيسى بن موسى، وأمره بقتال محمّد بن عبدالله.

فقال له عيسى: يا أمير المؤمنين، شاور عمومتك.

فزجره المنصور، وقال له: أين قول ابن هَرْمَة:

تَرَونَ امْرَءاً لا يمحِضُ القَومَ سِرَّهُ ... ولا يَنْتَجي الأذْنَين فيما يُحاولُ

إذا ما أَتَى شَيْئاً مَضَى كَالّذي أَبى ... وَإِنْ قالَ إِنّي فاعِلٌ فَهْوَ فاعِلُ

امضِ أيّها الرجل، فوالله ما يراد غيري وغيرك، وما هو إلّا أن تشخص أو أشخص أنا[١].

بمثل هذا الغرور والاعتزاز بالنفس كان يتحكّم في رقاب المسلمين، وكان دوماً يتمثّل بقول الهيثم بن عدي:

إنَّ قَناتي لَنَبعٌ لا يُؤيِّسُها ... غَمْزُ الثِّقافِ ولا دُهنٌ ولا نارُ

مَتى أُجِرْ خائِفاً تَأْمَنْ مَسارِحُهُ ... وَإِنْ أُخِفْ آمِناً تَقْلَقْ بِهِ الدّارُ

سِيروا إِليَّ وَغُضُّوا بَعضَ أَعيُنِكُمْ ... إِنّي لِكُلِّ امرئٍ مِنْ جارِهِ جارُ[٢]

وكشف هذا الشعر عن جبروته وطغيانه واستبداده في جميع أُموره.

---

(١) مقاتل الطالبيّين: ٢٦٦ و ٢٦٧. تاريخ الأمم والملوك: ٦: ١٩٥.

(٢) تاريخ الأمم والملوك: ٦: ٣٣٨.

الغدر والفتك

كان المنصور غادراً فاتكاً، يقتل على الظنّة والتهمة، وقد وصفه السيّد ميرعليّ بقوله: «كان المنصور خدّاعاً لا يتردّد البتّة في سفك الدماء، وتعزى قسوته إلى حقده البالغ حدّ الإفراط، في حين كان خلفه لا يفتك إلّا بعد كثير من التروّي والإمعان، وعلى الجملة كان أبو جعفر سادراً في بطشه، مستهتراً في فتكه»[(١)].

ووصفه ابن هبيرة وهو من معاصريه بقوله: «ما رأيت رجلاً في حرب أو سلم أمكر ولا أنكر ولا أشدّ تيقّظاً من المنصور»[(٢)].

إنّه لم يلج في أعماق نفسه بصيص من نور الرأفة والرحمة، فكان يطربه عويل اليتامى، ونوح الأيامى، وأنين الجرحى. وقد عمد إلى اغتيال جماعة من بناة سلطانه ومؤسّسي دولته، كان من بينهم:

أبو مسلم

أمّا أبو مسلم فهو المؤسّس للدولة العبّاسيّة، والقائد الأوّل للانقلاب على الدولة الأمويّة ومحطّم عروشها، ولولاه لم يرفع لبني العبّاس علم، ولم يذكر لهم اسم، وقد عزم الدوانيقي على قتل أبي مسلم، فاحتال عليه بأن جرّده عن القوّة العسكريّة المحتفّة به، فلمّا دخل عليه قابله بقساوة بالغة، وأخذ يعدّد عليه أعماله، وأبو مسلم يعتذر عن ذلك، ولم يجدِ معه الاعتذار، وصفق المنصور بيده عالياً، فدخل عليه حرّاس المنصور وبأيديهم السيوف، فقال للمنصور متوسّلاً: استبقِني لعدوك.

فصاح به: وأي عدوّ أعدى لي منك؟

---

(١) الكامل في التاريخ: ٤: ٣٥٥.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٢: ٣٩٩.

وأخذته السيوف وهو يصيح : العفو ، وأجهزوا عليه فقتلوه ، وأخذ المنصور يرتجل :

زَعَمْتَ أنَّ الدَّينَ لا يُقْتَضى ... فاسْتَوفِ بِالكَيلِ أَبا مُجْرِمِ

سُقِيتَ كَأساً كُنتَ تَسقي بها ... أَمَرَّ في الحَلْقِ مِنَ العَلْقَمِ(١)

وأمر أن تلقى جثّته في نهر دجلة ، فأُلقيت فيه ، وطويت بذلك حياة أبي مسلم غدراً على يد المنصور ، وقد خسر أبو مسلم أمر آخرته ودنياه ، وذلك هو الخسران المبين ، فهو الذي صرف الخلافة إلى العبّاسيّين بعدما كانت للعلويّين .

عبدالله بن عليّ

وغدر المنصور بعمّه عبدالله بن عليّ بعد أن أعطاه أماناً أن يصفح عنه ، ولكنّه خاس بأمانه ، فدعا وليّ عهده عيسى بن موسى ، وقال له : خذ إليك عبدالله بن عليّ ريثما أعود من مكّة ، ولا تثقل عليه ، فإنّه عمّي ، وأخو الحاضرين من شيوخ آل بيتك .

قال ذلك للتعتيم على العبّاسيّين ، وأنّه لم يأمر فيه بسوء ، ثمّ دعا عيسى سرّاً وقال له : يا عسى ، إنّ هذا أراد أن يزيل الخلافة عنّي وعنك ، وأنت وليّ عهدي ، والخلافة صائرة إليك ، فخذه واضرب عنقه ، وإيّاك أن تخور وتضعف ، فتنقض عليَّ أمري الذي دبّرت ، ثمّ مضى إلى الحجّ(٢) .

وارتاب عيسى من ذلك ، فعرض الأمر على كاتبه يونس بن أبي فروة ، وكان مفكّراً عالماً بنفسيّة المنصور ، وما احتوت عليه من الغدر والخيانة ، فقال له : إنّ هذا الرجل قد دفع إليك عمّه علناً أمام ذويه ، وأوصاك سرّاً بقتله ، فهو يريد أن يقتله على يدك ،

---

(١) تاريخ الأمم والملوك : ٦ : ١٣٧ .

(٢) تاريخ الأمم والملوك : ٦ : ٢٦٦ .

ثمّ يقيّدك به فيقتلك ، والرأي أن تستره في منزلك ، فلا تطلع على أمره أحد ، وترسل إلى المنصور أنّك قد قتلته ، فإن طالبك به علانية دفعته علانية ، وإيّاك أن تأتي به سرّاً [١] .

وكان يونس على جانب كبير من أصالة الرأي ، وعمق التفكير ، فقد عرف خفايا المنصور ، ودرس أساليب مكره وخداعه ، وقد فعل عيسى ما أشار به يونس ، فأخفى عبدالله وستره ، وشاع بين العبّاسيّين أنّه قد قتله .

ولمّا عاد المنصور من مكّة توافد عليه العبّاسيّون وكلّموه في شأن عمّه ، فقال لهم : إنّي أعطيته أمامكم إلى وليّ عهدي ، وأوصيته به ، وقد سألته فقال : قد مات ، ودعا بعيسى ، فلمّا مثل عنده صاح به : لِمَ قتلت عمّي ؟

- أنت أمرتني بقتله .
- لم آمرك بقتله .
- هذا كتابك إليّ فيه .
- لم أكتبه .

ولمّا رأى الجدّ من المنصور خاف على نفسه ، فقال له : هو عندي ، فقال : ادفعه إلى أبي الأزهر المهلّب بن أبي عيسى ، فدفعه إليه ، ولم يزل عنده محبوساً ، وأوعز إليه المنصور بقتله ، فقتله ، وكانت معه جارية فقتلها ، ووضعها معه على الفراش ، وأدخلت يدها تحت جنبه ، ويده تحت جنبها كالمعتنقين ، ثمّ أمر بالبيت فهدم عليهما ، وأحضر القاضي مع جماعة للاطّلاع على الأمر ، وأُخرجت الجثّتان فدفنتا في مقرّهما الأخير [٢] .

---

(١) تاريخ الأمم والملوك : ٦ : ٢٦٦ .

(٢) مروج الذهب : ٣ : ٢٣٠ .

محمّد بن أبي العبّاس

واغتال المنصور محمّد بن أبي العبّاس ، وهو من الشخصيات المرموقة في عصره ، فقد اغتاله على يد طبيب نصراني كان قد استعان به على قتل من لا يحبّ أن يتجاهر بقتله ، وقد اتّخذ سمّاً قاتلاً يضعه في دواء من يريد أن يغتاله ، وقد حدثت لمحمّد علّة في بدنه ، فراجع ذلك الطبيب ، فناوله السمّ فتوفّي فوراً ، فرفعت أمّه شكواها إلى المنصور فأمر بضربه ثلاثين سوطاً ، وسجنه أيّاماً ، ثمّ أطلق سراحه ووهبه ثلاثمائة دينار[١].

هذه بعض اغتيالات المنصور ، وهي تنمّ عن نفس شريرة بعيدة كلّ البعد عن كلّ نزعة شريفة ، فقد جُبل على الفتك والغدر والقسوة والجفاء.

ترويعه للمدنيّين

قابل المنصور بمزيد من العنف والاضطهاد أهالي يثرب ، وسلبهم جميع مقوّماتهم الاقتصاديّة ، فقطع عنهم الميرة في البرّ والبحر[٢].

ويعود السبب في ذلك إلى أنّهم كانوا لا يرونه أهلاً للخلافة ، فقد عرفوه أنّه من الأراذل ، وأنّه من الأجلاف ، وأنّه لا يصلح أن يتولّى أي شأن من شؤون المسلمين ، وكانت نفوسهم مترعة بالولاء للسيّد الشريف محمّد ذي النفس الزكيّة.

وعلى أيّة حال ، فقد اتّخذ المنصور مع المدنيّين جميع الاجراءات القاسية ، فاستعمل عليهم رياح بن عثمان المرّي ، وكان مجرماً إرهابيّاً ، فقد نزا على المنبر ، وخاطب المدنيّين قائلاً: « يا أهل المدينة ، أنا الأفعى ابن الأفعى ، ابن عثمان بن

---

(١) حياة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام : ١: ٣٧٤.

(٢) الكامل في التاريخ: ٥: ٢٦١.

حيّان ، وابن عمّ مسلم بن عقبة ، المبيد خضراءكم ، والمفني رجالكم ، والله لأدعها بلقعاً لاينبح فيها كلب ».

أرأيتم هذا الطاغية الفاجر ، والاستهتار بحياة الناس وكرامتهم ، لقد عرّفهم بأنّه ابن عمّ المجرم السفّاك مسلم بن عقبة الذي اقترف أفظع الجرائم في مدينة رسول الله ﷺ فأباح المدينة ، وقتل الناس صبراً ، واستباح الأعراض ، وفعل ما لم تفعله اليهود في دير ياسين ، ولم ينهِ هذا الوحش الحقير كلماته حتّى انبرى إليه جمع من الأحرار الذين غامروا بحياتهم ، فردّوا عليه بأعنف القول قائلين له : يابن المجلود حدّين ، لتكفنّ أو لنكفنّك عن أنفسنا .

ورفع هذا الوغد الشرير رسالة إلى الدوانيقي يخبره فيها عن خروج المدنيّين عن طاعته ، وإصرارهم على التمرّد والعصيان ، ولمّا انتهى إليه الكتاب ، كتب رسالة إلى أهل المدينة ملأها بالإنذار والتهديد والوعيد لهم ، وأمر عامله أن يقرأها عليهم ، فلمّا وصلت إليه جمعهم وقرأها عليهم ، وكان ممّا جاء فيها : « يا أهل المدينة ، إنّ واليكم كتب إليَّ يذكر غشّكم وخلافكم ، وسوء رأيكم ، واستمالتكم على بيعة أمير المؤمنين ، وأمير المؤمنين يقسم بالله لئن لم تنزعوا ليبدّلنّكم بعد أمنكم خوفاً ، وليقطعنّ البرّ والبحر عنكم ، وليبعثنّ عليكم رجالاً غلاظ الأكباد ، وبعاد الأرحام ، بنو[1] قعر بيوتكم ، يفعلون ما يؤمرون ، والسلام ».

وانبرى جمع من الأشراف إلى معارضته فصاحوا به : كذبت يابن المجلود حدّين ، ثمّ إنّهم رموه بالحصى من كلّ جانب ، فولّى هارباً إلى مقصورته فأغلقها عليه ، واعتصم بها ، ودخل عليه أيّوب بن مسلمة ، وهو من الغارقين في الإثم ، فدعاه إلى التنكيل بالثائرين قائلاً له : « أصلح الله الأمير ، إنّما يصنع هذا رعاع الناس ، فاقطع أيديهم ، واجلد ظهورهم ».

---

(١) كذا في الأصل، وفي الهامش : « ينوون »، ولعلّ الصحيح : « يثورون في قعر بيوتكم ».

وأشار عليه بعض الأشراف من الهاشميّين بالإعراض عن مقالة هذا اللئيم ، ودعاه أن يرسل خلف الوجوه والأشراف ، ويقرأ عليهم رسالة المنصور ، فاستجاب لذلك ، وأرسل خلفهم وقرأ عليهم الكتاب ، فانبرى إليه حفص بن عمر الزهري وأبو عبيدة ابن عبدالرحمن الأزهر ، فقال له : كذبت والله ما أمرتنا فعصيناك ، ولا دعوتنا فخالفناك .

ثمّ التفتا إلى ممثّل المنصور فقالا له : أتبلغ المنصور عنّا ؟

- ما جئت إلّا لذلك .

- قل له : أمّا قولك : إنّك تبدّل المدينة وأهلها بالأمن خوفاً ، فإنّ الله عز وجلّ وعدنا غير هذا . قال الله عزّ وجلّ : ﴿ **وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً** ﴾[(١)] [(٢)].

لقد عامل الدوانيقي أهالي مدينة النبيّ صلى الله عليه وآله بهذه القسوة البالغة ، فسلّط عليها والياً من شذّاذ الآفاق ، وممّن تمرّس في الإثم ، ولم يحترم ما لأهل المدينة من الفضل في إقامة هذا الدين الذي لولاه لما كان له ولأسرته وجود يذكر .

التنكيل بالعلويّين

وامتحن العلويّون امتحاناً عسيراً وشاقّاً في عهد المنصور الدوانيقي الذي سلبت من أفانين نفسه الرحمة والرأفة ، ولم يخضع لأي عرف أو قانون ، فكان على غرار إخوانه الأمويّين في ظلم العلويّين والتنكيل بهم ، ويعتبر المنصور أوّل حاكم عبّاسى فَصَم عُرى الوحدة بين العلويّين والعبّاسيّين بعدما كانوا أُسرة واحدة[(٣)] .

---

(١) النور ٢٤ : ٥٥ .

(٢) تاريخ اليعقوبي : ٣ : ١١٠ ـ ١١١ .

(٣) تاريخ الخلفاء : ١٠٢ .

لقد تعرّضت الأُسرة النبويّة إلى جميع صنوف التنكيل في العصور العبّاسيّة، وكان ما عانته أضعاف ما واجهته أيّام الحكم الأموي، حتّى قيل في ذلك:

تـالله مـا فَـعَلَتْ أُمَـيَّةُ فِـيهِمُ   مِعْشارَ ما فَعَلَتْ بَنو الْعَبّاسِ

وقد كشف المأمون النقاب عمّا فعله العبّاسيّون بأهل البيت. يقول: «إنّ بني أُميّة إنّما قتلوا منهم ـ أي من العلويّين ـ من سلّ سيفاً، وإنّا معاشر بني العبّاس قتلناهم جملاً، فلتسألنّ أعظم الهاشميّة بأي ذنب قتلت، ولتسألنّ نفوساً أُلقيت في دجلة والفرات، ونفوساً دفنت ببغداد والكوفة»[١].

لقد عانى العلويّون جميع صنوف الارهاب والارهاق، ونكبوا بما لم ينكب به أي إنسان. يقول دعبل الخزاعي:

وَلَـيسَ حَـيٌّ مِـنَ الأَحـياءِ نَـعْلَمُهُ   مِنْ ذي يَمانٍ ومِنْ بَكْرٍ ومِنْ مُـضَرِ
إلّا وهُـــم شُـركاءٌ فـي دِمـائِهِمُ   كَـما تَشـارَكَ أَيْسـارٌ عـلى جَـزَرِ
قَــتْلٌ وَأَسْـرٌ وتَـحريقٌ ومَـنْهَبَةٌ   فِـعلُ الغُـزاةِ بِـأَرْضِ الرومِ والخَـزَرِ
أرى أُمَـــيَّةَ مَــعذورينَ إنْ قَـتَلُوا   وَلا أَرى لِبَني العبّاسِ مِنْ عُـذُرِ[٢]

إنّ العلويّين هم دعاة العدل الاجتماعي والعدل السياسي في دنيا الإسلام، وهم سادة المسلمين، وفخر المجتمع الإنساني على امتداد التاريخ. يقول الجاحظ: «هم ـ أي العلويّين ـ ملح الأرض، وسنام العالم، وصفوة الأمم، وعزّة العرب، ولباب البشر، ومُصاص بني آدم[٣]، وزينة الدنيا، وحلية الدهر، والطينة البيضاء،

---

(١) بحار الأنوار: ٤٩: ٢١٠.

(٢) ديوان دعبل: ١٠٥.

(٣) **مُصاص بني آدم**: أي أخلصهم وأرفعهم نسباً.

والمغرس المبارك ، والنصاب الوثيق ، ومعدن المكارم ، وينبوع الفضائل ، وأعلام العلم ، وإيمان الإيمان »(١) .

ففي ذمّة الله ما لاقاه السادة العلويّون من ضروب المحن والخطوب في عهد المنصور الدوانيقي ، فقد ضيّق عليهم الدنيا ، وأذاقهم جميع ألوان الظلم والعذاب ، ونعرض فيما يلي إلى بعض ما جرى عليهم في عهد هذا الإنسان الممسوخ :

التجسّس على العلويّين

وحينما تسلّم الدوانيقي أزمّة الحكم وجّه جميع جهوده وإمكانيّاته ضدّ العلويّين ؛ وذلك لأمرين :

الأوّل : أنّه على علم أنّ الأُمّة متّجهة بأنظارها نحو العلويّين ، وأنّهم أوْلى بالأمر من غيرهم ، وذلك لما اتّصفوا به من الصفات الكريمة من الحلم والعلم والرأفة والرحمة ونكران الذات والتمسّك بالدين .

الثاني : أنّه بالذات كان لا يرى نفسه أهلاً للخلافة ، وذلك لما اتّصف به من الشحّ والبخل والقسوة والغدر والخيانة ، وكان أهل المدينة وسائر الأوساط الإسلاميّة تعرف أنّه لا يصلح لأن يكون موظّفاً عاديّاً في الدولة الإسلاميّة ، وأنّه من حثالة البشر في ضعة نفسه ، وخساسة طبعه ، كلّ ذلك دفعه للقضاء على العلويّين ، وتصفيتهم جسديّاً .

وكان أوّل عمل قام به أنّه بعث عيناً من جواسيسه ليقف على أُمورهم وشؤونهم ، ويتعرّف على السيّدين الزكيّين : محمّد وأخيه إبراهيم ، وقد اختار رجلاً من عيونه وكتب معه كتاباً على ألسنة الشيعة إلى أبي محمّد يعربون فيه عن ولائهم وطاعتهم له

---

(١) آداب النفس : ١ : ٢٧ .

ولولديه، وبعث معه مالاً وألطافاً، وقدم الرجل إلى يثرب، فدخل على عبدالله، وسأله عن ابنه محمّد فكتم خبره، وأخذ الرجل يتردّد ويلحّ عليه في المسألة، فانخدع عبدالله، وقال له: إنّه في جبل جهينة، وأمره أن يمرّ بعليّ الذي يُدعى الأغرّ، فهو يرشده بمكانه، وكان للمنصور كاتب يتشيّع، فكتب إلى عبدالله يخبره بذلك العين.

ولمّا وصل إليه الكتاب بعث بالوقت أبا هبّار إلى محمّد وعليّ بن الحسن يحذّرهما من الرجل، وأنّه عين للمنصور، وقدم أبو هبّار حتّى وافى محمّداً في موضعه، فإذا هو جالس في كهف ومع جماعة من أصحابه، وذلك العين معهم، وكان أعلاهم صوتاً، فلمّا رأى أبا هبّار خافه، وعرف أنّ أمره قد انكشف، وقال أبو هبّار لمحمّد: لي إليك حاجة فقام معه، وأخبره بأمر الرجل، وأنّه عين عليه من قِبل المنصور، وأشار إليه بقتله إلّا أنّه لم يستجب له، وأشار عليه ثانياً باعتقاله، فاستجاب لذلك، ولمّا شعر الرجل بالأمر انهزم وتوارى عنهم ففتّشوا عنه، فلم يظفروا به، وانطلق الرجل يطوي البيداء حتّى وافى المنصور وأخبره بالأمر.

واستدعى المنصور عقبة بن سلم الأزدي وقال له: إنّي أُريدك لأمر أنا معنيّ به، لم أزل أرتاد له رجلاً عسى أن تكونه، وإن كفيتنيه رفعتك.

فقال عقبة: أرجو أن أصدق ظنّ أمير المؤمنين فيّ، وأمره المنصور بإخفاء شخصه، وستر أمره، والإلتقاء به في وقت عيّنه له.

ولمّا حان الوقت خفّ إليه مسرعاً، فقال له المنصور: إنّ أبناء عمّنا ـ يعني العلويّين ـ قد أبوا إلّا كيداً لملكنا، واغتيالاً له، ولهم شيعة بخراسان بقرية كذا يكاتبونهم، ويرسلون إليهم بصدقات أموالهم، وألطاف من ألطاف بلادهم، فاخرج بكسيّ وألطاف وعين حتّى تأتيهم متنكّراً بكتاب تكتبه عن أهل هذه القرية، ثمّ تسير ناحيتهم، فإن علمت ذلك وكنت على حذر فاشخص حتّى تلقى عبدالله بن الحسن

متخشّعاً ومتقشّفاً ، فإن جبهك ـ وهو فاعل ـ فاصبر وعاوده حتّى يأنس بك ، ويلين لك ناحيته ، فإذا ظهر لك ما قبله فاعجل عليَّ .

وشخص عقبة إلى يثرب فقدم على عبدالله فناوله الكتاب ، فأنكره ونهره ، ولم يزل يتردّد عليه حتّى قبل كتابه وألطافه ، وأنس به ، فسأله عقبة الجواب ، فقال : أمّا الكتاب فإنّي لا أكتب لأحد ، ولكن أنت كتابي إليهم فاقرأهم السلام ، وأعلمهم أنّي خارج[١] ، وعيّن له وقت الخروج ، ورجع عقبة إلى المنصور فأخبره بالأمر[٢] . فاضطرب وأخذ يمعن التفكير فلم يرَ وسيلة أنجح من سفره إلى يثرب ليتولّى بنفسه قمع الحركة والقضاء على العلويّين[٣] .

القبض على العلويّين

وانتظر الدوانيقي موسم الحجّ ، فلمّا حان سافر هو وحاشيته إلى بيت الله الحرام ، وبعد انتهائه من مراسيم الحجّ قفل راجعاً إلى يثرب ، وقد صحب معه عقبة بن سلم الذي كان عيناً له على السادة العلويّين ، وقد أوصاه قبل سفره بقوله : إذا لقيني بنو الحسن وفيهم عبدالله فأنا مكرمه ، ورافع محلّته[٤] ، وداع بالغذاء ، فإذا فرغنا من طعامنا فلحظتك ، فامتثل بين يديه ، فإنّه سيصرف عنك بصره ، فاستدر حتّى ترمز ظهره بإبهام رجلك حتّى يملأ عينه منك ، ثمّ حسبك وإيّاه أن يراك ما دام يأكل .

ولمّا انتهى المنصور إلى يثرب استقبله السادة الحسنيّون وفيهم عبدالله بن الحسن ، فأجلسه المنصور إلى جانبه ، ودعا بالغذاء فأصابوا منه ، فقام عقبة ونفّذ ما

---

(١) في تاريخ الأمم والملوك : « وأخبرهم أنّ ابنيَّ خارجان » .

(٢) الكامل في التاريخ : ٤ : ٣٧٠ ـ ٣٧١ .

(٣) تاريخ الأمم والملوك : ٦ : ١١٨ .

(٤) في تاريخ الأمم والملوك : « ورافع مجلسه » .

عهد إليه المنصور، وجلس أمامه، ففزع منه عبدالله وقال للمنصور: أقلني أقالك الله.

فصاح الخبيث الدنس: لا أقالني الله إن أقلتك، وأمر أن يكبّل بالحديد، ويزجّ في السجن، فكبّل مع جماعته من العلويّين وحُبس في بيت مروان، وألقيت تحته ثلاث من حقائب الإبل محشوّة بالتبن، ودخل عليه جماعة بعثهم والي المدينة فجعلوا يحذّرونه من بطش المنصور ونقمته، وطلبوا منه أن يخبرهم بمكان ولديه لينجو من السجن، فالتفت إلى الحسن بن زيد فقال له: يابن أخي، والله لبليتي أعظم من بليّة إبراهيم عليه السلام. إنّ الله عزّ وجلّ أمر إبراهيم أن يذبح ابنه، وهو لله طاعة، فقال إبراهيم: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾[1]، وإنّكم جئتموني في أن آتي بابنيّ هذا الرجل فيقتلهما وهو لله عزّ وجلّ معصية، فوالله يابن أخي لقد كنت على فراشي فما يأتيني النوم، وإنّي على ما ترى أطيب نوماً[2].

حقّاً لقد كانت محنة عبدالله من أشقّ المحن وأقساها، فقد وقع بين مصيبتين لا منجاة له من أحدهما، فإمّا أن يبقى في ظلمات السجون يعاني الآلام، وإمّا أن يخبر بمكان ولديه فيعرّضهما للقتل على يد هذا الجلّاد الحقير، وقد اختار أن يبقى في ظلمات السجون، ولا يخبر بمكان ولديه اللذين أرادا إنقاذ الأمّة من حكم المنصور وأمثاله من أئمّة الظلم والجور.

حملهم إلى العراق

ومكث السادة الأجلّاء في سجن الطاغية السفّاك في يثرب ثلاث سنين، وقد عانوا الضيق والتعذيب، وقد أثار سجنهم سخط الأخيار والمتحرّجين في دينهم، وأخذت الأندية تتحدّث بمرارة عن محنة هؤلاء السادة، ونقلت الاستخبارات تذمّر

---

(١) الصافات ٣٧: ١٠٦.

(٢) مقاتل الطالبيّين: ٢١٦.

العامّة ونقدهم للمنصور لسجنه للعلويّين ، وقرّر الطاغية أن يمضي إلى الحجّ ويتولّى بنفسه معالجة الموضوع .

وفي سنة (١٤٤هـ) سافر إلى الحجّ ، وبعدما قضى مناسكه رجع وجعل طريقه على الربذة ، فأقام فيها ، واستقبله رياح واليه على يثرب فردّه إليها ، وأمره بإشخاص السادة العلويّين إليه ، وقفل رياح راجعاً إلى يثرب ، فأخرج العلويّين من السجن ، وقد وضع في أيديهم الحديد ، وجيء بهم إلى مسجد جدّهم رسول الله صلى الله عليه وآله ، وازدحم الناس عليهم ، وهم بين باكٍ وواجمٍ ، ورياح يوسع السادة شتماً وقذفاً ، وطلب من الناس شتمهم ، فجعلوا يسبّونه ويسبّون المنصور ويترحّمون على العلويّين .

فجيعة الإمام الصادق عليه السلام

وفجع الإمام الصادق عليه السلام وذابت نفسه أسىً وحسرات على ما حلّ بأبناء عمومته من الأرزاء القاصمة ، وبلغ به الحزن أقصاه ، لقد أطلّ الإمام على السادة العلويّين وهم مقيّدون بالحديد ، قد اصفرّت وجوههم ، وارتعدت فرائصهم ، فأرسل الإمام ما في عينيه من دموع ، والتفت إلى الحسن بن زيد قائلاً : « **يا أَبا عَبْدِاللهِ ، وَاللهِ لَا تُحْفَظُ للهِ حُرْمَةٌ بَعْدَ هذا**[١] **، وَاللهِ ما وَفَتِ الْأَنْصارُ وَلَا أَبْناءُ الْأَنْصارِ لِرَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله بِما أَعْطوهُ مِنَ الْبَيْعَةِ عَلَى الْعَقَبَةِ** » ، وأخذ يشرح له قصّة العقبة قائلاً :

« **إِنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله قالَ لِعَلِيٍّ : خُذْ عَلَيْهِمُ الْبَيْعَةَ بِالْعَقَبَةِ .**

فَقالَ : كَيْفَ آخُذُ عَلَيْهِمْ ؟

فَقالَ صلى الله عليه وآله : عَلىٰ أَنْ يَمْنَعوا رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وَذُرِّيَّتَهُ مِمّا يَمْنَعونَ مِنْهُ أَنْفُسَهُمْ

---

(١) في تاريخ الأمم والملوك : ٦ : ١٧٤ : « **بَعْدَ هؤُلاءِ** » .

وَذَرارِيهِمْ » ولو وقف الأنصار في يوم السقيفة موقفاً مشرّفاً وبايعوا سيّد العترة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لما آلت الخلافة الإسلاميّة إلى الدوانيقي وأشباهه من الأمويّين والعبّاسيّين ، ولما حلّت بالأمّة الرزايا والخطوب ، وإنّ جميع ما عاناه المسلمون في ماضيهم وحاضرهم ، وما يعانونه في مستقبلهم من الأزمات والخطوب كلّ ذلك ناشئ عن الأحداث الرهيبة التي حلّت بالمسلمين بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله مباشرة .

وعلى أيّة حال ، فإنّ الإمام الصادق عليه السلام قد ذابت نفسه أسىً وحسرات ، وأخذ يدعو على الأنصار قائلاً : « **اللّهُمَّ فاشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى الْأَنْصارِ** »(١) .

وروى عبدالله بن إبراهيم الجعفري عن السيّدة خديجة بنت عمر بن عليّ : أنّ العلويّين حينما أُوقفوا عند باب المسجد الذي يقال له باب جبرئيل ، طلع عليهم الإمام الصادق عليه السلام وعامّة ردائه مطروح على الأرض ، ثمّ اطّلع من باب المسجد فقال : « **لَعَنَكُمُ اللهُ يا مَعْشَرَ الْأَنْصارِ - ثلاثاً - ما عَلىٰ هذا عاهَدْتُمْ رَسولَ اللهِ** صلى الله عليه وآله **وَلَا بايَعْتُموهُ ، أَما وَاللهِ إنْ كُنْتُ حَريصاً ، وَلكِنّي غُلِبْتُ ، وَلَيْسَ لِلْقَضاءِ مَدْفَعٌ** ، ثمّ قام وأخذ إحدى نعليه فأدخلها رجله والأخرى في يده ، وعامّة ردائه يجرّ في الأرض ، ثمّ دخل بيته فحمّ عشرين ليلة لم يزل يبكي فيها الليل والنهار(٢) .

لقد هامت نفس الإمام عليه السلام في تيّارات مذهلة من الهواجس والآلام ، وعرف ماذا سيواجهونه من النكبات والخطوب ، فخلد إلى البكاء ليخفّف عنه لوعة المصاب والحزن .

رسالة الإمام عليه السلام إلى عبدالله

ودفع الإمام الصادق عليه السلام رسالة إلى ابن عمّه السيّد الجليل عبدالله بن الحسن

---

(١) مقاتل الطالبيّين : ٢١٩ - ٢٢٠ .

(٢) بحار الأنوار : ٤٧ : ٢٨٣ .

يعزّيه ويواسيه بما حلّ به من الرزايا والنكبات، وقد جاء فيها بعد البسملة:

«إِلَى الْخَلَفِ الصَّالِحِ، وَالذُّرِّيَّةِ الطَّيِّبَةِ مِنْ وُلْدِ أَخيهِ وَابْنِ عَمِّهِ

أَمّا بَعْدُ.. فَلَئِنْ كُنْتَ قَدْ تَفَرَّدْتَ أَنْتَ وَأَهْلُ بَيْتِكَ مِمَّنْ حُمِلَ مَعَكَ بِما أَصابَكُمْ، ما انْفَرَدْتَ بِالْحُزْنِ وَالْغَيْظِ وَالْكَآبَةِ وَأَليمِ وَجَعِ الْقَلْبِ دوني، وَلَقَدْ نالَني مِنْ ذلِكَ مِنَ الْجَزَعِ وَالْقَلَقِ، وَحَرِّ الْمُصيبَةِ مِثْلُ ما نالَكَ، وَلكِنْ رَجَعْتُ إِلى ما أَمَرَ اللهُ جَلَّ وَعَزَّ بِهِ الْمُتَّقينَ مِنَ الصَّبْرِ وَحُسْنِ الْعَزاءِ حينَ قالَ لِنَبِيِّهِ صلى الله عليه وآله: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[1].

وَحينَ يَقولُ لِنَبِيِّهِ: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾[2].

وَحينَ يَقولُ لِنَبِيِّهِ حينَ مُثِّلَ بِحَمْزَةَ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾[3]، فَصَبَرَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وَلَمْ يُعاقِبْ.

وَحينَ يَقولُ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[4].

وَحينَ يَقولُ: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَـٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[5].

---

(١) الطور ٥٢: ٤٨.

(٢) القلم ٦٨: ٤٨.

(٣) النحل ١٦: ١٢٦.

(٤) طه ٢٠: ١٣٢.

(٥) البقرة ٢: ١٥٦ ـ ١٥٧.

وَحينَ يَقولُ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(١).

وَحينَ يَقولُ لُقْمانُ لابْنِهِ: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾(٢).

وَحينَ يَقولُ عَنْ مُوسىٰ: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾(٣).

وَحينَ يَقولُ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾(٤).

وَحينَ يَقولُ: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾(٥).

وَحينَ يَقولُ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾(٦).

وَحينَ يَقولُ: ﴿وَكَأَيِّن مِن نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾(٧).

---

(١) الزمر ٣٩: ١٠.

(٢) لقمان ٣١: ١٧.

(٣) الأعراف ٧: ١٢٨.

(٤) العصر ١٠٣: ٣.

(٥) البلد ٩٠: ١٧.

(٦) البقرة ٢: ١٥٥.

(٧) آل عمران ٣: ١٤٦.

وَحينَ يَقولُ: ﴿وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ﴾[١].

وَحينَ يَقولُ: ﴿وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾[٢].

وَأَمْثالُ ذٰلِكَ مِنَ الْقُرْآنِ كَثيرٌ.

وَاعْلَمْ أَيْ عَمِّ وَابْنَ عَمٍّ إِنَّ اللهَ جَلَّ وَعَزَّ لَمْ يُبالِ بِضُرِّ الدُّنْيا لِوَلِيِّهِ ساعَةً قَطّ، وَلَا شَيْءٌ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الضُّرِّ وَالْجُهْدِ وَالْبَلاءِ مَعَ الصَّبْرِ، وَإِنَّهُ تَبارَكَ وَتَعالىٰ لَمْ يُبالِ بِنَعيمِ الدُّنْيا لِعَدُوِّهِ ساعَةً قَطُّ.

وَلَوْلا ذٰلِكَ ما كانَ أَعْداؤُهُ يَقْتُلونَ أَوْلِياءَهُ وَيُخَوِّفونَهُمْ وَيَمْنَعونَهُمْ، وَأَعْداؤُهُ آمِنونَ مُطْمَئِنّونَ، عالونَ ظاهِرونَ.

وَلَوْلا ذٰلِكَ لَما قُتِلَ زَكَرِيّا وَيَحْيى بْنُ زَكَرِيّا، ظُلْماً وَعُدْواناً في بَغِيٍّ مِنَ الْبَغايا.

وَلَوْلا ذٰلِكَ لَما قُتِلَ جَدُّكَ عَلِيُّ بْنُ أَبي طالِبٍ عليه السلام لَمّا قامَ بِأَمْرِ اللهِ جَلَّ وَعَزَّ ظُلْماً، وَعَمُّكَ الْحُسَيْنُ بْنُ فاطِمَةَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ اضْطِهاداً وَعُدْواناً.

وَلَوْلا ذٰلِكَ ما قالَ اللهُ جَلَّ وَعَزَّ في كِتابِهِ: ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾[٣].

---

(١) الأحزاب ٣٣: ٣٥.

(٢) يونس ١٠: ١٠٩.

(٣) الزخرف ٤٣: ٣٣.

وَلَوْلا ذلِكَ لما قال في كتابه: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾[١].

وَلَوْلا ذلِكَ لَما جاءَ في الْحَديثِ: لَوْلا أَنْ يَحْزَنَ الْمُؤْمِنُ لَجَعَلْتُ لِلْكافِرِ عِصابَةً مِنْ حَديدٍ فَلا يَصَّدَّعَ رَأْسُهُ أَبداً.

وَلَوْلا ذلِكَ لَما جاءَ في الْحَديثِ: إِنَّ الدُّنْيا لَا تُساوي عِنْدَ اللهِ جَلَّ وَعَزَّ جَناحَ بَعوضَةٍ.

وَلَوْلا ذلِكَ ما سَقى كافِراً مِنْها شَرْبَةً مِنْ ماءٍ.

وَلَوْلا ذلِكَ ماجاءَ في الْحَديثِ: لَوْ أَنَّ مُؤْمِناً على قُلَّةِ جَبَلٍ لابْتَعَثَ لَهُ كافِراً أَوْ مُنافِقاً يُؤْذيهِ.

وَلَوْلا ذلِكَ لَما جاءَ في الْحَديثِ: إِنَّهُ إِذا أَحَبَّ اللهُ قَوْماً أَوْ أَحَبَّ عَبْداً صَبَّ عَلَيْهِ الْبَلاءَ صَبّاً، فَلا يَخْرُجُ مِنْ غَمٍّ إِلَّا وَقَعَ في غَمٍّ.

وَلَوْلا ذلِكَ لَما جاءَ في الْحَديثِ: ما مِنْ جُرْعَتَيْنِ أَحَبُّ إِلى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُجَرِّعَهُما عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ في الدُّنْيا مِنْ جُرْعَةِ غَيْظٍ كَظَمَ عَلَيْها، وَجُرْعَةِ حُزْنٍ عِنْدَ مُصيبَةٍ صَبَرَ عَلَيْها بِحُسْنِ عَزاءٍ وَاحْتِسابٍ.

وَلَوْلا ذلِكَ لَما كانَ أَصْحابُ رَسولِ اللهِ ﷺ يَدْعونَ عَلى مَنْ ظَلَمَهُمْ بِطولِ الْعُمُرِ وَصِحَّةِ الْبَدَنِ، وَكَثْرَةِ المالِ وَالْوَلَدِ.

وَلَوْلا ذلِكَ ما بَلَغَنا أَنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ كانَ إِذا خَصَّ رَجُلاً بِالتَّرَحُّمِ عَلَيْهِ

---

(١) المؤمنون ٢٣: ٥٥ ـ ٥٦.

وَالْإِسْتِغْفارِ اسْتُشْهِدْ.

فَعَلَيْكُمْ يا عَمِّ وَابْنَ عَمٍّ، وَبَني عُمومَتي وَإِخْوَتي بِالصَّبْرِ وَالرِّضا وَالتَّسْليمِ، وَالتَّفْويضِ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالرِّضا بِالصَّبْرِ عَلىٰ قَضائِهِ، وَالتَّمَسُّكِ بِطاعَتِهِ، وَالنُّزولِ عِنْدَ أَمْرِهِ.

أَفْرَغَ اللهُ عَلَيْنا وَعَلَيْكُمُ الصَّبْرَ، وَخَتَمَ لَنا وَلَكُمْ بِالْأَجْرِ وَالسَّعادَةِ، وَأَنْقَذَنا وَإِيّاكُمْ مِنْ كُلِّ هَلَكَةٍ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ. إِنَّهُ سَميعٌ قَريبٌ، وَصَلَّى اللهُ عَلىٰ صَفْوَتِهِ مِنْ خَلْقِهِ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ وَأَهْلِهِ»(١).

لقد أمر الإمام عليه السلام ابن عمّه بالخلود إلى الصبر، وشفع ذلك بالآيات الكريمة التي تحثّ على الصبر، لأنّه أهمّ وسيلة لتماسك الإنسان، وعدم انهياره أمام المصائب التي يمنى بها، وقد توجّع الإمام على ما حلّ بأبناء عمومته من الكوارث والمصائب، ولو كانت مناجزتهم للطاغية الدوانيقي غير مشروعة لما توجّع عليهم، فإنّ شأن الإمام كشأن النبيّ صلى الله عليه وآله بعيد عن الاندفاع لأيّة عاطفة تناهض الشرع الإسلامي.

وكان الإمام الصادق عليه السلام يتطلّع بفارغ الصبر إلى التعرّف على شؤون أبناء عمومته، فقد روى خلّاد بن عمير الكندي مولى آل حجر بن عديّ، قال: «دخلت على أبي عبدالله عليه السلام فقال: **هَلْ لَكَ عِلْمٌ بِآلِ الْحَسَنِ؟**

يقول خلّاد: وكان قد اتّصل بنا عنهم خبر لم نحبّ أن نبدأه به، فقلت له: نرجو أن يعافيهم الله، فتأثّر واندفع يقول: **وَأَيْنَ هُمْ مِنَ الْعافِيَةِ؟** ثمّ بكى حتّى علا صوته، وبكينا معه»(٢).

---

(١) بحار الأنوار: ٤٧: ٢٩٩ ـ ٣٠١. الإقبال: ٤٩ ـ ٥١.

(٢) بحار الأنوار: ٤٧: ٣٠٢.

لقد كان الإمام عليه السلام عالماً بما يجري على أبناء عمّه من النكبات والخطوب التي تذوب النفوس من هولها ، وأنّ المنصور الدوانيقي لا يألو جهداً في تعذيبهم والتنكيل بهم ، وأنّه لم يبق في قاموس الظلم نوعاً إلّا صبّه عليهم .

في الربذة

وسارت قافلة العلويّين تطوي البيداء ، ولم تبعد عن يثرب بثلاثة أميال حتّى أوقفت ، وأُنزلوا عن رواحلهم ، وجيء لهم بحدّادين فألقوا كلّ علويّ منهم في كبل وغلّ ، وقد ضاقت حلقتا القيد الذي كبّل به الزعيم عبدالله بن الحسن ، فتأوّه وتألّم ، فأقسم عليه أخوه البارّ عليّ بن الحسن أن يحوّلها إليه ، فحوّلت له .

وسارت القافلة حتّى انتهت إلى الربذة حيث كان الداونيقي مقيماً فيها ، فأُنزلوا عن رواحلهم وهم مكبّلون بالحديد تصهرهم الشمس ، وأمر المنصور بإدخال محمّد بن عبدالله عليه ، فلمّا مثل أمامه قابله المنصور بالسبّ والشتم ، واتّهمه بالفحشاء ، والمنصور هو وأُسرته التي لا تعرف الشرف ولا المعروف خليقون بكلّ فاحشة وإثم ، فليس في قاموس الأشرار من هو أخبث وأشرّ منهم ، وأمر الخبيث الدنس بتجريد العلويّ من ثيابه ، فجرِّد منها حتّى بدت عورته ، وأمر جلّاديه بضربه ، وهو ينظر إليه ، وقد ألهبت السياط جسمه ، والمنصور مسرور ، فقد شفى نفسه الخبيثة بتعذيبه لذرّيّة رسول الله صلى الله عليه وآله وعترته ، وأصاب إحدى السياط وجهه ، فقال للجلّاد : واكفف عن وجهي ، فإنّ له حرمة من رسول الله صلى الله عليه وآله ، وانبرى المنصور إلى الجلّاد فقال له : الرأس .. الرأس .

فضرب ثلاثين سوطاً على رأسه ، ثمّ دعا بساجور[١] من خشب شبيه به في طوله فشدّه في عنقه ، وشدّت به يداه ، وأُخرج ملبّباً فدخل على إخوانه كأنّه زنجي

---

(١) **الساجور** : خشبة تعلّق بعنق الكلب .

قد غيّرت السياط لونه ، وأسالت دمه ، وأصاب سوط منها إحدى عينيه فسالت ، ووثب مولى لأبي جعفر فقال له : ألا ألوثك بردائي ؟

فقال له : بلى جُزيت خيراً ، فوالله لشفوف إزاري أشدّ علَيّ من الضرب الذي نالني .

فألقى المولى عليه الثوب(١) ، واستدعى محمّد وهو بتلك الحالة ماءً فلم يسقه أحد سوى رجل من أهالي خراسان فسقاه الماء ، ولم يلبثوا قليلاً حتّى اجتاز الوغد الأثيم الدوانيقي ، فانبرى إليه عبدالله بن الحسن يذكّره بما أسداه جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله من الفضل والإحسان على جدّه العبّاس حينما جيء به أسيراً قائلاً له : وما هكذا فعلنا بأُسراكم يوم بدر .

لقد تنكّرت الأُسرة العبّاسيّة لكلّ معروف أسداه الرسول صلى الله عليه وآله على جدّهم العبّاس ، فقابلوا أبناءه بهذا اللون من الظلم والتنكيل ، وأشاح المنصور بوجهه القبيح عن عبدالله وقد لذعه قوله وأمر بحمل العلويّين إلى العراق(٢) .

في الهاشميّة

وأخذت قافلة العلويّين تطوي البيداء لا تلوي على شيء ، وهي تسرع بهم إلى القبور وزنزانات السجون ، حتّى انتهت إلى (الهاشميّة) ، فأمر المنصور بزجّهم في سجن لا يعرف فيه الليل من النهار ، فوضعوا فيه ، وكانوا لا يعرفون وقت الصلاة لظلمته ، فجزّأوا القرآن الكريم خمسة أجزاء ، فكانوا يصلون الصلاة الواجبة على فراغ كلّ واحد لحزبه(٣) .

---

(١) تاريخ الأمم والملوك : ٦ : ١٧٩ .

(٢) حياة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام : ١ : ٣٩٧ .

(٣) مروج الذهب : ٣ : ٢٢٥ .

وأمر المنصور بإحضار محمّد بن إبراهيم ، وكان آية في جماله وبهاء وجهه ، وكان الناس يذهبون إلى النظر إليه لحسنه ، ولمّا حضر عند الدوانيقي قال له بسخرية : أنت المسمّى بالديباج الأصفر ؟

- نعم .

- أما والله لأقتلنّك قتلة ما قتلتها أحداً من أهل بيتك .

وأمر الطاغية الخبيث باسطوانة مبنيّة ففرّغت ، وأُدخل فيها ثمّ بنيت عليه وهو حيّ[١] .

لقد تفجّرت سياسة هذا الباغي اللئيم تجاه أبناء النبيّ ﷺ بجميع ألوان المنكرات والموبقات ، فلم يرع حرمة لرسول الله ﷺ في أبنائه ، وعمد إلى تصفيتهم جسدياً بشكل رهيب لم يعهد له نظير في تاريخ المجازر البشريّة .

وبلغ من جرائم جلاوزة المنصور أنّ السيّد الزكيّ عبدالله بن الحسن زعيم السادة العلويّين وكبيرهم دعا بماء فلم يسقوه ، واستأذنوا المنصور في ذلك فأذن له ، وبينما هو يشرب إذ وثب إليه الوغد اللئيم أبو الأزهر فضرب الإناء برجله وبشدّة ، فألقى عبدالله ثناياه في الإناء[٢] .

وبقي السادة الأزكياء في سجن هذا الوغد العبّاسي ، وهم يعانون أهوال الخطوب ، وأقسى ألوان المحن ، فكانوا يتوضّأون في مواضعهم ، حتّى اشتدت عليهم الرائحة ، واحتال بعض مواليهم فأدخل إليهم شيئاً من الغالية ، فكانوا يدفعون بشمّها الروائح الكريهة ، ولكنّها لم تكن تجدي شيئاً ، فقد ورمت أقدامهم وسرى الورم إلى قلوبهم ، فمات أكثرهم ، وأمر الطاغية بهدم السجن على من بقي منهم ،

---

(١) تاريخ الأمم والملوك : ٦ : ٣٩٨ .

(٢) مقاتل الطالبيّين : ٢٤٣ .

فمات أكثرهم ، وفيهم عبدالله بن الحسن[١].

ففي ذمّة الله ما عاناه هؤلاء السادة من صنوف التعذيب والتنكيل من هذا الرجس الخبيث ، الذي لم تعرف البشريّة له نظيراً في لؤمه وخساسة طبعه ، وتجرّده من جميع الأعراف والقيم الإنسانيّة .

لقد تركت مأساة هؤلاء السادة موجات من السخط على بني العبّاس ، وقد اندفع أبو فراس الحمداني بعد أحقاب من السنين يهجو العبّاسيّين على هذه الجريمة النكراء التي اقترفها جدّهم المنصور . يقول :

بِئسَ الجزاءُ جَزَيتُمْ في بَنِي حَسَنٍ ... أباهُمُ العَلَمَ الهادِي وَأُمَّهُمُ
لا بيعةٌ ردَعَتْكُمْ عَنْ دِمائِهِمُ ... ولا يَمِينٌ ولا قُربىٰ ولا ذِمَمُ
هلّا صَفَحْتُمْ عَنِ الأَسْرىٰ بِلا سَبَبٍ ... لِلصافِحينَ بِبَدْرٍ عن أَسِيرِكُمُ
هَلّا كَفَفْتُمْ عَنِ الدِّيباجِ سوطَكُمُ ... وعَنْ بَناتِ رَسُولِ اللهِ شَتمَكُمُ
ما نُزِّهَتْ لِرسولِ اللهِ مُهجَتُهُ ... عَنِ السِّياطِ فَهلّا نُزِّهَ الحَرَمُ
ما نالَ مِنهُمْ بَنو حَرْبٍ وإنْ عَظُمَتْ ... تِلكَ الجَرائِرُ إلّا دونَ نَيْلِكُمُ
كم غَدْرةٍ لَكُمُ في الدِّينِ واضِحَةٍ ... وكَمْ دَمٍ لِرَسولِ اللهِ عِنْدَكُمُ
أَنْتُمْ لَهُ شِيعةٌ فِيما تَرَوْنَ وفي ... أَظفارِكُم مِنْ بَنيهِ الطّاهِرِينَ دَمُ
هَيهاتَ لا قُرِّبَتْ قُربىٰ ولا رَحِمٌ ... يَوماً إذا أَقْصَتِ الأخلاقُ والشِّيَمُ
كانَتْ مَوَدَّةُ سَلْمانٍ لَهُ رَحِماً ... ولَمْ يَكُنْ بينَ نُوحٍ وابْنِهِ رَحِمُ[٢]

لقد قطع العبّاسيّون أواصر الرحم والقربى ، وتنكّروا للمعروف الذي أسداه

---

(١) مروج الذهب : ٣: ٢٢٥.

(٢) موسوعة الغدير : ٣: ٢٣٨.

رسول الله ﷺ على جدّهم العبّاس ، فقد أراقوا دماء أبناء النبيّ ﷺ ، وأنـزلوا بـهم أقسى العقوبات ، وبذلك فقد انفصمت عرى القربى بـين العـلويّين والعـبّاسيّين ، وأصبحت الأُسرة العبّاسيّة كالأُسرة الأمويّة في عدائها لأهل البيت ، بل إنّ الأُسرة الأمويّة أشرف وأجلّ من الأُسرة العبّاسيّة التي طـلّقت المـعروف ، وابـتعدت عـن جميع القيم والمبادئ والأخلاق .

مصادرة أموال العلويّين

وحينما اعتقل الدوانيقي العلويّين وأودعهم في زنـزانـات السـجون ، عـهد إلى عامله في يثرب بمصادرة جميع أموالهم ورقيقهم[١] ،كما صادر جميع أموال الإمام الصادق عليه‌السلام ، ولمّا هلك المنصور أرجعها المهدي إلى الإمام موسى الكاظم عليه‌السلام[٢] .

ثورة الزكيّ محمّد

أمّا محمّد بن عبدالله بن الحسن فكان من أجلّاء السادة ، ومن مفاخر العلويّين ، وكان يتمتّع بجميع صفات الشرف والفضل من العلم والفقه والشجاعة والسـخاء ، فقد جمع في برديه كلّ فضل موروث ومكسوب ، وقد لقّب بذي النـفس الزكـيّة ، وصريح قريش ، لأنّه لم يجيء من أمّ ولد في جميع آبائه وأُمّهاته ، بل جاء خالصاً نقيّاً من الأُسرة العريقة في الشرف والمجد ، وقد سمّاه الناس بالمهدي الذي بشّـر بـه الرسول الأعظم ﷺ[٣] ، وفي ذلك يقول الشاعر :

إنّـــا لَـــنَرْجُو أَنْ يكـونَ مُـحَمَّدٌ ... إمـاماً بـهِ يَـحْيا الكِـتابُ المُـنَزَّلُ

---

(١) البداية والنهاية : ١٠ : ٨١.

(٢) حياة الإمام موسى بن جعفر عليهما‌السلام : ١ : ٣٩٩.

(٣) غاية الاختصار : ١٢.

بِـهِ يَـصْلُحُ الإسلامُ بَعْدَ فَسادِهِ وَيَـحْيا يَـتِيمٌ بـائِسٌ وَمُـعَوِّلُ
وَيَـملأُ عَـدْلاً أَرْضَـنا بَـعدَ مَلْئِها ضَلالاً ويَـأتِينا الذي كُـنتُ آمُـلُ [١]

ويقول الرواة : إنّه كان يشبه جدّه الرسول ﷺ في خلقه وأخلاقه ، واعتقد أهل المدينة أنّه لو جاز أن يبعث الله نبياً بعد محمّد ﷺ لكان هو[٢] ، وكشف ذلك عمّا يتمتّع به هذا السيّد العظيم من المبادئ الكريمة والمثل العليا وسموّ الذات .

وقد رشّح هذا السيّد الزكي بإجماع الهاشميّين ، وكان المنصور الدوانيقي يسير بخدمته ، ويسوّي عليه ثيابه ، ويمسك له دابّته تقرّباً إليه ،كما بايعه مع أخيه السفّاح مرّتين ، وبعد اختلاس العبّاسيّين للحكم ، واستبدادهم بالأمر تألّم محمّد كأشدّ ما يكون التألّم ، وأخذ يدعو الناس إلى نفسه ، فاستجابت لدعوته الجماهير ، وظلّ مختفياً مع أخيه إبراهيم ، ودعاتهم تجوب الأقطار الإسلاميّة وهي تدعو المسلمين إلى بيعة محمّد ، ورفض حكومة المنصور ، فاستجابت له الأقطار بعدما عرف الناس خبث المنصور ولؤمه وبخله وخساسة طبعه .

وكان عبدالله بن الحسن يمجّد ولديه ، ويدعوهما إلى النضال ضدّ حكومة المنصور قائلاً: « إن منعكما أبو جعفر أن تعيشا كريمين ، فلا يمنعكما أن تموتا كريمين »[٣] .

إعلان الثورة

ولمّا انتهت الأنباء المحزنة بشهادة عبدالله وسائر السادة الممجّدين ، وما حلّ بهم من صنوف التعذيب صمّم محمّد مع أخيه إبراهيم على إعلان الثورة في يوم

---

(١) مقاتل الطالبيّين : ٢٤٣.

(٢) شذرات الذهب : ١ : ٢١٣.

(٣) مقاتل الطالبيّين : ٢٤٣.

مخصوص ، فأعلن محمّد الأمر في يثرب في الوقت المقرّر له ، وانبرى الناس على اختلاف طبقاتهم إلى مبايعته خصوصاً الفقهاء ، وقد استبشروا ببيعته ، وقام جيشه باحتلال الدوائر الرسميّة ، والاستيلاء على بيت المال ، وحينما انتشر الأمر سارعت أهالي اليمن ومكّة إلى بيعته ، وقد عمّت الأفراح والمسرّات ، وانطلقت الجموع الحاشدة في يثرب تعرب له عن طاعتها وولائها له ، وقد قام فيهم خطيباً فقال بعد البسملة والصلاة على النبيّ وآله :

« أمّا بعد ـ أيّها الناس ـ فإنّه كان من أمر هذا الطاغية عدوّ الله أبي جعفر ما لم يخف عليكم من بنائه القبّة الخضراء التي بناها معانداً لله في ملكه ، تصغيراً للكعبة الحرام ، وإنّما أخذ الله فرعون حين قال : أنا ربّكم الأعلى ، وأنّ أحقّ الناس بالقيام بهذا الدين أبناء المهاجرين والأنصار المواسين.

اللّهمّ إنّهم قد أحلّوا حرامك ، وحرّموا حلالك ، وآمنوا من أخفت ، وأخافوا من آمنت ، اللّهمّ فأحصهم عدداً ، واقتلهم بدداً ، ولا تغادر منهم أحداً.

أيّها الناس ، إنّي والله ما خرجت من بين أظهركم وأنتم عندي لا أهل قوّة ولا شدّة ، ولكن اخترتكم لنفسي ، والله ما جئت هذه وفي الأرض مصر يعبد الله فيه إلّا وقد أخذ لي البيعة فيه »[١].

وحكى هذا الخطاب عمّا اقترفه المنصور الدوانيقي من الجرائم والموبقات ، التي كان منها ما يلي :

١ ـ بناؤه للقبّة الخضراء استهانة منه بالكعبة المشرّفة ، وقد عدّها المؤرّخون من جرائمه وإلحاده.

٢ ـ إنّ المنصور قد حلّل جميع ما حرّم الله ، وحرّم ما حلّله الله ، وقد آمن

---

(١) تاريخ الأمم والملوك : ٦ : ٢٩١.

من أخافه الله من اللصوص والمجرمين، كما أخاف من آمنه الله من الأخيار والمتحرّجين في دينهم.

٣ ـ إنّ البيعة للسيّد الجليل ذي النفس الزكيّة كانت عامّة وشاملة، فقد أخذت له من جميع الأقاليم الإسلاميّة.

وعلى أيّة حال، فإنّ المنصور حينما وافته الأنباء بثورة محمّد، وجّه جيشاً لقتاله يقدّر بأربعة آلاف فارس، وجعل قيادته العامّة إلى وليّ عهده عيسى بن موسى، وسارت الجيوش لمحاربة الثائر العظيم الذي أراد أن ينقذ العالم الإسلامي من ويلات الحكم الجائر، ويعيد بين المسلمين سياسة الرسول صلى الله عليه وآله وحكم القرآن.

ولمّا انتهت جيوش المنصور إلى يثرب بثّ محمّد جيوشه في الأزقّة والشوارع، وقبل أن تندلع نار الحرب قام خطيباً في جيشه وأصحابه فقال:

«إنّا قد جمعناكم للقتال، وأخذنا عليكم المناقب، وإنّ هذا العدوّ منكم قريب، وهو في عدد كثير، والنصر من الله، والأمر بيده، وإنّه قد بدا لي أن آذن لكم، وأُفرّج عنكم المناقب، فمن أحبّ أن يقيم أقام، ومن أحبّ أن يضعن ضعن».

وكان هذا الخطاب خطاب مخذول لا وثوق له، ولا أمل له بالنصر، ولم يحثّ أصحابه على الخوض في الحرب، ولم يستعمل معهم أي من ألوان الخداع والتضليل، وإنّما أذن لهم في التفرّق عنه نظراً لضخامة جيش العدوّ، وهذا من المواقف النبيلة التي لا يقفها إلّا العلويّون دعاة الفضيلة والشرف في الأرض.

ولمّا سمع خطابه الانتهازيّون وذوو الأطماع تفرّقوا، وبقي في الصفوة من أصحابه[١].

وخفّ إليه عبدالله بن جعفر المعروف بالأفطح، فقال له: بأبي أنت وأُمّي،

(١) حياة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام: ١: ٤٠٢.

إنّه والله ما لك بما رأيت طاقة ، وما معك أحد يصدق القتال ، فاخرج الساعة حتّى تلحق بالحسن بن معاوية بمكّة ، فإنّ معه جلّة أصحابك » .

فأجابه محمّد بما انطوت عليه نفسه الكبيرة من الشرف والنبل قائلاً : يا أبا جعفر ، والله لو خرجت لقتل أهل المدينة والله لا أرجع حتّى أقتل أو أُقتل ، وأنت منّي في سعة ، فاذهب حيث شئت[1] .

إنّ السيّد المعظّم لو ترك يثرب لاحتلّها جيش المنصور ، ومن المؤكّد أنّه سيقابل المدنيّين بمنتهى القسوة ، ويفعل كما فعل نظيره مسلم بن عقبة في المدنيّين ، فإنّه من المؤكّد أنّ المنصور أخسّ من مسلم وألأم منه . لقد رأى هذا العلويّ أن يقيم في يثرب ويضحّي بنفسه في سبيل أمن الناس وسلامتهم .

واندلعت نار الحرب بين الفريقين ، وبعد صراع رهيب بين قوى الحقّ والبغي أُصيب القائد العظيم بجراح خطيرة فهوى إلى الأرض ، وبرك على ركبتيه ، فبادر إليه الوغد الأثيم حميد بن قحطبة لعنه الله وهو يصيح بالجند لا تقتلوه ، فكفّوا عنه ، فقام الوغد بنفسه ليبوء بالإثم والجريمة ، فاحتزّ رأس ابن رسول الله عليه السلام[2] ليقدّمه هديّة لسيّده الدوانيقي .

وانتهت بذلك صفحة مشرقة من صفحات الجهاد الإسلامي ، وانطوت أعظم حركة إصلاحيّة في العالم العربي والإسلامي كانت تهدف إلى نشر العدل وسيادة الأمن والرخاء بين الناس ، وقد تحطّمت آمال الأحرار ، فقد فقدوا قائدهم العظيم الذي كان مناراً لهم في طريق النضال والجهاد .

---

(١) تاريخ الأمم والملوك : ٦ : ٢١٥ .

(٢) مقاتل الطالبيّين : ٢٣٨ .

ثورة الزكيّ إبراهيم

أمّا الزعيم إبراهيم بن عبدالله فهو من أعلام الثائرين في الإسلام، وكان يتمتّع بسموّ الأدب، وحسن الأخلاق، وقد أُترعت نفسه بالإيمان بحقّ الأمّة، فانطلق إلى ميادين الجهاد لينقذها من العبوديّة والذلّ، ويحقّق في رحابها عدل الإسلام وحكم القرآن.

ومن أبرز صفاته أنّه كان حديدي الإرادة، لا يلين ولا يخضع لعوامل الارهاب والخوف، كما كان يقظاً حسّاساً، طلبه المنصور أشدّ الطلب، وبثّ عليه العيون والجواسيس، وقد استطاع أن يجلس على موائد المنصور من دون أن يشعر به، وقد أعلن ذلك بقوله: «اضطرّني الطلب بالموصل حتّى جلست على موائد المنصور، وقد قدم إليها يطلبني، فلفظتني الأرض، فجعلت لا أجد مساغاً، ووضع الطلب والمراصد، ودعا الناس إلى غذائه، فدخلت فيمن دخل، وأكلت فيمن أكل، ثمّ خرجت وقد كفّ الطلب».

وفي هذا الإقدام دليل على شجاعته، وقوّة بأسه، فلم يفكّر بالهزيمة، ولم يستسلم للأحداث، ومن قوّة بأسه أنّ الأنباء المحزنة بمقتل أخيه قد وافته وهو يخطب على المنبر، فجعل يتمثّل بهذه الأبيات:

أَبا الفَوارِسِ يا خيرَ الفَوارِسِ مَنْ ... يُفْجَعْ بِمِثْلِكَ في الدُّنْيا فَقَدْ فُجِعا
اللهُ يَعلمُ أَنّي لو خَشيتُهُمُ ... وَأَوْجسَ القلبُ مِنْ خَوفٍ لَهُم فَزَعا
لم يَقتلُوهُ ولم أُسْلِمْ أَخي لَهُمُ[١] ... حَتّى نَموتَ جَميعاً أَو نَعيشَ مَعاً

وتبلورت دموعه على سحنات وجهه، وأخذ يؤبّن الفقيد العظيم، ويصوغ من

---

(١) في رواية: «ولم يسلم أخي».

حزنه كلمات قائلاً: « اللّهمّ إنّك تعلم أنّ محمّداً إنّما خرج غضباً لك ، ونفياً لهذه المُسَوِّدة ، وإيثاراً لحقّك ، فارحمه ، واغفر له ، واجعل الآخرة خير مردّ له ، ومنقلب من الدنيا »(١).

ورثى أخاه بهذه الأبيات :

سَأَبكِيكَ بِالبِيضِ الرِّقاقِ وَبِالقَنا ... فَإنَّ بِها ما يُدرِكُ الطّالِبُ الوِتْرا
وَإنّا أُناسٌ لا تَفيضُ دُموعُنا ... على هالِكٍ مِنّا ولَوْ قَصَمَ الظَّهْرا
وَلَسْتُ كَمَنْ يَبْكي أخاهُ بِعَبرةٍ ... يُعَصِّرُها مِنْ ماءِ مُقْلَتِهِ عَصْرا
ولكِنْ أُرَوّي النَّفْسَ مِنّي بِغارةٍ ... تَلَهَّبُ في قُطْرَي كِتابَتِها جَمْرا(٢)

لقد تمثّلت البطولة بما لها من معنى مشرق بهذه الأبيات التي حكت تصميمه على الكفاح والنضال ، وأنّ مقتل أخيه لم يوهن عزمه ، وإنّما زاده إيماناً وتصميماً على مواصلة الجهاد ضدّ الظالمين.

وأعلن إبراهيم في البصرة ثورته الكبرى على المنصور فاستجاب له المسلمون ، وانضمّوا إلى دعوته ، وكان والي البصرة سفيان بن معاوية من المؤيّدين له ، وكان على اتّصال دائم معه ، يطلع إبراهيم على كلّ ما جدّ للمنصور من رأي ، وساعده في كثير من شؤون الثورة.

فاحتلّ إبراهيم البصرة ، ووجّه دعاته إلى الأهواز وفارس وواسط والمدائن ، فاستجابت هذه الأقطار وبايعته ، وخفق علم الدولة العلويّة عليها ، وتوالت أنباء الثورة العارمة على المنصور ، ففزع الجبان وجزع جزعاً شديداً ، ودخل عليه الحجّاج بن قتيبة فجعل ينكث الأرض بمخصرته وينشد :

---

(١) مقاتل الطالبيّين: ٢٩٤.

(٢) عمدة الطالب: ١٠٤ و ١٠٥.

وَنَصَبْتُ نَفسِي لِلرِّماحِ دَرِيئَةً ... إنَّ الرَّئيسَ لِمِثلِ ذاكَ فَعُولُ[١]

فقال له الحجّاج: أدام الله عزّك، ونصرك على عدوّك، أنت كما قال الأعشى:

وإنْ حَرْبُهُمْ أُوقِدَتْ بَينَهُم ... فَحَرَّتْ لَهُمْ بَعْدَ إبْرادِها

وُجِدتُ صَبوراً على حَرِّها ... وكَرِّ الحُروبِ وتَردادِها

فقال المنصور: يا حجّاج، إنّ إبراهيم قد عرف وعورة جانبي، وصعوبة ناحيتي، وخشونة قرني، وإنّما جرّأه على المسير إليَّ من البصرة اجتماع هذه الكور المطلّة على عسكر أمير المؤمنين، وأهل السواد معه على الخلاف والمعصية، وقد رميت كلّ كورة بحجرها، وكلّ ناحية بسهمها، ووجهت إليهم الشهم النجد الميمون المظفّر عيسى بن موسى في كثيراً من العدد والعدّة، واستعنت بالله عليه، واستكفيته إيّاه، فإنّه لا حول ولا قوّة لأمير المؤمنين إلّا بالله[٢].

ويلمس في هذا الكلام مدى خوفه وفزعه من إبراهيم، فقد اعترف بأنّ أهل السواد معه، وهم الأكثريّة الساحقة في ذلك المجتمع.

ولمّا توفّرت لإبراهيم الجيوش المزوّدة بالعدد والعدّة عزم على المسير لحرب المنصور، وأشار عليه أهل الرأي من أصحابه أن يقيم في البصرة، ويرسل الجنود، فإذا منوا بالهزيمة أمدّهم بغيرهم، وكان هذا الرأي وثيقاً للغاية، ولو استجاب له لتغلّب على الأحداث، وتمّ له النصر، ولكنّ الله غالب على أمره، فقد استجاب لقوم من أصحابه فقالوا له: إنّ بالكوفة أقواماً لو رأوك ماتوا دونك، وإن لم يروك قعدت بهم أسباب شتّى، وتوجّه مع جيشه لحرب المنصور.

ووجّه المنصور لحرب إبراهيم جيشاً بلغ عدده خمسة عشر ألفاً، وجعل قيادته

---

(١) الكامل في التاريخ: ٥: ٥٦٦. تاريخ الأمم والملوك: ٦: ١٦١.

(٢) تاريخ الأمم والملوك: ٦: ١٦١.

العامّة إلى وليّ عهده عيسى بن موسى ، وأسند عيسى مقدّمة جيشه إلى المجرم الأثيم حميد بن قحطبة ، وسار إبراهيم بجيشه يطوي البيداء لا يلوي على شيء ، وسمع وهو ينشد :

أُمــورٌ لَــوْ يُــدَبِّرُها حَــليمٌ ... إذا النَهى وَهَيَّبَ ما اسْتَطاعا
وَمَـعصيةُ الشَّفيقِ عَـليكَ مِـمّا ... يَــزيدُكَ مَـرّةً مِـنْهُ اسْـتِماعا
وخيرُ الأمـرِ مـا استقبَلْتَ مِـنهُ ... وَلَــيسَ بِــأَنْ تَـتَبَّعْهُ اتِّــباعا
ولكِــنَّ الأَدِيــمَ إذا تَــفَرَّى ... بَلىً وَتَـعَيُّباً غَـلَبَ الصَّـناعا (١)

وكشف هذا الشعر عن ندمه على مسيره ، قد استبان له أنّه لو بقي بالبصرة لكان خيراً له ، وتوجّه إلى باخمرى ، ولم يتّجه إلى الكوفة مخافة أن تستباح فيها الأعراض .

واندلعت نار الحرب بين الفريقين ، فانهزم جيش المنصور شرّ هزيمة حتّى انتهت طلائع الهزيمة إلى الكوفة ، ووجل المنصور ورام الجبان الهزيمة ، وجعل يقول للربيع : أين قول صادقهم ؟ وكيف لم ينلها أبناؤها ، فأين إمارة الصبيان ؟

لقد عرض بذلك إلى ما أخبر به الإمام الصادق عليه‌السلام من فوز العبّاسيّين بالحكم ، وحوصر المنصور ، وأمر بجعل الإبل والدواب على جميع أبواب الكوفة ليهرب عليها ، ومن المصادفات الغريبة أنّ جيوش المنصور كرّت راجعة بعد هزيمتها بسبب نهر لقيها ، فلم تقدر على اجتيازه ، وكان جيش إبراهيم قد مخروا في الماء ليكون قتالهم من وجه واحد ، فلمّا انهزموا منعهم الماء من الفرار ، وثبت إبراهيم في نفر من أصحابه فقاتلهم حميد بن قحطبة ، وجعل يرسل بالرؤوس إلى عيسى ، وأصاب سهم غادر إبراهيم فوقع في حلقه ، فتنحّى عن موقعه ، وقال لأصحابه : انزلوني ،

---

(١) تاريخ الأمم والملوك : ٦ : ٢٥٨ . الكامل في التاريخ : ٥ : ٥٦٧ .

فأنزلوه عن مركبه وهو يقول : وكان أمر الله قدراً مقدوراً ، أردنا أمراً وأراد الله غيره .

واجتمع عليه أصحابه يحمونه ويقاتلون دونه ، فقال حميد بن قحطبة : شدّوا على تلك الجماعة حتّى تزيلوهم عن موضعهم ، وتعلموا ما اجتمعوا عليه ، فشدّوا عليهم يقاتلونهم حتّى أفرجوهم عن القائد العظيم إبراهيم ، وعمدوا فاحتزّوا رأسه الشريف ، فجاءوا به يركضون إلى عيسى ، فلمّا رآه سجد لله شكراً ، وبعث به هديّة إلى سيّده المنصور(١) .

وبذلك فقد انطوت أعظم ثورة إصلاحيّة كانت تهدف إلى إشاعة العدل والمساواة والحقّ بين الناس ، والقضاء على الجور والبغي في الأرض .

ولمّا انتهى مقتل الشهيد العظيم إلى المنصور الخبيث اللئيم كاد أن يطير فرحاً ، فقد صفا له الملك ، وتحقّقت آماله وأمانيه ، وكان بين يديه طعام قد استطابه ، فقال لمن حوله : أراد إبراهيم أن يحرمني هذا وأشباهه(٢) .

إنّ ثورة إبراهيم القائد الملهم لم تكن بأي حال من الأحوال من أجل متع الحياة ورغباتها ، وإنّما استهدفت إبادة الظلم ، والقضاء على الجور المتمثّل في حكومة المنصور التي أماتت العدل ، وأحيت الباطل ، والتي كانت امتداداً للحكم الأموي الجائر .

إنّ ثورة البطل الشهم إبراهيم كانت من أجل توزيع خيرات الله على البؤساء والمحرومين ، وتطبيق أحكام القرآن العظيم على واقع الحياة العامّة بين الناس . والتفت المنصور الدوانيقي وهو جذلان مسرور بإبادته لأبناء رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لحضّار مجلسه : « تالله ما رأيت أنصح من الحجّاج لبني مروان » .

فانبرى إليه المسيّب بن زهرة الضبيّ يظهر له أنّهم أطاعوه وأخلصوا له أكثر

---

(١) الكامل في التاريخ : ٥ : ١٩ .

(٢) مروج الذهب : ٣ : ٢٢٤ .

من إطاعة الحجّاج وإخلاصه لأسياده الأمويّين قائلاً: يا أمير المؤمنين، ما سبقنا الحجّاج لأمر فتخلّفنا عنه، والله ما خلق الله على جديد الأرض أعزّ علينا من نبيّنا ﷺ، وقد أمرتنا بقتل أولاده فأطعناك وفعلنا، فهل نصحناك؟

فلذع قوله المنصور، وكان كالصاعقة عليه، فصاح به: اجلس لا جلست[١].

واستتبّت الأمور للمنصور، وصفا له الملك بعد إبادته وقضائه على ثورة العلويّين، وأخذ الطاغية يجدّ في التنكيل بمن بقي منهم، ويعمل على تصفيتهم جسديّاً.

ونعرض إلى بعض ما لاقوه من صنوف التعذيب والارهاق:

وضع العلويّين في الاسطوانات

ولمّا خمدت ثورة السادة الأزكياء جعل المنصور يطلب من بقي منهم طلباً حثيثاً، فمن يظفر به جعله في الاسطوانات المجوّفة المبنيّة من الجصّ والآجر، ويبني عليه وهو حيّ، وقد ظفر بغلام من ولد الحسن، وكان حسن الوجه، فسلّمه إلى البنّاء وأمر أن يجعله في جوف الاسطوانة ويبني عليه، ووكلّ به شخصاً من ثقاته يرعى ذلك، فجعله في البناء، وقد رقّ عليه فترك له في الاسطوانة منفذاً يدخل منه الهواء، وقال للغلام: لا بأس عليك، فاصبر، فإنّي سأُخرجك من جوف هذه الاسطوانة إذا جنّ الليل.

ولمّا جنّ الليل جاء البنّاء فأخرج العلوي، وقال له: اتّق الله في دمي، ودم العمالة الذين معي، وغيّب شخصك، فإنّي إنّما أخرجتك في ظلمة هذه الليله لأنّي خفت أن يكون جدّك رسول الله ﷺ يوم القيامة خصمي بين يدي الله، وأكّد عليه أن يواري نفسه، فطلب منه الغلام أن يعرّف أُمّه بذلك لتطيب نفسها، ويقلّ جزعها، وهرب

---

(١) مروج الذهب: ٣: ٢٢٤.

الغلام، ولا يعلم في أي أرض أقام، وانتهى البنّاء إلى الدار التي عيّنها العلوي له، فسمع دويّاً كدويّ النحل من كثرة البكاء، فعرف أنّها أمّه، فأسرّها بخبر ولدها، وانصرف عنها (١).

خزانة رؤوس العلويّين

أمّا حديث الخزانة فهو مليء بالأسى والشجون، فقد ملأها برؤوس السادة العلويّين، شيوخاً وكهولاً، وشباباً وأطفالاً، وأوصى ريطة زوج المهدي أن لا يفتحها المهدي إلّا بعد هلاكه، وقد دوّنها الطبري، فقال:

«لمّا عزم المنصور على الحجّ دعا ريطة بنت أبي العبّاس امرأة المهدي، وكان المهدي بالريّ قبل شخوص أبي جعفر، فأوصاها بما أراد، وعهد إليها، ودفع إليها مفاتيح الخزائن، وتقدّم إليها وأحلفها ووكّد الأيمان أن لا تفتح بعض تلك الخزائن، ولا تُطلع عليها أحداً إلّا المهدي، وليس معهما أحد حتّى يفتحا الخزانة.

فلمّا قدم المهدي من الريّ إلى مدينة السلام دفعت إليه المفاتيح وأخبرته عن المنصور أنّه تقدّم إليها فيه ألّا يفتحه ولا يُطلع عليها أحداً حتّى يصحّ عندها موته.

فلمّا انتهى إلى المهدي موت المنصور وولي الخلافة فتح الباب ومعه ريطة، فإذا أزج كبير فيه جماعة من قتلى الطالبيّين، وفي آذانهم رقاع فيها أنسابهم، وإذا فيهم أطفال ورجال شباب ومشايخ عدّة كثيرة.

فلمّا رأى ذلك المهدي ارتاع لما رأى، وأمر فحفرت لهم حفيرة فدفنوا فيها، وعمل فوقها دكّاناً» (٢).

وممّا لا شبهة فيه أنّه لا يقترف مثل هذه الجرائم إلّا من خلع عن نفسه الإيمان

---

(١) بحار الأنوار: ٤٧: ٣٠٦ و ٣٠٧. عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١: ١١١.

(٢) تاريخ الأمم والملوك: ٦: ٣٤٣ و ٣٤٤.

بالله واليوم الآخر ، وأنّ جميع ما ارتكبه المنصور من الموبقات تدلّ على كفره وإلحاده ومروقه من الدين .

وعلى أيّ حال ، لقد احتفظ المنصور بتلك الخزانة التي ملأها برؤوس السادة من أبناء رسول الله ﷺ ، وقد ادّخرها ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون يوم يعضّ الظالم على يديه .

استرحام العلويّين

وأخذ السادة أبناء رسول الله ﷺ يسترحمون هذا الطاغية ليعفو عنهم ، ويصفح عن قتلهم وسجنهم ، ولكنّ ذلك الضمير المتحجّر الذي ران عليه الباطل لم يتحرّك ، ولم يصفح عنهم .

فقد روى المؤرّخون أنّه توجّه إلى بيت الله الحرام ، وبينما هو يسير في موكبه وإذا بالسيّدة الزكيّة ابنة عبدالله بن الحسن ، فأوقفت موكبه ، وتلت هذه الأبيات الرقيقة :

ارحَمْ صِغارَ بَني يَزيدِ إنَّهُمْ ... يُتِموا لِفَقدِكَ لا لِفقدِ يَزيدِ
وارحَمْ كَبيراً سِنُّهُ مُتَهَدِّماً ... في السِّجنِ بَينَ سَلاسِلَ وَقُيودِ
ولَئِنْ أخذْتَ بِجُرمِنا وجَزَيتَنا ... لَنُقتَّلَنَّ بِهِ بِكُلِّ صَعِيدِ
إنْ جُدْتَ بِالرَّحِمِ الْقريبَةِ بينَنا ... ما جَدُّكُم مِنْ جَدِّنا بِبَعيدِ(١)

ولم يتحرّك ضميره العفن بهذا الاستعطاف ، فأجابها : « اذكرتنيه يا بنت عبدالله » .

---

(١) جاء في تذكرة الخواصّ : ٢٣٠ : « أنّ قول فاطمة بنت عبدالله : وارحم صغار بني يزيد، إنّما وقع من فلتات لسانها، إذ لم يكن لعبدالله بن الحسن ابن اسمه يزيد، ولا يعرف في آل أبي طالب من اسمه يزيد، إلّا يزيد بن معاوية بن عبدالله بن جعفر، وقد أنكر عليه بنو هاشم وهجروه لأجل ما سمّي به ».

ثمّ أمر به فأُهدر في المطبق، فلفظ أنفاسه الأخيرة فيه[١].

وقد أمر الطاغية بإلقاء القبض على العلويّ العبّاس بن الحسن، وكان واقفاً على الباب، وأُمّه تراقبه وقلبها كجناح الطير من شدّة الخوف عليه، فأخذته الشرطة، وسرت السيّدة أُمّه خلفه وطلبت منهم أن تشمّ ولدها وتودّعه، فجابهتها شرطة المنصور بكلّ شدّة وغلظة[٢]، وساقته إلى زنزانات السجون، ثمّ إلى القبور.

ففي ذمّة الله ما عاناه السادة العلويّين الممجّدون من صنوف البلاء والخطوب من هذا الإنسان الممسوخ، الذي محيت من نفسه جميع صفات الفضيلة والشرف، والذي جهد على إبادة عترة النبيّ صلى الله عليه وآله وتصفيتهم جسديّاً لتخلو الأرض من نسل آل محمّد صلى الله عليه وآله، ليصفو له الملك ومن بعده لأبنائه البغاة اللئام الذين نهجوا نهجه في ظلم العلويّين والتنكيل بهم.

النيل من الإمام عليّ عليه السلام

ولمّا قتل الطاغية السفّاك الدوانيقي السيّدين الزكيّين محمّداً وإبراهيم، وجّه أحد عملائه وهو شيبة إلى الموسم لينال من رائد العدالة الاجتماعيّة، وإمام المتّقين، أمير المؤمنين عليه السلام وأبنائه السادة العظام، كما فعل أسياده الأمويّون من قبل، وصعد الباغي شيبة على المنبر، وكان الإمام الصادق عليه السلام حاضراً، فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: «إنّ عليّ بن أبي طالب شقّ عصا المسلمين، وخالف أمير المؤمنين، وأراد هذا الأمر -أي الخلافة- لنفسه، فأخّر الله أُمنيته، وأماته بغيظه، ثمّ هؤلاء -يعني السادة من أبناء الإمام أمير المؤمنين عليه السلام- يقتلون، وبالدماء يحصون».

ولم يزد على هذه الكلمات حتّى انبرى إليه الإمام الصادق عليه السلام فقال: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ**

---

(١) حياة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام: ١: ٤١١.

(٢) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة: ١: ٤٣.

رَبِّ العالَمينَ ، وَنُصَلّي عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَأَنْبيائِهِ الْمُرْسَلينَ ، أَمّا ما قُلْتَ مِنْ خَيْرٍ فَنَحْنُ أَهْلُهُ ، وَأَمّا ما قُلْتَ مِنْ شَرٍّ فَأَنْتَ بِهِ أَوْلىٰ ، وَصاحِبُكَ ـ يعني المنصور ـ **بِهِ أَحْرىٰ ، يا مَنْ رَكِبَ غَيْرَ راحِلَتِهِ ، وَأَكَلَ غَيْرَ زادِهِ ، ارْجِعْ مَأْزوراً** ».

ثمّ التفت الإمام عليه السلام إلى الناس فقال لهم : « **أُخْبِرُكُمْ بِأَبْخَسِ مِنْ ذلِكَ ميراثاً ، وَأَبْيَنِ مِنْهُ خُسْراناً : مَنْ باعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيا غَيْرِهِ ، وَهُوَ هذا** ـ وأشار إلى شيبة ـ » ، وتساءل الناس عن هذا الذي ردّ على شيبة فقيل لهم : إنّه الإمام جعفر الصادق عليه السلام[1] .

ومن الطبيعي أنّ الاستخبارات قد نقلت حديث الإمام الصادق عليه السلام إلى المنصور ، الأمر الذي أوغر صدره عليه ، فأخذ يتحيّن الفرص للانتقام منه .

موقف الإمام عليه السلام من المنصور

أمّا موقف الإمام الصادق عليه السلام من الطاغية السفّاك الدوانيقي ، فقد تميّز بالكراهية والبغض له ، وعدم الاعتراف بشرعيّة حكومته ، وذلك لما اقترفه من عظيم الجرائم والموبقات في حقّ العلويّين وغيرهم ، وقد حاول المنصور أن يكسب ودّه ، ويجعله من جملة بطانته وحاشيته ، فكتب إليه : « لِم لا تغشانا كما يغشانا سائر الناس ؟ » .

فأجابه الإمام عليه السلام بمنتهى الصراحة غير حافل بسلطانه : « **لَيْسَ لَنا ما نَخافُكَ مِنْ أَجْلِهِ ، وَلا عِنْدَكَ مِنْ أَمْرِ الْآخِرَةِ ما نَرْجوكَ لَهُ ، وَلا أَنْتَ في نِعْمَةٍ فَنُهَنّيكَ عَلَيْها ، وَلا تَراها نِقْمَةً فَنُعَزّيكَ ، فَما نَصْنَعُ عِنْدَكَ ؟** » .

لقد أجابه الإمام عليه السلام بالرفض الكامل لمزاملته ، والمجيء إليه ، وكان جوابه في منتهى الروعة والدقّة ، فإنّه عليه السلام لم يكن برجوازيّاً ـ كما في لغة العصر ـ حتّى يخاف على عماراته وأمواله من المصادرة اذا لم يأتِ لزيارته ، كما أنّ المنصور لم يكن من

---

(١) تيسير المطالب : ١١٣ .

روّاد الآخرة ولا من الذين يعملون الصالحات حتّى يزوره الإمام تقرّباً إلى الله تعالى .

وحاول المنصور أن يخدع الإمام عليه السلام فكتب إليه ثانياً : « إنّك تصحبنا لتنصحنا » .

ورفض الإمام عليه السلام طلبه ، وأجابه : « **مَنْ أَرادَ الدُّنْيا فَلا يَنْصَحُكَ ، وَمَنْ أَرادَ الآخِرَةَ فَلا يَصْحَبُكَ** » .

وحفل جواب الإمام عليه السلام بالحجّة القاطعة التي لا مجال للتشكيك فيها ، فإنّ من يريد الدنيا وزخرفها ، ويتّصل بالسلطة ، فإنّه لا ينكر عليها ما تقترفه من ظلم وجور ، وإنّما يكون مسدّداً لها حفاظاً على مصالحه وأغراضه الخاصّة ، وأمّا من يريد الآخرة فإنّه يهرب من الاتّصال بالسلطة خوفاً على دينه .

وبهر المنصور من جواب الإمام وراح يقول : « والله لقد ميّز عندي من يريد الدنيا ممّن يريد الآخرة ، وأنّه ممّن يريد الآخرة لا الدنيا »[(١)] .

لقد رفض الإمام عليه السلام التقرّب إلى المنصور ، وابتعد عنه كأشدّ ما يكون الابتعاد ، وكيف يلتقي سليل النبوّة بالمنصور الذي هو من أئمّة الظلم والجور في الأرض .

يقول المؤرّخون : إنّ المنصور سأل الإمام الصادق عليه السلام عن الذباب وقد وقع على وجهه ، فقال له : « يا أبا عبدالله ، لِمَ خلق الله الذباب ؟

فأجابه الإمام غير حافل بسلطانه قائلاً : **لِيُذِلَّ بِهِ الْجَبابِرَةَ** »[(٢)] .

وفزع المنصور من قول الإمام عليه السلام الذي أخرجه من قافلة ولاة العدل ، وألحقه بالجبابرة الطغاة .

لقد تميّز موقف الإمام الصادق عليه السلام بالشجب الكامل لحكومة المنصور ، وقد حرّم على شيعته الاشتراك بأي عمل إيجابي في جهاز حكومته ، بل في حكومة كلّ

---

(١) كشف الغمّة : ٢ : ٢٠٨ و ٢٠٩ ، نقلاً عن تذكرة ابن حمدون .

(٢) نور الأبصار : ١٤١ . كشف الغمّة : ٢ : ١٥٨ .

ظالم ، استمعوا ما يقوله الإمام عليه السلام :

١ ـ قال عليه السلام : « إِيّاكُمْ أَنْ يُخاصِمَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً إِلىٰ أَهْلِ الْجَوْرِ »(١) .

٢ ـ قال عليه السلام : « أَيُّما مُؤْمِنٍ قَدَّمَ مُؤْمِناً في خُصومَةٍ إِلىٰ قاضٍ أَوْ سُلْطانٍ جائِرٍ فَقَضىٰ عَلَيْهِ بِغَيْرِ حُكْمِ اللهِ فَقَدْ شَرِكَهُ في الإِثْمِ »(٢) .

٣ ـ قال عليه السلام : « أَيُّما رَجُلٍ كانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخٍ لَهُ مُماراةٌ في حَقٍّ فَدَعاهُ إِلىٰ رَجُلٍ مِنْ إِخْوانِكُمْ لِيَحْكُمْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ ، فَأَبىٰ إِلّا أَنْ يَرْفَعَهُ إِلىٰ هؤلاءِ كانَ بِمَنْزِلَةِ الَّذينَ قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فيهِمْ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ ﴾(٣) »(٤) .

٤ ـ قال عليه السلام : « العامِلُ بِالظُّلْمِ ، وَالْمُعينُ لَهُ ، وَالرّاضينَ بِهِ شُرَكاءُ ثَلاثَتُهُمْ »(٥) .

٥ ـ قال عليه السلام لعذافر : « بَلَغَني أَنَّكَ تُعامِلُ أَبا أَيُّوبَ وَالرَّبيعَ ، فَما حالُكَ إِذا نُودِيَ بِكَ في أَعْوانِ الظَّلَمَةِ »(٦) .

٦ ـ سأله رجل عن البناء للسلطة وكراية النهر لهم ، فأجابه عليه السلام : « ما أُحِبُّ أَنْ أَعْقِدَ لَهُمْ عُقْدَةً ، أَوْ وَكَيْتُ لَهُ وِكاءً ، وَلا مَدَّةً بِقَلَمٍ . إِنَّ أَعْوانَ الظَّلَمَةِ يَوْمَ الْقِيامَةِ في سُرادِقٍ مِنْ نارٍ حَتّىٰ يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَ الْعِبادِ »(٧) .

---

(١) دعائم الإسلام : ٢ : ٥٣٠ ، الحديث ١٨٨٥ . مستدرك الوسائل : ١٧ : ٢٤٠ .

(٢) فروع الكافي : ٧ : ٤١١ ، الحديث ١ . من لا يحضره الفقيه : ٣ : ٤ ، الحديث ٣٢١٩ .

(٣) النساء ٤ : ٦٠ .

(٤) فروع الكافي : ٧ : ٤١١ ، الحديث ٢ . من لا يحضره الفقيه : ٣ : ٤ ، الحديث ٣٢٢٠ .

(٥) أصول الكافي : ٢ : ٣٣٣ ، الحديث ١٦ . وسائل الشيعة : ١٦ : ٥٥ .

(٦) فروع الكافي : ٥ : ١٠٥ ، الحديث ١ . وسائل الشيعة : ١٧ : ١٧٨ .

(٧) فروع الكافي : ٥ : ١٠٧ ، الحديث ٧ . تهذيب الأحكام : ٦ : ٣٣١ ، الحديث ٩١٩ . وسائل الشيعة : ١٧ : ١٧٩ .

٧ ـ ونهى الإمام عليه السلام صاحبه وتلميذه يونس بن يعقوب عن معاونة السلطة العبّاسيّة حتّى على بناء المساجد.

٨ ـ جاءه مولى من موالي جدّه الإمام زين العابدين عليه السلام فقال له: جعلت فداك، لو كلّمت داود بن عليّ أو بعض هؤلاء فأدخل في بعض هذه الولايات؟

فقال عليه السلام له: «**ما كُنْتُ لأَفْعَلَ**، وانصرف الرجل إلى منزله وهو يطيل التأمّل والتفكير في سبب عدم توسّط الإمام في شأنه، فقال: ما أحسبه يمنعني إلّا مخافة أن أظلم أو أجور، والله لآتينّه ولأعطينّه الطلاق والعتاق والأيمان المغلّظة أن لا أظلم أحداً ولأعدلن.

قال: فأتيته فقلت: جعلت فداك، إنّي فكّرت في إبائك عليَّ، فظننت أنّك إنّما كرهت ذلك أن أجور أو أظلم، وأنّ كلّ امرأة لي طالق، وكلّ مملوك لي حرّ، وعليَّ وعليَّ.. إن ظلمت أحداً أو جرت عليه ولم أعدل.

فالتفت عليه السلام وقال له: **كَيْفَ قُلْتَ؟**

فأعدت عليه الأيمان، فرفع رأسه إلى السماء وقال: **تَناولُ السَّماءِ أَيْسَرُ عَلَيْكَ مِنْ ذلِكَ**»[١].

وكذا هذا الموقف المتشدّد من الإمام الصادق عليه السلام تجاه حكومة المنصور وغيرها من حكومات الظلم والجور مستوحى من روح الإسلام وجوهره الذي حرّم التعاون مع الظالمين، والاشتراك معهم بأي عمل من الأعمال. قال تعالى: ﴿**وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ**﴾[٢].

وعلّق المرحوم توفيق الفكيكي أحد أعلام القانون على موقف الإمام عليه السلام الرافض

---

(١) جواهر الكلام: ٢٢: ١٥٨، باب التجارة.

(٢) هود ١١: ١١٣.

للتعاون مع حكومة المنصور وغيرها من الحكومات الجائرة، قال: «إنّ الإمام عليه السلام قد سنّ قاعدة مشروعة للسياسة السلبيّة، وهي ما يسمّونها اليوم باللغة السياسيّة بالعصيان المدني، أو سياسة عدم التعاون مع حكومة أو دولة لا تحترم الحقوق، أو تسيء التصرّف، فتعبث بحرمة قانونيّة المعاهدات والمواثيق، أو تتحدّى قدسيّة الدساتير وحقوق الأُمّة المشروعة، إلى غير ذلك من وسائل الظلم، وذرائع الباطل التي تتوسّل بها الحكومات الغاشمة، والدول القويّة المستعمرة، وحكّام الاستبداد والفساد في سبيل الغايات الخبيثة الدنيئة.

فالإمام الصادق عليه السلام قد أوجب على الأفراد عدم التعاون مع ولاتهم الجائرين على اختلاف درجاتهم ومناصبهم من أعلاهم إلى أدناهم، وحرّم عليهم العمل والكسب معهم، وحذّر وأوعد الفاعل لذلك بالعذاب لارتكابه معصية كبيرة من الكبائر، لأنّ في بذل المعونة للوالي الجائر إماتة الحقّ كلّه، وإحياء الباطل كلّه، وفي تقويته إظهار الظلم والجور والفساد، وسحق السنن، وطمس الشرائع ـ والعياذ بالله ـ ولا نريد أن نكثر القول في شرف هذه القاعدة للسياسة السلبيّة، وفي فوائد حكمتها.

وهذه القاعدة الوحيدة الناجحة لعلل السياسة الفاسدة وأوبائها المهلكة، وليس للأحرار المصلحين في كلّ أُمّة قاعدة أُخرى يلجأون إليها في إكرام المستبدّين المستعبدين والمستهزئين بحقوق الأُمّة للخضوع إلى إجابة رغبات الشعب وتحقيقها، وتطبيق القوانين، وخدمة العدل، واحترام الحقّ إلّا من اتّباع هذه القاعدة المثاليّة في السياسة السلبيّة.

ولا يقوى على انتهاج هذه الخطّة القويمة إلّا أصحاب القلوب العامرة بقوّة الإيمان، وأرباب النفوس الملتهبة بحرارة العقيدة الصحيحة الصلبة، وأهل الصبر على تقديم القرابين الغالية أرواحهم الطاهرة في سبيل حريّات الرعيّة، وصيانة حقوقهم من جور الجائرين واعتسافهم.

فهل بعد هذا العلاج الشافي من علاج يستعمله الإمام الصادق عليه السلام لمداواة السياسة الأمويّة والعبّاسيّة المريضة في روحها ودماغها ؟ اللّهمّ لا ».

وعلى أيّ حال ، فقد اتّسم موقف الإمام الصادق عليه السلام مع حكومة المنصور وغيرها من حكومات الظلم والجور بالشدّة والصرامة ، وعدم التعاون معها بوجه من الوجوه ، فإنّ التعاون معها من أفظع المحرّمات في الإسلام .

موقف المنصور من الإمام عليه السلام

وأُترعت نفس المنصور الدوانيقي بالبغض والكراهية والعداء للإمام الصادق عليه السلام بالرغم من عدم اشتراك الإمام بالثورة الكبرى التي قادها السادة العلويّين ضدّ المنصور ، وعدم تشجيعه لها ، وكان المنصور على علم بذلك ، بل كان هناك ما هو أبعد من هذا ، وهو أنّ الإمام قد بشّره بالخلافة ، وتسلّمه لقيادة الحكم ، وعدم تماميّة الأمر إلى ذي النفس الزكيّة الذي بايعه المنصور ، وكان هذا كافياً لعدم تعرّضه للإمام بمكروه ، إلّا أنّه لم يعن بذلك ، فقد قابل الإمام بجميع صنوف الظلم والاضطهاد ، ولعلّ ذلك ـ فيما أحسب ـ يعود إلى ما يلي :

إنّ الإمام الصادق عليه السلام كان في عصره أعظم شخصيّة في مواهبه وعبقريّاته ، وهو الرائد الأوّل للحركة العلميّة ، وكان معظم المسلمين يدينون له بالولاء والمودّة ، كما ذهب الكثيرون إلى إمامته ، ولزوم طاعته ، فهو البقيّة الباقية من سلالة النبوّة التي هي مصدر الإشراق والنور في الأرض .

ومن الطبيعي أنّه ليس شيء أبغض ولا أشقّ على النفوس المريضة المنمّطة من أن تبصر ما هو فوقها تدين له الجماهير بالولاء والتعظيم .

لقد كان المنصور الدوانيقي يشعر بانحطاط نفسه التي خلت من كلّ نزعة شريفة ، وصفة فاضلة ، تؤهّله لهذا المنصب الخطير في الإسلام ، بالإضافة إلى أنّه من أُسرة

ليست لها مكانة مرموقة في الأوساط الإسلاميّة، فهي ليست كالأُسرة العلويّة الممجّدة التي جاهدت في سبيل الله كأعظم ما يكون الجهاد، ونافحت عن حقوق المظلومين والمضطهدين في الأرض، ولهذا أعلن حربه على العلويّين، وصفّى الكثيرين منهم.

الاجراءات القاسية

لقد دفع المنصور شحّه وحرصه على الملك إلى مقابلة الإمام عليه السلام بأعنف وأقسى ألوان الارهاق والتنكيل، والتي كان منها ما يلي:

١ ـ حرق دار الإمام عليه السلام

وأوعز الطاغية السفّاك إلى عامله على يثرب بحرق دار الإمام الصادق عليه السلام التي هي دار الحكمة ودار العلم والوعي في الإسلام، وأشعل الوالي النار في دار الإمام، فأسرع الإمام عليه السلام إلى إطفائها، وهو يقول: «**أَنا ابْنُ أَعْراقِ الثَّرىٰ، أَنا ابْنُ إِبْراهيمَ خَليلِ اللهِ**».

لقد كنت أيّها الإمام العظيم ابن سيّد الأنبياء محمّد صلى الله عليه وآله، وابن شيخ الأنبياء إبراهيم عليه السلام، الذي جعل الله له النار برداً وسلاماً، وبقي الإمام عليه السلام بعد إطفاء الحريق متألّماً حزيناً، وسئل عن عميق حزنه فأجاب إنّه تذكّر بلوعة عائلته لوعة عيال جدّه الإمام الحسين عليه السلام حينما عمد الطغاة المجرمون في كربلاء إلى حرق خيامهم.

٢ ـ حجبه عن الناس

وأصدر المنصور أوامره إلى شرطته بحجب الإمام عن أهل العلم وغيرهم لئلّا يذاع فضله، وينتهل العلماء من نمير علمه، وأحاطت الشرطة بدار الإمام، ومنعت الناس من الدخول عليه، وشقّ ذلك على الناس، خصوصاً الأخيار والمتحرّجون في

دينهم ، فقد امتحنوا امتحاناً عسيراً ، فقد بلغ الحال أنّ من يبتلي منهم في مسألة من نكاح أو طلاق فيمسك نفسه عن أهله لعدم علمه بما قنّن لها في الشرع الإسلامي .

وشقّ ذلك على شيعة الإمام عليه السلام حتّى ألقى الله تعالى في روع المنصور أن يسأل الإمام عليه السلام ليتحفه بشيء من عنده لا يكون لأحد مثله ، فبعث الإمام إليه بمخصرة كانت للنبيّ صلى الله عليه وآله طولها ذراع ، ففرح بها فرحاً شديداً ، وأمر أن تشقّ أربعة أرباع ، وقسّمها في أربعة مواضع ، ثمّ قال للإمام : ما جزاؤك عندي إلّا أن أطلق سراحك لتفشي علمك لشيعتك ، لا أتعرّض لك ولا لهم ، فاقعد غير محتشم وافتِ النّاس ، ولا تكون في بلد أنا فيه .

وأخذ الإمام عليه السلام بعد ذلك ينشر علمه بين المسلمين(١) .

٣ ـ اعتقال الإمام عليه السلام

وبعدما فشلت ثورة الشهيد الخالد محمّد ذي النفس الزكيّة ، وثورة أخيه البطل الفذّ إبراهيم ، صبّ الطاغية الدوانيقي جام غضبه على عموم العلويّين ، وأوعز إلى عامله على يثرب بإلقاء القبض على الإمام الصادق عليه السلام وعموم العلويّين حتّى من لم يبلغ الحلم منهم ، وحملهم إلى الكوفة ، فحملوا إليها ، فأقاموا فيها شهراً لم يؤذن لهم بالدخول عليه ، ثمّ خرج إليهم حاجبه الربيع فقال : أين هؤلاء العلويّة ليدخل على أمير المؤمنين رجلين منكم من ذوي الحجى ؟

فدخل عليه الإمام الصادق عليه السلام والحسن بن زيد ، ونظر المنصور بغضب إلى الإمام الصادق عليه السلام وقال له : أنت الذي تعلم الغيب ؟

فردّ عليه الإمام : **لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ** .

---

(١) سفينة البحار : ٢ : ٢٠ و ٢١ .

وانبرى المنصور وهو يتميّز من الغيظ فقال له : أنت الذي يجبى إليك الخراج ؟

فقال عليه السلام له برفق : **إِلَيْكَ يُجْبىٰ يا أَميرَ الْمُؤْمِنينَ .**

والتفت إلى الإمام بعنف قائلاً: أتدرون لِمَ دعوتكم ؟

- لا .

- أردت أن أهدم رباعكم ، وأغور قليبكم ، وأعقر نخلكم ، وأُنزلكم بالشراة ، حتّى لا يقربكم أحد من أهل الحجاز وأهل العراق ، فإنّهم لكم مفسدة .

والتفت الإمام برفق إليه قائلاً: **يا أَميرَ الْمُؤْمِنينَ ، إِنَّ سُلَيْمانَ أُعْطِيَ فَشَكَرَ ، وَإِنَّ أَيُّوبَ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ ، وَإِنَّ يُوسُفَ ظُلِمَ فَغَفَرَ ، وَأَنْتَ مِنْ ذٰلِكَ النَّسْلِ .**

فهدأ غضب المنصور وقال للإمام : أعد عليَّ ما قلته .

فأعاد الإمام عليه مقالته ، فقال المنصور : مثلك فليكن زعيم القوم قد عفوت عنكم ، ووهبت لكم جرم أهل البصرة »[١] .

٤ ـ عزمه على قتل الإمام عليه السلام

وعزم الطاغية على قتل الإمام عليه السلام حينما وشى به بعض العملاء ، فقالوا له : إنّه لا يرى الصلاة خلفك ، وينتقصك ولا يرى التسليم ـ أي التسليم عليه بإمرة المؤمنين ـ وفزع الطاغية وقال لهم : كيف أقف على صدق ما تقولون ؟

فأجابوه : تمضي ثلاث ليالٍ فلا يصير إليك مسلّماً ، إنّ في ذلك لدليلاً ، ومضى اليوم الرابع فلم يأتِ الإمام إليه مسلّماً ، فالتاع المنصور وقال للربيع : يا ربيع ، ائتني بجعفر بن محمّد ، قتلني الله إن لم أقتله .

وتماهل الربيع في إحضار الإمام ، وكان ممّن يدين له بالولاء ، وظنّ أنّه سيغفل

---

(١) سفينة البحار : ٢ : ٢٢ .

عنه ، ولكنّ المنصور قد تميّز من الغيظ ، وعرف ما أضمره الربيع ، فقال له بنبرات تقطر غضباً : ائتني به ، قتلني الله إن لم أقتله ، وقتلني الله إن لم أبدأ بك ، إن أنت لم تأتني به .

وفزع الربيع وخاف من المنصور ، فأسرع إلى الإمام عليه السلام فوافاه يصلّي إلى جنب اسطوانة التوبة في الجامع النبوي المعظّم ، فقال له : يا أبا عبدالله ، أجب أمير المؤمنين للتي لا شوى[1] لها .

وتشهّد الإمام وسلّم من صلاته ، ومضى مع الربيع ، وجعل يهمس في دعاء له ، وفهم الربيع بعضه ، ولم يفهم البعض الآخر ، ودخل على المنصور فسلّم عليه بالخلافة ، فلم يرد عليه السلام ، وصاح الطاغية به ، وقال ـ ويا لهول ما قال ـ : يا مرائي ، يا مارق ، منّتك نفسك مكاني ، فوريت علَيَّ ، ولم ترَ الصلاة خلفي والتسليم علَيَّ ؟

والتفت الإمام عليه السلام فكلّمه بكلمات ناعمة رقيقة ليسلم من شرّه قائلاً : **« يا أَميرَ الْمُؤْمِنينَ ، إنَّ داودَ النَّبيَّ عليه السلام أُعْطِيَ فَشَكَرَ ، وَإِنَّ أَيُّوبَ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ ، وَإِنَّ يُوسُفَ ظُلِمَ فَغَفَرَ ، وَهؤُلاءِ صَلَواتُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَنْبِياؤُهُ وَصَفْوَتُهُ مِنْ خَلْقِهِ ، وَأَميرُ الْمُؤْمِنينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ النُّبُوَّةِ ، وَإِلَيْهِمْ يَؤُولُ نَسَبُهُ ، وَأَحَقُّ مَنْ أَخَذَ بِآدابِ الْأَنْبِياءِ ، مَنْ جَعَلَ اللهُ لَهُ مِثْلَ حَظِّكَ يا أَميرَ الْمُؤْمِنينَ ؟ يَقولُ اللهُ جَلَّ ثَناؤُهُ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾[2] ، فَتَثَبَّتْ يا أَميرَ الْمُؤْمِنينَ يَصِحَّ لَكَ الْيَقينُ »** .

وزال الغضب عن المنصور ، والتفت إلى الإمام قائلاً : أشهد أنّك صادق .

---

(١) **الشوى** : الأمر السهل الهيّن .

(٢) الحجرات ٤٩ : ٦ .

وأخذ بيد الإمام فرفعه ، وقال له : أنت أخي وابن عمّي ، سلني حاجتك صغيرها وكبيرها .

فأجابه الإمام : **«أَذْهَلَني ما كانَ مِنْ لِقائِكَ وَكَلامِكَ عَنْ حاجاتي ، وَلٰكنّي أُفَكِّرُ وَأَجْمَعُ لَكَ حَوائِجي إنْ شاءَ اللهُ»** .

ثمّ خرج من عنده ، وبهر الربيع فقال للإمام : يا أبا عبدالله ، سمعتك همست بكلام أُحبّ أن أعرفه .

وكان الإمام عليه السلام قد تحجّب بدعاء وقاه الله به من شرّ المنصور ، فقال للربيع : **«إنَّ جَدّي عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ عليه السلام يَقولُ : مَنْ خافَ مِنْ سُلْطانٍ ظُلامَةً ، أَوْ تَغَطْرُساً فَلْيَقُلْ : اللّهُمَّ احْرُسْني بِعَيْنِكَ الَّتي لَا تَنامُ ، وَاكْنُفْني بِرُكْنِكَ الَّذي لايُرامُ ، وَاغْفِرْ بِقُدْرَتِكَ عَلَيَّ**(١) **فَلا أَهْلَكَنَّ وَأَنْتَ رَجائي ، فَكَمْ مِنْ نِعْمَةٍ قَدْ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ قَلَّ عِنْدَها شُكْري ، وَكَمْ مِنْ بَلِيَّةٍ ابْتَلَيْتَني قَلَّ لَكَ عِنْدَها صَبْري .**

فَيامَنْ قَلَّ عِنْدَ نِعْمَتِهِ شُكْري فَلَمْ يَحْرِمْني ، وَيا مَنْ قَلَّ عِنْدَ نِقْمَتِهِ صَبْري فَلَمْ يَخْذُلْني ، وَيامَنْ رَآني عَلَى الْخَطايا فَلَمْ يَفْضَحْني ، وَيا ذَا النَّعْماءِ الَّتي لا تُحْصىٰ ، وَيا ذَا الأَيادي الَّتي لا تَنْقَضي ، بِكَ أَسْتَدْفِعُ مَكْرُوهَ ما أَنَا فيهِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ يا أَرْحَمَ الرّاحِمينَ» .

قال الربيع : فكتبت الدعاء ، ولم يلتق الإمام مع المنصور ولا سأله حاجة(٢) .

إنّ من هوان الدنيا على الله تعالى أن يقابل المنصور الذي هو أخسّ إنسان حجّة الله وعملاق الفكر الإنساني الإمام الصادق عليه السلام بمثل هذه الكلمات الجافّة ويبالغ

---

(١) في رواية : **«وَارْحَمْني بِقُدْرَتِكَ»** .

(٢) الأخبار الموفقيّات : ١٤٩ ـ ١٥١ . نور الأبصار : ١٤٦ .

في إيذائه وتوهينه.

امتناعه من إجابة المنصور

دعا المنصور الدوانيقي الإمام الصادق عليه السلام إلى الحضور عنده حينما زار مدينة النبيّ صلى الله عليه وآله، فامتنع الإمام من إجابته، وقد روى الربيع ما جرى للإمام معه، قال:

«لمّا حجّ المنصور وصار بالمدينة سهر ليلة ودعاني، فقال: يا ربيع، انطلق في وقتك هذا على أخفض الجناح، وألين مسير، وإن استطعت أن تكون وحدك فافعل، حتّى تأتي أبا عبدالله جعفر بن محمّد، فقل له: هذا ابن عمّك يقرأ عليك السلام ويقول لك: إنّ الدار وإن نأت، والحال وإن اختلفت، فإنّا نرجع إلى رحم أمسّ من اليمين إلى الشمال، وهو يسألك المصير في وقتك هذا، فإن سمح بالمسير فأوطئه خدّك، وإن امتنع بعذر أو غيره فاردد الأمر إليه في ذلك، فإن أمرك بالمصير ثانياً فيسّر ولا تعسّر، واقبل العفو ولا تعنّف في قول ولا فعل.

وسار الربيع إلى الإمام فدخل عليه، فوجده قد استقبل القبلة، وهو ساجد قد أثّر التراب في وجهه وخدّيه، فأكبره الربيع واستعظمه، ولمّا فرغ الإمام من صلاته ودعائه سلّم عليه الربيع، فقال له الإمام: **ما جاءَ بِكَ؟**

- ابن عمّك يقرئك السلام.

وردّ الإمام السلام عليه، والتفت الربيع إلى الإمام فعرّفه برغبة المنصور في الالتقاء به.

فقال عليه السلام له: **يا رَبيعُ، ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾**[1].

---

(١) الحديد ٥٧: ١٦.

يا ربيعُ ، ﴿ أَوْ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحىً وَهُمْ يَلْعَبُونَ * أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾(١) .

وأمره بأن يقرأ على المنصور السلام ، ثمّ أقبل على صلاته ، وقبل أن يشرع في الصلاة قال للربيع : ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ * وَأَعْطَىٰ قَلِيلاً وَأَكْدَىٰ * أَعِندَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰ * أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ * وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ * أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ * وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴾(٢) قُلْ لَهُ : إِنّا وَاللهِ قَدْ خِفْناكَ ، وَخافَتْ لِخَوْفِنا النِّسْوَةُ اللّاتي أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِنَّ ، فَإِنْ كَفَفْتَ وَإِلّا أَجْرَيْنا اسْمَكَ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ في كُلِّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرّاتٍ ، وَأَنْتَ حَدَّثْتَنا عَنْ أَبيكَ ، عَنْ جَدكَ أَنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قالَ : أَرْبَعُ دَعَواتٍ لَا يُحْجَبْنَ عَنِ اللهِ تَعالىٰ : دُعاءُ الْوالِدِ لِوَلَدِهِ ، وَالْأَخِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ لأَخيهِ ، وَالْمَظْلومِ ، وَالْمُخْلِصِ .

قال الربيع : فما استتمّ كلام الإمام حتّى أتت رسل المنصور تقفوا أثري ، وتعلم خبري ، فرجعت وأخبرته بما كان ، فبكى ، وقال : إِرْجِعْ إِلَيْهِ ، وَقُلْ لَهُ : الْأَمْرُ في لِقائِكَ إِلَيْكَ ، وَأَمّا النِّسْوَةُ اللّاتي ذَكَرْتَهُنَّ فَعَلَيْهِنَّ السَّلامُ ، فَقَدْ آمَنَ اللهُ رَوْعَهُنَّ ، وَجَلا هَمَّهُنَّ .

ورجع الربيع إلى الإمام فأخبره بمقالة المنصور ، فقال عليه السلام : قُلْ لَهُ : وصلت رحماً ، ثمّ بكى عليه السلام ـ وسقطت بعض دموعه في حجره ، والتفت إلى الربيع فقال له : يا رَبيعُ ، إِنَّ هٰذِهِ الدُّنْيا وَإِنْ أَمْتَعَتْ بِبَهْجَتِها ، وَغَرَّتْ بِزِبْرِجِها ، فَإِنَّ آخِرَها لا يَعْدو أَنْ يَكونَ كَآخِرِ الرَّبيعِ الَّذي يَروقُ بِخُضْرَتِهِ ، ثُمَّ يَهيجُ ـ أي يتغير ـ عِنْدَ انْتِهاءِ مُدَّتِهِ ، وَعَلىٰ مَنْ نَصَحَ لِنَفْسِهِ وَعَرَفَ حَقَّ ما عَلَيْهِ وَما لَهُ ، أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْها ـ أي إلى الدنيا ـ نَظَرَ مَنْ عَقَلَ عَنْ رَبِّهِ

---

(١) الأعراف ٩٨ و ٩٩.

(٢) النجم ٥٣ : ٣٣ ـ ٤٠.

جَلَّ وَعَلا ، وَحُذِّرَ سوءَ مُنْقَلَبِهِ ، فَإِنَّ هٰذِهِ الدُّنْيا قَدْ خَدَعَتْ قَوْماً فارَقوها أَسَرَّ ما كانوا إِلَيْها ، وَأَكْثَرَ ما كانوا اغْتِباطاً بِها ، طَرَقَتْهُمْ آجالُهُمْ بَياتاً وَهُمْ نائِمونَ ، أَعْقَبَتْهُمُ الْأَلَمَ ، وَأَوْرَثَتْهُمُ النَّدَمَ ، وَجَرَّعَتْهُمْ مُرَّ الْمَذاقِ ، وَغَصَصَتْهُمْ بِكَأْسِ الْفِراقِ ، فَيا وَيْحَ مَنْ رَضِيَ عَنْها ، وَأَقَرَّ عَيْناً بِها ، أَما رَأىٰ مَصْرَعَ آبائِهِ ، وَمَنْ سَلَفَ مِنْ أَعْدائِهِ وَأَوْلِيائِهِ .

يا رَبيعُ ، أَطْوِلْ بِها حَسْرَةً ، وَأَقْبِحْ بِها كَثْرَةً ، وَأَخِسَّ بِها صَفْقَةً ، وَأَكْبِرْ بِها نَزْحَةً إِذا عايَنَ الْمَغْرورُ بِها أَجَلَهُ ، وَقَطَعَ بِالْأَماني أَمَلَهُ ، وَلْيَعْلَمْ عَلىٰ أَنَّهُ لَوْ أُعْطِيَ أَطْوَلَ الْأَعْمارِ وَأَمَدَّها ، وَبَلَغَ فيها جَميعَ الْآمالِ هَلْ قِصارُهُ إِلَّا الْهَرَمُ . نَسْأَلُ اللهَ لَنا وَلَكَ عَمَلاً صالِحاً بِطاعَتِهِ ، وَمَآباً إِلىٰ رَحْمَتِهِ ، وَنُزوعاً عَنْ مَعْصِيَتِهِ ، وَبَصيرَةً في حَقِّهِ ، فَإِنَّ ذٰلِكَ لَهُ وَبِهِ » .

فالتفت الربيع إلى الإمام بخضوع فقال له : يا أبا عبدالله ، أسألك بكلّ حقّ بينك وبين الله جلّ وعلا إلّا عرّفتني ما ابتهلت به إلى ربّك تعالى ، وجعلته حاجزاً بينك وبين حذرك وخوفك ، لعلّ الله أن يجبر بدوائك كسيراً ، ويغني به فقيراً ، والله ما أعني غير نفسي .

ورفع الإمام عليه السلام يده ، وأقبل على مسجده ، وعلّمه الدعاء المشهور[١] ، وقد ذكرناه في الصحيفة الصادقيّة التي هي إحدى حلقات هذا الكتاب .

نجاة الإمام عليه السلام من شرّه

وضاق الطاغية ذرعاً من الإمام الصادق عليه السلام الذي انتشر فضله ، وتحدّث الناس عن طاقاته العلميّة ، ومواهبه التي لا تحدّ ، وعزم الطاغية على قتله .

يقول الربيع : قال لي المنصور : إذا نزلت المدينة فاذكر لي جعفر بن محمّد ، فوالله العظيم لا يقتله أحد غيري ، احذر أن تدع أن تذكرني به .

---

(١) مهج الدعوات : ٢٢٠ ـ ٢٢٢ .

قال : فلمّا صرنا إلى المدينة أنساني الله عزّ وجلّ ذكره ، فلمّا صرنا إلى مكّة قال لي : يا ربيع ، ألم آمرك أن تذكرني بجعفر بن محمّد إذا دخلنا المدينة ؟

فقلت : نسيت ذلك يا مولاي .

فقال : إذا رجعت من مكّة إلى المدينة فأذكرني به فلابدّ من قتله ، فإن لم تفعل لأضربنّ عنقك .

فقلت : نعم ، وأوصيت غلماني وأصحابي أن يذكروني به إذا انتهينا إلى المدينة .

فلمّا قدمنا المدينة قلت للمنصور : أحضر لك جعفر بن محمّد ؟

قال : نعم ، ولا تأتيني به إلّا مسحوباً ، فمضيت وأنا في حال عظيم من الارتباك ، فأتيت الإمام جعفر الصادق عليه السلام وكان جالساً في وسط داره فقلت له : جعلت فداك ، إنّ أمير المؤمنين يدعوك إليه .

فقال : **السَّمْعُ وَالطّاعَةُ** ، ثمّ نهض وهو يمشي معي .

فقلت : يابن رسول الله صلى الله عليه وآله ، إنّه أمرني أن آتيه بك مسحوباً .

فقال : **امْتَثِلْ ما أَمَرَكَ بِهِ** ، فأخذت بطرف كمّه أسوقه إليه ، فلمّا أدخلته عليه رأيته وهو جالس على سريره ، وفي يده عمود من حديد يريد أن يقتله ، ونظرت إلى الإمام جعفر وهو يحرّك شفتيه ، فوقفت أنظر إليهما ، فلمّا قرب الإمام من المنصور قام إليه ورحّب به ، وقال له : ادنُ منّي يابن عمّي حتّى أجلسه على سريره ، ثمّ أمر غلامه أن يأتيه بالغالية وعطّره بها ، ولم يستقرّ به المجلس حتّى أمره بالانصراف ، ولمّا خرج نهضت بين يديه ، حتّى وصل إلى منزله ، فقلت له : بأبي أنت وأُمّي يابن رسول الله صلى الله عليه وآله ، إنّي لم أشكّ فيه ساعة تدخل عليه أن يقتلك ، ورأيتك تحرّك شفتيك في وقت دخولك عليه ، فما قلت ؟

قال عليه السلام : **نَعَمْ يا رَبيعُ ، قُلْتُ : حَسْبِيَ الرَّبُّ مِنَ الْمَرْبوبينَ ، حَسْبِيَ الْخالِقُ مِنَ الْمَخْلوقينَ ، حَسْبِيَ مَنْ لَمْ يَزَلْ حَسْبي ، حَسْبِيَ اللهُ الَّذي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ**

وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ، حَسْبِيَ الَّذي لَمْ يَزَلْ حَسْبي ، حَسْبِيَ حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الْوَكيلُ ، اللّهُمَّ احْرُسْني بِعَيْنِكَ الَّتي لا تَنامُ ، وَاكْنُفْني بِرُكْنِكَ الَّذي لا يُرامُ ، وَاحْفَظْني بِعِزِّكَ ، وَاكْفِني شَرَّهُ بِقُدْرَتِكَ ، وَمُنَّ عَلَيَّ بِنَصْرِكَ ، وَإِلّا هَلَكْتُ وَأَنْتَ رَبّي .

اللّهُمَّ إِنَّكَ أَجَلُّ مِمّا أَخافُ وَأَحْذَرُ ، اللّهُمَّ إِنّي أَدْرَأُكَ في نَحْرِهِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ ، وَاسْتَكْفيكَ إِيّاهُ ، يا كافِيَ مُوسىٰ مِنْ فِرْعَوْنَ ، وَمُحَمَّدٍ ﷺ مِنَ الْأَحْزابِ ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللهِ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾[(١)] . ﴿ أُولٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ * لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾[(٢)] . ﴿ وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾[(٣)] .

لقد التجأ الإمام عليه السلام إلى الله تعالى ، وأناب إليه أن ينجيه من شرّ هذا الطاغية ، ويكفيه ممّا دبّر له من سوء ومكروه ، وروى السيّد الجليل ابن طاووس أنّ الإمام عليه السلام قد تحصّن وتسلّح بهذا الدعاء حينما دخل على المنصور وهو :

« بِاللهِ اسْتَفْتِحُ ، وَبِاللهِ اسْتَنْجِحُ ، وَبِرسولِهِ ﷺ أَتَوَسَّلُ ، وَبِأَميرِ الْمُؤْمِنينَ صَلواتُ اللهِ عَلَيْهِ أَتَشَفَّعُ ، وَبِالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِما أَتَقَرَّبُ .

اللّهُمَّ لَيِّنْ صُعوبَتَهُ ، وَسَهِّلْ لي حُزونَتَهُ ، وَوَجِّهْ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ وَجَميعَ جَوارِحِهِ إِلَيَّ بِالرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ ، وَاذْهِبْ عَنّي غَيْظَهُ وَبَأْسَهُ وَمَكْرَهُ وَجُنودَهُ وَأَحْزابَهُ ، وَانْصُرْني عَلَيْهِ

---

(١) آل عمران ٣ : ١٧٣ و ١٧٤.

(٢) النحل ١٦ : ١٠٨ و ١٠٩.

(٣) يس ٣٦ : ٩.

بِحَقِّ كُلِّ سائحٍ في رِياضِ قُدْسِكَ ، وَفَضاءِ نُورِكَ ، وَشَرِبَ مِنْ حَيَوانِ مائِكَ ، وَانْقِذْني بِنَصْرِكَ الْعامِّ الْمُحيطِ ، جَبْرَئيلُ عَنْ يَميني ، وَميكائيلُ عَنْ يَساري ، وَمُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله أَمامي ، وَاللهُ وَلِيِّي وَحافِظي وناصِري وَإمامي ، فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغالِبونَ ، اسْتَتَرْتُ وَاحْتَجَبْتُ وَامْتَنَعْتُ وَتَعَزَّزْتُ بِكَلِمَةِ اللهِ الْوحْدانِيَّةِ الْأَزَلِيَّةِ الْإِلهِيَّةِ ، الَّتي مَنِ امْتَنَعَ بِها كانَ مَحْفوظاً ، إنَّ وَلِيِّي اللهُ الَّذي نَزَّلَ الْكِتابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصّالحينَ ».

وحفظ الربيع هذا الدعاء ، وعلّق عليه بقوله : «كتبته على رقّ ، وجعلته في حمائل سيفي ، فوالله ما هبت المنصور بعدها»[1].

المنصور مع الإمام في الربذة

كان الإمام الصادق عليه السلام في الربذة ، فاجتاز عليها المنصور ، ولمّا علم بإقامة الإمام فيها التفت إلى إبراهيم بن جبلة فقال له : يابن جبلة ، قم إليه فضع في عنقه ثيابه ، ثمّ ائتني به سحباً.

قال إبراهيم : فخرجت حتّى أتيت منزله ، فلم أجده فيه ، فطلبته في مسجد أبي ذرّ ، فوجدته في باب المسجد ، فاستحييت أن أفعل به ما أمرني به المنصور ، فأخذت بكمّه وقلت له : أجب أمير المؤمنين.

فقال عليه السلام : إِنّا للهِ وَإِنّا إِلَيْهِ راجِعونَ ، دَعْني أُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ ، ثمّ بكى بكاءً شديداً وقال : اللّهُمَّ أَنْتَ ثِقَتي في كُلِّ كَرْبٍ ، وَرَجائي في كُلِّ شِدَّةٍ ، وَأَنْتَ لي في كُلِّ أَمْرٍ نَزَلَ بي ثِقَةٌ وَعُدَّةٌ ، كَمْ مِنْ كَرْبٍ يَضْعُفُ عَنْهُ الْفُؤادُ ، وَتَقِلُّ فيهِ الْحيلَةُ ، وَيَخْذُلُ فيهِ الْقَريبُ ، وَيَشْمُتُ بِهِ الْعَدُوُّ ، وَتُعْييني فيهِ الْأُمورُ ، أَنْزَلْتُهُ بِكَ ، وَشَكَوْتُهُ إِلَيْكَ راغِباً فيهِ إِلَيْكَ عَمَّنْ سِواكَ ، فَفَرَّجْتَهُ وَكَشَفْتَهُ وَكَفَيْتَنيهِ ، فَأَنْتَ وَلِيُّ كُلِّ نِعْمَةٍ ، وَصاحِبُ كُلِّ حَسَنَةٍ ، وَمُنْتَهى

---

(١) مهج الدعوات : ٢٢٩ ـ ٢٣٢.

كُلِّ حاجَةٍ ، فَلَكَ الْحَمْدُ كَثيراً ، وَلَكَ الْمَنُّ فاضِلاً .

ودخل الإمام عليه السلام على الطاغية فاستوى جالساً ، وواجه الإمام بعنف وقسوة قائلاً له : قدمت رِجلاً وأخرت أُخرى ، أما والله لأقتلنّك ، والإمام يعتذر منه ويقول : **ارْفَقْ فَوَاللهِ لَقَلَّ ما أَصْحَبُكَ .**

وقد نعى الإمام إليه نفسه ، وتوهّم المنصور أنّه قد عناه ، فقال لعيسى بن عليّ : سله أبي أم به ؟

وبادر عيسى فسأل الإمام من هو الذي سيفارق الحياة هل هو أو المنصور ؟

فقال عليه السلام إنّه هو الذي سيفارق ويستريح من المنصور .

وجلس الإمام في الطريق ينتظر إبراهيم ليشكره على ما أسداه عليه من معروف ، وبادر إبراهيم فلحق الإمام فوجده جالساً وهو يحمد الله ويقول : **الْحَمْدُ للهِ الَّذي أَدْعوهُ فَيُجيبُني وَإِنْ كُنْتُ بَطيئاً حينَ يَدْعوني ، وَالْحَمْدُ للهِ الَّذي أَسْأَلُهُ فَيُعْطيني وَإِنْ كُنْتُ بَخيلاً حينَ يَسْتَقْرِضُني ، وَالْحَمْدُ للهِ الَّذي اسْتَوْجَبَ الشُّكْرَ عَلَيَّ بِفَضْلِهِ وَإِنْ كانَ قَليلاً شُكْري .**

وَالْحَمْدُ للهِ الَّذي وَكَلَني إِلَيْهِ فَأَكْرَمَني وَلَمْ يَكِلْني إِلَى النّاسِ فَيُهينوني ، فَرَضيتُ بِلُطْفِكَ يا رَبِّ لُطْفاً ، وَبِكِفايَتِكَ خَلَفاً .

اللّهُمَّ يا رَبِّ ما أَعْطَيْتَني مِمّا أُحِبُّ ، فَاجْعَلْهُ قُوَّةً لي فيما تُحِبُّ ، اللّهُمَّ وَما زَوَيْتَ عَنّي مِمّا أُحِبُّ فَاجْعَلْهُ خَيْراً لي ، وَاصْرِفْ عَنّي ما أَكْرَهُ ، وَاجْعَلْهُ خَيْراً لي .

اللّهُمَّ ما غَيَّبْتَ عَنّي مِنَ الْأُمورِ فَلا تُغَيِّبْني عَنْ حِفْظِكَ ، وَما فَقَدْتُ فَلا أَفْقِدُ عَوْنَكَ ، وَما نَسيتُ فَلا أَنْسىٰ ذِكْرَكَ ، وَما مَلَلْتُ فَلا أَمَلُّ شُكْرَكَ ، عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الْوَكيلُ (١) .

---

(١) مهج الدعوات : ٢٣٢ ـ ٢٣٤ .

استدعاؤه إلى الكوفة

وأمر الطاغية السفّاك المنصور الدوانيقي إبراهيم بن جبلة بحمل الإمام الصادق عليه السلام من يثرب إلى الكوفة، ومضى إبراهيم يجدّ في السير حتّى انتهى إلى الإمام عليه السلام، فأخبره برسالة المنصور، فتوجّه الإمام بمشاعره وعواطفه نحو الله تعالى، وجعل يدعو بهذا الدعاء:

اللّهُمَّ أَنْتَ ثِقَتي في كُلِّ كَرْبٍ، وَرَجائي في كُلِّ شِدَّةٍ، وَإِنَّكَ لي في كُلِّ أَمْرٍ نَزَلَ بي ثِقَةٌ وَعُدَّةٌ، كَمْ مِنْ كَرْبٍ تَضْعُفُ فيهِ الْقُوىٰ، وَتَقِلُّ فيهِ الْحيلَةُ، وَتُعْييني فيهِ الأُمورُ، وَيَخْذُلُ فيهِ الْقَريبُ، وَيَشْمُتُ فيهِ الْعَدُوُّ، أَنْزَلْتُهُ بِكَ وَشَكَوْتُهُ إِلَيْكَ، رَغْبَةً فيهِ إِلَيْكَ عَمَّنْ سِواكَ فَفَرَّجْتَهُ وَكَشَفْتَهُ فَأَنْتَ وَلِيُّ كُلِّ نِعْمَةٍ، وَمُنْتَهىٰ كُلِّ حاجَةٍ، لَكَ الْحَمْدُ كَثيراً، وَلَكَ الْمَنُّ فاضِلاً».

ولمّا قدّمت إليه راحلته ليركب عليها توجّه إلى الله تعالى وأخذ يدعو بهذا الدعاء:

اللّهُمَّ بِكَ اسْتَفْتِحُ، وَبِكَ أَسْتَنْجِحُ، وَبِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله أَتَوَجَّهُ، اللّهُمَّ أَذْلِلْ حُزونَتَهُ وَكُلَّ حُزونَةٍ، وَسَهِّلْ لي صُعوبَتَهُ وَكُلَّ صُعوبَةٍ، وَارْزُقْني مِنَ الْخَيْرِ فَوْقَ ما أَرْجو، وَاصْرِفْ عَنّي مِنَ الشَّرِّ فَوْقَ ما أَحْذَرُ، فَإِنَّكَ تَمْحو ما تَشاءُ وَتُثْبِتُ وَعِنْدَكَ أُمُّ الْكِتابِ.

ولمّا انتهى الإمام عليه السلام إلى الكوفة نزل عن راحلته، وصلّى ركعتين، ورفع يده إلى السماء، وأخذ يناجي الله ويدعوه ليصرف عنه سوء المنصور وكيده قائلاً:

اللّهُمَّ رَبَّ السَّماواتِ وَما أَظَلَّتْ، وَرَبَّ الأَرَضينَ السَّبْعِ وَما أَقَلَّتْ، وَالرِّياحِ وَما ذَرَتْ، وَالشَّياطينِ وَما أَضَلَّتْ، وَالْمَلائِكَةِ وَما عَمِلَتْ، أَسْأَلُكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَنْ تَرْزُقَني خَيْرَ هٰذِهِ الْبَلْدَةِ وَخَيْرَ ما فيها وَخَيْرَ أَهْلِها، وَخَيْرَ ما تَقَدَّمْتُ لَهُ، وَأَنْ تَصْرِفَ عَنّي شَرَّها وَشَرَّ ما فيها وَشَرَّ أَهْلِها وَشَرَّ ما قَدِمْتُ لَهُ.

وأخبر المنصور بقدوم الإمام، فدعا المسيّب بن زهير الضبيّ وقال له: إذا دخل جعفر بن محمّد فخاطبته، وأومأت إليك، فاضرب عنقه ولا تتأخر، وأسرع الربيع نحو الإمام فقال له: يابن رسول الله، إنّ هذا الجبّار قد أمر فيك بأمر أكره ان ألقاك به، فإذا كان في نفسك شيء تقوله أتوصيني به؟

فقال عليه السلام: **لا يروعُك ذلِك**، وعرّفه أنّه سوف يسلم من شرّه، ولمّا أراد الدخول على المنصور قال عليه السلام: **يا إلـهَ جَبْرَئيلَ وَميكائِيلَ وَإسْرافِيلَ، وَإلـهَ إبْراهيمَ وَإسْماعيلَ وَإسْحاقَ وَيَعْقوبَ وَمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَعَلَيْهِمْ، تَوَلَّني فـي هـذِهِ الْغَداةِ، وَلا تُسَلِّطْ عَلَيَّ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ بِشَيْءٍ لا طاقَةَ لي بِهِ.**

ودخل الإمام عليه السلام على المنصور، فلمّا رآه أخذته هيبة الإمام، وسكن غضبه، فأخذ بيده ورفعه على سريره، وأخذ يعتذر منه قائلاً: يا أبا عبدالله، يعزّ عليَّ تعبك، وإنّما أحضرتك لأشكو إليك أهلك، قطعوا رحمي، وطعنوا في ديني، وألّبوا الناس عليَّ، ولو ولي هذا الأمر غيري ممّن هو أبعد رحماً منّي لسمعوا له وأطاعوا.

وأخذ الإمام عليه السلام يسكّن غضبه قائلاً: **يا أَميرَ الْمُؤْمِنينَ، أَيْنَ يُعْدَلُ بِكَ عَنْ سَلَفِكَ الصّالِحِ؟ إنَّ أَيُّوبَ عليه السلام ابْتُلِيَ فَصَبَرَ، وَإنَّ يُوسُفَ ظُلِمَ فَغَفَرَ، وَإنَّ سُلَيْمانَ أُعْطِيَ فَشَكَرْ.**

وطفق المنصور يقول: صبرت، وغفرت، وشكرت.

وراح المنصور يسأل الإمام قائلاً: حدّثنا حديثاً كنت سمعته منك في صلة الأرحام.

قال عليه السلام: **حَدَّثني أَبي، عَنْ جَدّي: أَنَّ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله قالَ: الْبِرُّ وَصِلَةُ الْأَرْحامِ عِمارَةُ الدُّنْيا، وَزِيادَةُ الْأَعْمارِ.**

قال المنصور: ليس هو هذا.

قال: **نَعَمْ، حَدَّثني أَبي، عَنْ جَدّي، قالَ: قالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُنْسَأَ**

في أَجَلِهِ ، وَيُعافىٰ في بَدَنِهِ ، فَلْيَصِلْ رَحِمَه .

قال المنصور : ليس هذا هو .

قال عليه السلام : **نَعَمْ ، حَدَّثني أَبي ، عَنْ جَدّي : أَنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قالَ : رَأَيْتُ رَحِماً مُتَعَلِّقَةً بِالْعَرْشِ تَشْكُو إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ قاطِعِها .**

فَقُلْتُ : يا جَبْرَئيلُ ، كَمْ بَيْنَهُمْ ؟

قالَ : سَبْعَةُ آباءٍ .

فقال المنصور : ليس هذا هو .

قال عليه السلام : **نَعَمْ ، حَدَّثني أَبي ، عَنْ جَدّي ، قالَ : قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ : احْتَضَرَ رَجُلٌ بارٌّ في جِوارِهِ رَجُلٌ عاقٌّ . قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمَلَكِ الْمَوْتِ : يا مَلَكَ الْمَوْتِ ، كَمْ باقٍ مِنْ أَجَلِ الْعاقِّ ؟**

قالَ : ثَلاثُونَ سَنَة .

قالَ : حَوِّلْها إِلىٰ هذا الْبارِّ .

فقال المنصور : يا غلام ، ائتني بالغالية ، فأتاه بها ، فجعل يغلّفه بيده ، ثمّ دفع إليه أربعة آلاف دينار ، ودعا بدابّته فجعلها قرب سريره ، فركب عليها ، وغادر مجلسه .

قال الربيع : فسمعته يقول : **الْحَمْدُ للهِ الَّذي أَدْعوهُ فَيُجيبُني وَإِنْ كُنْتُ بَطيئاً حِينَ يَدْعوني .**

وَالْحَمْدُ للهِ الَّذي أَسْأَلُهُ فَيُعْطيني وَإِنْ كُنْتُ بَخيلاً حينَ يَسْأَلُني .

وَالْحَمْدُ للهِ الَّذي اسْتَوْجَبَ الشُّكْرَ وَإِنْ كانَ قَليلاً شُكْري .

وَالْحَمْدُ للهِ الَّذي وَكَلَني إِلَيْهِ فَأَكْرَمَني وَلَمْ يَكِلْني إِلَى النّاسِ فَيُهينوني .

يا رَبِّ كَفىٰ بِلُطْفِكَ لُطْفاً ، وَبِكِفايَتِكَ خَلَفاً .

فقال الربيع : يابن رسول الله ، إنّ هذا الجبّار دعا المسيّب بن زهير فدفع إليه سيفاً ، وأمره أن يضرب عنقك ، وإنّي رأيتك تحرّك شفتيك حين دخلت بشيء لم أفهمه عنك .

فقال له الإمام عليه السلام : **لَيْسَ هذا مَوْضِعُهُ** ، ولمّا صار وقت العشاء ذهب الربيع إلى الإمام يطلب منه أن يعلّمه الدعاء الذي أنجاه الله ببركته من شرّ المنصور وكيده .

فقال عليه السلام له : **حَدَّثَني أَبي ، عَنْ جَدّي : أَنَّ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله لَمّا أَلبَتْ عَلَيْهِ الْيَهودُ وَفَزارَةُ وَغَطفانُ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعالى : ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا ﴾[1] ، وَكانَ ذلِكَ الْيَوْمُ أَغْلَظَ يَوْمٍ عَلىٰ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله ، فَجَعَلَ يَدْخُلُ وَيَخْرُجُ وَيَنْظُرُ إِلَى السَّماءِ وَيَقولُ : ضيقي تَتَّسِعي ، ثُمَّ خَرَجَ في بَعْضِ اللَّيْلِ فَرَأىٰ شَخْصاً فَقالَ لِحُذَيْفَةَ : انْظُرْ مَنْ هذا ؟**

فَقالَ : يا رَسولَ اللهِ ، هذا عَلِيُّ بْنُ أَبي طالِب .

فَقالَ لَهُ رَسولُ اللهِ : يا أَبا الْحَسَنِ ، أَما خَشيتَ أَنْ تَقَعَ عَلَيْكَ عَيْنٌ ؟

قالَ عليه السلام : **إِنّي وَهَبْتُ نَفْسي للهِ وَلِرَسولِهِ وَخَرَجْتُ حارِساً لِلْمُسْلِمينَ في هذِهِ اللَّيْلَةِ ، فَما انْقَضىٰ كَلامُهُ حَتّىٰ نَزَلَ جَبْرَئيلُ عليه السلام فَقالَ : يا مُحَمَّدُ ، إِنَّ اللهَ تَعالىٰ يُقْرِئُكَ السَّلامَ وَيَقولُ لَكَ : قَدْ رَأَيْتُ مَوْقِفَ عَلِيِّ بْنِ أَبي طالِبٍ مُنْذُ اللَّيْلَةِ ، وَأَهْدَيْتُ لَهُ مِنْ مَكْنونِ عِلْمي كَلِماتٍ لَا يَتَعَوَّذُ بِها عِنْدَ شَيْطانٍ مارِدٍ ، وَلَا سُلْطانٍ جائِرٍ ، وَلَا غَرَقٍ ، وَلَا هَدْمٍ ، وَلَا رَدْمٍ ، وَلَا سَبُعٍ ضارٍّ ، وَلَا لِصٍّ قاطِعٍ ، إِلَّا آمَنَهُ اللهُ مِنْ ذلِكَ ، وَهُوَ أَنْ يَقولَ : اللّٰهُمَّ احْرُسْنا بِعَيْنِكَ الَّتي لَا تَنامُ ، وَاكْنُفْنا بِرُكْنِكَ الَّذي لَا يُرامُ ، وَأَعِزَّنا بِسُلْطانِكَ الَّذي لَا يُضامُ ، وَارْحَمْنا بِقُدْرَتِكَ عَلَيْنا ، وَلَا تُهْلِكْنا وَأَنْتَ الرَّجاءُ ، رَبِّ كَمْ مِنْ نِعْمَةٍ أَنْعَمْتَ**

---

(١) الأحزاب ٣٣ : ١٠.

بِها عَلَيَّ ، قَلَّ لَكَ عِنْدَها شُكْري ، وَكَمْ مِنْ بَلِيَّةٍ ابْتَلَيْتَني بِها قَلَّ لَكَ عِنْدَها صَبْري ، فَيا مَنْ قَلَّ عِنْدَ نِعَمِهِ شُكْري فَلَمْ يَحْرِمْني ، وَيا مَنْ قَلَّ عِنْدَ بَلِيَّتِهِ صَبْري فَلَمْ يَخْذُلْني ، يا ذا الْمَعْروفِ الدّائِمِ الَّذي لا يَنْقَضي أَبَداً ، وَيا ذا النَّعْماءِ الَّتي لا تُحْصىٰ عَدَداً .

أَسْأَلُكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ الطّاهِرينَ ، وَادْرَأْ بِكَ في نُحورِ الْأَعْداءِ وَالْجَبّارينَ .

اللّٰهُمَّ أَعِنّي عَلىٰ ديني بِدُنْياي ، وَعَلىٰ آخِرَتي بِتَقْواي ، وَاحْفَظْني فيما غِبْتُ عَنْهُ ، وَلا تَكِلْني إِلىٰ نَفْسي فيما حَضَرْتُهُ ، يا مَنْ لا تَنْقُصُهُ الْمَغْفِرَةُ ، وَلا تَضُرُّهُ الْمَعْصِيَةُ ، أَسْأَلُكَ فَرَجاً عاجِلاً ، وَصَبْراً جَميلاً ، وَرِزْقاً واسِعاً ، وَالْعافِيَةَ مِنْ جَميعِ الْبَلاءِ ، وَالشُّكْرَ عَلَى الْعافِيَةِ ، يا أَرْحَمَ الرّاحِمينَ .

قال الربيع : لقد دعاني المنصور ثلاث مرّات يريد قتلي فأنقذني الله ببركة هذا الدعاء[1] .

استدعاؤه عليه‌السلام إلى بغداد

وأوعز المنصور إلى عامله على يثرب بحمل الإمام الصادق عليه‌السلام إلى بغداد لاغتياله ، ونفّذ العامل ذلك ، ولمّا انتهى الإمام إلى بغداد أبقاه في موضع يسمّى بالحمر طيلة النهار ، وفي الهزيع الأخير من الليل دعا الربيع فقال له : يا ربيع ، إنّك تعرف موضعك منّي ، وإنّي أعرّفك أمراً لا تظهر عليه حتّى أُمّهات الأولاد ، فشكره الربيع على ثقته به ، وأظهر الطاعة الكاملة لأوامره ، فقال له المنصور : صر إلى جعفر بن محمّد فأتني به الساعة على الحال الذي تجده فيه لا تغيّر شيئاً ممّا عليه .

وصعب ذلك على الربيع ، فقد كان من القائلين بإمامة الإمام عليه‌السلام ، وجعل يقول

(١) مهج الدعوات : ٢٣٤ ـ ٢٣٩ .

بعد الاسترجاع : هذا والله العطب إن أتيت به على ما أراه من غضبه قتله ، وذهبت منّي الآخرة ، وإن لم آتِ به قتلني وقتل نسلي وأخذ أموالي ، فميّزت بين الدنيا والآخرة ، فمالت نفسي إلى الدنيا .

وأمر الربيع ولده محمّداً ، وكان شرساً فظّاً بأنّ يأتي بالإمام على الحالة التي يجده فيها ، ومضى إليه محمّد فتسلّق عليه الدار ، فوجد الإمام قائماً يصلّي وعليه قميص ومنديل قد ائتزر به ، فلمّا سلّم من صلاته قابله الفتى بعنف وقال له : أجب أمير المؤمنين ، فطلب الإمام منه أن يدعو ويلبس ثيابه ، فلم يسمح له بذلك ، وطلب منه أن يدخل المغتسل ويتطهّر ، فأبى وامتنع من إجابته ، وقال له : لا أدعك تغيّر شيئاً ، وأخرج الإمام حافياً حاسراً في قميصه ومنديله ، وكان قد جاوز الستّين من عمره ، ولمّا مضى بعض الطريق ضعف الإمام عن المشي ، فسمح له بالركوب ، وانتهى بالإمام إلى الربيع .

فلمّا رآه بتلك الحالة أغرق بالبكاء ، فقال الإمام له : دعني أُصلّي ركعتين وأدعو ، فسمح له بذلك ، ولمّا فرغ من صلاته ودعائه أخذ الربيع بذراعيه وأدخله على المنصور ، وكان الإمام عليه السلام يواصل دعاءه ، ولمّا رآه المنصور قابله بمزيد من الهوان ، وصاح الرجس به : يا جعفر ، ما تدع حسدك وبغيك وفسادك على أهل هذا البيت من بني العبّاس ، وما يزيدك الله بذلك إلّا شدّة حسد ونكد . والإمام واقف أمام هذا الرجس ، وهو يعتذر منه قائلاً: **ما فَعَلْتُ شَيْئاً مِنْ هذا ، وَلَقَدْ كُنْتُ في ولايَةِ بَني أُمَيَّةَ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُمْ أَعْدَى الْخَلْقِ لَنا وَلَكُمْ ، وَأَنَّهُمْ لَا حَقَّ لَهُمْ في هذا الْأَمْرِ ، فَوالله ما بَغَيْتُ عَلَيْهِمْ ، وَلَا بَلَغَهُمْ عَنّي سوءٌ مَعَ جَفاءِهِمُ الَّذي كانَ لي ، وَكَيْفَ يا أَميرَ الْمُؤْمِنينَ أَصْنَعُ الْآنَ هذا ، وَأَنْتَ ابْنُ عَمّي ، وَأَمَسُّ الْخَلْقِ بي رَحِماً ، وَأَكْثَرُهُمْ عَطاءً وَبِرّاً ، فَكَيْفَ أَفْعَلُ ؟**

وأطرق الطاغية برأسه إلى الأرض ، وهو يتميّز غيظاً وغضباً على الإمام عليه السلام ، والتفت إليه بشراسة وعنف قائلاً: بطلت وأثمت .

ثمّ ثنى الوسادة ، وأخرج منها إضبارة كتب ، فرمى بها إلى الإمام ، وقال : هـذه كتبك إلى أهل خراسان تدعوهم إلى نقض بيعتي ، وأن يبايعوك دوني .

فأنكر الإمام أشدّ الانكار أن تكون هذه الكتب له ، وإنّما هي مزوّرة عليه قائلاً : **وَاللهِ ما فَعَلْتُ ، وَلَا أَسْتَحِلُّ ذلِكَ ، وَلَا هُوَ مِنْ مَذْهَبي ، وَإِنّي لَمَنْ يَعْتَقِدُ طاعَتَكَ عَلىٰ كُلِّ حالٍ ، وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ السِّنِّ ما قَدْ أَضْعَفَني عَنْ ذلِكَ لَوْ أَرَدْتُهُ ، فَصَيِّرْني إِلىٰ بَعْضِ حُبوسِكَ حَتّىٰ يَأْتيني الْمَوْتُ فَهُوَ مِنّي قَريبٌ .**

فصاح الطاغية به : لا ، ولا كرامة .

وأطرق الطاغية برأسه إلى الأرض ، ثمّ ضرب يده إلى سيفه فسلّ منه شبراً ، وفزع الربيع ، وقال : إنّا لله ، ذهب الرجل .

ثمّ إنّه ردّ السيف وخاطب الإمام بهذه الكلمات الجافّة التي تنمّ عن خبثه قائلاً : يا جعفر ، أما تستحي مع هذه الشيبة ، ومع هذا النسب أن تنطق بالباطل ، وتشقّ عصا المسلمين ، تريد أن تريق الدماء ، وتطرح الفتنة بين الرعيّة والأولياء ؟

فردّ عليه‌السلام : **لَا وَاللهِ ما فَعَلْتُ ، وَلَا هذِهِ كُتُبي وَلَا خَطّي وَلَا خاتَمي .**

ولم يجد اعتذار الإمام معه شيئاً ، فانتضى من السيف ذراعاً ، والتاع الربيع فقال : إنّا لله ، مضى الرجل .

ودار في نفسي إنّه إن أمرني بقتل الإمام أن آخذ السيف من يده وأضرب به المنصور ، وإنّ سبّب ذلك هلاكي وهلاك ولدي ، وأقبل المنصور على الإمام يعاتبه ، والإمام يعتذر منه ، ثمّ انتضى السيف كلّه ، ثمّ أغمده ، وأطرق ساعة برأسه إلى الأرض ، ثمّ رفع رأسه ، وقال : أظنّك يا جعفر صادقاً .

ثمّ أقبل على الربيع فقال له : هات العيبة ـ وهي مستودع ـ وأمره أن يغمس فيها يديه ، ويضعها على لحية الإمام عليه‌السلام ، وكانت بيضاء فاسودّت وقال له : احمله على فارهٍ من دوابي التي أركبها ، وأعطه عشرة آلاف درهم ، وشيّعه إلى منزله مكرّماً ،

وخيّره بين المقام عندنا أو الانصراف إلى مدينة جدّه رسول الله ﷺ ، وخرج الربيع وملء إهابه الفرح والسرور بسلامة الإمام عليه السلام من هذا الرجس ، والتفت إلى الإمام قائلاً: يابن رسول الله ، إنّي لأعجب ممّا عمد هذا إليك وما أنقذك الله منه ، ولا عجب من أمر الله ، وقد سمعتك تدعو عقيب الركعتين بدعاء لم أدرِ ما هو ؟ ورأيتك تحرّك شفتيك في صحن القصر ، لم أدرِ ما هو ؟

فقال عليه السلام : **أَمّا الْأَوَّلُ فَدُعاءُ الْكَرْبِ وَالشَّدائِدِ ، لَمْ أَدْعُ بِهِ عَلىٰ أَحَدٍ قَبْلَ الْيَوْمِ جَعَلْتُهُ عِوَضاً عَنْ أَدْعِيَتي الَّتي كُنْتُ أَدْعو بها إذا قَضَيْتُ صَلاتي ، وَأَمّا الَّذي حَرَّكْتُ بِهِ شَفَتي فَهُوَ دُعاءُ جَدّي رَسولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ الْأَحْزابِ حينَما أَحاطَتْ بِهِ جُيوشُ الْمُشْرِكينَ ، فَكانَ مَعَ الْمُسْلِمينَ كَما قالَ اللهُ تَعالىٰ : ﴿ إِذْ جَاءُوكُم مِن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً ﴾[1] ، فَدَعا رَسولُ اللهِ ﷺ بِهذا الدُّعاءِ ، وَكانَ الْإِمامُ أَميرُ الْمُؤْمِنينَ صَلواتُ اللهِ عَلَيْهِ يَدْعو بِهِ إِذا أَحْزَنَهُ أَمْرٌ ، وَهُوَ : اللّٰهُمَّ احْرُسْني بِعَيْنِكَ الَّتي لَا تَنامُ ، وَاكْنُفْني بِرُكْنِكَ الَّذي لَا يُضامُ ، وَاغْفِرْ لي بِقُدْرَتِكَ عَلَيَّ .**

رَبِّ لَا أَهْلَكُ وَأَنْتَ الرَّجاءُ . اللّٰهُمَّ أَنْتَ أَعَزُّ وَأَكْبَرُ مِمّا أَخافُ وَأَحْذَرُ ، بِاللهِ اسْتَفْتِحُ ، وَبِاللهِ اسْتَنْجِحُ ، وَبِمُحَمَّدٍ رَسولِ اللهِ ﷺ أَتَوَجَّهُ ، يا كافِيَ إِبْراهيمَ مِنْ نَمْرودَ ، وَموسىٰ مِنْ فِرْعَونَ ، اكْفِني ما أَنا فيهِ ، اللهُ اللهُ رَبّي لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً ، حَسْبِيَ الرَّبُّ مِنَ الْمَرْبوبينَ ، حَسْبِيَ الْخالِقُ مِنَ الْمَخْلوقينَ ، حَسْبِيَ الْمانِعُ مِنَ الْمَمْنوعينَ ، حَسْبِيَ مَنْ لَمْ يَزَلْ حَسْبي ، حَسْبِيَ اللهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظيمِ .

وقال الإمام عليه السلام للربيع : **كُنْتَ قَدْ طَلَبْتَ مِنّي أَرْضي بِالْمَدينَةِ ، وَأَعْطَيْتَني بِها عَشْرَةَ**

---

(١) الأحزاب ٣٣: ١٠ و ١١.

آلافِ دينارٍ ، فَلَمْ أَبِعْها عَلَيْكَ ، وَإِنِّي قَدْ وَهَبْتُها لَكَ .

فقال الربيع : إنّما رغبتي في الدعاء الأوّل والثاني ، وإذا فعلت هـذا فـهو البرّ ، ولا حاجة لي في الأرض .

فقال عليه السلام : **إِنّا أَهْلُ بَيْتٍ لَا نَرْجِعُ في مَعْروفِنا ، نَحْنُ نَنْسَخُكَ الدُّعاءَ**[١] **، وَنُسَلِّمُ لَكَ الْأَرْضَ** ، ثمّ إنّه علّمه الدعاء ، وذكرناه في الصحيفة الصادقيّة ، كما كتب له ورقة في هبته للأرض .

وقال الربيع للإمام : أما خفت أبا جعفر المنصور وقد أعدّ لك ما أعدّ ؟

قال عليه السلام : **خيفَتي مِنَ اللهِ دونَ خيفَتِهِ ، وَكانَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ في صَدْري أَعْظَمَ مِنْهُ .**

وانصرف الإمام عليه السلام راجعاً إلى يثرب .

قال الربيع : وجدت من المنصور خلوة وطيب نفس فقلت له : يا أمير المؤمنين ، رأيت غضبك على جعفر غضباً لم أرك غضبته على أحد قطّ ، ولا على عبدالله بن الحسن ، ولا على غيره حتّى بلغ بك الأمر أنّك أردت قتله ، فقد أخرجت من سيفك شبراً ثمّ غمدته ، ثمّ عاتبته ، ثمّ أخرجت منه ذراعاً ثمّ عاتبته ، وأغمدته ، ثمّ أخرجته كلّه ، فلم أشكّ في قتلك له ، ثمّ انحلّ ذلك كلّه فعاد رضى حتّى أمرتني فسوّدت لحيته بالغالية التي لا يتغلّف منها أحد إلّا أنت ، وحملته ، وأمرتني بتشييعه مكرّماً !

فقال المنصور : ويحك يا ربيع ! ليس هو كما ينبغي أن تحدّث به ، وستره أوْلى ، ولا أُحبّ أن يبلغ ولد فاطمة عليها السلام فيفخرون بذلك علينا ، حسبنا ما نحن فيه ، ولكن لا أكتمك شيئاً ، انظر من في الدار فنحّهم .

قال الربيع : فنحّيت كلّ من في الدار ، قال المنصور : ارجع ولا تبقِ أحداً ، ففعلت ذلك ، ثمّ قال لي : ليس أنا وأنت ، لئن سمعت ما ألقيته إليك من أحد لأقتلنّك وولدك

---

(١) أي نعلّمك الدعاء .

وأهلك أجمعين ، ولآخذن مالك ، وتعهّد الربيع له بعدم إذاعته .

فقال المنصور : يا ربيع ،كنت مصرّاً على قتل جعفر ، ولا أسمع له قولاً ، ولا أقبل له عذراً ، وإن كان ممّن لا يخرج بسيف أغلظ عندي ، وأهمّ عليّ من أمر عبدالله بن الحسن ، وقد كنت أعلم هذا منه ومن آبائه على عهد بني أُميّة .

وأخذ المنصور يحدّثه عن السبب في إحجامه عن قتل الإمام قائلاً : لمّا هممت به في المرّة الأُولى تمثّل لي رسول الله صلى الله عليه وآله فإذا هو حائل بيني وبينه ، باسط كفّيه ، حاسر عن ذراعيه ، قد عبس وقطب في وجهي ، فصرفت وجهي عنه .

ثمّ هممت به في المرّة الثانية ، وانتضيت من السيف أكثر ممّا انتضيت منه في المرّة الأُولى ، فإذا أنا برسول الله صلى الله عليه وآله قد قرب ودنا شديداً ، وهمّ بي أن لو فعلت لفعل ، فأمسكت .

ثمّ تجاسرت فانتضيت السيف في الثالثة ، فتمثّل لي رسول الله صلى الله عليه وآله باسطاً ذراعيه ، قد شمّر واحمرّ وعبس وقطب حتّى كاد أن يضع يده عليّ فخفت ، والله لو فعلت لفعل ، وكان منّي ما رأيت . وهؤلاء من بني فاطمة صلوات الله عليها لا يجهل حقّهم إلّا جاهل لا حظّ له في الشريعة ، فإيّاك أن يسمع هذا منك أحداً .

قال محمّد بن الربيع : فما حدّثت بهذا أبي حتّى مات المنصور ، وما حدّثت أنا به حتّى مات المهدي وموسى وهارون(١) .

وهكذا كانت تتوالى على الطاغية براهين الله تعالى في شأن وليّه سليل النبوّة ، وامام الصادقين والمتّقين ، إلّا أنّه كان يضرب عنه صفحاً ، فكان بين فترة وأُخرى يستدعيه فيزعجه ويرهقه حرصاً على سلطانه وملكه ، مع علمه بأنّ الإمام عليه السلام لم يقم بأي عمل يدعو إلى تقويض دولته ، إلّا أنّ الذي كان يقلقه ويضطرب فيه هو

---

(١) مهج الدعوات : ٢٣٩ ـ ٢٤٥.

أنّ الإمام عليه السلام كان يملك رصيداً شعبياً هائلاً، وكانت الأوساط الإسلاميّة بما فيهم بعض حاشية المنصور ينظرون إلى الإمام عليه السلام بإكبار وتعظيم، وكان ذلك يشقّ على المنصور ويزعجه، ويروم أن يكون الإكبار والتعظيم له وحده لا يشاركه أحد فيه.

هذا بعض ما عاناه الإمام الصادق عليه السلام من المحن والخطوب من المنصور، فقد كان من ألدّ أعدائه والحاقدين عليه.

الإمام الصادق عليه السلام في ذمّة الخلود

وتتابعت المحن والأزمات على سليل النبوّة، وعملاق الفكر الإسلامي، الإمام الصادق عليه السلام في عهد المنصور الدوانيقي، فقد رأى ما قاساه العلويّون وشيعتهم من ضروب المحن والبلاء، وما كابده هو بالذات من صنوف الارهاق والتنكيل، فقد كان الطاغية يستدعيه بين فترة وأُخرى، ويقابله بالشتم والتهديد والتوعيد، لم يحترم مركزه العلمي، وشيخوخته، وانصرافه عن الدنيا إلى العبادة وإشاعة العلم، ولم يحفل الطاغية بذلك كلّه، فقد كان الإمام شبحاً مخيفاً له، ونعرض ـ بإيجاز ـ للشؤون الأخيرة من حياة الإمام ووفاته.

الإمام عليه السلام ينعى نفسه

وأعلن الإمام الصادق عليه السلام للناس بدنوّ الأجل المحتوم منه، وأنّ لقاءه بربّه لقريب، وكان من بين من أخبرهم بذلك ما يلي:

١ ـ روى شهاب بن عبد ربّه، قال: «قال لي أبو عبدالله عليه السلام: **كَيْفَ بِكَ إذا نَعاني إِلَيْكَ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمانَ؟**

قال: فلا والله ما عرفت محمّد بن سليمان من هو، فكنت يوماً بالبصرة عند محمّد بن سليمان، وهو والي البصرة إذ ألقى إليَّ كتاباً، وقال لي: يا شهاب، عظّم الله أجرك وأجرنا في إمامك جعفر بن محمّد.

قال : فذكرت الكلام ، فخنقتني العبرة »[١] .

أخبر الإمام عليه السلام المنصور بدنوّ أجله عليه السلام ، لمّا أراد الطاغية أن يقتله فقد قال له : « **ارْفَقْ بي فَوَاللهِ لَقَلَّ ما أَصْحَبُكَ** ، ثمّ انصرف عنه .

فقال المنصور لعيسى بن عليّ : قم اسأله أبي أم به - يعني الوفاة - فلحقه عيسى ، وأخبره بمقالة المنصور ، فقال عليه السلام : **لَا بَلْ بِي**[٢] ، وتحقّق ما تنبّأ به الإمام عليه السلام ، فلم تمضِ فترة يسيرة من الزمن حتّى وافته المنيّة .

اغتياله عليه السلام

كان الإمام الصادق عليه السلام شجا يعترض في حلق الطاغية الدوانيقي ، فقد ضاق ذرعاً منه ، وقد حكى لصديقه وصاحب سرّه محمّد بن عبدالله الاسكندري . يقول محمّد : « دخلت على المنصور فرأيته مغتمّاً ، فقلت له : ما هذه الفكرة ؟

- يا محمّد ، لقد هلك من أولاد فاطمة عليها السلام مقدار مائة ويزيدون - وهؤلاء قد قتلتهم - وبقي سيّدهم وإمامهم .

- من ذاك ؟

- جعفر بن محمّد الصادق .

وحاول محمّد أن يصرفه عنه ، فقال له : إنّه رجل أنحلته العبادة ، واشتغل بالله عن طلب الملك والخلافة .

ولم يرتضِ المنصور مقالته فردّ عليه : يا محمّد ، قد علمت أنّك تقول به ، وبإمامته ، ولكنّ الملك عقيم »[٣] .

---

(١) مناقب آل أبي طالب : ٤ : ٢٢٢ .

(٢) مهج الدعوات : ٢٣٤ .

(٣) مهج الدعوات : ٢٤٧ .

وأخذ الطاغية يضيّق على الإمام، وأحاط داره بالعيون وهم يسجّلون كلّ بادرة تصدر من الإمام، ويرفعونها له، وقد حكى الإمام عليه السلام ما كان يعانيه من الضيق.

يقول عليه السلام: «**عَزَّتِ السَّلامَةُ، حَتّىٰ لَقَدْ خَفِيَ مَطْلَبُها، فَإِنْ تَكُنْ في شَيْءٍ فَيوشِكُ أَنْ تَكونَ في الْخُمولِ، فَإِنْ طُلِبَتْ في الْخُمولِ فَلَمْ توجَدْ فَيوشِكُ أَنْ تَكونَ في الصَّمْتِ، وَالسَّعيدُ مَنْ وَجَدَ في نَفْسِهِ خَلْوَةً يَشْتَغِلُ بِها**»(١).

ولم تجدِ جميع المحاولات التي سلكها الإمام عليه السلام للتخلّص من شرّ الطاغية، فقد صمّم على اغتياله ـ على ما قيل(٢) ـ غير حافل بالعار والنار، فدسّ إليه سمّاً فاتكاً على يد عامله على يثرب فسقاه به، ولمّا تناوله الإمام عليه السلام تقطّعت أمعاؤه، وأخذ يعاني الآلام القاسية، والأوجاع المؤلمة، وأيقن بأنّ النهاية الأخيرة من حياته قد دنت منه.

وصاياه عليه السلام

ولمّا شعر الإمام عليه السلام بدنوّ الأجل المحتوم منه أوصى بعدّة وصايا كان من بينها ما يلي:

١ ـ أنّه أوصى للحسن بن عليّ المعروف بالأفطس بسبعين ديناراً، فقال له شخص: أتعطي رجلاً حمل عليك بالشفرة؟

فقال عليه السلام له: **وَيْحَك، ما تَقْرَأُ الْقُرْآنَ: ﴿وَالَّذينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾**(٣).

---

(١) حياة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام: ١: ٤١٢.

(٢) نور الأبصار: ١٣٣. الفصول المهمّة / ابن الصباغ: ٢٣٠. الإتحاف بحبّ الأشراف: ٥٤. سبائك الذهب: ٧٢.

(٣) الرعد ١٣: ٢١.

لقد أخلص الإمام عليه السلام كأعظم ما يكون الاخلاص للدين العظيم ، وآمن بجميع قيمه وأهدافه ، وابتعد عن العواطف والأهواء ، قد أوصى بالبرّ لهذا الرجل الذي رام قتله ، لأنّ في الإحسان إليه صلة للرحم التي أوصى الله بها .

٢ ـ أنّه أوصى بوصاياه الخاصّة ، وعهد بأمره أمام الناس إلى خمسة أشخاص : وهم المنصور الدوانيقي ، ومحمّد بن سليمان ، وعبدالله ، وولده الإمام موسى ، وحميدة زوجته ، وإنّما أوصى بذلك خوفاً على ولده الكاظم عليه السلام من السلطة الجائرة ، وقد تبيّن ذلك بوضوح بعد وفاته ، فقد كتب المنصور إلى عامله على يثرب بقتل وصيّ الإمام ، فكتب إليه أنّه أوصى إلى خمسة ، وهو أحدهم ، فأجابه المنصور ليس إلى قتل هؤلاء من سبيل[(١)] .

٣ ـ أنّه أوصى بجميع وصاياه إلى ولده الإمام الكاظم عليه السلام ، وأوصاه بتجهيزه وغسله وتكفينه والصلاة عليه ، كما نصبه إماماً من بعده ، ودلّ خواصّ شيعته عليه ، وأمرهم بلزوم طاعته .

٤ ـ أنّه دعا السيّدة حميدة زوجته ، وأمرها بإحضار جماعة من جيرانه ومواليه ، فلمّا حضروا عنده قال لهم : «**إِنَّ شَفاعَتَنا لَا تَنالُ مُسْتَخِفّاً بِالصَّلاةِ**»[(٢)] .

إنّ الصلاة العمود الفقري للإسلام ، فمن حافظ عليها ، وأتى بها كان من المسلمين ، ومن أنكرها واستخفّ بها فقد خرج من ربقة الإسلام ، وفي بعض الأخبار أنّه يموت تاركها إن شاء يهوديّاً أو نصرانيّاً .

إلى جنّة المأوى

وأخذ الموت يدنو سريعاً من سليل النبوّة ، ورائد النهضة الفكريّة والعلميّة في

---

(١) حياة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام : ١ : ٤١٥ و ٤١٦ .

(٢) المصدر المتقدّم : ٤١٥ .

الإسلام ، وعنوان مجد هذه الأُمّة وفخرها ، وفي اللحظات الأخيرة من حياته أخذ يوصي أهل بيته بمكارم الأخلاق ومحاسن الصفات ، ويحذّرهم من مخالفة أوامر الله وأحكامه ، كما أخذ يقرأ سوراً وآيات من القرآن الكريم ، ثمّ ألقى النظرة الأخيرة من حياته على ولده الإمام الكاظم عليه السلام ، وفاضت روحه الزكيّة إلى بارئها ، تلك الروح التي لم يخلق لها مثيل فيما مضى من سالف الزمن ـ عدا آبائه ـ وما هو آتٍ حتّى يرث الله الأرض ومن عليها .

لقد مات عميد الإسلام الذي بذل جميع طاقاته في نشر العلم ، وإشاعة المعرفة والفضيلة بين الناس .

لقد توفّي الرائد للنهضة العلميّة لا في عصره ، وإنّما في جميع العصور التي تلت عصره ، فقد ترك تراثاً خالداً من العلم ، ويضيء للناس حياتهم ، ويوضّح لهم معالم الحقّ ، ويهديهم إلى سواء السبيل .

لقد كان موت الإمام من الأحداث الخطيرة التي مُني بها العالم الإسلامي في ذلك العصر ، فقد اهتزّت لهوله جميع أرجائه ، وارتفعت الصيحة من بيوت الهاشميّين ، وعلا الصراخ والعويل من بيوت يثرب ، وهرعت الناس نحو مثوى الإمام ، وهم ما بين واجم ونائح على فقْد الراحل العظيم الذي كان ملاذاً ومفزعاً لجميع المسلمين .

تجهيزه عليه السلام

وقام الإمام موسى الكاظم عليه السلام وهو خائر القوى ، مكلوم القلب ، فأخذ في تجهيز جثمان أبيه ، وهو يذرف الدموع مهما ساعدته الجفون ، فغسّل الجسد الطاهر ، وكفّنه بثوبين شطويّين[١] كان يحرم فيهما ، وفي قميص وعمامة كانت لجدّه الإمام زين العابدين وسيّد المتّقين عليه السلام ، ولفّه ببرد اشتراه الإمام موسى عليه السلام بأربعين ديناراً ،

(١) **شطويين** : مفرده شطا، إحدى قرى مصر .

وبعد الفراغ من تجهيزه صلّى عليه الإمام موسى عليه السلام، وقد ائتمّ به مئات المسلمين، وحمل الجثمان المقدّس على أطراف الأنامل تحت هالة من التكبير، وقد غرق الناس بالبكاء وهم يذكرون فضل الإمام وعائدته على هذه الأُمّة بما بثّه من الطاقات العلميّة التي شملت جميع أنواع العلوم. وجيء بالجثمان العظيم إلى البقيع المقدّس، فدفن في مقرّه الأخير بجوار جدّه الإمام زين العابدين، وأبيه الإمام محمّد الباقر عليهما السلام، وقد واروا معه العلم والحلم، وكلّ ما يسمو به هذا الكائن الحيّ من بني الإنسان.

تأبين الإمام عليه السلام

وأبّن الإمام جميع رجال الأدب والسياسة في ذلك العصر، منهم ما يلي:

١ ـ أبو هريرة

وأبّن الشاعرالشهير أبو هريرة الإمام عليه السلام بهذه الأبيات:

أَقـولُ وقَـدْ راحُـوا بِـهِ يَـحْمِلونَهُ عـلى كـاهلٍ مِـنْ حـامِليهِ وعـاتِقِ
أَتدرونَ مـاذا تَـحمِلُونَ إِلَـى الثّرى ثَبيراً ثَوىٰ مِنْ رَأْسِ عَلياءَ شاهِقِ[1]
غداةَ حَثا الحـاثونَ فَـوقَ ضَـريحِهِ تُراباً وَقَـبْلاً كـانَ فَـوْقَ المَـفارِقِ[2]

لقد ثوى ذلك الجبل الشامخ، وانطفأت تلك الشعلة الوهّاجة التي أنارت عقول الناس بما أوجدته من صنوف العلم.

٢ ـ مالك بن أعين

وأبّنه الشاعر مالك بن أعين الجهني بقوله:

---

(١) ثبير: من أعظم جبال مكّة، يقع بينها وبين عرفة.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ٤: ٢٧٨.

وَغُـيِّبْتُ عَـنْكَ فَيا لَـيْتَني ... شَهِدْتُ الَّذي كُنتُ لَمْ أَشْهَدِ
فـأسْبَبْتُ فـي سُبَّةٍ جـعفراً ... وشاهَدْتُ في لُطفِ العُـوَّدِ
فإنْ قِيلَ نَفْسُكَ قُلْتُ الفِداء ... وكَـفُّ المَـنيَّةِ بِـالْمَرْصَدِ
عَشِـيَّةَ يُـدفَنُ فـيكَ الْـهُدى ... وغُـرَّتُهُ مِـنْ بَـني أَحـمدِ(١)

٣ ـ العوني

ورثاه الشاعر الكبير العوني بقوله :

عُـجْ بـالمَطِيِّ عـلىٰ بَـقيعِ الغَـرْقَدِ ... وَاقْـرَ التَّـحيَّةِ جـعفرَ بـنَ مُـحَمَّدِ
وَقُـلِ ابـنُ بـنتِ مُـحَمَّدٍ وَوصـيِّهِ ... يـا نُـورَ كُـلِّ هـدايَـةٍ لَـمْ تُـجحَدِ
يـا صـادِقاً شَـهِدَ الإلهُ بِـصِدقِهِ ... فَكَفى مَـهابةَ ذي الجـلالِ الأَمْـجَدِ
يابنَ الْهُدَى وأَبا الْهُدَى أَنْتَ الْهُدَى ... يـا نُـورَ حـاضِرِ سِـرِّ كُـلِّ مُـوَحِّدِ
يـابنَ النَّـبِيِّ مـحَمَّدٍ أَنتَ الَّـذي ... أَوْضَـحْتَ قَـصْدَ وَلاءِ آلِ مُـحَمَّدِ
يا سادسَ الأَنـوارِ يـا عَـلَمَ الهُـدَى ... ضَـلَّ امْـرؤٌ بِـوَلائِكم لَـمْ يَـهْتَدِ(٢)

٤ ـ شاعر مجهول

وأبّنه شاعر مجهول ببيت من الشعر :

يـا عَـينُ بَكّـي جَـعفرَ بـنَ مُـحَمَّدِ ... زَيْـنَ المَشـاعرِ كُـلِّها والمَسـجِدِ

٥ ـ المنصور الدوانيقي

وأبّنه المنصور الدوانيقي . قال إسماعيل بن عليّ بن عبدالله بن العبّاس : « دخلت

---

(١) مناقب آل أبي طالب : ٢٧٧ و ٢٧٨. وروي بصورة أُخرى في تهذيب الكمال : ٥ : ٩٧.
(٢) مناقب آل أبي طالب : ٤ : ٢٧٨.

على المنصور يوماً فرأيته وقد اخضلّت لحيته بالدموع ، فقال لي : ما علمت ما نزل بأهلك ؟

- ما ذاك يا أمير المؤمنين ؟

- إنّ سيّدهم وعالمهم وبقيّة الأخيار منهم توفّي .

- من هو يا أمير المؤمنين ؟

- جعفر بن محمّد .

- عظّم الله أجر أمير المؤمنين ، وأطال لنا بقاءه .

وطفق المنصور يؤبّن الإمام قائلاً: إنّ جعفر بن محمّد كان ممّن قال الله فيه : ﴿ **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا** ﴾[1] ، وكان ممّن اصطفى الله ، وكان من السابقين بالخيرات[2] .

لقد كان المنصور من ألدّ أعداء الإمام عليه السلام إلّا أنّه اعترف بالخسارة الكبرى التي مُني بها المسلمون بوفاته .

ويقول المؤرّخون : « إنّه لمّا توفّي الإمام الصادق عليه السلام التقى مؤمن الطاق بأبي حنيفة ، فبادر أبو حنيفة قائلاً: إنّ إمامك ـ يعني الإمام الصادق عليه السلام ـ قد مات .

وشعر مؤمن الطاق بالشماتة في كلام أبي حنيفة ، فردّ عليه بمنطقه الفيّاض قائلاً: أمّا إمامك ـ يعني إبليس ـ فمن المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم »[3] .

ووجم أبو حنيفة ، ولم يستطع الردّ عليه ، وانصرف مؤمن الطاق وترك أبا حنيفة يتميّز من الغضب والغيظ .

---

(١) فاطر ٣٥: ٣٢.

(٢) تاريخ اليعقوبي : ٣: ١٧.

(٣) تاريخ بغداد : ١٣: ٤١٠.

إسراج الضياء في بيت الإمام

وأمر الإمام موسى عليه السلام أن يسرج ضياء في البيت الذي توفّي فيه أبوه، جرياً على السنّة، وبقي الضياء يوقد كلّ يوم حتّى اعتقل الإمام عليه السلام في العراق[١].

سنة شهادته عليه السلام

واختلف المؤرّخون في السنة التي توفّي فيها الإمام عليه السلام، وهذه بعض الأقوال:

١ - توفّي سنة ١٤٨هـ، وهذا هو المشهور[٢].

٢ - توفّي سنة ١٤٦هـ[٣].

وكانت وفاته في شهر شوّال[٤]، وقيل: في النصف من رجب[٥].

عمره الشريف

واختلف الرواة والمؤرّخون في عمره الشريف، وهذه بعض الأقوال:

١ - عمره ٦٥ سنة[٦].

---

(١) المعتبر ١: ٢٦١. مستند الشيعة: ٣: ٧٦.

(٢) الإرشاد: ٣٠٤. مرآة الزمان في تواريخ الأعيان: (مخطوط). خلاصة تهذيب الكمال: ٥٤. مرآة الجنان: ١: ٣٤. تذكرة الحفّاظ: ١: ١٥٧. تاريخ ابن الوردي: ١: ٢٦٦. الإتحاف بحبّ الأشراف: ٥٤. دائرة المعارف / البستاني: ٦: ٤٧٨. أُصول الكافي: ١: ٤٧٢. كشف الغمّة: ٢: ٣٧٣. مناقب آل أبي طالب: ٤: ٢٨٠. تهذيب التهذيب: ١: ٣٨٦. إعلام الورى: ٢٧١. الأنساب / السمعاني: ٣: ٥٠٨.

(٣) المعارف: ٢٥٦.

(٤) الإرشاد: ٣٠٤.

(٥) إعلام الورى: ٢٧١.

(٦) دائرة المعارف / البستاني: ٦: ٤٧٨. دلائل الإمامة: ١١١. ضياء العالمين: الجزء ⇦

٢ ـ عمره ٦٨ سنة[١].

لقد قضى الإمام عمره الشريف في نشر العلم، وإشاعة المعرفة، وقد فتح للناس أبواباً لم يعرفوها من قبل، فما أعظم عائدته على الناس.

⇦ الثاني (مخطوط). الإرشاد: ٣٠٤.

(١) خلاصة تهذيب الكمال: ٥٤.

اَلفِرَقُ الدِّينِيَّة

ومن بين السمات البارزة في عصر الإمام الصادق عليه السلام انتشار الفرق الدينيّة، واتّساع بحوثها الجدليّة والكلاميّة، فكلّ فرقة تبنّت لها حوزة علميّة تبشّر بمبادئها، وتنشر أفكارها، وتحاول أن تكسب لها قاعدة شعبيّة تجعلها الأكثر أهمّية على الصعيد الفكري والاجتماعي.

وكانت المناقشات بين علماء الفرق تعقد في كثير من الأحيان في أندية الوزراء وكبار رجال الدولة، فقد كان البرامكة يعقدون في أروقة قصورهم الاجتماعات الحافلة بزعماء الفِرق الدينيّة للمناظرة فيما بينهم، وكانت معظم البحوث تحوم حول الإمامة التي هي موضع الجدل بين جميع الفرق الإسلاميّة، فقد اختلفوا كأشدّ ما يكون الاختلاف في إمامة المفضول مع وجود من هو أفضل منه، فالمعتزلة كانت تصحّح ذلك لتثبّت شرعيّة حكومة الخلفاء الذين تقلّدوا الحكم قبل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الذي هو أفضل الخلفاء ـ بإجماع المسلمين ـ وذلك بما يملكه من طاقات علميّة وقضائيّة لم يتوفّر بعضها عند غيره.

وكانت الشيعة تنكر أشدّ الانكار إمامة المفضول، وتتمسّك في الرد على المعتزلة بما أعلنه القرآن الكريم بصراحة من الاستنكار للتساوي بين المفضول والفاضل. قال تعالى: ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1]، بالإضافة إلى أنّ في

---

(١) الزمر ٣٩: ٩.

تقديم المفضول على الفاضل سحقاً للمواهب والكفاءات ، وتدميراً للمقاييس ، وهذا ممّا يتنافى مع حكومة العقل وشريعة الله .

وكان البرامكة يدعون للمناظرة زعيم الشيعة الإماميّة في هذا المضمار المتكلّم العالِم هشام بن الحكم ، وكان في كلّ مناظرة يخرج ظافراً ومنتصراً ، وخصومه قد بان عليهم الهوان والاذلال ، وقد فزع الرشيد كأشدّ ما يكون الفزع من هشام ، وقال كلمته المشهورة : « إنّ لسان هشام أضرّ على الحكومة العبّاسيّة من مائة ألف سيف تشهر ضدّها » .

وأكبر الظنّ أنّ هذه الحلقات التي يعقدها الوزراء لم تكن بدافع العلم أو التسلية ـ كما يقول البعض ـ وإنّما كانت لأغراض سياسيّة للتعرّف على أكثر الفِرق مناوءة للسلطة في أهدافها ومبادئها . وكما كانت المناظرات يعقدها الوزراء ، كذلك كان يعقدها الملوك ، فقد عقد المنصور الدوانيقي في بهو قصره مناظرة بين الإمام الصادق عليه السلام وبين أبي حنيفة ، وكان قد أوعز لأبي حنيفة أن يسأل الإمام بأغمض المسائل وأكثرها تعقيداً ، لعلّ الإمام يعجز عن الإجابة ، فيتّخذ ذلك وسيلة للطعن بالإمام والتشهير بعقائد الإماميّة التي تصرّ على أنّ الإمام لا بدّ أن يكون أعلم أهل زمانه .

وأعدّ أبو حنيفة أربعين مسألة كانت من أغمض المسائل ـ حسبما يقول أبو حنيفة ـ وقبل أن تفتح المناظرة التفت المنصور إلى الإمام قائلاً له :

« هذا أبو حنيفة » محاولاً بذلك إرهاب الإمام واضطرابه حتّى يرتبك في جوابه ، ولكنّ الإمام لم يعن بذلك ، وعرض أبو حنيفة مسألة على الإمام فأجابه عليه السلام : « **أَنْتُمْ تَقولونَ كَذا ، وَهُمْ** ـ أي أهل الحجاز ـ **يَقولونَ كَذا ، وَنَحْنُ نَقولُ كَذا** » .

يقول أبو حنيفة : « ربّما تابعنا في الجواب ، وربّما خالفنا حتّى أتيت على الأربعين مسألة ما أخلّ منها بمسألة واحدة ، وأعرب أبو حنيفة عن إعجابه بمواهب الإمام

قائلاً: «أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس»(١).

وفات على المنصور ماكان يأمله من إفحام الإمام وتعجيزه.

وعلى أيّ حال، فإنّ المناظرات التي عقدها الملوك والوزراء وتأييدهم السافر لبعض الفرق الإسلاميّة لم يكن المقصود منه ـ فيما أحسب ـ إلّا وقف المدّ للمذهب الإمامي الشيعي الذي يساير الفطرة، ويواكب الوعي فيما تبنّاه من الأهداف والمبادئ الهادفة إلى تطوير المجتمع اقتصادياً وفكرياً.

ومن المؤسف حقّاً أنّ أغلب المؤلّفين عن الفِرق الإسلامية لم تكن بحوثهم خاضعة للواقع، ولا مجرّدة عن العواطف والأهواء التقليديّة، ومن ثمّ كانت مشوّهة وبعيدة كلّ البعد عن المناهج العلميّة. وعسى أن أكون قد أخلصت للحقّ فيما كتبته من بحوث عن بعض الفِرق الإسلاميّة التي كانت معاصرة للإمام الصادق عليه السلام.

الشيعة

أُريد أن ألتزم جانب الحياد فيما أكتبه عن الشيعة، فأُبرز ـ بأمانة ـ ما تلتزم به هذه الطائفة من مبادئ في إطارها العقائدي، فقد اتّهمت ـ في غير إنصاف ـ باتّهامات رخيصة تبرأ منها، وتعلن التزامها بما قنّنه الإسلام في الميادين السياسيّة والتشريعيّة، وفيما يلي عرضاً لبعض أفكارها:

معنى الشيعة

الشيعة ـ في اللغة ـ هم الأتباع والأنصار، وغلب هذا الإسم على كلّ من يدين بالولاء للإمام أمير المؤمنين وأهل بيته عليهم السلام.

(١) جامع أسانيد أبي حنيفة: ١: ٢٥٢. مناقب أبي حنيفة: ١: ١٧٣. تذكرة الحفّاظ: ١: ١٥٧.

يقول ابن منظور: «أصل الشيعة الفرقة من الناس، ويقع على الواحد والإثنين، والجمع والمذكّر والمؤنّث بلفظ واحد، ومعنى واحد، وقد غلب وصار اسماً على من يتولّى عليّاً وأهل بيته رضوان الله عليهم أجمعين، حتّى صار اسماً خاصّاً، فإذا قيل: فلان من الشيعة عُرف أنّه منهم».

قال الشيخ المفيد: «التشيّع في اللغة هو الاتّباع على وجه التديّن، والولاء للمتبوع على الإخلاص. قال الله عزّ وجلّ: ﴿**فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ**﴾[1]، ففرّق بينهما في الولاية والعداوة، وجعل موجب التشيّع لأحدهما هو الولاء بصريح الذكر له في الكلام. فأمّا إذا أدخل فيه علامة التعريف بأن يقال: الشيعة فهو على التخصيص لا محالة لأتباع أمير المؤمنين عليه السلام بلا فصل، ونفي الإمامة عمّن تقدّمه في مقام الخلافة، وجعله في الاعتقاد متبوعاً له غير تابع لأحد منهم على وجه الاقتداء»[2].

لقد ألقى الشيخ المفيد رحمه الله الأضواء على مدلول التشيّع، وبيّن حقيقته ومفاده، فهو اسم لكلّ من قال بالنصّ على إمامة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وأنّه الخليفة من بعد النبيّ صلى الله عليه وآله مباشرة.

يقول الكميت:

وَمـا لِـيَ إِلَّا آلَ أحـمَدَ شِيعةٌ وما لِيَ إِلَّا مَذهَبُ الحَقِّ مَذهَبُ

نشأة التشيّع

والشيء المحقّق هو أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله هو الذي أطلق هذا الإسم ومنحه لأتباع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، اسمعوا ما قاله:

---

(١) القصص ٢٨: ١٥.

(٢) أوائل المقالات: ٢ ـ ٤.

١ ـ « يا عَلِيُّ ، أَنْتَ وَشيعَتُكَ تَرِدونَ عَلَيَّ الْحَوْضَ »[١] .

٢ ـ « يا عَلِيُّ ، إِنَّكَ سَتَقْدِمُ عَلَى اللهِ وَشيعَتُكَ راضونَ مَرْضِيّونَ ، وَيَقْدِمُ أَعْداؤُكَ غِضاباً مُقْمَحينَ »[٢] .

٣ ـ « عَلِيٌّ وَشيعَتُهُ هُمُ الْفائِزونَ يَوْمَ الْقِيامَةِ »[٣] .

٤ ـ « يا عَلِيُّ ، أَنْتَ وَشيعَتُكَ في الْجَنَّةِ »[٤] .

٥ ـ « يا أَبا الْحَسَنِ ، أَنْتَ وَشيعَتُكَ في الْجَنَّةِ »[٥] .

٦ ـ « يا عَلِيُّ ، أَنْتَ وَشيعَتُكَ تَرِدونَ عَلَيَّ الْحَوْض »[٦] .

٧ ـ لمّا نزلت الآية الكريمة : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾[٧] قال النبيّ ﷺ : « يا عَلِيُّ ، هُوَ أَنْتَ وَشيعَتُكَ تَأْتونَ يَوْمَ الْقِيامَةِ راضينَ مَرْضِيّينَ »[٨] .

إلى غير ذلك من الأحاديث التي أُثرت عن الرسول الأعظم ﷺ ، وقد صرّحت أنّ النبيّ ﷺ هو الذي أطلق هذا الإسم على أتباع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام .

يقول الإمام محمّدالحسين آل كاشف الغطاء رحمه الله : « إنّ أوّل من وضع بذرة التشيّع في حقل الإسلام هو نفس صاحب الشريعة الإسلاميّة ، يعني أنّ بذرة التشيّع وضعت مع بذرة الإسلام جنباً إلى جنب ، وسواء بسواء »[٩] .

---

(١) مجمع الزوائد : ٩ : ١٣١ . كنوز الحقائق : ١٨٨ . الاستيعاب : ٢ : ٤٥٧ .

(٢) الصواعق المحرقة : ٩٣ .

(٣) كنوز الحقائق : ١٨٨ .

(٤ ـ ٦) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة : ١ : ٢٥٧ .

(٧) البقرة ٢ : ٢٧٧ . يونس ١٠ : ٩ . هود ١١ : ٢٣ . الكهف ١٨ : ٣٠ و ١٠٧ . مريم ١٩ : ٩٦ . لقمان ٣١ : ٨ . فصّلت ٤١ : ٨ . البروج ٨٥ : ١١ . البيّنة ٩٨ : ٧ .

(٨) تاريخ بغداد : ١٢ : ٣٥٨ .

(٩) أصل الشيعة وأصولها : ١٨٤ .

ويقول العلّامة الحجّة الشيخ محمّدالحسين المظفّر: «إنّ الدعوة إلى التشيّع ابتدأت من اليوم الذي هتف فيه المنقذ الأعظم محمّد صلوات الله عليه صارخاً بكلمة لا إله إلّا الله، فإنّه لمّا نزل عليه قوله: ﴿ **وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ** ﴾[1] جمع بني هاشم وأنذرهم قائلاً: **أَيُّكُمْ يُؤازِرُني لِيَكُونَ أَخي وَوارثي وَوَصِيّي وَخَليفَتي فيكُمْ بَعْدي؟**

فلمّا لم يجبه إلى ما أراد غير المرتضى، قال لهم الرسول: **هذا أَخي، وَوارِثي، وَوَزيري، وَوَصِيّي، وَخَليفَتي فيكُمْ بَعْدي، فاسْمَعوا لَهُ وَأَطيعوا**.

فكانت الدعوة إلى التشيّع لأبي الحسن من صاحب الرسالة تمشي معه جنباً لجنب مع الدعوة للشهادتين، ومن ثمّ كان أبو ذرّ الغفاري من شيعة عليّ عليه السلام».

وينقل الشيخ المظفّري عن محمّد كرد عليّ مؤلّف (خطط الشام) قوله: «عرف جماعة من كبار الصحابة بموالاة عليّ في عصر رسول الله صلى الله عليه وآله، مثل:

سلمان الفارسي القائل: بايعنا رسول الله صلى الله عليه وآله على النصح للمسلمين، والائتمام بعليّ بن أبي طالب، والموالاة له.

ومثل أبي سعيد الخدري القائل: أمر الناس بخمس، فعلوا أربعاً وتركوا واحدة، ولمّا سئل عن الأربع قال: الصلاة والزكاة وصوم شهر رمضان والحجّ.

قيل: فما الواحدة التي تركوها؟

قال: ولاية عليّ بن أبي طالب.

لقد نشأت الشيعة في عهد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله فهو الذي وضع قواعدها، وأرسى أُصولها، وأعلنها صريحة واضحة لا لبس فيها ولا غموض في أخذه البيعة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام في غدير خمّ، وقوله: «**مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاهُ، اللّهُمَّ**

---

(١) الشعراء ٢٦: ٢١٤.

والِ مَنْ والاهُ ، وَعادِ مَنْ عاداهُ ، وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ ، وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ » ، وقد بايعه ما يزيد على مائة ألف من المسلمين ، كما بايعته السيّدات من اُمّهات المؤمنين ، وبذلك فقد نصّبه قائداً عامّاً لاُمّته ، وقلّده الخلافة والنيابة العامّة عنه ﷺ .

أضواء على التشيّع

اُريد أن أبحث عن التشيّع بلغة العلم التي هي من أنجح الوسائل وأقومها في جمع الكلمة وتوحيد الصفّ ، وأبتعد كلّ البعد عن الأساليب الجافّة التي تثير العواطف ، وتفرّق الصفوف ، ولا يتذوّقها إلّا من مات ضميره .

ضرورة الإمامة

أمّا الإمامة فنعني بها القيادة العامّة للاُمّة في مجالاتها الإداريّة والقضائيّة والعسكريّة والاقتصاديّة ، وغيرها من شؤون الحياة العامّة ، وهي ضرورة اجتماعيّة تمسّ حياة الناس جميعاً لا غنىً لهم عنها بحال من الأحوال .

وقد اتّفق المسلمون بجميع فرقهم وطوائفهم على ضرورتها ،كما اتّفق غيرهم من ذوي المذاهب الاجتماعيّة والأديان السماويّة على أنّها عنصر من عناصر الحياة ، ومقوّم من مقوّماتها ؛ إذ من المستحيل أن تكون اُمّة من الاُمم تتمتّع بالسيادة والاستقلال من دون أن تكون لها دولة لها رئيس يرعاها ، ويدير شؤونها ، فإنّها إن أهملت ذلك سادت فيها الفوضى ، وعمّت فيها المخاوف والمخاطر ، وانهارت جميع اُسس حياتها .

وقد أقام الرسول ﷺ دولته في يثرب ، وتزعّم قيادتها ،لأنّه لا يمكن أن يحقّق أي هدف من أهدافه ومبادئه من دونها .

شروط الإمامة

ويجب أن تتوفّر في الإمام جميع عناصر الخير، وصفات الشرف والفضيلة، ومن أهمّ تلك الصفات مايلي:

١ ـ العلم

يجب أن يكون الإمام عالماً بشؤون الشريعة وأحكام الدين، وأن يكون خبيراً بما تحتاج إليه الأُمّة في شؤونها الاقتصاديّة والسياسيّة والعسكريّة، وأن يحتاط في أُمورها كأشدّ ما يكون الاحتياط، وأن يتصدّى بحزم وعلم إلى تطوير حياتها فكريّاً واجتماعيّاً.

ومن الطبيعي أنّ الجاهل لا يمكنه أن يحقّق أي هدف من أهدافها، وتظلّ قابعة في زوايا الجهل والخمول.

٢ ـ العدالة

ولا بدّ أن يكون الإمام عادلاً ورعاً تقيّاً يؤثر مصالح الأُمّة على مصالحه، ويؤثر رضاء الله تعالى على كلّ شيء، ليجنّب الأُمّة من المظالم، ويسير فيها بسيرة قوامها العدل الخالص، والحقّ المحض.

٣ ـ الشجاعة

ولا بدّ أن يكون الإمام شجاعاً قويّ القلب، حديديّ الإرادة، لا ينهار أمام الأحداث والأزمات.

٤ ـ السخاء

من الشروط اللازمة في الإمام أن يكون نديّ الكفّ، مبسوط اليدين، بعيداً عن الشحّ والبخل، فإذا لم يتّصف بذلك تتعرّض الأُمّة للمجاعة العامّة، والبؤس الشامل، وقد عانت الأُمّة الضيق والحرمان أيّام حكم المنصور الدوانيقي، الذي

جهد في نهب أموال الرعيّة، فملأ خزائنه بالأموال الطائلة من دون أن ينفق منها شيئاً في تطوير الحياة الاقتصاديّة في البلاد.

٥ ـ العصمة

أمّا العصمة فهي عبارة عن الامتناع عن اقتراف الذنب، عمداً كان أو خطأ، وتجمع الشيعة منذ فجر تاريخهم على اعتبارها في الإمام، وأنّها من عناصره ومقوّماته، وقد أنكرها أشدّ الانكار المناوئون للشيعة، وادّعوا أنّها من ضروب المستحيل، ولكنّهم لو راجعوا سيرة الأئمّة الأطهار، وأمعنوا النظر في أحوالهم لآمنوا بعصمتهم.

ألم يقل سيّد العترة الطاهرة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «**وَاللهِ لَوْ أُعْطيتُ الْأَقاليمَ السَّبْعَةَ بِما تَحْتَ أَفْلاكِها عَلىٰ أَنْ أَعْصِيَ اللهَ في جِلْبِ شَعيرَةٍ أَسْلِبها مِنْ فَمِ جَرادَةٍ ما فَعَلْتُ**»، أليست هذه العصمة؟

ومن أمثلة عصمته: أنّ عبدالرحمن بن عوف بعد وفاة عمر ألحّ عليه أن يتقلّد الخلافة ولكن بشرط أن يسير بسيرة الشيخين، فأبى وامتنع، ولو كان من عشّاق الملك لأجابه إلى ذلك ثمّ يخالفه ويعمل برأيه، أليست هذه هي العصمة؟

وقد اقتدى بهذه السيرة المشرقة الأئمّة المعصومون من أبنائه الذين فرض الله مودّتهم على عباده، والذين قرنهم الرسول صلى الله عليه وآله بمحكم التنزيل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، ولو كانوا غير معصومين لما صحّت المقارنة بحال من الأحوال.

عليّ عليه السلام والخلافة

وليس استحقاق الإمام أمير المؤمنين عليه السلام للخلافة من بعد النبيّ صلى الله عليه وآله مبنياً على قربه من الرسول صلى الله عليه وآله لكونه ابن عمّه، وزوج ابنته، وغير ذلك من الاعتبارات

العاطفيّة ، وإنّما كان مبنياً على القابليّات الفذّة التي يتمتّع بها الإمام ، وبالإضافة لذلك فإنّ هناك بعض الأدلّة التي تدلّ على أنّ النبيّ ﷺ أقامه خليفة من بعده ، وفيما يلي ذلك :

١ ـ إنّ ما تتطلّبه القيادة العامّة للأُمّة من النزعات الخيّرة ، والصفات الفاضلة كلّها توفّرت على الوجه الأكمل في الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، فهو من أزهد الناس وأتقاهم ، فقد زهد عن جميع رغبات الحياة وملاذّها ، وطلّق دنياه ثلاثاً ـ كما يقول ـ وبإجماع المؤرّخين ، لم يضع لبنة على لبنة ، ولم يتّخذ من غنائمها وفراً ، ولمّا تقلّد الخلافة أدهش الناس بعدله ، وظلّوا يتحدّثون عن روائع عدله ، فقد كان القريب والبعيد عنده سواء ، والعزيز عنده ذليل حتّى يأخذ منه الحقّ ، والذليل عنده عزيز حتّى يأخذ حقّه ، وقضايا عدله ممّا يعتزّ بها الإسلام ، ويفخر بها المسلمون ، فلم يؤثر عن حاكم مثله على امتداد التاريخ أنّه قد سار بين الناس بسياسة قوامها العدل الخالص والحقّ المحض .

ومن صفاته الفاضلة أنّه كان أعلم الناس بشؤون الشريعة وأحكامها ، وأدرى بفلسفة الإسلام من غيره ، فهو باب مدينة علم النبيّ ﷺ ، وأقضى أُمّته ـ حسبما يقول الرسول ﷺ ـ وكان المرجع الأعلى للأحكام الشرعيّة في أيّام الخلفاء ، وقد اشتهرت كلمة عمر : « لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن » ، وقال : « لولا عليّ لهلك عمر » ، ومع توفّر الصفات الكاملة في الإمام ، وعدم توفّر بعضها في غيره كيف لا ينتخبه النبيّ ﷺ قائداً أعلى لأُمّته يهديها إلى سواء السبيل ، ويرشدها إلى معالم الحياة الرفيعة .

٢ ـ إنّ النبيّ ﷺ صاحب رسالة عالميّة ، ودعوة عامّة لجميع أبناء البشر ، فقد جاء محرّراً ومبشّراً ومنقذاً للعالم بأسره ، وقد جاهد كأعظم ما يكون الجهاد ، فخاض الأهوال والحروب ، وعانى من الاضطهاد ما لم يعانه أي مصلح اجتماعي في الأرض .

ومن أهمّ ما كان يفكّر به النبيّ ﷺ مصير أُمّته من بعده، ففيها الطامعون، وفيها المنافقون، وفيها المرتدّون على أعقابهم، وكانت هذه الجهات أمام النبيّ ﷺ، ومن الطبيعي أنّ صاحب الدعوة والرسالة أهمّ ما عنده استمرار رسالته وديمومتها من بعده، وكان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام هو أصلح أهل بيته وأصحابه لتحمّل الرسالة الإسلاميّة، فقد ربّاه النبيّ ﷺ صغيراً، ووعى رسالة الله، وجاهد في سبيلها كأعظم ما يكون الجهاد، فاختاره ﷺ علماً لأُمّته، ومرجعاً عامّاً لها، وذلك حرصاً عليها من الاختلاف، وضماناً لمصالحها، وحفظاً على استمرار رسالته في أداء فعّاليّاتها المشرقة إلى الناس.

٣ - إنّه قد أُثرت عن النبيّ ﷺ كوكبة مشرقة من الأحاديث في حقّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، أجمع على روايتها، والاعتراف بصحّتها، كحديث الطائر المشوي، وحديث المنزلة، وحديث الغدير، وحديث الثقلين، وحديث السفينة، وغيرها من مئات الأحاديث، وهي تشيد بفضل أبي الحسن عليه السلام، وتبرز قيمه، وسموّ منزلته عند الله وعند الرسول ﷺ، والمتأمّل فيها يطلّ على الغاية المنشودة للرسول ﷺ من تعيينه للإمام خليفة من بعده، وقائداً لمسيرة أُمّته، ولو كان المقصود التدليل على فضله لكان يكفيه حديث أو أكثر، كما ورد ذلك في فضل بعض، كعمّار بن ياسر، وأبي ذر، وغيرهما من أعلام الصحابة.

٤ - إنّ بضعة الرسول ﷺ وسيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء سلام الله عليها، التي يرضى الله لرضاها، ويغضب لغضبها ـ حسبما أعلن الرسول ﷺ ذلك في كثير من أحاديثه ـ قد نقمت على أبي بكر وشجبت بيعته لاحتلاله مركز الإمام أمير المؤمنين، وقد خطبت خطبتها الشهيرة في جامع أبيها، دعت فيها إلى الثورة على حكومة أبي بكر، وهي سلام الله عليها وديعة النبيّ في أُمّته، وأتقى امرأة خلقها الله، فلو لم تعلم أنّ أباها قد عقد الخلافة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام لما قامت بمناهضة أبي بكر، كما أوصت الإمام أمير المؤمنين أن يدفنها في غلس الليل البهيم، ولا يحضر

أبو بكر وعمر جنازتها ، وأن يعفّي موضع قبرها ، وفي هـذا دليـل سـاطع عـلى أنّ التشيّع قد نشأ في عهد رسول الله ﷺ ، وأنّ بضعته هي التي رعت التشيّع ، وسقت غرسه .

٥ ـ إمتناع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عن بيعة أبي بكر ، وتخلّف خيار الصحابة وأعلامهم عن بيعته كأبي ذرّ ، وسلمان الفارسي ، وعمّار بن ياسر ، وخالد بن سعيد ، وغيرهم من بناة الإسلام ، واحتجاجهم على أبي بكر بأنّ الإمام أمير المؤمنين أوْلى منه بمقام رسول الله ﷺ .

يقول خالد بن سعيد للإمام : « هلمّ أُبايعك ، فوالله ما في الناس أحد أوْلى بمقام محمّد منك »[١] .

هذه بعض الأدلّة على أنّ الإمام عليه السلام أوْلى وأحقّ بالخلافة من غيره .

نظرة الشيعة للأئمّة

أمّا نظرة الشيعة لأئمّة أهل البيت عليهم السلام فإنّها تتّسم بالاعتدال ، فليس فيها إفراط في الحبّ ولا غلوّ ، فقد ذهبوا إلى أنّهم سلام الله عليهم عـباد الله المكـرمون ، الذيـن لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ، وأنّهم أهل الذكر ، وأُولو الأمر ، وبقيّة الله في أرضه ، وخيرته في عباده ، وعيبة علمه ، قد عصمهم الله من الفتن ، وطـهّرهم مـن الدنس ، وأذهب عنهم الرجس ، وطهّرهم تطهيراً ، ووصـفهم سـيّدهم الإمـام أمـير المؤمنين عليه السلام بقوله :

« هُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ ، وَمَوْتُ الْجَهْلِ . يُخْبِرُكُمْ حِلْمُهُمْ عَـنْ عِـلْمِهِمْ ، وَظَـاهِرُهُمْ عَـنْ بَاطِنِهِمْ ، وَصَمْتُهُمْ عَنْ حِكَمِ مَنْطِقِهِمْ .

---

(١) تاريخ اليعقوبي : ٢ : ١٠٥ .

لَا يُخَالِفُونَ الْحَقَّ وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ. وَهُمْ دَعَائِمُ الإِسْلَامِ، وَوَلَائِجُ الاعْتِصَامِ. بِهِمْ عَادَ الْحَقُّ إِلَىٰ نِصَابِهِ، وَانْزَاحَ الْبَاطِلُ عَنْ مُقَامِهِ، وَانْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ مَنْبِتِهِ.

عَقَلُوا الدِّينَ عَقْلَ وِعَايَةٍ وَرِعَايَةٍ، لَا عَقْلَ سَمَاعٍ وَرِوَايَةٍ. فَإِنَّ رُوَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ، وَرُعَاتَهُ قَلِيلٌ»(١).

ووصفهم الشاعر المجاهد الكبير الكميت بقوله:

الْـقَرِيبِينَ مِـنْ نَـدَىً وَالْـبَعِيدِيـ ... ـنَ مِنَ الْجَوْرِ في عُرَى الأَحْكامِ(٢)
وَالْـمُصِيبِينَ بـابَ مـا أَخْطَأَ النّا ... سُ وَمُـرْسِي قَـواعِـدَ الإِسْـلامِ
وَالْحُماةِ الْكُفاةِ في الحَرْبِ إِنْ لَفَّ ... ضِـرامٌ وَقـودَهُ بِـضِرَامِ(٣)
وَالْـغُيُوثِ الَّـذِينَ إِنْ أَمْـحَلَ النّا ... سُ فَـمَأْوَى حَـواضِـنِ الأَيْـتامِ(٤)
راجِحِي الْوَزْنِ كامِلِي الْعَدْلِ في الـ ... ـسِّيرَةِ طَبِّيِّنَ بِـالأُمورِ الْـعِظامِ(٥)
سـاسَةٌ لا كَـمَنْ يَـرْعَى النّـا ... سَ سَـواءً وَرِعْـيَةَ الأَغْـنامِ(٦)

هذه نظرة الشيعة للأئمّة الطاهرين عبّر عنها شاعرهم ولسانهم الكميت، وليس فيها غلوّ، ولا انحراف عن الدين، وإنّما كانت متّسمة بالإكبار والتعظيم لهم.

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢: ١٠٥.

(٢) **الندى**: الكريم.

(٣) **الضّرام**: الوقود.

(٤) **الغيث**: المطر والخصب. **أمحل الناس**: أجدبوا، **والمحل**: الجدب والقحط، **والممحل**: المجدب. **حواضن الأيتام**: يريد بهنّ أمّهات الأيتام.

(٥) **الطب**: الحاذق من الرجال، الماهر بعلمه.

(٦) يقول: إنّهم يتعهّدون الناس بحسن السياسة لا يدعونهم هملاً كالأنعام، وقوله: «لا كمن يرعى الناس» يعني بهم بنو أميّة. الروضة المختارة: ٨ ـ ١٤.

حبّ الشيعة للأئمّة

وامتلأت قلوب الشيعة بالولاء والمودّة لأهل البيت عليهم السلام وقد قادتهم إلى ذلك النصوص الإسلاميّة من الكتاب والسنّة، كآية المودّة، وحديثي السفينة والثقلين، وغيرها من النصوص المتواترة، وهي تلزم المسلمين بوجوب مودّتهم، وقد آمنت الشيعة بذلك منذ فجر تاريخهم، فهذا أبو الأسود الدؤلي ـ وهو من أعلام الشيعة ـ قد ردّ على من لامه في حبّه لأهل البيت بهذين البيتين:

أَفَعِندي في حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ ... حَجَرٌ بِفِيكَ فَدَعْ مَلامَكَ أَوْ زِدُ

مَنْ لَمْ يَكُنْ بِحِبالِهِمْ مُتَمَسِّكاً ... فَلْيَعْتَرِفْ بِوَلاءِ مَنْ لَا يَرشُدُ(١)

وعاب قوم على أبي الأسود تشيّعه وولاءه لأهل البيت، فردّ عليهم بهذه المقطوعة الرائعة:

أُحِبُّ مُحَمَّداً حُبّاً شَديداً ... وعَبّاساً وحَمزةَ وَالْوَصِيّا

وجَعفَرَ إنَّ جَعْفرَ خَيْرُ سِبْطٍ ... شَهيدٌ في الجِنانِ مُهاجِرِيّا

أُحِبُّهُمُ لِحُبِّ اللهِ حَتّى ... أَجيءَ إذا بُعِثتُ عَلى هَوِيّا

هَوَىً أُعْطيتُهُ مُنذُ استَدارَتْ ... رَحى الإِسلامِ لَمْ يَعدِلْ سَوِيّا

يَقولُ الأَرذَلونَ بَنو قُشيرٍ ... طِوالَ الدَّهرِ لا تَنْسى عَلِيّا

فَقُلتُ لَهُمْ وَكَيفَ يَكونُ تَرْكي ... مِنَ الأَعْمالِ ما يَقضي عَلِيّا

بَنو عَمِّ النَّبيِّ وَأَقرَبوهُ ... أَحَبُّ النّاسِ كُلِّهِمُ إِلَيّا

فَإِنْ يَكُ حُبُّهُم رُشداً أُصِبْهُ ... وَلَسْتُ بِمُخْطِئٍ إِنْ كانَ غَيّا

---

(١) ديوان أبي الأسود: ٢٥٣.

هُمْ أَهْلُ النَّصيحَةِ مِنْ لَدُنْ ... وَأَهْلُ مَوَدَّتي ما دُمْتُ حَيًا
رَأَيْتُ اللهَ خالِقَ كُلِّ شَيْءٍ ... هَداهُمْ وَاجْتَبى مِنْهُمْ نَبِيًا
هُمْ آسوا رَسولَ اللهِ حَتّى ... تَربَّعَ أَمْرُهُ أَمْراً قَوِيًا (١)

وهذا عبدالله بن كثير السهمي يردّ على من يرى أن ولاءه لأهل البيت عليهم السلام ذنب بهذه الأبيات:

إِنَّ امْرَءاً أَمْسَتْ مَعايبُهُ ... حُبَّ النَّبيّ لَغَيرُ ذي ذَنْبِ
وَبَني أَبي حَسَنٍ وَوالِدِهِمْ ... مَنْ طابَ في الْأَرْحامِ وَالصُّلْبِ
أَيُعَدُّ ذَنْباً أَنْ أُحِبَّهُمُ ... بَلْ حُبُّهُمْ كَفّارَةُ الذَّنْبِ (٢)

وهذا حرب بن المنذر بن الجارود قد قنع من دنياه باليسير من الطعام زاهداً في الدنيا، وهو يعلن أنّه قد ظفر بما هو خير من الدنيا، وهو الولاء لأهل البيت. يقول:

فَحَسبي مِنَ الدُّنْيا كَفافٌ يُقيمُني ... وَأَثْوابُ كَتّانٍ أَزورُ بِها قَبري
وَحُبّي ذَوِي قُربَى النَّبيِّ مُحَمَّدٍ ... فَما سالنا إِلّا الْمَوَدَّةَ مِنْ أَجْرِ (٣)

ويقول السيّد الحميري:

إِنّي امْرُؤٌ حِمْيَرِيٌّ غيرُ مُؤْتَشِبٍ ... جَدّي رُعَينٌ وَأَخوالي ذَوُو يَزَنِ
ثُمَّ الْوَلاءُ أَرْجو النَّجاةَ بِهِ ... يَومَ الْقِيامَةِ لِلْهادي أَبي الْحَسَنِ (٤)

---

(١) ديوان أبي الأسود: ١٧٦.
(٢) البيان والتبيين: ٣: ٣٦٠.
(٣) البيان والتبيين: ٣: ٢٣٦.
(٤) البيان والتبيين: ٣: ٢٣٤.

ويقول بعض شعراء الشيعة :

أُدينُ بِدِيْنِ المُصطفَى وَوصيِّهِ ... وَالطّاهِرينَ وسَيِّدِ الْعُبّادِ
وَمُحَمَّدٍ وَبِجَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ ... وَسَمِيِّ مَبْعوثٍ بِشَطِّ الْوادي
وَعَلِي الرِّضا ثُمَّ الْجَوادِ مُحَمَّدٍ ... وَعَلِيِّ المَعْصومِ ثُمَّ الهادي
حَسَنٍ وَأَكْرِمْ بَعْدَهُ بإمامِنا ... بِالْقائِمِ الْمَسْتورِ لِلمِيعادِ(١)

ويعلن الفرزدق أنّ حبّه لآل البيت دين ، وأنّ بغضهم كفر ومروق من الإسلام . يقول :

مِنْ مَعْشَرٍ حُبُّهُمْ دِيْنٌ وَبُغْضُهُمْ ... كُفْرٌ وَقُرْبُهُمْ مَنجىً وَمُعْتَصَمُ
إنْ عُدَّ أَهْلُ التُّقَى كانوا أئِمَّتَهُمْ ... أَوْ قِيلَ مَنْ خيرُ أَهْلِ الأَرْضِ قِيلَ هُمُ

ويقول شاعر أهل البيت الكميت :

إِلَيكُمْ ذَوِي آلِ النَّبيِّ تَطَلَّعَتْ ... نَوازِعُ مِنْ قَلْبي ظِماءٌ وَأَلبُبُ
فَطائِفَةٌ قَدْ كَفَّرَتْني بِحُبِّكُمْ ... وَطائِفَةٌ قالوا مُسيءٌ وَمُذْنِبُ
فَما سائَني تَكْفيرُ هاتِيكَ مِنهُمُ ... وَلا عَيبُ هاتِيكَ الَّتي هِيَ أَعْيَبُ
يَعيبونَني مِنْ خَبِّهِمْ وَضَلالِهِمْ ... عَلى حُبِّكُمْ بَلْ يَسْخَرونَ وَأَعْجَبُ(٢)
وَقالوا تُرابِيٌّ هَواهُ وَرَأْيُهُ ... بِذلِكَ أُدْعَى فيهِمُ وَأُلَقَّبُ(٣)

وهذا الشعر الذي حكيناه عن شعراء الشيعة يمثّل خالص الودّ ، وعميق الحبّ

---

(١) البدء والتاريخ : ٥ : ١٢٦ .

(٢) **خَبِّهم** : خداعهم .

(٣) الروضة المختارة : ٣٧ .

لأئمّة أهل البيت عليهم السلام ، وليس فيه غلوّ ولا انحراف عن الدين كما يتّهمهم بذلك خصومهم .

مظاهر الولاء للأئمّة عليهم السلام

أمّا مظاهر ولاء الشيعة للأئمّة الطاهرين عليهم السلام فهي :

أوّلاً : إنّ الشيعة تأخذ معالم الدين أُصولاً وفروعاً عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام ، وتُجمع على لزوم العمل بأقوالهم وأفعالهم ، وأنّها من السنّة التي يجب العمل بها .

لقد بنت الشيعة إطارها العقائدي على ما أُثر عن أئمّة أهل البيت ، ولا يتعدّون في المجالات التشريعيّة إلى غيرهم من بقيّة المذاهب الإسلاميّة ، ولم يكن ذلك عن تعصّب ، وإنّما النصوص القطعيّة التي أُثرت عن النبيّ صلى الله عليه وآله قادتهم إلى ذلك ، ودفعتهم إليه .

ولنستمع إلى الإمام شرف الدين الذي يمثّل قمّة الفكر الشيعي . يقول رحمه الله : « إن تعبّدنا في الأُصول بغير المذهب الأشعري ، وفي الفروع بغير المذاهب الأربعة لم يكن لتحزّب أو تعصّب ، ولا لريب في اجتهاد أئمّة تلك المذاهب ، ولا لعدم عدالتهم وأمانتهم ونزاهتهم وجلالتهم علماً وعملاً ، لكن الأدلّة الشرعيّة أخذت بأعناقنا إلى الأخذ بمذاهب الأئمّة من أهل بيت النبوّة ، وموضع الرسالة ، ومختلف الملائكة ، ومهبط الوحي والتنزيل ، فانقطعنا إليهم في فروع الدين وعقائده ، وأُصول الفقه وقواعده ، ومعارف السنّه والكتاب ، وعلوم الأخلاق والسلوك والآداب نزولاً على حكم الأدلّة والبراهين ، وتعبّداً بسنّة سيّد النبيّين والمرسلين صلّى الله عليه وآله أجمعين .

ولو سمحت لنا الأدلّة بمخالفة الأئمّة من آل محمّد صلى الله عليه وآله أو تمكّنا من تحصيل نيّة القربة لله سبحانه في مقام العمل على مذهب غيرهم لتعقّبنا أثر الجمهور ، وقفونا

أثرهم تأكيداً لعقد الولاء ، وتوثيقاً لعرى الإخاء ، لكنّها الأدلّة تقطع على المؤمن وجهته ، وتحول بينه وبين ما يروم »[١].

وأضاف الإمام شرف الدين قائلاً : « وما أظنّ أحداً يجرؤ على القول بتفضيلهم ـ أي أئمّة المذاهب ـ في علم أو عمل على أئمّتنا ، وهم أئمّة العترة الطاهرة ، وسفن نجاة الأمّة ، وباب حطّتها ، وأمانها من الاختلاف في الدين ، وأعلام هدايتها ، وثقل رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقد قال : **فَلَا تَتَقَدَّموهُمْ فَتَهْلَكوا ، وَلَا تَقْصروا عَنْهُمْ فَتَهْلَكوا ، وَلَا تُعَلِّموهُمْ فَإِنَّهُمْ أَعْلَمُ مِنْكُمْ** ، لكنّها السياسة ، وما أدراك ما اقتضت في صدر الإسلام » .

وأيّد شيخ الإسلام الشيخ سليم عميد الأزهر هذا الجانب المشرق من حديث الإمام شرف الدين ، قال : « بل قد يقال : إنّ أئمّتكم الإثنى عشر أَوْلى بالاتّباع من الأئمّة الأربعة ، لأنّ الإثني عشر كلّهم على مذهب واحد قد محّصوه ، وقرّروه بإجماعهم بخلاف الأربعة ، فإنّ الاختلاف بينهم شائع في أبواب الفقه ، فلا تحاط موارده ولا تضبط ، ومن المعلوم أنّ ما يمحّصه الشخص الواحد لا يكافئ في الضبط ما يمحّصه إثنا عشر إماماً .

هذا كلّه ممّا لم تبق فيه وقفة لمنصف ، ولا جهة لمتعسّف »[٢].

إنّ تمسّك الشيعة بما أُثر عن أئمّة الهدى سلام الله عليهم في أحكام دينهم لم يكن عن عاطفة ، وإنّما الأدلّة الحاسمة هي التي دعتهم إلى ذلك ، وليس في هذه الجهة ـ والحمد لله ـ غلوّ ولا إفراط في الحبّ .

ثانياً : إنّ من مظاهر الولاء الذي تكنّه الشيعة لأئمّتهم ، أنّهم يقومون بإحياء ذكراهم ومآثرهم ، وينشرون مكارم أخلاقهم ، ومحاسن سيرتهم ، ويقيمون الحفلات التأبينيّة على ما أصابهم من عظيم الخطب ، وفادح الرزء من أئمّة الظلم والجور ،

---

(١) المراجعات : ٤٠ و ٤١ .

(٢) حياة الإمام محمّد الباقر عليه السلام : ٢ : ١١١ ـ ١١٣ .

كما يقومون بزيارة مراقدهم الطاهرة للتبرّك والتقرّب بها إلى الله تعالى ، فإنّ ذلك من أعظم الودّ الذي فرضه الله تعالى في محكم كتابه المجيد لهم .

هذه بعض مظاهر الولاء الذي تكنّه الشيعة للأئمّة الطاهرين ، وليس فيه غلوّ ، ولا خروج عن موازين الاعتدال ، وعلى هذا الأساس المعتدل أقامت الشيعة إطارها العقائدي في الولاء لأئمّة أهل البيت عليهم السلام(١) .

الفكر السياسي الشيعي

أمّا الفكر السياسي الشيعي فإنّه يهدف لتحقيق العدل الاجتماعي ، وتحقيق الفرص المتكافئة بين الناس ، وهو أرقى ما عرفته البشريّة في جميع مراحل تاريخها ، فقد حفل بكلّ ما يسمو ويسعد به الإنسان ، ومن بين ما حفل به :

١ ـ الرخاء الاقتصادي

وآمنت الشيعة بضرورة توفير الرخاء الاقتصادي لجميع الناس ، واعتبرت الفقر كارثة اجتماعيّة مدمّرة للمواهب والكفاءات يجب القضاء عليها بجميع الوسائل ، فإنّه ليس من الإسلام في شيء أن يكون في المجتمع الإسلامي ظلّ للفقر والحرمان ، ومن أجل ذلك ثار الزعيم الشيعي الجليل أبو ذرّ على الحكم الأموي ، الذي استأثر بخيرات الأرض ، وقد قال أبو ذرّ كلمته الرائعة : « عجبت لمن لا يجد القوت أن لا يخرج شاهراً سيفه » .

وقد ضاقت الحكومة الأمويّة منه ذرعاً ، ففرضت عليه الإقامة الجبرية في الشام ، فأخذ يوقظ المشاعر ، ويلهب العواطف ، ويدفع الناس إلى الثورة والتمرّد على الحكم الأموي ، وخاف الأمويّون منه ، فأوعز عثمان إلى معاوية بنقله إلى يثرب ،

---

(١) حياة الإمام محمّد الباقر عليه السلام : ٢ : ١١١ ـ ١١٣ .

ثمّ نقله منها إلى الربذة ، وهي أفقر بقعة في الحجاز ، وظلّ أبو ذر فيها يعاني الجوع حتّى توفّي مضطهداً جائعاً ، في حين أنّ ذهب الأرض بيد بني أُميّة وآل أبي معيط يتنعّمون فيه ، وينفقونه على شهواتهم وملاذّهم .

ومن بين الأهداف الأصيلة التي ثار من أجلها الإمام الحسين أبو الأحرار عليه السلام بسط الرخاء وإشاعته بين المسلمين ، لقد ثار الإمام من أجل أن ينقذ أموال المسلمين التي تلاعبت بها الطغمة الحاكمة من الأمويّين .

وعلى أيّ حال ، فإنّ ازدهار الاقتصاد العامّ وتطويره وتنميته جزء من الفكر السياسي الذي آمنت به الشيعة .

٢ ـ بسط العدل

ومن برامج الفكر السياسي الذي جاهدت من أجله الشيعة بسط العدل وإشاعته بين الناس ، وقد تبنّى العدل الخالص بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وصيّه وباب مدينة علمه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، فقد رأى الناس في عهده من صنوف العدل ما لم يشاهدوه في جميع مراحل التاريخ ، وظلّ أُنشودة الأحرار في كلّ زمان ومكان .

٣ ـ إلغاء التمايز العنصري

ومن بين الأهداف الأصيلة التي تبنّاها الفكر الشيعي إلغاء التمايز العنصري . يقول الإمام رائد العدالة الاجتماعيّة أمير المؤمنين عليه السلام في عهده السياسي للزعيم مالك الأشتر : « **فَإِنَّهُمْ ـ الناس ـ صِنْفَانِ : إِمَّا أَخٌ لَكَ في الدِّينِ ، أَوْ نَظِيرٌ لَكَ في الْخَلْقِ** » ، وطبّق الإمام عليه السلام ذلك تطبيقاً كاملاً حينما آل إليه الأمر ، فساوى في عطائه وصِلاته بين العرب والموالي ، فلم يميّز قوماً على آخرين ، وهذا هو السبب الذي دعا القوى الرأسماليّة المعادية للحقّ إلى محاربته ، كما أنّه هو السبب الذي دعا الموالي إلى اعتناق التشيّع ، والتفاني في الولاء والمحبّة له .

٤ ـ الثورة على الظلم

ومن أهمّ المبادئ الأساسيّة في الفكر السياسي الشيعي الثورة على الظلم ، ومناجزة الظالمين ، فقد انطلق في هذا الميدان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فرفع راية الثورة على الظلم والطغيان ، وانبرى تلميذه الوفي أبو ذر الغفاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله إلى مقاومة الاستبداد الأموي ، والطغيان الفاجر ، ونادى بالعدالة الاجتماعيّة ، وتهيئة الفرص لجميع المواطنين.

وانطلق حجر بن عديّ ، وهو من تلاميذ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، مع إخوانه الأحرار إلى مقارعة معاوية الذئب الجاهلي الذي حوّل البلاد الإسلاميّة إلى مزرعة له ولعملائه ، فأخذ هذا العملاق العظيم يدعو إلى الثورة ، ويشجب تصرّفات معاوية ، ويندّد بسياسته الجائرة ، وألقت السلطة المحلّية في الكوفة القبض عليه وعلى إخوانه ، وسيّرتهم إلى الشام ، فأعدموا في مرج عذراء ، وقد استشهدوا من أجل أن تسود العدالة والمساواة بين المسلمين ، ولا يبقى حكم للظلم والجور في البلاد.

ولم تمضِ الأيّام حتّى رفع علم الثورة الإمام الحسين عليه السلام سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وريحانته وسيّد شباب أهل الجنّة ، فقد نقم على الظلم السائد في عصره من جرّاء حكم حفيد أبي سفيان العدوّ الأوّل للإسلام.

وقد استشهد هذا الإمام العظيم على صعيد كربلاء ، وعانى صنوفاً من التنكيل والارهاق لم يشاهدها أي مصلح اجتماعي ثار على الظلم والظالمين ، وقد غيّر أبو الأحرار في ثورته الخالدة وجه التاريخ العربي والإسلامي ، فقد أخرج المسلمين من حياة العبوديّة والذلّ إلى حياة الكرامة والعزّ ، فقد فتح لهم أبواب النضال والكفاح ، وانطلقت من بعده الثورات المتلاحقة من شيعته وأحفاده ، وأحفاد أخيه الإمام الحسن عليه السلام ، وهي تنادي بالعدل ، وتنادي بالتحرّر من ربقة العبوديّة والذلّ والتخلّص من الحكم الجائر.

يقول الوردي : « الشيعة أوّل من حمل الثورة الفكريّة في الإسلام ضدّ الطغيان ، وفي نظريّاتهم تكمن روح الثورة ، وإنّ عقيدة الإمامة التي آمن بها الشيعة حملتهم على انتقاد الطبقة الحاكمة ، ومعارضتها في جميع مراحل تاريخهم ، وجعلتهم يرون كلّ حكومة غاصبة ظالمة مهما كان نوعها ، إلّا إذا تولى أمرها إمام معصوم ، لذلك كانوا في ثورة مستمرّة لا يهدأون ولا يفترون »(١) .

إنّ الثورات التي فجّرتها الشيعة أيّام الحكم الأموي والعبّاسي كانت صدى لفكرتهم التي آمنوا بها ، وهي تحقيق العدالة الاجتماعيّة ، والقضاء على جميع ألوان الظلم وضروب الفساد ، وإزالة الغبن الاجتماعي .

لقد كان الشيعة من أعظم الفِرق الدينيّة ، والمذاهب الاجتماعيّة انطلاقاً من ميادين الجهاد دفاعاً عن المحرومين والمضطهدين ، وتحريراً لإرادة الإنسان وكرامته .

الاضطهاد القاسي

وامتُحنت الشيعة امتحاناً عسيراً وشاقّاً في تلك العصور ، فقد أمعنت السلطات الحاكمة في اضطهادهم ، وعاملتهم بجميع ألوان القسوة والعذاب ، خصوصاً في أيّام معاوية .

يقول الإمام أبوجعفر عليه السلام : « **وَقُتِلَتْ شيعَتُنا بِكُلِّ بَلْدَةٍ ، وَقُطِعَتِ الْأَيْدي وَالْأَرْجُلُ عَلَى الظِّنَّةِ ، وَكانَ مَنْ يُذْكَرُ بِحُبِّنا وَالانْقِطاعِ إِلَيْنا سُجِنَ ، أَوْ نُهِبَ مالُهُ ، أَوْ هُدِمَتْ دارُهُ** »(٢) .

قال الحجّاج لأبي حرب بن أبي الأسود الدؤلي : « أما والله لو أدركت أباك لقتلته

---

(١) وعّاظ السلاطين : ٢٩٣ .

(٢) حياة الإمام الحسن بن عليّ عليهما السلام : ٢ : ٣٥٧ .

لأنّه كان شيعيّاً »[١].

وسئل الإمام أبوجعفر عليه السلام فقيل له: «كيف أصبحت؟

فقال عليه السلام: **أَصْبَحْتُ بِرَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله خائِفاً، وَأَصْبَحَ النّاسُ كُلُّهُمْ بِرَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله آمِنين**»[٢].

ولمّا ولي زياد بن أبيه الكوفة أشاع في أهلها القتل والاعدام، فقتل كلّ من يتولّى عليّاً، كما قطع أيديهم وأرجلهم، وسمل عيونهم، وصلبهم على جذوع النخل[٣].

ومن بين الاجراءات القاسية التي قام بها الحكّام الأمويّون والعبّاسيّون ضدّ الشيعة ما يلي:

عدم قبول شهادتهم

وأوعزت السلطات إلى دور القضاء عدم قبول شهادة الشيعة في أي دعوى ترفع إلى القضاء، ونعرض لبعض الأعلام من الشيعة الذين ردّت شهادتهم:

رفض شهادة محمّد بن مسلم

ورفض القاضي ابن أبي ليلى شهادة الفقيه العالم محمّد بن مسلم الواسطي، ونقل ذلك إلى الإمام الصادق عليه السلام فتأثّر وتألّم، وقال عليه السلام لأبي كهمش ـ وهو من خلّص أصحابه ـ: «**شَهِدَ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ عِنْدَ أَبي لَيْلىٰ فَرَدَّ شَهادَتَهُ؟**

- نعم.

- **إذا صِرْتَ إِلَى الْكوفَةِ فَأْتِ ابْنَ أَبي لَيْلىٰ وَقُلْ لَهُ: أَسْأَلُكَ عَنْ ثَلاثِ مَسائِلِ**

---

(١) تهذيب تاريخ مدينة دمشق: ٧: ١٠٤.

(٢) ميزان الاعتدال: ٤: ١٦٠.

(٣) حياة الإمام الحسن بن عليّ عليهما السلام: ٢: ٣٥٦.

لَا تَفْتِنِي فيها بِالْقِياسِ ، وَلَا تَقُلْ : قالَ أَصْحابُنا ، ثُمَّ سَلْهُ عَنِ الرَّجُلِ يَشُكُّ في الرَّكْعَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ مِنَ الْفَرِيضَةِ ، وَعَنِ الرَّجُلِ يَرْمِي بِسَبْعِ حَصَياتٍ فَتَسْقُطُ مِنْها واحِدَةٌ كَيْفَ يَصْنَعُ ؟ وَعَنِ الرَّجُلِ يُصيبُ جَسَدَهُ أَوْ ثِيابَهُ الْبَوْلُ كَيْفَ يَغْسِلُهُ ؟

فَإِذا لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ فيها شَيْءٌ فَقُلْ لَهُ : يَقولُ لَكَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ : ما حَمَلَكَ عَلىٰ أَنْ رَدَدْتَ شَهادَةَ رَجُلٍ أَعْرَفُ بِأَحْكامِ اللهِ ، وَأَعْلَمُ بِسُنَّةِ رَسولِ اللهِ ﷺ مِنْكَ ؟

قال أبو كهمش : لمّا قدمت الكوفة أتيت إلى ابن أبي ليلى قبل أن أصير إلى منزلي ، فقلت : أسألك عن ثلاث مسائل لا تفتي فيها بالقياس ، ولا تقل : قال أصحابنا .

- هات ما عندك .

- ما تقول في رجل يشكّ في الركعتين الأوليتين من الفريضة ؟

فأطرق ابن أبي ليلى برأسه في الأرض ثمّ رفعه وقال : « قال أصحابنا : . . .

فقطع عليه أبو كهمش كلامه ، وقال له : إنّ شرطي عليك أن لا تقول : قال أصحابنا .

فقال ابن أبي ليلى : ما عندي فيها شيء .

وقال أبو كهمش : ما تقول في الرجل يصيب جسده أو ثيابه البول كيف يغسله ؟

وأطرق ابن أبي ليلى برأسه إلى الأرض ثمّ رفع رأسه وقال : قال أصحابنا ، فردّ عليه أبو كهمش : إنّ شرطي عليك أن لا تقول : قال أصحابنا .

- ما عندي فيها شيء .

ما تقول في رجل رمى الجمار بسبع حصيات فسقطت منها حصاة كيف يصنع ؟

فأطرق ابن أبي ليلى برأسه إلى الأرض ، وقال : قال أصحابنا ، فقطع عليه أبو كهمش كلامه وقال له : أصلحك الله إنّ هذا شرطي عليك .

فقال ابن أبي ليلى : ليس عندي فيها شيء .

وانبرى أبو كهمش فقال له : يقول لك جعفر بن محمّد : **ما حَمَلَكَ عَلىٰ أَنْ رَدَدْتَ شَهادَةَ رَجُلٍ أَعْرَفُ بِأَحْكامِ اللهِ ، وَسُنَّةِ رَسولِ اللهِ ﷺ مِنْكَ ؟**

وذعر ابن أبي ليلى وقال : من هو ؟

- محمّد بن مسلم الواسطي القصير .

- بالله عليك قال لك هذا جعفر بن محمّد ؟

- نعم .

- وأرسل ابن أبي ليلى بالوقت خلف محمّد بن مسلم فشهد عنده بما أدلى به من شهادته الأُولى فقبل شهادته »[١] .

ردّ شهادة أبو كريبة

وشهد أبو كريبة الأزدي ومحمّد بن مسلم الثقفي عند القاضي شريك ، فنظر في وجهيهما مليّاً ثمّ قال لهما : جعفريّان ، فاطميّان ؟

فبكيا ، وبهر شريك من بكائهما ، وطفق يقول : ما يبكيكما ؟

- نسبتنا إلى أقوام لا يرضون بأمثالنا أن نكون من إخوانهم لما يرونه من سخف ورعنا ، ونسبتنا إلى رجل لا يرضى بأمثالنا أن نكون من شيعته ، فإن تفضّل ـ يعني الإمام جعفر الصادق عليه‌السلام ـ وقبلنا فله المنّ والفضل .

وتبسّم شريك ، وقال لهما : إذا كانت الرجال فلتكن أمثالكم .

والتفت إلى كاتب القضاء فقال له : أجزهما هذه المرّة ولا يعودا ثانية .

وحجّ محمّد بن مسلم مع أبي كريبة ، فالتقيا بالإمام عليه‌السلام ، ونقلا له ما جرى بينهما

---

(١) الاختصاص : ١٩٨ .

وبين القاضي ، فقال عليه السلام : « ما لِشَريكٍ شَرَكَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ بِشِراكَيْنِ مِنْ نارٍ ؟ »[١] .

الإمام الصادق عليه السلام والشيعة

أمّا الإمام الصادق عليه السلام فله دور متميّز ومشرق في تكوين الشيعة ، وبناء صرحها العقائدي ، فهو الذي أسّس لهم معظم ما يحتاجون إليه من الفقه ، ولم يجعلهم عالة على بقيّة المذاهب الإسلاميّة ، يستمدّون منها ما يحتاجون إليه من الأحكام الشرعيّة ، كما أغناهم بجميع ألوان المعارف والآداب التي منها قواعد السلوك والأخلاق ، ونظراً لدوره الايجابي الفعّال في بناء صرح التشيّع ، فقد نسبت إليه الطائفة الإماميّة ، وتحمّل بشرف واعتزاز لقب الطائفة الجعفريّة .

يقول الدكتور أحمد صبحي : « وينسب المذهب الإثني عشري إليه ـ أي إلى الإمام الصادق عليه السلام ـ ويحمل فقه الطائفة اسمه ، فهو أكثر أئمّة المذاهب آراءً في كلّ لون من ألوان المعرفة المعروفة آنذاك »[٢] .

وببركة الإمام الصادق عليه السلام كانت الشيعة من أبرز الفِرق الإسلاميّة ، وأغناها آثاراً وتفكيراً ، وأكثرها جهاداً في سبيل الله وخير الإنسانيّة .

يقول الدكتور عبدالرحمن البدوي : « للشيعة أكبر الفضل في إغناء المضمون الروحي للإسلام ، وإشاعة الحياة الخصبة القويّة العنيفة التي وهبت هذا الدين البقاء قويّاً عنيداً ، قادراً على إشباع النوازع الروحيّة للنفوس حتّى أشدّها تمرّداً وقلقاً ، ولولاها لتحجّر في قوالب جامدة »[٣] .

---

(١) رجال الكشّي : ١٦٢ ، الحديث ٢٧٤.

(٢) نظريّة الإمامة : ٣٦٧.

(٣) مقدّمة كتاب دراسات إسلاميّة : ٧.

مودّته للشيعة

كان الإمام الصادق عليه السلام يكنّ في نفسه خالص المودّة وعميق الحبّ لشيعته، وقد أبدى تعاطفه وولاءه مع بعض أعلام شيعته، وهم:

١ ـ مع بشير الكناسي

قال عليه السلام لبشير الكناسي: «**وَصَلْتُمْ وَقَطَعَ النّاسُ، وَأَحْبَبْتُمْ وَأَبْغَضَ النّاسُ، وَعَرَفْتُمْ وَأَنْكَرَ النّاسُ، وَهُوَ الْحَقُّ**»(١).

لقد أشاد الإمام عليه السلام بما بذلته الشيعة من أجل أهل البيت عليهم السلام، فقد قاموا بصلتهم، والولاء لهم، في حين أنّ القوى المعادية لهم من السلطات الجائرة قامت بعكس ذلك.

٢ ـ مع أبي كهمش

قال الإمام عليه السلام لأبي كهمش: «**عَرَفْتُمونا وَأَنْكَرَنا النّاسُ، وَأَحْبَبْتُمونا وَأَبْغَضَنا النّاسُ، وَوَصَلْتُمونا وَقَطَعَنا النّاسُ، رَزَقَكُمُ اللهُ مُرافَقَةَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، وَسَقاكُمْ مِنْ حَوْضِهِ**»(٢).

وأعرب الإمام عليه السلام عن عميق شكره لشيعته التي والت أهل البيت وانقطعت إليهم.

٣ ـ مع عليّ بن عبدالعزيز

قال الإمام عليه السلام لعليّ بن عبدالعزيز: «**وَاللهِ إِنّي لَأُحِبُّ ريحَكُمْ وَأَرْواحَكُمْ، وَرُؤْيَتَكُمْ وَزِيارَتَكُمْ، وَإِنّي لَعَلىٰ دينِ اللهِ، وَدينِ مَلائِكَتِهِ، فَأَعينوني عَلىٰ ذٰلِكَ بِوَرَعٍ، أَنا في الْمَدينَةِ بِمَنْزِلَةِ الشَّعْرَةِ أَتَقَلْقَلُ حَتّىٰ أَرَى الرَّجُلَ فيكُمْ فَأَسْتَريحَ إِلَيْهِ**»(٣).

---

(١) و(٢) المحاسن: ١٢٢.

(٣) المحاسن: ١٢٣.

وأعلن الإمام عليه السلام عن حبّه وولائه للشيعة ، وطلب منهم الورع عن محارم الله تعالى ليكونوا قدوة حسنة للمسلمين ، كما شكى ما يعانيه من الوحدة والغربة في المدينة المنوّرة ، إذ لم يكن فيها من شيعته والموالين له ، فقد كانت الأكثريّة الساحقة من المدنيّين لا يميلون لأهل البيت عليهم السلام .

٤ ـ مع جماعة من شيعته

روى عبدالله بن الوليد ، قال : « سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول ونحن جماعة : **إنّي لَأُحِبُّ رُؤْيَتَكُمْ ، وَأَشْتاقُ إِلىٰ حَديثِكُمْ** »(١) .

إشادته بأعلام شيعته

أشاد الإمام الصادق عليه السلام بجماعة من العلماء والفقهاء من أعلام شيعته الذين حافظوا على الثروات العلميّة لأهل البيت عليهم السلام .

ولنستمع لبعض ما أُثر عنه في ذلك :

١ ـ أثنى الإمام عليه السلام على جماعة من علماء شيعته ، قال : « **ما أَجِدُ أَحَداً أَحْيا ذِكْرَنا وَأَحاديثَ أَبي** عليه السلام **إِلَّا زُرارَةُ ، وَأَبو بَصيرٍ الْمُرادِيُّ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ ، وَبُرَيْدُ بْنُ مُعاوِيَةَ ، وَلَوْلا هؤُلاءِ ما كانَ أَحَدٌ يَسْتَنْبِطُ هذا** ـ أي الأحكام الشرعيّة ـ **هؤُلاءِ حُفّاظُ الدّينِ ، وَأُمَناءُ أَبي عَلىٰ حَلالِ اللهِ وَحَرامِهِ ، وَهُمُ السّابِقونَ إِلَيْنا في الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ** »(٢) .

أرأيتم هذا الثناء العاطر على هؤلاء الأعلام الذي بذلوا جميع طاقاتهم لحفظ تراث أهل البيت عليهم السلام .

٢ ـ أشاد الإمام عليه السلام بالجهود الجبّارة التي بذلها العالم الفقيه زرارة . قال عليه السلام :

---

(١) المحاسن : ١٢٣ .

(٢) رجال الكشّي : ١٣٦ ، الحديث ٢١٩ .

«رَحِمَ اللهُ زُرارَةَ بْنَ أَعْيَنٍ ، لَوْلا زُرارَةُ لانْدَرَسَتْ آثارُ النُّبوَّةِ وَأَحاديثُ أَبي»(١).

٣ ـ وبيّن الإمام عليه السلام سموّ منزلة العالم الجليل ، والفقيه الورع حمران بن أعين ، قال عليه السلام : **«نِعْمَ الشَّفيعُ أَنا وَأَبي لِحَمْرانَ بْنَ أَعْيَنٍ يَوْمَ الْقِيامَةِ ، نَأْخُذُ بِيَدِهِ وَلا نُزايِلُهُ حَتّىٰ نَدْخُلَ الْجَنَّةَ»**(٢).

هؤلاء بعض الأعلام الذين أشاد بهم الإمام عليه السلام تقديراً لخدماتهم الجليلة التي أسدوها على العالم الإسلامي بحفظهم لتراث أهل البيت عليهم السلام الذي يمثّل روح الإسلام وجوهره ، خصوصاً في تلك الأيّام السود التي فرضت فيها الرقابة الشديدة على أهل البيت وعلى شيعتهم .

وصيّته لشيعته بالورع

وأكّد الإمام الصادق عليه السلام على لزوم الورع ، والكفّ عن محارم الله تعالى في كثير من وصاياه ونصائحه لشيعته ، فقد قال عليه السلام لهم : **«إنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ إذا وَرَعَ في دينِهِ ، وَصَدَقَ الْحَديثَ ، وَأَدّى الْأَمانَةَ ، وَحَسَّنَ خُلْقَهُ مَعَ النّاسِ ، قيلَ هذا جَعْفَرِيٌّ ، وَيَسُرُّني ذلِكَ ، وَيَدْخُلُ عَلَيَّ مِنْهُ السُّرورُ ، وَإِنْ كانَ عَلىٰ غَيْرِ ذلِكَ دَخَلَ عَلَيَّ بَلاؤُهُ وَعارُهُ ، وَقيلَ هذا أَدَبُ جَعْفَر»**(٣).

لقد أوصاهم بما يسمو به الإنسان من الورع والصدق ، وأداء الأمانة وحسن الخلق مع الناس ، ليكونوا بذلك موضع اعتزاز وفخر للإمام عليه السلام .

ودعا الإمام عليه السلام العلماء ورجال الفضل إلى تعليم أبناء الشيعة وتهذيب أخلاقهم ، وأنّهم إذا لم يقوموا بذلك فإنّهم يتحمّلون المسؤوليّة أمام الله تعالى .

---

(١) رجال الكشّي : ١٣٦ ، الحديث ٢١٧.

(٢) الاختصاص : ١٩٢.

(٣) أُصول الكافي : ٢ : ٦٣٦ ، كتاب العِشرة ، الحديث ٥.

يقول الحارث بن المغيرة : « لقيني أبو عبدالله عليه السلام في طريق المدينة ، فبادر عليه السلام قائلاً : **مَنْ ذا ، الْحارِثْ ؟**

- نعم .

- **أما لَأَحْمِلَنَّ ذُنوبَ سُفَهائِكُمْ عَلىٰ عُلَمائِكُمْ** ، ثمّ مضى عليه السلام .

قال الحارث : فأتيته وقلت له : لقد قلت : **لَأَحْمِلَنَّ ذُنوبَ سُفَهائِكُمْ عَلىٰ عُلَمائِكُمْ** فداخلني أمر عظيم .

فأجابه عليه السلام : **نَعَمْ ، ما يَمْنَعُكُمْ إذا بَلَغَكُمُ الرَّجُلَ مِنْكُمْ ما تَكْرَهونَ ، وَما يَدْخُلُ بِهِ عَلَيْنا الْأَذىٰ أَنْ تَأْتوهُ وَتَعْذِلوهُ ، وَتَقولوا لَهُ قَوْلاً بَليغاً** .

فقال الحارث : جعلت فداك ، لا يطيعوننا ولا يقبلوا منّا .

فأمره عليه السلام بهجرهم واجتنابهم »(١) .

حثّه على طلب العلم

وحثّ الإمام الصادق عليه السلام شيعته على طلب العلم لأنّه من أهمّ الوسائل في رقيّهم وتطوير حياتهم ، إذ من المستحيل أن تتقدّم أيّة أُمّة من الأمم أو تحتلّ لها مكانة مرموقة ، وهي ترزح في قيود الجهل .

لقد كان الإمام الصادق عليه السلام يرى العلم ضرورة من ضرورات الحياة لا غنى لها عنه ، وقد قال لشيعته بما حاصله : لو بيدي لضربت رؤوس الشيعة بالسياط حتّى يتعلّموا .

وقال عليه السلام مخاطباً شيعته : « **لَسْتُ أُحِبُّ أَنْ أَرَى الشّابَّ مِنْكُمْ إلّا غادياً في حالَيْنِ :**

---

(١) مجموعة ورّام : ٢ : ١٤٧ .

إمّا عالِماً أَوْ مُتَعَلِّماً ، فَإنْ لَمْ يَفْعَلْ فَرَّطَ ، وَإنْ فَرَّطَ ضَيَّعَ ، وَإنْ أَثِمَ سَكَنَ النّارَ »[١] .

وقد ذكرنا في بعض حلقات هذا الكتاب عرضاً مفصّلاً لما أُثر عنه من الأخبار في الحثّ على طلب العلم ، وأنّه شأن من شؤون الحياة الرفيعة .

حثّه على التطوّر الاقتصادي

ونظر الإمام الصادق عليه السلام بعمق وشمول إلى تطوير حياة شيعته في جميع المجالات ، والتي منها تطوير حياتهم الاقتصاديّة ، فإنّه لا يمكن لهم النهوض ، ولا الارتقاء في حال البؤس والفقر .

لقد دعا الإمام عليه السلام الشيعة إلى الثراء والسعة ، وكسب المال من الطرق المشروعة ، وقد بلغه أنّ شخصاً من أعلام شيعته كان تاجراً وترك التجارة متّجهاً صوب الجامع يعبدالله تعالى ، فدعاه ، فلمّا تشرّف بخدمته قال عليه السلام له : **لِمَ تَرَكْتَ التِّجارَةَ ؟**

- أُريد أن أتعبّد .

فزجّره الإمام عليه السلام وقال له : **يَسْقُطُ رَأْيُكَ ، إنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْإسْلامِ في شَيْءٍ أَنْ يَتْرُكَ الْإنْسانُ الْمُسْلِمُ عَمَلَهُ وَكَسْبَهُ وَيَتَّجِهُ صَوْبَ الْعِبادَةِ ، فَإنَّهُ لا رَهْبانِيَّةَ في الْإسْلامِ ، فَإنَّها مِنْ شُؤونِ الدِّيانَةِ الْمَسيحِيَّةِ الَّتي لا يُقِرُّها الْإسْلامُ** » .

والتقى شخص من أصحاب الإمام عليه السلام به ، فقال له : جعلت فداك ، إنّي كففت يدي عن التجارة .

فبهر الإمام منه فقال له : **لِمَ ذلِكَ ؟**

- انتظاري هذا الأمر .

واستعظم الإمام عليه السلام ذلك منه ، وقال له : **عَجَبٌ مِنْكُمْ ! تَذْهَبُ أَمْوالُكُمْ ،**

---

(١) أمالي الطوسي : ٣٠٣ ، الحديث ٦٠٤ .

وَلَا تَكْفُفْ عَنِ التِّجارَةِ ، وَالتَمِسْ مِنْ فَضْلِ اللهِ ، افْتَحْ بابَكَ ، وَابْسُطْ بِساطَكَ ، وَاسْتَرْزِقْ رَبَّكَ »(١) .

وكان عليه السلام بنفسه يبعث بعض أصحابه للتجارة ، وكان يكره الربح الفاحش ويمقته ، فقد دعا مولاه مصادف فأعطاه ألف دينار ، وقال له : **تَجَهَّزْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلىٰ مِصْرَ ، فَإِنَّ عيالي قَدْ كَثُر** .

وتجهّز مصادف ، وحمل معه متاعاً ، وخرج مع التجّار إلى مصر ، فلمّا دنوا منه استقبلتهم قافلة خارجة من مصر فسألوهم عن المتاع الذي معهم ، فقالوا لهم : إنّه ليس في مصر منه شيء ، فتعاقدوا على أن يربحوا منه بكلّ دينار ديناراً ، ولمّا انتهوا إلى مصر باعوا بضاعتهم بما تعاقدوا عليه ، وقفلوا راجعين إلى يثرب ، فلمّا وصلوا إليها دخل مصادف على الإمام عليه السلام ، ومعه كيسان في كلّ واحد ألف دينار ، وناولهما إلى الإمام وقال له : جعلت فداك ، هذا رأس المال ، والآخر ربح .

فقال عليه السلام له : **هذا رِبْحٌ كَثيرٌ ، ما صَنَعْتُمْ في الْمَتاعِ ؟**

وحدّثه مصادف بما جرى بين التجّار ، فتألّم منه ، وقال : **سُبْحانَ اللهِ ! تحالَفونَ عَلىٰ قَوْمٍ أَلا تَبيعوهُمْ إِلَّا بِرِبْحِ الدِّينارِ بِدِينارٍ ! !**

ثمّ أخذ أحد الكيسين ، وقال :

هذا رَأْسُ الْمالِ ، وَلَا حاجَةَ لَنا في الرِّبْحِ . . يا مُصادِفُ ، مُجالَدَةُ السُّيوفِ أَهْوَنُ مِنْ طَلَبِ الْحَلالِ »(٢) .

وتحكي هذه البادرة مدى ما يحمله الإمام عليه السلام من الرحمة والرأفة بالناس ، فقد كره الربح الفاحش الذي يضرّ بحال المواطنين .

---

(١) دعائم الإسلام : ٢ : ١٤ .

(٢) الإمام جعفر الصادق عليه السلام : ٤٨ .

التبشير بمبادئ الشيعة

ودعا الإمام الصادق عليه السلام حملة العلم ورجال الفضل من شيعته إلى التبشير بمبادئ أهل البيت عليهم السلام التي تمثّل جوهر الإسلام وروحه.

ومن الجدير بالذكر أنّه كان يرى تعليم الأحداث أوْلى من غيرهم نظراً لتقبّلهم المبادئ العليا التي تبنّاها أهل البيت، والتي تلتقي مع الفطرة، ولا تشذّ عن سنن الحياة.

قال عليه السلام للأحول ـ هو من كبار الشيعة، ومن المبشّرين والداعين له ـ: «**أَتَيْتَ الْبَصْرَةَ**.

- نعم.
- كيف مسارعة الناس في هذا الأمر، ودخولهم فيه؟
- والله إنّهم لقليل.
- فأرشده عليه السلام إلى الطريقة الناجحة: **عَلَيْكَ بِالْأَحْداثِ، فَإِنَّهُمْ أَسْرَعُ إِلىٰ كُلِّ خَيْرٍ**»(١).

وأكّدت هذه النظريّة البحوث الحديثة التي ترى أنّ الأحداث أسرع لقبول التبشير من غيرهم.

محافظته على الشيعة

وعمدت السلطات الأمويّة والعبّاسيّة بصورة سافرة إلى محو ذكر أهل البيت عليهم السلام، واستئصال أرصدتهم من الأوساط الإسلاميّة، فقد دعا داود بن عليّ العبّاسي المعلّى بن خنيس إلى تعريفه بالشيعة ليقوم بتصفيتهم جسديّاً، ولمّا

---

(١) قرب الإسناد: ٨٠.

لم يعرّفه بهم قتله أمام الناس.

يقول الشيخ الطوسي: «لم تلق فرقة، ولا بُلي مذهب بما بليت به الشيعة من التتبّع والقصد وظهور كلمة أهل الخلاف، حتّى أنّا لا نكاد نعرف زماناً ـ تقدّم ـ سلمت فيه الشيعة من الخوف ولزوم التقيّة، ولا حالاً عريت فيه من قصد السلطان وعصبته وميله وانحرافه»(١).

ونظراً لإمعان السلطة في قتل الشيعة، فقد قام الإمام الصادق عليه السلام بدور إيجابي حافظ فيه على دماء الشيعة، وقد اتّخذ من الاجراءات ما يلي:

١ ـ إلزامهم بالتقيّة

أمّا التقيّة، فهي كتمان الحقّ، وستر الاعتقاد، ومكاتمة المخالفين، وترك مظاهرتهم بما يعقب ضرراً من الدين أو الدنيا(٢).

وقد أُثرت كوكبة من الأحاديث من الإمام الصادق عليه السلام في لزومها، كان منها ما يلي:

١ ـ قال عليه السلام لسليمان بن خالد: «**إنَّكُمْ عَلىٰ دينٍ مَنْ كَتَمَهُ أَعَزَّهُ اللهُ، وَمَنْ أَذاعَهُ أَذَلَّهُ اللهُ**»(٣).

٢ ـ قال عليه السلام لأبي بصير: «**لَا خَيْرَ فيمَنْ لَا تَقِيَّةَ لَهُ، وَلَا إيمانَ لِمَنْ لَا تَقِيَّةَ لَهُ**»(٤).

٣ ـ قال عليه السلام لعبدالله بن أبي يعفور: «**اتَّقوا اللهَ عَلىٰ دينِكُمْ، وَاحْتَجِبوا بِالتَّقِيَّةِ، فَإنَّهُ لَا إيمانَ لِمَنْ لَا تَقِيَّةَ لَهُ، إنَّما أَنْتُمْ في النّاسِ كَالنَّحْلِ في الطَّيْرِ، فَلَوْ أَنَّ الطَّيْرَ تَعْلَمُ**

---

(١) تلخيص الشافي: ١: ٥٩.

(٢) شرح عقائد الصدوق: ٦٦.

(٣) و (٤) المحاسن: ٣٠٣.

ما في جَوْفِ النَّحْلِ ما بَقِيَ مِنْها شَيْءٌ إلَّا أَكَلَتْهُ ، وَلَوْ أَنَّ النّاسَ عَلِموا ما في جَوْفِكُمْ أَنَّكُمْ تُحِبّونَنا أَهْلَ الْبَيْتِ لأَكَلوكُمْ بِأَلْسِنَتِهِمْ ، وَلَنَحلوكُمْ في السِّرِّ وَالْعَلانِيَةِ ، رَحِمَ اللهُ عَبْداً مِنْكُمْ كانَ عَلىٰ وَلايتِنا »(١) .

٤ ـ قال عليه السلام لابن مسكان : « إنّي لأَحْسَبُكَ إذا شُتِمَ عَلِيٌّ بَيْنَ يَدَيْكَ لَوْ تَسْتَطيعُ أَنْ تَأْكُلَ أَنْفَ شاتِمِهِ لَفَعَلْتَ .

فقال ابن مسكان : إي والله جُعلت فداك إنّي لهكذا وأهل بيتي .

فنهاه الإمام وقال له : لَا تَفْعَلْ فَوَاللهِ لَرُبَّما سَمِعْتُ مَنْ يَشْتِمُ عَلِيّاً وَما بَيْني وَبَيْنَهُ إلَّا اسْطِوانَةٌ فَأَسْتَتِرُ بِها ، فَإذا فَرَغْتُ مِنْ صَلاتي فَأَمُرُّ بِهِ فَأُسَلِّمُ عَلَيْهِ وَأُصافِحُهُ »(٢) .

٥ ـ قال عليه السلام لمعلّى بن خنيس : « يا مُعَلّىٰ ، اكْتُمْ أَمْرَنا وَلَا تُذِعْهُ ، فَإنَّهُ مَنْ كَتَمَ أَمْرَنا وَلَمْ يُذِعْهُ أَعَزَّهُ اللهُ في الدُّنْيا ، وَجَعَلَ لَهُ نُوراً بَيْنَ عَيْنَيْهِ في الآخِرَةِ يَقودُهُ إلَى الْجَنَّةِ .

يا مُعَلّىٰ ، مَنْ أَذاعَ حَديثَنا وَأَمْرنا وَلَمْ يَكْتُمْهُما أَذَلَّهُ اللهُ فِي الدُّنْيا ، وَنَزَعَ النُّورَ مِنْ بَيْنِ عَيْنَيْهِ في الآخِرَةِ ، وَجَعَلَ لَهُ ظُلْمَةً تَقودُهُ إلَى النّارِ .

يا مُعَلّىٰ ، إنَّ التَّقِيَّةَ ديني وَدينُ آبائي ، وَلَا دينَ لِمَنْ لَا تَقِيَّةَ لَهُ .

يا مُعَلّىٰ ، إنَّ اللهَ يُحِبُّ أَنْ يُعْبَدَ في السِّرِّ كما يُحِبُّ أَنْ يُعْبَدَ في الْعَلانِيَةِ .

يا مُعَلّىٰ ، إنَّ الْمُذيعَ لأَمْرِنا كَالْجاحِدِ بِهِ »(٣) .

٦ ـ روى داود الرقّي ومفضّل وفضيل ، قالوا : «كنّا جماعة عند أبي عبدالله عليه السلام في منزله يحدّثنا في أشياء ، فلمّا انصرفنا وقف على باب منزله قبل أن يدخل ،

---

(١) المحاسن : ٢٠٤ .

(٢) المحاسن : ٢٠٥ .

(٣) المحاسن : ٢٥٥ .

ثمّ أقبل علينا فقال: **«رَحِمَكُمُ اللهُ لَا تُذيعوا أَمْرَنا، وَلَا تُحَدِّثوا بِهِ إِلَّا أَهْلَهُ، فَإِنَّ الْمُذيعَ عَلَيْنا سِرَّنا أَشَدُّ عَلَيْنا مَؤونَةً مِنْ عَدُوِّنا، فَانْصَرِفوا رَحِمَكُمُ اللهُ، وَلَا تُذيعوا سِرَّنا»**(١).

إلى غير ذلك من الأحاديث التي أُثرت عن الإمام الصادق عليه السلام، وعن الأئمّة الطاهرين عليهم السلام، وهي تلزم بالتقيّة، وتعلن ضرورتها في وسط ذلك الجوّ الملتهب بالضغائن والأحقاد على أهل البيت عليهم السلام وعلى شيعتهم، ولولا هذا الاجراء البالغ في الدقّة والحكمة لما بقي ذكر لأهل البيت عليهم السلام ولا لشيعتهم.

٢ ـ إلقاء الخلاف بين أصحابه

وكان من الاجراءات السديدة التي اتّخذها الإمام الصادق عليه السلام لحماية الأعلام من شيعته، أنّه ألقى الخلاف والنزاع فيما بينهم في المسائل الشرعيّة، وقد سُئل عن سبب ذلك فأجاب: **«حَتّىٰ يُقالَ: إِنَّ أَصْحابَهُ مُخْتَلِفونَ»**.

ومن الطبيعي أنّ الاختلاف وعدم الاتّفاق يبعد عنهم مطاردة المسؤولين وملاحقتهم لهم.

ومن الجدير بالذكر أنّ السلطات الحاكمة في عصر الإمام عليه السلام قد أوعزت إلى مباحثها وعملائها بتقديم بعض المسائل الشرعيّة للإمام عليه السلام لعلّه يفتي بخلاف ما أفتى به علماء العامّة ليتّخذوا من ذلك وسيلة للتنكيل به، وقد عرف الإمام ذلك فصدرت عنه بعض الأخبار التي تتّفق مع فتاوى العامّة، وتخالف مذهب أهل البيت عليهم السلام، وقد بنى علماء الإماميّة على عدم حجّيتها لأنّها لم تصدر لبيان الواقع، وإنّما صدرت تقيّة.

(١) المحاسن: ٢٥٥.

فِرق الشيعة

وبالرغم من محافظة الإمام الصادق عليه السلام وأبيه الإمام محمّد الباقر عليه السلام على وحدة الشيعة فكرياً وعقائدياً ، وعدم حدوث أيّة فجوة في صفوفهم ، فقد حدثت بعض الانقسامات والفِرق بينهم ، وهي :

الكيسانيّة

أمّا الكيسانيّة فقد ظهرت أيّام الإمام زين العابدين ، وسيّد الساجدين عليه السلام ، فقد ذهب معتنق هذه الفكرة إلى إمامة محمّد بن الحنفيّة ، وزعموا أنّه الإمام المنتظر الذي بشّر به الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله في ذلك . يقول كثير :

أَلَا إِنَّ الْأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ ... وُلاةُ الْحَقِّ أَرْبَعَةٌ سَواءُ
عَلِيٌّ وَالثلاثَةُ مِنْ بَنِيهِ ... هُمُ الْأَسْباطُ لَيسَ بِهِم خَفاءُ
فَسِبْطٌ سِبْطُ إِيمانٍ وَبِرٍّ ... وَسِبطٌ غَيَّبَتْهُ كَرْبَلاءُ
وَسِبطٌ لَا تَراهُ العَينُ حَتّىٰ ... يَقودَ الْخَيْلَ يَقْدِمُها اللِّواءُ
تَغيَّبَ لا يُرى عَنْهُمْ زَماناً ... بِرَضْوى عِنْدَهُ عَسَلٌ وماءُ[١]

لقد زعم كثير أنّ إمامه ابن الحنفيّة مقيم في جبل رضوى يطعم العسل ، ويشرب الماء ، وأنّه هو الذي يقود الخيل ، ويقضي على الحكم الأموي .

وذهب السيّد الحميري إلى إمامة محمّد بن الحنفيّة ، وزعم أنّه وصيّ أبيه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، وأنّه لم يمت ، وإنّما تغيّب فترة من الزمن ثمّ يعود ، وفي ذلك

---

(١) ديوان كثير : ٢ : ١٨٤ . الملل والنحل : ١ : ٢٤١ .

يقول:

أَلَا قُلْ لِلوَصِيِّ فَدَتْكَ نَفسي ... أَطَلْتَ بذلكَ الْجَبَلِ الْمُقاما
أَلَا حَيِّ المُقيمَ بِشِعْبِ رَضْوى ... وَأهدِ لَهُ بِمَنْزِلِهِ السَّلاما
أَضرَّ بِمَعْشرٍ والَوْكَ مِنّا ... وَسَمَّوكَ الْخَليفةَ وَالْإِماما
وَعادَوا فيكَ أَهْلَ الْأَرْضِ طُرّاً ... مُقامك عَنْهُمُ سَبْعِينَ عاما
وَما ذاقَ ابنُ خَولَةَ طَعْمَ مَوْتٍ ... وَلَا وارَتْ لَهُ أَرْضٌ عِظاما
لَقَدْ أَمْسى الْمجاورُ شِعبِ رَضْوى ... تُراجِعُهُ الملائِكَةُ الْكَلاما
وَأَنَّ لَهُ بِهِ لَمَقيلَ صِدقٍ ... وَأَنْدِيَةً تُحدِّثُهُ كِراما
هَدانا اللهُ إذْ جِرتُمْ لأَمْرٍ ... بِهِ وَعليهِ نَلْتَمِسُ التَّماما
تَمامَ مَودَّةِ الْمَهدِيِّ حَتّى ... تَرَوا راياتِنا تَترى نِظاما (١)

وقد صوّر الحميري عقيدة الكيسانيّة في إمامهم ابن الحنفيّة، وأنّه حيّ لم يمت، قد أقام بشعب رضوى تراجعه الملائكة، وتوحي إليه، وأنّ الله تعالى قد هداهم به، وأنّه لا بدّ أن يقود الكتائب والجيوش ليحرّر العالم الإسلامي من ظلم الأمويّين وجورهم.

والتقى السيّد الحميري بالإمام الصادق عليه السلام، فرأى هيبته التي تعنو لها الوجوه، وملك الإمام قلب الحميري ومشاعره، فرجع عن عقيدته، ودان بإمامة الإمام عليه السلام، ونظم في ذلك مقطوعة من الشعر ذكرناها في بعض حلقات هذا الكتاب.

ومهما يكن الأمر، فإنّ هذه الطائفة قد انقرضت، ولم يعد لها أي وجود في العالم الإسلامي.

---

(١) ديوان السيّد الحميري: ١٤٢.

الزيديّة

وهم أتباع الإمام زيد بن عليّ بن الحسين عليهما السلام ، وكان زيد قد ثار في وجه الطغيان الأموي ، ورفع راية العدل لينقذ المظلومين والبؤساء ، ويعيد للأُمّة حكم القرآن العظيم ، وقد استشهد سلام الله عليه ، وصلب عرياناً ثمّ أُحرق وذرّ رماده في الفرات ، وقد دان بإمامته جمهور كبير من الشيعة ، ويرجعون في أُصولهم العقائديّة إلى المعتزلة ، وفي الفروع إلى مذهب أبي حنيفة إلّا في مسائل قليلة[١]. وقد تشعّبت الزيديّة إلى عدّة فرق ، وهي :

١ ـ الجاروديّة

سمّيت بهذا الإسم نسبة إلى زعيمها أبي الجارود زياد الأعمى[٢]. وهو كوفي تابعي[٣]. وهو من كبار علماء الزيديّة ، وعدّه الشيخ الطوسي من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام وممّن روى عنه[٤].

وقد فضّل أبو الجارود الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على جميع الصحابة ، وقال بكفر من خالفه[٥] ، وقال : « إنّ كلّ من دعا لنفسه من ولد عليّ فهو الإمام المفترض الطاعة »[٦].

وتذهب الجاروديّة إلى أنّ من ادّعى الإمامة وهو قاعد في بيته مرخى عليه ستره ،

---

(١) أعيان الشيعة : ١ : ١٣.

(٢) المقالات والفِرق : ١٨.

(٣) الزينة : ورقة ٢٤٥.

(٤) الفهرست : ٩٨.

(٥) الفصل في الملل والأهواء والنحل : ٤ : ٩٢.

(٦) فِرق الشيعة : ٧٤.

فهو كافر مشرك[١].

ولهم قواعد وأُصول أعرضنا عن ذكرها.

٢ ـ الجريريّة

نسبة إلى صاحبها ومؤسّسها سليمان بن جرير الرقي[٢].

وقد ذهبوا إلى أنّ الإمام أمير المؤمنين كان هو الإمام والخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنّ بيعة أبي بكر وعمر كانت خطأً لا يستحقّ عليها اسم الفسق، فقد تأوّل الشيخان وأخطئا[٣].

وقالوا: إنّ الإمامة شورى، وإنّها تنعقد بعقد رجلين من خيار المسلمين[٤]، وجوّزوا إمامة المفضول مع وجود الفاضل[٥].

وقد ذهبوا إلى كفر الخليفة الثالث عثمان بن عفّان[٦]، كما ذهبوا إلى أنّ جميع من حارب علياً فهو كافر[٧].

٣ ـ البتريّة

وزعيمهم الحسن بن صالح بن حي[٨] الثوري الكوفي[٩]، وقد ذهب الحسن إلى

---

(١) فرق الشيعة: ٧٤.

(٢) و (٣) فِرق الشيعة: ٣٠.

(٤) مقالات الإسلاميّين: ٦٨.

(٥) الفرق بين الفِرق: ٣٢.

(٦) الفرق بين الفرق: ٣٢.

(٧) فِرق الشيعة: ٣٠. المقالات والفِرق: ٨.

(٨) المقالات والفِرق: ٧. فِرق الشيعة: ٢٩.

(٩) تهذيب التهذيب: ٢: ٢٨٥.

أنّ الإمام أمير المؤمنين عليه‌السلام هو أفضل المسلمين بعد رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله وأولاهم بالإمامة ، وأنّ بيعة أبي بكر ليست بخطأ [١] .

وترى البتريّة إمامة من خرج من ولد عليّ عليه‌السلام [٢] .

والتقى زعيم البتريّة بالإمام الصادق عليه‌السلام فسأله عن تفسير الآية الكريمة : ﴿ **أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ** ﴾ [٣] من هم أُولي الأمر الذين أمر الله بطاعتهم ؟

فقال عليه‌السلام : « **الْعُلَماءُ** » ، فخرج الحسن مع جماعته ثمّ قال لهم : ما صنعنا شيئاً هلّا سألناه من هؤلاء ؟

فرجعوا إليه فسألوه ، فقال عليه‌السلام : « **الْأَئِمَّةُ مِنّا أَهْلَ الْبَيْتِ** » [٤] .

هذه معظم فرق الزيديّة ، وقد بحثنا عن أُصولهم العقائديّة في كتابنا (عقائد الزيديّة) المطبوع في ضمن أجوبة المسائل الدينيّة التي تصدر في كربلاء .

الإسماعيليّة

وذهبت الإسماعيليّة إلى إمامة إسماعيل نجل الإمام الصادق عليه‌السلام ، وذلك لما يتمتّع به من الصفات الكريمة ، والنزعات الشريفة ، كسموّ الآداب ، ومعالي الأخلاق ، وسعة العلم ، والحريجة في الدين ، فخاف من انشقاق صفوفهم ، وتصدّع كلمتهم ، فأخذ يدلّل على إمامة ولده الإمام الأعظم موسى الكاظم عليه‌السلام ، ويرشد الشيعة إلى إمامته .

---

(١) الحور العين : ١٥٥ .

(٢) فِرق الشيعة : ٧٨ .

(٣) النساء ٤ : ٥٩ .

(٤) مناقب آل أبي طالب : ٤ : ٢٤٩ .

ولمّا توفّي إسماعيل وجُهّز وحُمل إلى مقرّه الأخير، أمر الإمام عليه السلام بوضع الجثمان الطاهر على الأرض ثلاث مرّات، وكشف وجهه للناس حتّى يرونه قد فارق الحياة، حتّى لا تبقى عند أحد شبهة في وفاته.

ولكنّ الإسماعيليّة أنكروا وفاته، وزعموا أنّه غاب عن الأبصار، وللإسماعيليّة مذاهب دينيّة مختلفة، وآراء سياسيّة واجتماعيّة متعدّدة، ومبادئ فلسفيّة وعلميّة متنوّعة.

أمّا عرض فرقهم وأفكارهم فإنّه يستدعي الإطالة والتشعّب في أُمور تحتاج إلى مزيد من الدقّة والتحقيق، وليس عندنا من الوقت ما يسع ذلك، وبهذا ينتهي بنا الحديث عن الشيعة وفرقها.

المرجئة

من الفِرق التي ظهرت على الصعيد الإسلامي هي المرجئة، فقد لعبت دوراً خطيراً في مسرح الأحداث السياسيّة في تلك العصور، فوقفت إلى جانب الحكم الأموي تدعمه وتبرّر جميع إجراءاته ومظالمه.

لقد نشأت المرجئة بإيعاز ودعم من الحكم الأموي، فقد حكمت المرجئة بمشروعيّة حكم الأمويّين، وتركت الحكم فيما اقترفوه من الأحداث الجسام إلى الله تعالى، فهو الذي يحكم بين عباده بالحقّ يوم القيامة، وليس لأحد أن يلج أو يخوض في أعمالهم أو يحكم عليهم بشيء من عنده[١].

يقول المأمون: «إنّ الإرجاء دين الملوك»[٢].

يقول شوقي ضيف: «إنّ أفكار المرجئة تخدم البيت الأموي، الذي كان في رأي

---

(١) حياة الإمام محمّد الباقر عليه السلام: ٢: ٨٥.

(٢) تاريخ بغداد / طيفور: ٨٦.

الشيعة وكثير من الأتقياء منحرفاً عن الجادة الدينيّة ، وينبغي أن يغيّره المسلمون ، ويضعوا مكانه البيت العلويّ ، والمرجئة لم يكونوا يوافقونهم على هذا الرأي ، لأنّهم لا يريدون المفاضلة بين المسلمين ، ولا الحكم على أحد بتقوى وغير تقوى ، فالمسلم يكفي أن يكون مسلماً ، وليس من شأن أحد أن يحكم على عمله(١).

لقد كانت المرجئة من أدوات السلطة الحاكمة في تلك العصور ، وأحد أجهزتها ، وقد جهدت على تبرير سياسة الحاكمين ، وعدم نقدها إذا كانت مخالفة لشريعة الله تعالى .

الشيعة والمرجئة

وكان من الطبيعي أن تحدث المنازعات ، ويحتدم الجدال بين الشيعة والمرجئة ، فكانت الشيعة تنقد السياسة الأمويّة ، وتذيع مظالمهم ، وكانت المرجئة تسدّد وتؤيّد وتبرّر مظالمهم ، وكانت الشيعة تمجّد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وتذكر عدله وجهاده في سبيل الإسلام ، وكان ذلك يغيظ المرجئة ، وفي ذلك يقول أحد شعراء الشيعة :

إذا الْـمُرجِـيُّ سَـرَّكَ أَنْ تـراهُ ... يَموتُ بِدائِهِ مِـنْ قَـبْلِ مَـوْتِهِ

فَـجَدِّدْ عِـنْدَهُ ذِكـرى عَـلِيٍّ ... وَصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ وَآلِ بَيْتِهِ(٢)

وعابت الشيعة وسخرت من المرجئة لتقديمهم الخلفاء على الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الذي هو رائد العدالة الاجتماعيّة في الأرض ، وردّ على الشيعة محارب بن دثار الذهلي أحد أعلام المرجئة بقوله :

يَـعيبُ عَـلَيَّ أقـوامٌ سَـفاهاً ... بِأَنْ أُرجـي أَبـا حَسَـنٍ عَـلِيّا

---

(١) التطوّر والتجديد في الشعر الأموي : ٥٠.

(٢) البيان والتبيين : ٢ : ١٤٩.

وإرجائي أبا حَسَنٍ صَوابٌ عَنِ العُمَرينِ بَرّاً أَوْ شَقِيّا
فَإِنْ قدَّمتُ قوماً قالَ قومٌ أَسأْتَ وَكُنتَ كَذاباً رَدِيّا
إذا أَيقَنْتُ أَنَّ اللهَ رَبِّي وأَرسلَ أَحْمَداً حَقّاً نَبِيّا
وأَنَّ الرُّسْلَ قد بُعِثوا بِحَقٍّ وَأَنَّ اللهَ كانَ لَهُمْ وَلِيّا
فَلَيسَ عَلَيَّ في الإِرجاءِ بَأْسٌ ولا لَبْسٌ ولَستُ أَخافُ شَيّا

وردّ منصور النمري لسان الشيعة وشاعرهم على محارب بأبيات عاب فيها عليه لأنّه يرجئ الإمام عليّاً ، وأنّه إنّما يرجئ نبيّاً من أنبياء الله تعالى . يقول النمري :

يَوَدُّ مُحاربٌ لَوْ قَدْ رآها وَأَبْصرَهُمْ حَوالَيها حثِيّا
وَأَنَّ لِسانَهُ مِنْ نابِ أَفْعى وَما أَرْجىٰ أَبا حَسَنٍ عَلِيّا
وَأَنَّ عجوزَهُ مُصِعَتْ بِكَلبٍ وَكانَ دِماءُ ساقَيها جَرِيّا
مَتى تُرْجِئْ أَبا حَسَنٍ عَلِيّاً فَقَدْ أَرْجَيْتَ يا لُكَعُ نَبِيّا (١)

وتعرّضت المرجئة لنقد لاذع من الشيعة ، وسخروا من حكمهم بإرجاء الإمام أمير المؤمنين عليه السلام باب مدينة علم النبيّ صلى الله عليه وآله ، ومن كان بمنزلة هارون من موسى ، لقد هزئت الشيعة من المرجئة حيث ساوت بين الإمام أمير المؤمنين وبين عثمان بن عفّان عميد الأُسرة الأمويّة ، وبين معاوية والخوارج . يقول الشاعر الملهم السيّد الحميري :

خليليَّ لا تُرْجيا (٢) واعلما بأنّ الهدىٰ غيرُ ما تزعمانِ
وأنّ عَمَى الشك بعد اليقينِ وضعفَ البصيرةِ بعد العيانِ

---

(١) الأغاني : ٧: ١٠ ـ ١١.
(٢) **لا تُرْجيا** : لا تذهبا مذهب المرجئة.

ضـــلالٌ فـــلا تَـــلجَجَا فـيهما ... فـبئست لعَـمرُكـما الخـصلتانِ
أيُـــرجـىٰ عـليٌّ إمـام الهـدىٰ ... وعـثمانُ مـا أعـنَدَ المرجيانِ
ويُــرجــىٰ ابنُ حربٍ وأشياعُهُ ... وهُــوجُ الخــوارجِ بـالنهروانِ
يكـــون إمـامُهمْ فـي المـعاد ... خبيثَ الهوىٰ مؤمنَ الشيصبانِ(١)

إنّ أفكار المرجئة جملة وتفصيلاً بعيدة عن المنطق، وشاذّة عن سنن الحياة، ولا صلة لها بالإسلام.

وننهي بهذا الحديث عن المرجئة، وقد بحثنا عنها بصورة أوسع وأشمل في كتابنا (حياة الإمام الباقر عليه السلام).

المعتزلة

من أقدم الفِرق الإسلاميّة المعتزلة، وقد لعبت دوراً خطيراً في تاريخ الحركات الفكريّة والاجتماعيّة في الإسلام، وكان من بين ما قامت به تأسيس القواعد الفكريّة التي قام عليها ـ فيما بعد ـ علم الكلام السنّي(٢)، ويرى (كولد زيهر) أنّ رجال المعتزلة هم أوّل من أدخلوا النزعة العقليّة في الإسلام وصانوها(٣)، ونتحدّث ـ بإيجاز ـ عن بعض شؤونها ومعالمها:

تأسيس الاعتزال

وذهب زهدي جار الله إلى أنّ الاعتزال تأسّس في بداية القرن الثاني للهجرة، وقد

---

(١) الأغاني: ٧: ١٥. ديوان السيّد الحميري: ١٧٨. **الشَّيصبان**: رئيس من رؤساء الجنّ.
(٢) الفلسفة الإسلاميّة: ١٧٠.
(٣) العقيدة والشريعة في الإسلام: ١٠٢.

تأسّس في مدينة البصرة التي كانت مركزاً للعلم والأدب في الدولة الإسلاميّة[١].

والحقيقة أنّ الاعتزال كفكرة سياسيّة قد تأسّس حينما بويع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة ، فكره قوم خلافته منهم سعد بن أبي وقّاص ، وعبدالله بن عمر ، وأسامة بن زيد ، ومحمّد بن مسلمة الأنصاري ، فأطلق عليهم اسم المعتزلة ، كما أنّهم لم ينصروا الإمام أمير المؤمنين في معركة الجمل وصفّين ، كما اعتزل الحرب الأحنف بن قيس ، وقال لقومه : اعتزلوا الفتنة[٢].

فالاعتزال كفكرة سياسيّة ظهرت في ذلك الوقت ، أمّا أنّها كمدرسة كلاميّة فقد ظهرت في أواخر القرن الأول الهجري[٣].

الاعتزال والسياسة

والشيء المحقّق أنّ الاعتزال بما يحمل من مناهج علميّة وكلاميّة كان مسانداً للحكم القائم في تلك العصور ، فقد كان زعماؤه وأقطابه أداة بيد الحكّام ، وكانوا من أجهزته .

أمّا ما يدعم ذلك فإقرارهم لإمامة المفضول ، وجواز تقديمه على الفاضل ، وقد اتّخذوا ذلك للقول بمشروعيّة خلافة الأمويّين ، وغيرهم ممّن تسلّموا قيادة الحكم مع وجود من هو أعلم منهم بشؤون الدين وأحكام الشريعة ، وقد نالوا بذلك التأييد المطلق ، والدعم الشامل من الأمويّين ، وبعد انقلاب الحكم الأموي انضمّوا إلى الحكم العبّاسي ، فكانوا من أجهزته ، وقد كان المنصور الدوانيقي على ما فيه من جفوة وقسوة ومعاداة للعلم والعلماء يكبر عمرو بن عبيد الزعيم الروحي للمعتزلة ،

---

(١) المعتزلة : ١.

(٢) فِرق الشيعة : ٥.

(٣) حياة الإمام محمّد الباقر عليه السلام : ٢ : ٧٠ ـ ٧١.

كما أنّ أحمد بن أبي دؤاد الزعيم الثاني للمعتزلة قد حظي باحترام ملوك العبّاسيّين وتبجيلهم، فقد قال فيه المعتصم: «هذا والله الذي يتزيّن بمثله، ويبتهج بقربه، ويعدل أُلوفا من جنسه»(١).

ومرض أحمد فعاده المعتصم، وكان لا يعود أحداً من إخوته وأجلّاء أهله، ولمّا قيل له في ذلك أجاب: «كيف لا أعود رجلاً ما وقعت عليه عيني قطّ إلّا ساق لي أجراً، وأوجب إليَّ شكراً، وأفادني فائدة تنفعني في ديني ودنياي»(٢).

ويميل كلّ من المستشرق الايطالي (نلينو)، والمستشرق (نيسبوج) إلى أنّ منشأ الاعتزال كان من أصل سياسي(٣).

أمّا أحمد أمين فيقول: «إنّ جرأة المعتزلة في نقد الرجال هو بمثابة تأييد قويّ للأمويّين، لأنّ نقد الخصوم ووضعهم موضع التحليل، وتحكّم العقل في الحكم عليهم أو لهم، يزيل ـ على الأقل ـ فكرة تقديس عليّ عليه السلام التي كانت شائعة عند جماهير الناس»(٤).

ومهما يكن الأمر فإنّ الاعتزال قد حظي بدعم شامل، وحفاوة بالغة من قِبل الحكم الأموي والعبّاسي، ولو كان بمعزل عن السياسة القائمة في تلك العصور لما ظفر قادته بالتكريم والتأييد من قِبل السلطات الحاكمة.

أُصولهم الاعتقاديّة

أمّا الأُصول الاعتقاديّة التي آمن بها المعتزلة، فهي خمسة، فمن اعتنقها كان

---

(١) مروج الذهب: ٤: ١٦.

(٢) تاريخ بغداد: ٤: ١٤٨ ـ ١٥٠.

(٣) دراسات في الفِرق والعقائد الإسلاميّة: ٢٩٥.

(٤) فجر الإسلام: ٢٩٥.

معتزلاً ، ومن أنكر واحداً منها أو زاد عليها فقد فارق الاعتزال[١] ، وهي :

١ ـ التوحيد

أمّا التوحيد فهو أقوى المبادئ الخمسة التي تجمع عليها المعتزلة ، وقد فسّروه بتنزيه الله تعالى عن مشابهة المخلوقين ، فهو ليس جسماً ، ولا عرضاً ، ولا جوهراً ، ولا يحويه زمان ولا مكان ، وردّوا كلّ ما يتعارض مع وحدانيّة الله تعالى وأزليّته ، فأنكروا أن يكون لله صفات غير ذاته[٢] .

وقالوا : إنّ وجود صفات قديمة خارجة عن الذات يؤدّي إلى أن يكون هناك شيء قديم أزلي غير ذاته ، وهذا يقتضي التعدّد ، وهو مستحيل بالنسبة إليه تعالى[٣] .

وأوّلوا الآيات التي تدلّ بظاهرها على التجسيم مثل قوله تعالى : ﴿ **يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ** ﴾[٤] ، فقالوا : إنّ المراد بها القدرة ، وقد بسطوا القول في هذه الجهة ، واستدلّوا عليها بأروع الأدلّة وأوثقها[٥] .

٢ ـ العدل

وهو الأصل الثاني من الأُصول الأساسيّة لمذهبهم ، فقد قالوا ـ كما هو الحقّ ـ إنّ الله تعالى ليس بظلّام للعبيد ، ولا بجائر عليهم ، وقد تشعّبت بحوثهم في عدل الله تعالى إلى عدّة بحوث كلاميّة ، منها نفي القدر ، وإثبات حريّة الإنسان وإرادته واختياره ، وإنّ الإنسان هو الذي يوجد أفعاله بمقتضى حريّته واختياره ، وذلك نتيجة لعدل الله تعالى وتنزّهه عن الظلم ، فإنّ الله تعالى لا يعاقب إنساناً على عمل أجبره

---

(١) الفصل : ٢ : ١١٣ .

(٢) و (٣) الملل والنحل : ١ : ٥٨ .

(٤) الفتح ٤٨ : ١٠ .

(٥) حياة الإمام محمّد الباقر عليه السلام : ٢ : ٧٤ .

عليه ، ووجّه إليه ؛ لأنّ من أعان فاعلاً على فعله ثمّ عاقبه عليه كان جائراً وظالماً له ، والظلم منفي عنه تعالى : ﴿ **وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ** ﴾(١) ، وقوله تعالى : ﴿ **فَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ** ﴾(٢) .

فالثواب والعقاب تابعان للعمل ، وليسا خاضعين إلى شيء آخر ، كما بحثوا في قضيّة عدل الله تعالى عن الحسن والقبح العقليّين ، فإنّهم لمّا آمنوا بعدالة الله تعالى ، وأنّه تعالى لا يفعل إلّا ما فيه الخير العامّ لعباده ، فقد دعاهم ذلك إلى النظر في الأعمال فهل هي حسنة لذاتها ، أم أنّها تكتسب الحسن أو القبح بتوجيه من الشارع المقدّس ؟

وذهبوا بعد ذلك إلى أنّ الحسن والقبح ذاتيّان ، وأنّ الشارع لا يحسن الشيء بأمره ، وإنّما يأمر به لأنّه حسن في ذاته ، كما أنّه لا يقبّح الشيء بنهيه ، وإنّما ينهى عنه لقبحه ، وقد مجّدوا بذلك العقل ، وفتحوا الطريق أمام نضجه وارتقائه ، كما يقول بعض الباحثين(٣) .

٣ ـ الوعد والوعيد

هذا هو الأصل الثالث من أُصولهم العقائديّة ، ويراد به أنّ الله تعالى صادق في وعده ووعيده في يوم القيامة لا مبدّل لكلماته ، وأنّ أهل الجنّة يزفّون إلى الجنّة بأعمالهم ، وأهل النار يساقون إلى النار بأعمالهم ، ورتّبوا على ذلك إنكار الشفاعة لأي أحد يوم القيامة(٤) .

وتجاهلوا بذلك الآيات والأخبار المتواترة عن النبيّ ﷺ في ثبوت الشفاعة للنبيّ

---

(١) فصّلت ٤١ : ٤٦ .

(٢) التوبة ٩ : ٧٠ .

(٣) التصوّر والتجديد في الشعر الأموي : ٣١٢ .

(٤) المعتزلة : ٥١ و ٥٢ .

العظيم ﷺ ولسائر الأولياء والمؤمنين.

٣ ـ المنزلة بين المنزلتين

يراد بهذا الأصل عندهم أنّ مرتكب الكبائر من الذنوب لا مؤمن، ولا كافر، بل هو فاسق، فجعلوا الفسق مرتبة ثالثة مستقلّة عن الإيمان والكفر، واعتبروه وسطاً بينهما، وقد أدلى بذلك واصل ـ وهو من كبار زعمائهم ـ قال: «إنّ الإيمان عبارة عن خصال خير إذا اجتمعت سُمِّي المرء مؤمناً، وهو اسم مدح، والفاسق لم يستجمع خصال الخير، ولا استحقّ اسم المدح، فلا يسمّى مؤمناً وليس هو بكافر مطلقاً، لأنّ الشهادة وسائر الأعمال الخيّرة موجودة فيه، ولا وجه لإنكارها، لكنّه إذا خرج من الدنيا على كبيرة من غير توبة، فهو من أهل النار خالداً فيها»(١).

وتابع عمرو بن عبيد واصلاً في ذلك، كما أنّ الحسن البصري تابعهما في هذا الرأي، بعدما كان مصرّاً على أنّ مرتكب الكبيرة مؤمن فاسق(٢).

٤ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وهذا هو الأصل الخامس من الأُصول الاعتقاديّة التي يدين بها المعتزلة، وقد ذهبوا إلى أنّه يجب على كلّ مسلم ومسلمة العمل على إقامة المعروف وإزالة المنكر، فإن استطاعوا فبالسيف، ويُسمّى جهاداً، وإن لم يستطيعوا بالسيف فما دونه، ولا فرق في ذلك بين مقاومة الكافر ومقاومة الفاسق(٣).

ولم تعمل المعتزلة بهذا البند من أُصولهم الاعتقاديّة، فقد أغرق الأمويّون البلاد بالظلم والجور، وأرغموا المسلمين على ما يكرهون، ولم ينبرِ أحد من أعلامهم إلى

---

(١) الملل والنحل: ١: ٥٩، وجاء فيه: «إنّ عقاب الفاسق أخفّ من عقاب الكافر».

(٢) أمالي المرتضى: ١: ١١٥ و ١١٦.

(٣) المقالات: ١: ٢٧٨.

مقاومة المنكر والأمر بالمعروف.

هذه هي الأُصول العامّة للمعتزلة، ويتفرّع عنها فروع كثيرة ذات أهمّية بالغة ذكرت في الكتب الكلاميّة[١].

الشيعة والمعتزلة

ويرى بعض المستشرقين أنّ الشيعة اقتبست الكثير من بحوثها الكلاميّة من المعتزلة، وأنّهما معاً يشكّلان وحدة في الفكر والعقيدة، وقد ذهب إلى ذلك (كولد زيهر). يقول: «استقرّ الاعتزال في مؤلّفات الشيعة حتّى في يومنا هذا، ولذا فإنّ من الخطأ الجسيم، سواء من ناحية التاريخ الديني أو التاريخ الأدبي، أن نزعم بأنّه لم يبق للاعتزال أثر محسوس بعد الفوز الحاسم الذي نالته العقائد الأشعريّة، وعند الشيعة مؤلّفات اعتقاديّة كثيرة يرجعون إليها، وينسجون على منوالها، وهي حجّة قائمة تدحض هذا الزعم وتفنّده، ويمكن أن تعتبر كتب العقائد الشيعيّة كأنّها مؤلّفات المعتزلة[٢].

ومال إلى هذا الرأي (آدم متز). يقول: «إنّ الشيعة في القرن الرابع الهجري لم يكن لهم مذهب كلامي خاصّ بهم، فاقتبسوا من المعتزلة أُصول الكلام وأساليبه، حتّى أنّ ابن بابويه القمّي أكبر علماء الشيعة في القرن الرابع الهجري اتّبع في كتابه (علل الشرائع) طريقة المعتزلة الذين كانوا يبحثون عن علل كلّ شيء.. إنّ الشيعة من حيث العقيدة والمذهب هم ورثة المعتزلة[٣].

وليس لهذا الرأي أي مسند علمي، فإنّ الشيعة لم تكن بأي حال من الأحوال عالة

(١) حياة الإمام محمّد الباقر عليه السلام: ٢: ٧٦ و ٧٧.

(٢) العقيدة والشريعة في الإسلام: ٢٢٣.

(٣) دراسات في الفِرق والعقائد الإسلاميّة: ١١٥.

على أيّة فرقة إسلاميّة ، فقد أمدّهم أئمّة أهل البيت عليهم السلام بطاقات ثريّة من البحوث الكلاميّة وغيرها ، فهم أوّل من فتق باب علم الكلام ، كما أنّهم الروّاد الأوائل للخوض في بحوث التوحيد التي هي من فروع علم الكلام ، وكان أوّل من أدلى بذلك رائد الفكر الإسلامي الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، فقد حفل نهج البلاغة بالخطب الرائعة ، التي أشاد فيها الإمام بعظمة الخالق ، ونزّهه عن صفات المخلوقين ، وفي الصحيفة السجّاديّة لإمام المتّقين ، وسيّد الساجدين عليّ بن الحسين عليهما السلام أدعية حافلة بالبحوث الكلاميّة ، كما أنّ ما أُثر عن أئمّة الهدى عليهم السلام من الاحتجاجات في الردّ على الدهريّين وغيرهم من الملاحدة ما يثبت ـ بوضوح ـ سبق الشيعة ، وأنّهم الروّاد الأوائل في علم الكلام ، فكيف يكونون عالة على المعتزلة .

يقول الشيخ المفيد : « لسنا نعرف للشيعة فقيهاً متكلّماً على ما حكيت عنه من أخذ الكلام من المعتزلة ، وتلقينه الاحتجاج »(١) .

ويقول الدكتور عرفان عبدالحميد : « أمّا علماء الشيعة ، قديماً وحديثاً ، فقد أنكروا دعوى الاقتباس والتقليد ، وردّوا على القائلين به ، وذلك في نظرنا أمر طبيعي منطقي لا بدّ منه ممّن يعتنق مذهب الإماميّة القاضي بأنّ الهيكل العامّ للتعاليم الشيعيّة إنّما قام على ما روي من أحاديث وأخبار عن الإمام المعصوم . فمنطوق المذهب يقضي بطرد كلّ احتمال للتأثير الخارجي ، لا بل وإنكاره باعتبار أنّ المذهب الشيعي وحدة فكريّة قائمة بذاتها مستمدّة من تعاليم الإمام »(٢) .

المسائل المتّفق عليها بين الشيعة والمعتزلة

واتّفقت الشيعة مع المعتزلة في بعض المسائل من الأُصول الاعتقاديّة ، كالعدل

---

(١) أجوبة المسائل الصاغانيّة : ١٤ من مخطوطات مكتبة السيّد الحكيم .

(٢) دراسات في الفِرق والعقائد الإسلاميّة : ١١٥ .

الإلهي ، يقول الإمام كاشف الغطاء رحمه الله : « والذي يجمعها ـ أي المعتزلة ـ مع الشيعة قولهم : بأنّ من صفاته تعالى العدل الذي ينكره الأشاعرة ، وعلى هذا تبتني مسألة الحسن والقبح العقليّين التي تقول بها الإماميّة والمعتزلة ، وتنكرها الأشاعرة أيضاً ، وبهذا الملاك يطلق على الفريقين ـ أي الشيعة والمعتزلة ـ اسم العدليّة »(١).

هذه بعض المسائل التي اتّفق عليها الشيعة والمعتزلة(٢).

المسائل الخلافيّة

واختلفت الشيعة والمعتزلة في كثير من المسائل الكلاميّة ،كان من بينها ما يلي :

١ ـ إمامة المفضول

وذهبت المعتزلة إلى جواز إمامة المفضول وتقديمه على الفاضل ، وقد أنكرت الشيعة ذلك أشدّ الإنكار ، واعتبرته خروجاً عن المنطق ، وإماتة للمواهب والكفاءات ، وانحرافاً عن القرآن الكريم الذي أعلن إنكاره للتساوي بينهما . قال تعالى : ﴿ **هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾(٣) ، وتذهب الشيعة ـ بإصرار ـ إلى أنّ جميع الأزمات التي عانتها الأُمّة الإسلاميّة في جميع مراحل تاريخها إنّما كانت من جرّاء تقديم المفضول على الفاضل ، فإنّ النبيّ الأعظم صلّى الله عليه وآله قد رشّح للخلافة من بعده أفضل أهل بيته وسيّد عترته وأصحابه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، وأخذ له البيعة في غدير خم ، ودلّل في كثير من المواقف والمشاهد على سموّ منزلته ومكانته عند الله وعند رسوله ، ولكنّ الأطماع السياسيّة قد حدت بالقوم إلى إقصائه عن الخلافة ، وترشيح غيره لها ، فكان لذلك الكثير من

---

(١) جنّة المأوى : ٢٢٢.

(٢) حياة الإمام محمّدالباقر عليه السلام : ٢ : ٧٨.

(٣) الزمر ٣٩ : ٩.

المضاعفات السيّئة التي عانتها الأُمّة ، فقد نزا على منبر الخلافة اللصوص والجلّادون أمثال معاوية ، وولده يزيد ، ومروان بن الحكم ، وأمثالهم من أئمّة الظلم والجور.

وعلى أي حال ، فإنّ هذه النقطة الحسّاسة من جملة الفوارق الجوهريّة بين الشيعة والمعتزلة.

٢ ـ الشفاعة

وأنكرت المعتزلة الشفاعة يوم القيامة لأي أحد من أنبياء الله وأوليائه ، وأنّ الإنسان إنّما يجازى بأعماله ، ويحاسب عليها ، إن خيراً خيراً ، وإن شرّاً فشرّاً ، ولا تنفعه شفاعة أي أحد ، وخالفت الشيعة في ذلك ، وذهبت إلى أنّ أولياء الله العظام ، كالأنبياء والأئمّة الطاهرين عليهم السلام لهم الشفاعة يوم القيامة ، وذلك لإظهار فضلهم ، وعظيم منزلتهم عند الله تعالى ، وإذا لم تكن لهم الشفاعة فما هي الميّزة لهم على غيرهم من الناس في ذلك اليوم ؟ هذه بعض الفوارق بين الشيعة والمعتزلة ، وذكرت الكتب الكلاميّة فوارق أُخرى كان من أهمّها ما ذكرناه.

فرق المعتزلة

وافترقت المعتزلة إلى فِرق وطوائف كثيرة ، كان منها ما يلي :

١ ـ **الواصليّة** : وهم أصحاب واصل بن عطاء.

٢ ـ **الهذيليّة** : وهم أتباع أبي الهذيل العلّاف.

٣ ـ **النظاميّة** : وهم أتباع النظام إبراهيم بن سيّار.

٤ ـ **الحائطيّة** : وهم أتباع أحمد بن حائط.

٥ ـ **البشريّة** : وهم أتباع بشر بن المعتمر.

٦ ـ **المعمريّة** : وهم أتباع معمّر بن عباد السلمي.

٧ ـ **المزداريّة** : وهم أتباع عيسى المكنّى بأبي موسى.

٨ ـ **الثماميّة** : وهم أتباع ثمامة بن أشرف النمري .

٩ ـ **الهشاميّة** : وهم أتباع هشام بن عمر الفوطي .

١٠ ـ **الجاحظيّة** : وهم أتباع عمرو بن بحر الجاحظ .

١١ ـ **الخياطيّة** : وهم أتباع أبي الحسين الخيّاط .

١٢ ـ **الجبائيّة** : وهم أتباع أبي عليّ محمّد بن عبدالوهاب الجبائي .

هذه بعض فِرق المعتزلة ، وقد نسبت لهم أقوال شاذّة وآراء فاسدة ، وقد ألّف الأشعري كتاباً في تكفير النظام(١) .

الإمام عليه السلام مع المعتزلة

وجرت مناظرات بين الإمام الصادق عليه السلام وبين المعتزلة ، فنّد فيها شبههم وما ذهبوا إليه في كثير من المسائل الكلاميّة ، وقد ذكرنا احتجاجاته عليهم في بعض حلقات هذا الكتاب ، كما أنّ المتكلّمين من أصحاب الإمام عليه السلام كهشام بن الحكم ، قد خاض مع بعض أعلامهم في بعض البحوث العقائديّة ، وقد أفلج حججهم ، وردّ شبههم ، وبهذا ينتهي بنا الحديث عن المعتزلة .

الغلوّ

تكفير الشيعة للغلاة

وأجمعت الشيعة على تكفير الغلاة وإلحادهم ، ومروقهم من الدين ، وأنّ من مهازل الآراء وأبعدها عن الحقّ إلحاق الغلاة بالشيعة ، وإضافة هذه الفرقة الضالّة

---

(١) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة : ٢ : ١١٩ .

إلى أتباع أهل البيت عليهم السلام الذين دانوا الله بالوحدانيّة ، وتبرّأوا من كلّ من لا يؤمن بالله ، ولا باليوم الآخر ، وأعلنوا حرمة مخالطة الغلاة ، وأفتى الأئمّة عليهم السلام بنجاستهم ، وأعلنوا عدم جواز غسل موتاهم ، ودفنهم في مقابر المسلمين ، ولم يجوّزوا للمغالي أن يتزوّج بالمرأة المسلمة ، ولا المسلم أن يتزوّج بالمغالية ، وأنّهم لا يرثون المسلمين ، وقد أجروا عليهم حكم الكفّار ، وبعد هذه الاجراءات القاسية عليهم كيف يحكم بأنّهم من فِرق الشيعة ؟

وعلى أي حال ، فقد ظهر الغلاة أيّام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، فقد ذهبت عصابة من الغوغاء إلى اُلوهيّته ، وذلك حينما رأوا فضله ومآثره ، من العدل والزهد والكمال ، ويقول فيه بعض الغلاة :

وَمَنْ أهلكَ عاداً وثَموداً بِدَواهيهِ
وَمَنْ كلَّمَ موسىٰ فَوقَ طُورٍ إِذْ يُنادِيهِ
وَمَنْ قالَ عَلَى المِنبرِ يَوماً وهوَ راقِيهِ
سَلُوني أيُّها النّاس فَحاروا في مَعانِيهِ(١)

وزعم بعض الغلاة أنّ الإمام عليه السلام ابن الله ، ويردّ عليهم السيّد الحميري بقوله :

قَومٌ غَلَوا في عَلِيٍّ لا أَبا لَهُمُ ... وَأَجْشَموا أَنْفُساً في حُبِّهِ تَعَبا
قالوا هُوَ ابْنُ الإلٰهِ جَلَّ خالِقُنا ... مِنْ أنْ يكونَ لَهُ ابْنٌ أَوْ يَكونَ أَبا(٢)

هذا الغلوّ مروق من الدين ، وارتداد عن الإسلام ، ولا علاقة له بالشيعة ، ولا بغيرها من فِرق المسلمين .

---

(١) الملل والنحل : ١ : ٢٩٣.

(٢) ديوان السيّد الحميري : ٢٢.

يقول الإمام الشيخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء : « أمّا الشيعة فيبرأون من تلك الفرق براءة التحريم ، على أنّ تلك الفرق لا تقول بمقالة النصارى ، بل خلاصة مقالتهم ، بل ضلالتهم ، أنّ الإمام هو الله سبحانه ظهوراً واتّحاداً أو نحو ذلك ممّا يقول به كثير من متصوّفة الإسلام ومشاهير الطرق ، وقد ينقل عن الحلّاج والكيلاني والرفاعي والبدوي وأمثالهم من الكلمات ، وإن شئت سمّها كما يقولون ـ شطحات ـ ما يدلّ بظاهره على أنّ لهم منزلة فوق الربوبيّة ، وأنّ لهم مقاماً زائداً على الألوهيّة ـ لو كان ثمّة موضع لمزيد ـ وقريب من ذلك ما يقول به أرباب وحدة الوجود أو الموجود .

أمّا الشيعة الإماميّة ، وأعني بهم جمهرة العراق وإيران وملايين المسلمين في الهند ، ومئات الألوف في سوريا والأفغان ، فإنّ جميع تلك المقالات يعدّونها من أبشع الكفر والضلالات ، وليس دينهم التوحيد المحض ، وتنزيه الخالق عن كلّ مشابهة للمخلوق ، أو ملابسة لهم في صفة من صفات النقص والإمكان ، والتغيير والحدوث ، وما ينافي وجوب الوجود والقِدم والأزليّة ، إلى غير ذلك من التنزيه والتقديس المشحونة به مؤلّفاتهم في الحكمة والكلام من مختصرة أو مطوّلة »[1] .

ولنعد بعد هذا إلى بعض شؤون الغلاة مع الإمام الصادق عليه السلام .

الغلوّ في الإمام الصادق عليه السلام

وغالى جماعة من المرتدّين على أعقابهم في الإمام الصادق عليه السلام ، فزعم بعضهم أنّه الله تعالى ، وزعم آخرون أنّه نبيّ مرسل ، وفيما يلي بعضهم :

(١) أصل الشيعة وأصولها : ١٧٣ ـ ١٧٧ .

١ ـ أبو الخطّاب

هو محمّد بن مقلاص الأسدي الكوفي ، وهو من دعائم الكفر والضلال ، كان في بداية أمره من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام ، ثمّ ارتدّ على عقبه فزعم أنّ الإمام الصادق هو الله تعالى ، وقد استحلّ جميع ما حرّم الله ، ورخّص فيها ، وكان أصحابه كلّما ثقل عليهم أداء فريضة من فرائض الله تعالى قالوا له : يا أبا الخطّاب ، خفّف علينا ، فيأمرهم بتركها حتّى تركوا جميع الفرائض ، واستحلّوا جميع المحارم ، وأباح لهم أن يشهد بعضهم لبعض بالزور ، وقال : « من عرف الإمام فقد حلّ له كلّ شيء حُرّم عليه »[١] .

براءة الإمام منه

ولمّا انتهت مقالة هذا الضالّ إلى الإمام الصادق عليه السلام لعنه وتبرّأ منه ، وجمع أصحابه فعرّفهم ذلك ، وكتب إلى البلدان بالبراءة منه ولعنه[٢] .

وروى المفضّل بن عمر ، قال : « دخلت على أبي عبدالله عليه السلام فرأيته منقبضاً مستعبراً ، فقلت له : ما لك جُعلت فداك ؟

فقال عليه السلام : **سُبْحانَ اللهِ ، وَتَعالَى اللهُ عَمّا يَقولُ الظّالِمونَ عُلُوّاً كَبيراً .**

يا مُفَضَّلُ ، زَعَمَ هٰذَا الْكَذّابُ الْكافِرُ أَنّي أَنا اللهُ ، فَسُبْحانَ اللهِ ، وَلا إِلٰهَ إِلّا هُوَ رَبّي وَرَبُّ آبائي ، هُوَ الَّذي خَلَقَنا وَأَعْطانا وَخَوَّلَنا ، فَنَحْنُ أَعْلامُ الْهُدىٰ ، وَالْحُجَّةُ الْعُظْمىٰ .

يا مُفَضَّلُ ، اخْرُجْ إِلىٰ هؤلاءِ ـ يعني أصحاب أبي الخطّاب ـ **فَقُلْ لَهُمْ : إِنّا مَخْلوقونَ ، وَعِبادٌ مَرْبوبونَ ، وَلكِنْ لَنا مِنْ رَبِّنا مَنْزِلَةٌ لَمْ يَنْزِلْها أَحَدٌ غَيْرُنا ، وَلا تَصْلُحُ إِلّا لَنا ،**

---

(١) و (٢) دعائم الإسلام : ٢٩.

وَنَحْنُ نُورٌ مِنْ نُورِ اللهِ، وَشيعَتُنا مِنّا، وَسائِرُ مَنْ خالَفَنا مِنَ الْخَلْقِ فَهُوَ في النّارِ، نَحْنُ جيرانُ اللهِ غَداً، فَمَنْ قَبِلَ مِنّا وَأَطاعَنا فَهُوَ في الْجَنَّةِ، وَمَنْ أَطاعَ الْكافِرَ الْكَذّابَ ـ يعني أبا الخطّاب ـ **فَهُوَ في النّارِ**»(١).

واجتاز الإمام على جماعة من أتباع أبي الخطّاب، فانبروا قائلين: لبّيك جعفر، لبّيك جعفر، وكان مع الإمام عليه السلام مصادف، فأخبره بمقالتهم، فلمّا سمع ذلك خرّ لله ساجداً وأخذ يبكي وهو يقول: «**بَلْ عَبْدٌ للهِ، قِنٌّ داخِرٌ**»، ثمّ رفع رأسه ودموعه على كريمته الشريفة، فقال له مصادف: ما عليك من هذا؟

فقال عليه السلام: «**يا مُصادِفُ، إنَّ عيسى لَوْ سَكَتَ عَمّا قالَتِ النَّصارىٰ فيهِ لَكانَ حَقّاً عَلَى اللهِ أَنْ يُصِمَّ سَمْعَهُ، وَيُعْمي بَصَرَهُ، وَلَوْ سَكَتُّ عَمّا قالَ فِيَّ أَبو الْخَطّابِ لَكانَ حَقّاً عَلَى اللهِ أَنْ يُصِمَّ سَمْعي وَيُعْمي بَصَري**»(٢).

وحدّث حمدويه، قال: «كنت جالساً عند أبي عبدالله عليه السلام وميسرة عنده ـ وهو من أصحابه ـ فقال ميسرة: جُعلت فداك، عجبت لقوم يأتون إلى هذا الموضع فانقطعت أخبارهم وآثارهم وفنيت آجالهم.

فالتفت الإمام عليه السلام إليه قائلاً: **مَنْ هُمْ؟**

ـ أبو الخطّاب وأصحابه.

واستوى الإمام عليه السلام جالساً، وقال متأثّراً: **عَلىٰ أَبِي الْخَطّابِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنّاسِ أَجْمَعينَ. أَشْهَدُ بِاللهِ أَنَّهُ كافِرٌ فاسِقٌ مُشْرِكٌ، وَأَنَّهُ يُحْشَرُ مَعَ فِرْعَونَ في أَشَدِّ الْعَذابِ**»(٣).

---

(١) دعائم الإسلام: ٥٠.

(٢) رجال الكشّي: ٢٥٣.

(٣) الشيعة في التاريخ: ١٧٨.

ونهى الإمام عليه السلام عن الاتّصال بأصحاب أبي الخطّاب، وقال: «**لَا تُقاعِدوهُمْ، وَلَا تُواكِلوهُمْ، وَلَا تُشارِبوهُمْ، وَلَا تُصافِحوهُمْ، وَلَا تُوارِثوهُمْ**»(١).

وأمر عليه السلام بعض أصحابه فقال له: «**قُلْ لِلْغالِيَةِ: توبوا إِلَى اللهِ فَإِنَّكُمْ فُسّاقٌ مُشْرِكونَ**»(٢).

وأثرت عنه كثير من الأخبار أعلنت كفر الخطّابيّة وإلحادهم، وأنّهم مارقون عن الإسلام.

فرق الخطابيّة

وافترقت الخطابيّة إلى أربع فرق، وهي كما يلي:

١ - زعمت أنّ الإمام الصادق عليه السلام هو الله تعالى، وأنّ أبا الخطّاب نبيّ مرسل أرسله الإمام إلى الناس وأمره بطاعته.

٢ - وذهب آخرون إلى أن بزيع - وهو حائك من حاكة الكوفة - نبيّ مرسل، مثل أبي الخطّاب وشريكه، أرسله الإمام الصادق عليه السلام وجعله شريك أبي الخطّاب في النبوّة والرسالة.

٣ - وذهبت الفرقة الثالثة إلى أنّ السري الأقصم نبيّ أرسله الإمام إلى العباد، وزعموا أنّ الصادق عليه السلام هو الإسلام، والإسلام هو السلم، والسلم هو الله، وصلّوا وصاموا وحجّوا لجعفر عليه السلام.

٤ - وذهبت هذه الفرقة الخطّابيّة إلى أنّ جعفر بن محمّد عليه السلام هو الله، وإنّما هو نور يدخل في أبدان الأوصياء فيحلّ فيها مكان ذلك النور في جعفر، ثمّ خرج

---

(١) الشيعة في التاريخ: ١٧٨.

(٢) رجال الكشّي: ٢٥٤.

منه فدخل في أبي الخطّاب ، وصار جعفر من الملائكة[١] .

هلاك أبي الخطّاب

وشاعت أضاليل أبي الخطّاب ومنكراته ، وعلمت به السلطة الحاكمة في الكوفة ، فألقت عليه القبض ، ونفّذت فيه حكم الإعدام مع سبعين شخصاً من جماعته الذين زاغت ضمائرهم ، وكان والي الكوفة في ذلك الوقت عيسى بن موسى[٢] .

٢ ـ بشّار الشعيري

أمّا بشّار الشعيري فقد كان زنديقاً ممعناً في الزندقة ، زعم أنّ الإمام الصادق عليه‌السلام هو الله تعالى ، وكان يدعو البسطاء والسذّج لفكرته الضالّة ، دخل هذا الرجس الخبيث على الإمام الصادق عليه‌السلام فلمّا أبصر به طرده وصاح به : « **اخْرُجْ عَنّي لَعَنَكَ اللهُ** » ، فولّى الشعيري منهزماً ، فالتفت الإمام إلى أصحابه معرباً لهم عن سخطه البالغ على هذا الإنسان الممسوخ قائلاً : « **وَيْلَهُ أَلا قالَ بِما قالَتْ بِهِ الْيَهودُ ؟ أَلا قالَ بِما قالَتْ بِهِ النَّصارىٰ ؟ أَلا قالَ بِما قالَتْ بِهِ الْمَجوسُ ؟ وَاللهِ ما صَغَّرَ اللهَ تَصْغيرَ هٰذَا الْفاجِرِ أَحَدٌ** » .

ثمّ وصفه الإمام لأصحابه قائلاً : « **إِنَّهُ شَيْطانٌ ، وَإِنَّهُ خَرَجَ لِيُغْوِي الشّيعَةَ** » .

وأضاف الإمام قائلاً : « **إِنّي عَبْدُ اللهِ ، ابْنُ عَبْدِ اللهِ ، ضَمَّتْني الْأَصْلابُ وَالْأَرْحامُ ، وَإِنّي لَمَيِّتٌ ، وَإِنّي لَمَبْعوثٌ** »[٣] .

لقد تألّم الإمام كأشدّ ما يكون الألم وأقساه من هذا الرجس الخبيث الذي كفر بالله

---

(١) المقالات والفرق : ٥٠ .

(٢) فرق الشيعة : ٦١ .

(٣) رجال الكشّي : ٤٠٠ ، الحديث ٧٤٦ .

العليّ العظيم ، واتّبع هواه ، وصدّ عن سواء السبيل .

٣ ـ المغيرة بن سعيد

أمّا المغيرة فهو من أرجاس البشريّة ، ومن شرار الخلق ، وكان ملحداً ، صاحب بدع ومنكرات ، ومن بدعه الغلوّ ، وقد تبرّأ منه الإمام الصادق عليه السلام ولعنه .

قال عليه السلام : «**لَعَنَ اللهُ الْمُغيرَةَ بْنَ سَعيدٍ ، لَعَنَ اللهُ يَهودِيَّةً كانَ يَخْتَلِفُ إِلَيْها ، يَتَعَلَّمُ مِنْها السِّحْرَ وَالشَّعْبَذَةَ وَالْمَخاريقَ .**

إِنَّ الْمُغيرَةَ كَذَبَ عَلىٰ أَبي فَسَلَبَهُ اللهُ الْإِيمانَ ، وَإِنَّ قَوْماً كَذَبوا عَلَيَّ ، ما لَهُمْ أَذاقَهُمُ اللهُ حَرَّ الْحَديدِ ، فَوَاللهِ ما نَحْنُ إِلَّا عَبيدٌ خَلَقَنا اللهُ وَاصْطَفانا ، ما نَقْدِرُ عَلىٰ ضُرٍّ وَلَا نَفْعٍ إِلَّا بِقُدْرَتِهِ ، إِنْ رَحِمَنا فَبِرَحْمَتِهِ ، وَإِنْ عَذَّبَنا فَبِذُنوبِنا ، لَعَنَ اللهُ مَنْ قالَ فينا ما لا نَقولُ في أَنْفُسِنا ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ أَزالَنا عَنِ الْعُبودِيَّةِ لِلّٰهِ الَّذي خَلَقَنا وَإِلَيْهِ مَآبُنا وَمَعادُنا ، وَبِيَدِهِ نَواصِينا»[١] .

لقد أبدى الإمام عليه السلام تذمّره الشديد من المغيرة الذي يقول عليه بالباطل ، وكذّب عليه وعلى أبيه من قبل ، ومن المؤكّد أنّه من العناصر المندسّة ليقوم بعمليّة الهدم والتخريب للمبدأ الشيعي القائم على الحقّ .

لقد كان المغيرة مجرماً خطيراً ، حاول تشويه الشيعة ، وتحريف مبادئهم وقيمهم ، وقد احتفّت به عصابة من المجرمين فكانوا يستعيرون له كتب الحديث والأخبار التي أملاها الإمام الباقر وولده الإمام الصادق عليهما السلام على تلاميذهم ، فكان يدسّ فيها أخبار الغلوّ ، وقد التفت الإمام الصادق عليه السلام إلى هذه الجهة فأمر عليه السلام بما يلي :

---

(١) رجال الكشّي : ٢٢٣ ، الحديث ٤٠٠ و : ٢٢٥ ، الحديث ٤٠٣ .

١ - روى هشام بن الحكم عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «**كانَ الْمُغيرَةُ بْنُ سَعيدٍ يَتَعَمَّدُ الْكَذِبَ عَلىٰ أبي، وَيَأْخُذُ كُتُبَ أَصْحابِهِ، وَكانَ أَصْحابُهُ الْمُتَسَتِّرونَ بِأَصْحابِ أَبي يَأْخُذونَ الْكُتُبَ فَيَدْفَعونَها إِلَى الْمُغيرَةَ، فَكانَ يَدُسُّ فيها الْكُفْرَ وَالزَّنْدَقَةَ وَيُسْنِدُها إِلىٰ أَبي، ثُمَّ يَدْفَعُها إِلىٰ أَصْحابِهِ فَيَأْمُرُهُمْ أَنْ يَبِثُّوها في الشّيعَةِ، فَكُلُّ ما كانَ في كُتُبِ أَبي مِنَ الْغُلُوِّ فَذاكَ مِمّا دَسَّهُ الْمُغيرَةُ بْنُ سَعيدٍ في كُتُبِهِمْ**»(١).

٢ - قال عليه السلام لأصحابه: «**لَا تَقْبَلوا عَلَيْنا حَديثاً إِلّا ما وافَقَ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ، وَتَجِدونَ مَعَهُ شاهِداً مِنْ أَحاديثِنا الْمُتَقَدِّمَةِ، فَإِنَّ الْمُغيرَةَ بْنَ سَعيدٍ دَسَّ في كُتُبِ أَصْحابِ أَبي أَحاديثَ لَمْ يُحَدِّثْ بِها، فاتَّقوا اللهَ، وَلَا تَقْبَلوا عَلَيْنا ما خالَفَ قَوْلَ رَبِّنا وَسُنَّةَ نَبِيِّنا**»(٢).

وقد فوّت الإمام الصادق عليه السلام بعرض الأخبار على الكتاب والسنّة، والتثبّت فيها ما كان يرومه المغيرة من إفساد عقيدة الشيعة، وأكبر الظنّ أنّ السلطة هي التي دفعت المغيرة إلى القيام بهذا العمل الخطير للنكاية بالشيعة، وإفساد معتقداتهم، وتشويههم أمام الرأي العامّ.

وعلى أي حال، فقد ضاقت الشيعة ذرعاً من المغيرة، وقد خفّ أبو هريرة العجلي إلى الإمام الباقر عليه السلام يشكو إليه ما ألمّ بهم من بدع المغيرة ومفتعلاته قائلاً:

أَبـا جَعفرٍ أَنْتَ الْـوَلِيُّ أُحِبُّهُ ... وَأَرضـىٰ بِما تَرضىٰ بِـهِ وَأُتـابعُ
أَتـانا رِجـالٌ يَـحملونَ عَـلَيكُمُ ... أَحاديثَ قَدْ ضاقَتْ بِهِنَّ الأَضالِعُ
أَحـاديثَ أَنْشـاها المُـغيرَةُ فـيهِمُ ... وشَرُّ الأُمورِ المُحْدَثاتُ الْبَدائِعُ(٣)

---

(١) رجال الكشّي: ٢٢٥، الحديث ٤٠٢. عيون الأخبار / ابن قتيبة: ٢: ١٥١. حياة الإمام محمّد الباقر عليه السلام: ٢: ١٦٣.

(٢) رجال الكشّي: ٢٢٤، الحديث ٤٠١. حياة الإمام محمّد الباقر عليه السلام: ٢: ١٦٢.

(٣) عيون الأخبار: ٢: ١٥١.

ومعنى هذه الأبيات أنّ المغيرة أفشى بدعه ومفتعلاته فحفظها أصحابه ، وأخذوا يذيعونها بين الناس ، وينسبونها إلى الأئمّة عليهم السلام .

هلاك المغيرة

وثار المغيرة في الكوفة ، وبلغ حاكمها خالد بن عبدالله القسري ، وكان يخطب على المنبر ، فخاف الجبان وارتبك وأخذ يقول : أطعموني ماءً ، فعيّره يحيى بن نوفل وقال :

وكُنتَ لَدى المُغيرَةِ عَبْدَ سُوءٍ ... تَبُولُ مِنَ المَخافَةِ لِلزَّئيرِ
وَقُلتَ لِما أَصابَكَ أَطْعِموني ... شَراباً ثُمَّ بُلْتَ عَلَى السَّريرِ
لأَعْلاجٍ ثَمانِيَةٌ وَشَيْخٍ ... كَبيرِ السِّنِّ لَيسَ بِذي نَصيرِ [١]

وأرسل خالد كتيبة عسكريّة فألقت القبض عليه وعلى جماعته ، وجيء بهم مخفورين إلى جامع الكوفة ، فأمر بحرقهم ، فأُحرقوا [٢] .

وانتهت بذلك حياة هذا الخائن الذي خان الله ورسوله ، وسعى في الأرض فساداً .

هؤلاء بعض دعاة الغلاة في أيّام الإمام الصادق عليه السلام ، وقد كان موقفه معهم متّسماً بالشدّة والكراهية والبغضاء ، فقد قال عليه السلام :

« إنَّ أَدْنىٰ ما يَخْرُجُ بِهِ الرَّجُلُ مِنَ الْإِيمانِ أَنْ يَجْلِسَ إِلىٰ غالٍ فَيَسْتَمِعَ حَديثَهُ ، وَيُصَدِّقَهُ عَلىٰ قَوْلِهِ . إنَّ أَبي حَدَّثَني عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ ، أَنَّ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله قالَ : صِنْفانِ

---

(١) الكامل في التاريخ : ٥ : ٢٠٧ و ٢٠٨ .

(٢) الكامل في التاريخ : ٥ : ٢٠٨ .

مِنْ أُمَّتي لَا نَصيبَ لَهُما في الْإِسْلامِ : الْغُلاةُ وَالْقَدْرِيَّةُ »[١].

وقال عليه السلام لأحد أصحابه : « قُلْ لِلْغالِيَةِ : توبوا إِلَى اللهِ ، فَإِنَّكُمْ فُسّاقٌ مُشْرِكونَ »[٢].

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن الغلاة ، وأنّ من أسخف الأقوال وأكثرها بُعداً عن الحقّ عدّ هذه الطائفة المجرمة التي كفرت بالله من فِرق الشيعة أو من فرق المسلمين .

الخوارج

الخوارج من أقدم الفِرق الثوريّة ، وأشدّها عنفاً وشرّاً ، وقد ظهرت على مسرح الحياة السياسيّة في الإسلام حينما تفلّلت قوى الباغي ابن الباغية معاوية بن أبي سفيان في صفّين ، وبان عليه الانكسار ، وهمّ بالهزيمة ، فالتجأ إلى خديعة الجيش العراقي ، فرفع المصاحف مطالباً تحكيم القرآن ، وانخدعت هذه الزمرة التي فقدت جميع عناصر الوعي والفكر ، فخفّوا مسرعين صوب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يلحّون عليه أن يستجيب لحكم الكتاب العظيم ، وعرّفهم إمام الهدى أنّها خديعة حربيّة ، وأنّ القوم لا صلة لهم بالقرآن ، ولا معرفة لهم بالله ، وأنّهم إنّما قاتلوه من أجل الملك والسلطان ، إلّا أنّ أولئك الأقزام لم يعوا مقالته ، ولم يتدبّروا نصيحته ، فركبوا رؤوسهم وراحوا يصرّون على الخطأ والضلال ، وتدمير الأمّة ، وصدّها عن تقرير مصيرها ، وأجمعوا على خلع الإمام أو إيقافه للعمليّات الحربيّة ، وشهروا سيوفهم في وجهه ، في حين أنّ طلائع جيشه بقيادة الزعيم الكبير مالك الأشتر القائد العامّ لقوّاته المسلّحة قد أشرف على الفتح ، ولم يبق لإلقاء القبض على الذئب الجاهلي معاوية بن أبي سفيان سوى حلبة شاة أو أقلّ من ذلك ، حسبما يقول مالك الأشتر .

---

(١) الخصال : ٣٧.

(٢) رجال الكشّي : ٢٥٤.

وكادت الفتنة الكبرى أن تقع في جيش الإمام، أو يمنى بانقلاب عسكري مدمّر، فاستجاب عليه السلام لإيقاف الحرب والألم الممضّ يحزُّ في نفسه، فقد أيقن أنّ دولة الإسلام قد انهارت ودولة الكفر والضلال قد انتصرت.

وكتب القوم وثيقة التحكيم، وجرّدوا فيها الإمام من لقب أمير المؤمنين، ومعنى ذلك أنّهم عزلوه عن القيادة العامّة للأُمّة.

وجرى التحكيم في الوقت المقرّر له، وقد أسفر عن عزل الإمام أمير المؤمنين عن الحكم من قِبل رئيس التحكيم العراقي أبي موسى الأشعري، وتثبيت معاوية في الحكم من قِبل عمرو بن العاص المنتخب للتحكيم من قِبل أهل الشام.

وفور إعلان هذه النتيجة وقعت الفتنة في الجيش العراقي، واستبان لمعظمهم خديعة معاوية، فزحفوا نحو الإمام يطالبونه بإعلان التوبة، ورفض هذه الدعوى الرخيصة، لأنّه لم يقترف ذنباً حتّى يتوب إلى الله منه، وإنّما هم الذين اقترفوه، ولو كان من عشّاق الملك والسلطان لأجابهم إلى ذلك.

وأخذ شرّ أُولئك الوحوش يستشري، فأخذوا يضايقون الإمام، ويشاغبون عليه، وهم يهتفون بشعارهم (لا حكم إلّا لله)، وأصبحت هذ الكلمة شعارهم الرسمي، وعلّق عليها الإمام عليه السلام بقوله: «**إنّها كَلِمَةُ حَقٍّ أُريدَ بِها باطِلٌ**»، لقد كان الحكم عندهم للسيف لا لله، فأشاعوا القتل والدمار بين المسلمين.

دعاء الإمام عليه السلام عليهم

وروى الإمام الصادق عليه السلام دعاء جده الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على الخوارج، قال:

«اللّهُمَّ رَبَّ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ، وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ، وَالْكِتَابِ الْمَسْطُورِ، أَسْأَلُكَ الظَّفَرَ عَلىٰ هٰؤُلَاءِ الَّذِينَ نَبَذُوا كِتَابَكَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، وَفَارَقُوا أُمَّةَ

أَحْمَدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عُتُوّاً عَلَيْكَ »[١].

ويلمس في هذا الدعاء مدى ما يعانيه إمام المتّقين المحن من هؤلاء العتاة الذين حاربوا الإسلام ونبذوا كتاب الله.

إبادتهم

وقام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ببعث الرسل لمحاجتهم، وإبطال شبههم، كما حاججهم بنفسه، فأقام سيلاً من الأدلّة على فساد ما ذهبوا إليه، فلم يجدِ ذلك معهم، وأصرّوا على الغيّ والعدوان، فاضطرّ إلى مناجزتهم، فكانت حرب النهروان، وقد أُبيد فيها معظمهم، فقد سفكت دماؤهم وهم في ضلال مبين، وقد نقم عليهم المسلمون وهجاهم الشعراء. يقول الكميت:

إنّي أُدينُ بِما دانَ الوَصِيُّ بِهِ ... يَومَ النُّخَيلةِ مِنْ قَتْلِ الْـمُحِلِّينا
وبِالَّذي دانَ يَومَ النَّهْرَوانِ بِهِ ... وشارَكَتْ كَفُّهُ كَفِّي بِصِفِّينا
تِلْكَ الدِّماءُ مَعاً يا ربِّ في عُنُقي ... ومِثْلُها فاسقِنِي آمينَ آمينا [٢]

لقد أُريقت دماء هؤلاء الأغبياء في محاربة الحقّ، ومناهضة الإسلام. يقول فيهم السيّد الحميري:

خَوارجُ فارَقُوهُ بِنَهروانٍ ... علىٰ تَحكيمِهِ الحَسَنِ الجَميلِ
عَلى تَحكيمِهِ فَعَموا وَصَمُّوا ... كِتابِ اللهِ في فَمِ جَبرَئيلِ
فَمالوا جانِباً وبَغَوا عَلَيهِ ... فَما مالوا هُناكَ إلىٰ مميلِ
فَتاهَ القَومُ في ظُلَمٍ حَيارى ... عُماةً يَعْمَهونَ بِلا دليلِ

---

(١) قرب الإسناد: ٨. بحار الأنوار: ٣٣: ٣٨٢.

(٢) تهذيب الكمال: ١: ٨٦.

فَـضَلُّوا كـالسَّوائِـمِ يَـوْمَ عِـيدٍ ... تُـنَحَّرُ بِـالْغَداةِ وَبِـالأَصيلِ (١)
كـأَنَّ الطَّـيرَ حَـولَهُمْ نَـصارَى ... عُكوفاً حَولَ صُلْبانِ الأَبـيلِ (٢)

لقد اجتثّ الإمام أُصول هؤلاء الخونة ، وقضى على أعلامهم ، إلّا أنّه فرّ جماعة منهم ، فأخذوا ينشرون مبادئهم التي تدعو إلى العصيان المسلّح على الحكم القائم ، وقد عانت منهم البلاد الإسلاميّة الكثير من الفتن والخطوب ، فقد قاموا بثورات متعدّدة أزهقت فيها الأنفس ، وسفكت فيها الدماء بغير حقّ ، وقد ذكرها المؤرّخون بالتفصيل .

آراؤهم ومبادئهم

وانفردت الخوارج عن بقيّة المسلمين بكثير من الآراء شذّت عن كتاب الله وسنّة نبيّه ، كان منها ما يلي :

أوّلاً : الحكم بالكفر على الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الذي هو نفس رسول الله صلى الله عليه وآله ، وباب مدينة علمه ، كما حكموا بالكفر على معاوية وعمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري ، وعلى أصحاب الجمل من عائشة وطلحة والزبير .

ثانياً : الحكم بالكفر على مرتكب الذنوب الكبيرة ، والحكم بتخليده في النار .

ثالثاً : إنّهم جوّزوا أن تكون الخلافة في غير قريش ، وخالفوا بذلك جمهور أهل السنّة الذين أجمعوا على أنّ الخلافة لا بدّ أن يتقلّدها أحد من قريش .

كما خالفوا جمهور الشيعة الذين أجمعوا على أنّ الخلافة لا بدّ أن تكون بالنصّ ، كما ذهبوا إلى عدم ضرورة الإمامة ، وإذا احتيج إليها فيجوز أن يكون الإمام عبداً

---

(١) **السوائم** : المواشي تطلق في المرعى .

(٢) مناقب آل أبي طالب : ٣ : ١٩١ . ديوان السيّد الحميري : ١٣٥ . **الأبيل** : الراهب .

أو حرّاً أو قبطيّاً أو غيرهم[١].

وقد استطاب هذه الدعوى غير العرب ، فانضمّ إليهم أفواج من الناس من الذين ذاقوا ظلم الأمويّين وجورهم ، وللخوارج آراء أُخر ذكرتها كتب الفِرق .

فِرق الخوارج

وانقسم الخوارج إلى عدّة فِرق قاربت العشرين ، وكان أشهرهم ما يلي :

١ ـ الأزارقة

وهم جماعة نافع بن الأزرق ، وهو من كبار فقهائهم ، وقد ذهب إلى تكفير جميع المسلمين ، وأفتى بحرمة أكل ذبائح المسلمين ، وحرمة الزواج منهم ، وقاسهم على عبدة الأوثان ، وأباح قتل أطفالهم ونسائهم ، إلى غير ذلك من تشريعاته المنافية لأحكام الإسلام .

٢ ـ الصفريّة

وهم جماعة زياد بن الأصفر ، وقد أفتى بمثل ما أفتى به نافع بن الأزرق من تكفير المسلمين ، إلّا أنّه لم يبح قتل الأطفال والنساء من مخالفيهم .

ومن زعماء الصفريّة عمران بن حطّان ، وقد انتخبوه إماماً لهم ، وهو القائل في مدح عبدالرحمن بن ملجم :

يا ضَرْبةً مِنْ مُنيبٍ ما أَرادَ بِها ... إلّا لِيَبْلُغَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ رِضْوانا
إنّي لَأَذكرُهُ يَوماً فَأَحسَبُهُ ... أَوْفى البَرِيَّةِ عِنْدَ اللهِ مِيزانا

وقد ردّه عبدالقاهر البغدادي بقوله :

---

(١) الملل والنحل : ١ : ١٥٨ .

يا ضَرْبَةً مِن كَفورٍ ما اسْتَفادَ بِها إلّا الجَزاءَ بِما يُصليهِ نيرانا
إنّي لألعَنُهُ دُنيا وألْعَنُ مَنْ يَرجو لَهُ أَبَداً عَفْواً وَغُفْرانا
ذاكَ الشَّقِيُّ لأَشقَى النّاسِ كُلِّهِمُ أَخَفُّهُمْ عِنْدَ رَبِّ النّاسِ مِيزانا [١]

ومن الجدير بالذكر أنّ البخاري يروي عن عمران بن حطّان الشقيّ المجرم، ولا يروي عن سليل العترة الطاهرة الإمام الصادق عليه السلام.

٣ ـ الأباضيّة

وهم جماعة عبدالله بن أباض التميمي، وهو الذي ثار على مروان الحمار، ومن آرائه الحكم بتكفير جميع المسلمين لا تكفير شرك ولكن تكفير نعمة، وعلى هذا بنوا على حرمة دماء مخالفيهم، ولكن في السرّ دون العلانيّة، ووطنهم الأصلي عمان، ولعلّهم هم البقيّة الباقية من فرق الخوارج، فإنّ معظمها قد انقرض سواهم.

٤ ـ النجدات

وهم أتباع نجدة بن عامر الحنفي، وقد ذهب إلى أنّ المخطئ بعد أن يجتهد معذور، وأنّ الدين أمران: معرفة الله، ومعرفة رسوله، وما عدا ذلك فالناس معذورون بجهله إلى أن تقوم عليهم الحجّة، وأنّ من اجتهد فأدّى اجتهاده إلى تحليل الحرام، وحرمة الحلال فهو معذور، ومن آرائهم أنّ من كذب كذبة صغيرة أو كبيرة، أو نظر نظرة وأصرّ عليها فهو مشرك، ومن شرب الخمر أو زنا أو سرق غير مصرّ على ذلك فهو مسلم.

٥ ـ العجاردة

وهم جماعة عبدالكريم بن عجرد، وقد افترقت إلى عشرة فِرق، وهم

---

(١) الفرق بين الفِرق: ٩٣.

لا يستحلّون أموال مخالفيهم[١].

هذه بعض فرق الخوارج، ومع شذوذهم وانحرافهم عن تعاليم الإسلام لم يتعرّضوا للنقد كما تعرّضت له شيعة أهل البيت عليهم السلام، الذين فرض الله مودّتهم على جميع المسلمين.

الأحزاب السياسيّة

وكان من مظاهر الحياة العامّة في عصر الإمام الصادق عليه السلام انتشار الأحزاب السياسيّة، وقد استخدم معظمها جميع الطرق الدبلوماسيّة للوصول إلى الحكم من دون أن تعنى بصالح الأُمّة، وكان الصراع فيما بينها كأشدّ ما يكون الصراع عنفاً وقسوة، وكان لكلّ حزب فريق من الشعراء يشيدون به، ويضفون على قادته أسمى النعوت والألقاب، وفيما يلي بعض تلك الأحزاب:

١ ـ الحزب الأموي

وهو الحزب الحاكم في ذلك العصر، وقد تذرّع بشتّى ألوان الخداع والتضليل والكذب للوصول إلى الحكم، وقد اتّخذ دم عثمان ورقة رابحة للظفر بالملك والسلطان، في حين أنّهم هم الذين خذلوه حينما أحاط به الثوّار مطالبين بتحقيق العدالة الاجتماعيّة، وإبعاد الأمويّين عن جهاز الدولة، وبقي عثمان محاصراً يستغيث بعاهل الشام، ويستنجد به، فلم يهبّ إلى نجدته.

وكان من بين الوسائل التي اعتمد عليها هذا الحزب للسيطرة على البلاد الإسلاميّة ما يلي:

(١) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة: ٣: ١٣٢ ـ ١٣٥.

١ - إنّهم خدعوا أهل الشام بأنّهم أقرب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله والصقهم به ، وقد اعتقد الشاميّون بذلك ، ولم يستبن لهم إلّا بعد انقلاب الحكم الأموي ومجيء العبّاسيّين للحكم ، وفي ذلك يقول الشاعر :

أيُّها الناسُ اسمَعوا أُخبِرُكُمْ ... عَجَباً زادَ عَلىٰ كُلِّ العَجَبْ
عَجَباً مِنْ عَبدِ شَمْسٍ أنَّهُمْ ... فَتَحوا للنّاسِ أبوابَ الكَذِبْ
وَرِثوا أحْمَدَ فيما زَعَموا ... دونَ عبّاسِ بْنِ عَبْدِالمُطَّلِبْ
كَذِبوا وَاللهِ ما نَعلَمُهُ ... يُحرِزُ الْميراثَ إلّا مَنْ قَرُبْ[١]

٢ - إنّهم اشتروا الضمائر بما بذلوه من الأموال الطائلة للمرتزقة من الوضّاعين ، فأخذوا يفتعلون الأحاديث وينسبونها للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله في فضل الأمويّين ، وهي تشيد بفضلهم ، وأنّهم دعاة الحقّ والخير في الأرض .

٣ - إنّهم استخدموا الشعراء الذين كانوا من أهمّ وسائل الإعلام في ذلك العصر ، فمنحوهم الثراء العريض ، واستخدموا مواهبهم الأدبيّة في الثناء على الأمويّين ومدحهم ، فقد وهب مروان بن محمّد شاعره أبا العبّاس الأعمى من الأموال ما أغنته أن يسأل أحداً من بعده ، وكان ممّا قاله فيه :

ليتَ شِعري أفاحَ رائحَةُ المِسـ ... ـكِ وما اخالُ بالخَيفِ أُنْسِي
حينَ غابَتْ بَنو أُمَيَّةَ عَنْهُ ... والبَهاليلُ مِنْ بَني عَبدِ شَمْسِ
خُطَباءٌ عَلى المَنابِرِ فُرْسا ... نٌ عَلَيها وقالَةٌ غَيرُ خُرْسِ
لا يُعابون صامِتينَ وَإنْ قا ... لوا أصابوا ولَمْ يَقولوا بِلَبْسِ
بِحُلومٍ إذا الحُلومُ تَقَضَّتْ ... وَوُجوهٍ مِثلِ الدَّنانيرِ مُلْسِ[٢]

---

(١) مروج الذهب : ٢ : ٧٣.

(٢) الأغاني : ١٥ : ٥٩ و ٦٠.

واستخدم الأمويّون أعشى ربيعة الشيباني، فوهبوه الأموال الطائلة، فسال لها لعابه، وقد مدح عبدالملك بن مروان، وأخلص في مدحه، وممّا قال فيه:

وَما أَنا في أَمري ولا في خُصومَتِي ... بِمُهتَضَمٍ حَقّي ولا قارِعٍ سِنّي
وفَضَّلَني في الشِّعرِ وَاللُّبِّ أَنَّني ... أَقولُ عَلىٰ عِلْمٍ وأَعرِفُ ما أَعْني
فَأَصْبَحتُ إِذْ فَضَّلْتُ مَروانَ وابنَهُ ... عَلى النّاسِ قَدْ فَضَّلْتُ خيرَ أَبٍ وَابْنِ (١)

لقد اشترى الأمويّون ضمير هذا الشاعر بمال، فأخذ يكيل لهم المدح والثناء.

وكان من شعراء الأمويّين عديّ بن الرقاع، فقد وهبوا له الثراء والمال، فسخّر فكره في مدحهم، وقد مدح الوليد بن عبدالملك فقال:

هُوَ الَّذي جَمعَ الرَّحْمنُ أُمَّتَهُ ... عَلى يَدَيهِ وَكانوا قَبْلَهُ شِيَعا
إِنَّ الْوَليدَ أَميرُ الْمُؤْمِنينَ لَهُ ... مُلكٌ عَلَيهِ أَعانَ اللهُ فَارْتَفَعا
وَلَقَدْ أَرادَ اللهُ إِذْ وَلّاكَها ... مِنْ أُمَّةٍ إِصلاحَها ورَشادَها
أَعْمَرتَ أَرضَ الْمُسْلِمينَ فَأَقبلَتْ ... وكَفَفتَ عَنْها مَنْ يَرومُ فَسادَها
وَأَصْبَحتَ في أَرضِ العَدُوِّ مُصيبَةً ... عَمَّتْ أَقاصي غَوْرِها وَنِجادِها
ظَفَراً وَنَصْراً ما تَناوَلَ مِثلَهُ ... أَحَدٌ مِنَ الْخُلَفاءِ كانَ أَرادَها (٢)

ويصوّر الفرزدق في الأبيات التالية بني مروان أنّهم حصن الإسلام ودرعه يقول:

وَجَدْنا بَني مَروانَ أَوتادَ دينِنا ... كَما الأَرضُ أَوتادٌ عَلَيها جِبالُها
وأَنتُمْ لِهذا الدِّينِ كالقِبلَةِ الَّتي ... بِها إِنْ يَضِلَّ النّاسُ يَهْدي ضَلالُها (٣)

---

(١) الأغاني: ١١: ٢٧.
(٢) الأغاني: ١٥: ٥٩ ـ ٦٣.
(٣) ديوان الفرزدق: ٢: ٧٦.

ويقول الفرزدق في عبدالملك :

إذا لاقى بَنو مَروانَ سَلُّوا   لِدينِ اللهِ أَسيافاً غِضابا
صَوارِمَ تَمنَعُ الإِسْلامَ مِنْهُمْ   يُوَكَّلُ وَقْعُهُنَّ بِمَنْ أرابا (١)

وقد أضفى الفرزدق على بني أُميّة جميع النعوت الحسنة التي منها أنّهم حماة الإسلام وحصنه ، وأنّ من حاربهم فهو خارج عن الدين ، وقد وصم أتباع ابن الزبير بالإلحاد بقوله :

بِهِنَّ لَقَوا بِمَكَّةَ مُلْحِديها   وَمَسكِنَ يُحْسِنونَ بِها الضِّرابا
فَلَمْ يَتْرُكْنَ مِنْ أَحَدٍ يُصَلِّي   وَراءَ مُكَذِّبٍ إِلَّا أَنابا (٢)

ويطلق الفرزدق على ابن الزبير صفة مسيلمة الكذّاب . يقول :

بَعدَ الفَسادِ الَّذي قَدْ كانَ قامَ بِهِ   كَذّابُ مَكَّةَ مِنْ مَكْرٍ وَتَخْريبِ (٣)

ويقول جرير في ابن الزبير في قصيدته التي مدح بها عبدالملك بن مروان :

دَعَوْتَ الْمُلحِدينَ أَبا خُبَيْبٍ   جُماحاً هَلْ شُفيتَ مِنَ الْجُماحِ (٤)

ويصوّر الفرزدق المجرم الجلّاد الحجّاج بأنّه من المجاهدين في سبيل الله :

أَرْضٌ رَمَيْتَ إِلَيْها وَهيَ فاسِدةٌ   بِصارِمٍ مِنْ سُيوفِ اللهِ مَشْبُوبِ
لَا يَغْمِدُ السَّيفَ إِلَّا ما يُجَرِّدُهُ   عَلىٰ قَفا مُحْرِمٍ بِالسُّوقِ مَصْلوبِ
مُجاهِدٍ لِعُداةِ اللهِ مُحْتَسِبٍ   جِهادَهُمْ بِضِرابٍ غَيْرِ تَذبيبِ (٥)

---

(١) و (٢) ديوان الفرزدق : ١ : ٢٢ .

(٣) و (٥) ديوان الفرزدق : ١ : ٢٤ .

(٤) ديوان جرير : ٧٨ .

كما أضفى عليه صفة التقوى والإيمان بقوله :

وَلَمْ أَرَ كالحَجّاجِ عَوْناً عَلى التُّقَى ... ولا طـالِباً يَـوماً طَـريدَةَ تـابُلِ (١)

وبلغ الاسفاف من الفرزدق أن جعل الحجّاج ممّن يمدّهم الله بعونه . يقول :

تَهونُ عَلَيْكَ نَفْسُكَ وَهُوَ أَدنـى ... لِـنفسِكَ عِـندَ خـالِقِها ثَـوابـا
فَمَنْ يَمْنُنْ عَليكَ النَّصر يَكذِبْ ... سِـوى اللهِ الَّـذي رَفَـعَ السَّـحابا
تَـفَرَّدَ بِـالبَلاءِ عَـليكَ رَبٌّ ... إذا نـاداهُ مُـختَشِعٌ أَجـابا (٢)

ويقارن جرير بين وقعة بدر التي أمدّ الله بـها مـلائكته للـمسلمين وبـين وقـائع الحجّاج بأعدائه :

وَلَـوْ لَـمْ يَـرضَ ربُّكَ لَـمْ يُـنَزِّلْ ... مَعَ النَّصرِ الْمَلائكِةَ الغِـضابا (٣)

ووضعه جرير في مصاف الأنبياء بقوله :

دَعا الحَجّاجُ مِثْلَ دُعـاءِ نُـوحٍ ... فَأَسْمَعَ ذا المَعارجِ فاسْتَجابا (٤)

واستخدم يزيد بن معاوية الأحوص فمنحه الأموال الطائلة ، فـأخذ يشيد بـه يقول :

مَلِكٌ تَـدينُ لَـهُ المُـلوكُ مُـبارَكٌ ... كـادَتْ لِـهَيْبَتِهِ الجِبالُ تَـزولُ
تُـجْبَى لَـهُ بَلْخٌ وَدِجْـلَةُ كُـلُّها ... ولَهُ الفُراتُ وما سَقَى والنِّيلُ (٥)

---

(١) ديوان الفرزدق : ٢ : ١٣٧ . **التابل** : صاحب الحقد والعداوة .

(٢) ديوان الفرزدق : ١ : ٨٣ .

(٣) و (٤) ديوان جرير : ٢١ .

(٥) حياة الإمام محمّد الباقر عليه‌السلام : ٢ : ١٤٦ .

لقد صوّر الأحوص يزيد بأنّ الجبال تعنو لهيبته ، ولا أعلم هذه الهيبة من أين جاءته أمن جدّه أبي سفيان ، أم من أبيه معاوية ، أم من إدمانه على الخمور ومزاملته للقرود ، وإبادته لعترة رسول الله صلى الله عليه وآله وإباحته لمدينة النبيّ صلى الله عليه وآله .

وعلى أي حال ، فإنّ الأمويّين استخدموا الشعراء لدعم سياستهم ، وفرض حكمهم على الناس ، وقد أضفى عليهم المرتزقة من الشعراء جميع الصفات الكريمة والنعوت الشريفة التي لا صلة لهم بها .

٢ ـ الحزب الزبيري

ومن الأحزاب التي تشكّلت في ذلك العصر حزب آل الزبير ، وكان يدعو لهذه الأُسرة ، ويرى أنّها أحقّ بالحكم من غيرها ، وذلك لقربها من النبيّ صلى الله عليه وآله ، لأنّ الزبير اُمّه صفيّة عمّة النبيّ صلى الله عليه وآله ، كما أنّه أحد المرشّحين للخلافة حسب برنامج الشورى الذي وضعه عمر بن الخطّاب .

ومن أهمّ دعاة هذا الحزب وأنصاره الشاعر ابن قيس الرقيّات ، وهو الذي قال في مصعب بن الزبير :

إنّما مُصعَبٌ شِهابٌ مِنَ اللهِ ... تَجَلَّتْ عَنْ وَجهِهِ الظَّلْماءُ
مُلْكُهُ مُلْكُ قُوَّةٍ لَيسَ فيهِ ... جَبروتٌ مِنْهُ وَلَا كِبْرِياءُ
يَتَّقي اللهَ في الأُمورِ وَقَدْ أَفـ ... ـلَحَ مَنْ كانَ هَمُّهُ الإتِّقاءُ[1]

وهذا من أجود المدح ، ومن روائع الشعر العربي ، وكان هذا الشاعر يدعو إلى الثورة على بني اُميّة . يقول :

كَيفَ نَومي عَلى الفِراشِ وَلَمّا ... يَشْمَلِ الشّامَ غارةٌ شَعْواءُ

(١) ديوان ابن قيس الرقيات : ١٧٦ .

تُذهِلُ الشَّيخَ عَنْ بَنيْهِ وَتُبدِي ... عَـنْ بُـراهـا العَـفيلَةُ العَـذْراءُ[١]
أَنـا عَـنْكُمْ بَـني أُمـيَّةَ مُـزْوَرٌّ ... وَأَنـتُمْ فـي نَـفسِيَ الأَعْـداءُ
إِنَّ قَـتلى بِـالطَّفِّ قَـدْ أَوْجَـعَتْني ... كانَ مِنْكُمْ ـلَئِنْ قُتِلْتُمْ ـ شِـفاءُ[٢]

ومن الشعراء الذين استخدمهم آل الزبير النابغة الجعدي ، حيث قال بابن الزبير :

حَكَـيتَ لَـنا الصِّـدِّيقَ لَـمّا وَلَـيتَنا ... وَعُـثمانَ والفـاروقَ فَـارتاحَ مُـعْدَمُ
وَسَوَّيتَ بينَ النّاسِ في العدلِ فاستَووا ... فَـعادَ صَـباحاً حـالِكُ اللَّـونِ مُظْلِمُ
أَتـاكَ أَبـو لَـيْلى يشُـقُّ بِـهِ الدُّجـى ... دُجَى الليلِ جَـوّابُ الفَـلاةِ عَـثَمْثَمُ[٣]
لِـتَرفَعَ مِـنهُ جـانِباً ذُعْـذِعَتْ بِـهِ[٤] ... صُروفُ اللَّـيالي وَالزَّمـانُ المُـصَمِّمُ[٥]

لقد أشاد النابغة بـابن الزبـير ، وشـبّهه بـأبي بكـر وعـمر وعـثمان ، فـهو جـدير بالخلافة ، وأحقّ بها من غيره . ولم يدم هذا الحزب طويلاً فقد أقبر حـينما قـضى الحجّاج على ابن الزبير ، فتلاشى وذهب أدراج الرياح .

٣ ـ حزب الخوارج

أمّا حزب الخوارج فهو من الأحزاب السياسيّة ، وقد تحدّثنا عن مبادئهم وفرقهم ، وكانوا يؤمنون بضرورة الثورة على كلّ حكم قائم في البلاد الإسلاميّة إذا لم يحمل مبادئهم وأفكارهم ، ومن دعاتهم الطرمّاح ، فقد أثنى عليهم ومجّدهم .

---

(١) **البرى** : الخلاخيل ، واحدتها : برة .
(٢) ديوان عبدالله بن قيس الرقيّات : ٩٥ و ٩٦ . الأغاني : ٥ : ٧٨ .
(٣) **عثمثم** : الجمل الشديد .
(٤) **ذعذعت به** : أذهبت ماله ، وفرّقت حاله .
(٥) حياة الإمام محمّد الباقر عليه السلام : ٢ : ١٤٨ .

وممّا قاله فيهم :

لِلهِ دَرُّ الشُّـراةِ إنَّـهُمُ ... إذا الكَرى مالَ بالطُّلا أرقُوا
يُـرَجِّعونَ الحَنينَ آوِنَـةً ... وإنْ عَلا ساعَةً بِهِم شَهِقوا
خَوفاً تَبيتُ القلوبُ واجِفةً ... تَكادُ عَنْها الصُّدورُ تَنفَلِقُ
كَيفَ أُرَجِّي الحَياةَ بَعدَهُمُ ... وقَدْ قَضى مُؤْنِسي فانْطَلَقوا
قَومٌ شِحاحٌ عَلى اعتقادِهِمُ ... بالفَوزِ مِمّا يُخافُ قَدْ وَثِقوا (١)

وكان معاذ بن جوين معتقلاً في السجن ، وهو من شعرائهم اللامعين ، فبعث إلى قومه الخوارج بهذه الأبيات يستحثّهم على مغادرة الديار الإسلاميّة التي سمّاها بالديار الجاهليّة . يقول :

أَلَا أَيُّها الشّارونَ قَدْ حانَ لِأمرِئٍ ... شَرى نَفْسَهُ لِلهِ أنْ يَتَرحَّلا
أَقَمْتُمْ بِدارِ الْخاطِئينَ جَهالَةً ... وَكُلُّ امْرِئٍ مِنكُمْ يُصادُ لِيُقْتَلا
فَشُدُّوا عَلى القَومِ العُداةِ فَإنَّما ... إقامَتُكُمْ لِلذَّبحِ رأياً مُضَلَّلا
أَلَا فاقصِدُوا يا قَومِ لِلغايَةِ الَّتي ... إذا ذُكِرَتْ كانَتْ أَبَرَّ وَأَعْدَلا
فَيا لَيتَني فيكُمْ عَلىٰ ظَهْرِ سابحٍ ... شَديدِ القُصَيرىٰ دارِعاً لَيْسَ أَعْزَلا
وَيا لَيتَني فيكُمْ أُعادي عَدُوَّكُمْ ... فَيَسقِيَني كَأْسَ المَنيَّةِ أَوَّلا
يَعِزُّ عَلَيَّ أَنْ تُخافوا وَتُطرَدوا ... وَلَمّا أُجَرِّدْ في المُحِلِّينَ مُنْصُلا
وَلَمّا يُفَرِّقْ جَمعَهُمْ كُلُّ ماجِدٍ ... إذا قُلتُ قَدْ وَلّى وَأَدْبَرَ أَقْبَلا
مُشِيحاً بِنَصْلِ السَّيفِ في حَمَسِ الوَغَى ... يَرَى الصَّبْرَ في بَعْضِ الْمَواطِنِ أَمْثَلا
وَعَزَّ عَلَيَّ أَنْ تُضاموا وَتُنْقَصوا ... وَأُصْبِحَ ذا بَثٍّ أَسيراً مُكَبَّلا

---

(١) ديوان الطرماح : ١٥٧ .

وَلَـوْ أَنَّـني فـيكُمْ وقَـدْ قَـصَدُوا لَكُـم ... أَثَـرْتُ إذاً بَـيـنَ الفَـريقينِ قَسْـطَلا
فَـيا رُبَّ جَـمْـعٍ قَـد فَـلَلْتُ وَغـارَةٍ ... شَهِدْتُ وَقِـرْنٍ قَـدْ تَـرَكْتُ مُـجَدَّلا (١)

ولهذا الحزب شعراء قد مجّدوا مبادئهم ودعوا إخوانهم إلى الثورة ، ومناهضة السلطة القائمة في البلاد .

٤ ـ الحزب العلوي

أمّا الحزب العلويّ فهو من أقدم الأحزاب في الإسلام ، وكان من أوّليات أهدافه أحقّية أهل البيت بالخلافة ، وأنّهم أوْلى بها من غيرهم ، وذلك صيانة لأهداف الأُمّة ، وتحقيقاً لمتطلّباتها في الرخاء والأمن والاستقرار .

وقد اعتنق فكرة التشيّع أعلام الأدب العربي ، أمثال : الكميت الأسدي ، ودعبل الخزاعي ، والسيّد الحميري ، وقد سخّروا مواهبهم في إبراز قيم أهل البيت عليهم السلام ، وقد نظّموا فيهم روائع الأدب ممّا يُعدّ من مناجم الثقافة العربيّة والإسلاميّة .

ومن الجدير بالذكر أنّ هؤلاء الشعراء اندفعوا بوحي من عقيدتهم إلى الإشادة بأهل البيت عليهم السلام لا طمعاً بالمادّة ولا بغيرها من وسائل الإغراء ، وقد تعرّضوا لنقمة السلطات الحاكمة ، وقوبلوا بمزيد من الاضطهاد والحرمان .

ويُعدّ الكميت في طليعة الشعراء العلويّين ، وقد وفد على الإمام الصادق عليه السلام ومعه إحدى هاشميّاته الخالدة ليتلوها على الإمام عليه السلام ، فقال له : جُعلت فداك ، ألا أُنشدك ؟

فقال عليه السلام : « **إنّها أيّامٌ عِظامٌ** »(٢) .

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ١٤٢ و ١٤٣ . الكامل في التاريخ : ٣ : ٤٢٨ و ٤٢٩ .

(٢) الأيّام العظام التي عناها الإمام عليه السلام هي أيّام التشريق، ويكره فيها إنشاد الشعر، واستثني منه الشعر الذي يكون في مدح أهل البيت عليهم السلام .

- إنّها فيكم.

هاتِ.

فأنشد قصيدته الغرّاء التي يقول في أوّلها:

أَلا هَلْ عَمٍ في رأيِهِ مُتأَمِّلُ وَهَلْ مُدبِرٌ بَعدَ الإِساءَةِ مُقبِلُ
وَهَلْ أُمَّةٌ مُسْتَيقِظونَ لِدينِهِمْ فَيَكشِفُ عَنهُ النَّعْسَةَ المُتَزمِّلُ
فَقدْ طالَ هذا النَّومُ واستَخْرَجَ الكَرَى مَساوِيَهمُ لَوْ أَنَّ ذا المَيلُ يُعْدَلُ
وعُطِّلَتِ الأَحكامُ حتّى كَأَنَّنا عَلى مِلَّةٍ غَيرِ الَّتي نَتنحَّلُ
كَلامُ النَّبيّينَ الهُداةِ كَلامُنا وأَفْعالُ أَهْلِ الجاهليَّةِ نَفْعَلُ
رَضِينا بِدُنياً لا نُريدُ فِراقَها عَلىٰ أَنَّنا فيها نَموتُ ونُقْتَلُ
وَنَحنُ بِها مُسْتَمسِكونَ كَأَنَّها لَنا جُنَّةٌ مِمّا نَخافُ وَمَعْقِلُ

وحكى هذا المقطع الحياة العامّة التي يعيشها المسلمون في ذلك العصر، فقد ابتعدت بجميع صورها وألوانها عن تعاليم الإسلام وأحكامه، فقد عطّلت فيها الحدود، وأُلغيت الأحكام، ونبذت شريعة الله، وألقى اللوم والتبعة بذلك على الحكّام الأمويّين الذين كانوا كغيرهم يتكلّمون بكلام المصلحين والهداة، ولكنّ أعمالهم كانت تخالف أقوالهم، وقد أعلن ذلك بصراحة بقوله:

فَيا ساسَةٌ هاتُوا لَنا مِنْ حَديثِكُمْ فَفِيكُمْ لَعَمْري ذو أَفانينَ مِقْوَلُ
أَأَهْلُ كِتابٍ نَحْنُ فيهِ وَأَنتُمُ عَلى الحَقِّ نَقضِي بِالكِتابِ وَنَعْدِلُ
فكَيفَ ومَن أَنّى وإِذْ نَحْنُ خِلفَةٌ فَريقانِ شَتّىٰ تَسمَنونَ وَنَهزِلُ

إلى أن يقول:

فَتِلكَ مُلوكُ السُّوءِ قَدْ طالَ مُلكُهُمْ فَحتّامَ حَتّامَ العَناءُ المُطَوَّلُ

رَضُوا بِفِعالِ السُّوءِ مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ فَـقَدْ أَيتَمُوا طَوراً عِداءً وَأَثْكَلُوا
وَما ضَربَ الأَمثالَ في الجَورِ قَبْلَنا لأَجْوَرَ مِنْ حُكّامِنا المُتَمَثِّلُ

والقصيدة سياسيّة معظمها على هذا الغرار من النقد اللاذع والهجاء الموجع لبني أُميّة الذين ساسوا الأمّة سياسة لم يألفوها ، فقد بنيت على الظلم والجور ، وإرغام الناس على ما يكرهون .

وعرض الكميت في قصيدته إلى رثاء ريحانة رسول الله ﷺ وأبي الأحرار الإمام الحسين عليه‌السلام يقول :

كَأَنَّ حُسَيناً والبَهاليلَ حَولَهُ لأَسيافِهِمْ ما يَخْتَلي المُتَبَتِّلُ
وَغابَ نَبيُّ اللهِ عَنْهُمْ وفَقْدُهُ عَلَى النّاسِ رِزْءٌ ما هُناكَ مُجلَّلُ
فَلَمْ أَرَ مَخْذولاً لأَجلِ مُصيبَةٍ وَأَوْجَبَ مِنْهُ نُصرةً حينَ يُخذَلُ

وأخذت هذه الأبيات مأخذاً عظيماً من الإمام عليه‌السلام ، فرفع يديه بالدعاء إلى الكميت قائلاً : « **اللّهُمَّ اغْفِرْ لِلْكُمَيْتِ ما قَدَّمَ وَما أَخَّرَ ، وَما أَسَرَّ وَما أَعْلَنَ ، وَأَعْطِهِ حَتّىٰ يَرْضىٰ** » .

وقدّم له ألف دينار وكسوة ، وأبى الكميت أن يأخذها ، فإنّه كان يرجو الثواب من الله تعالى ، وقال : « والله ما أحببتكم للدنيا ، ولو أردتها لأتيتها من هي في يده ـ يعني بني أُميّة ـ ولكنّني أحببتكم للآخرة ، فأمّا الثياب التي أصابت أجسادكم فأقبلها لبركتها ، وأمّا المال فلا أقبله »[1] .

لقد كان الكميت لسان الشيعة ، والناطق باسمهم ، فقد نافح عنهم ، واحتجّ لهم ، وكان احتجاجه معتمداً على القرآن الكريم . يقول :

---

(١) خزانة الأدب : ١ : ١٤٥ ـ ١٤٦ .

وَجَدْنا لَكُمْ في آلِ حاميمَ آيَةً ... تَأوَّلَها مِنّا تَقِيٌّ وَمُعرِبُ
وفي غَيرِها آياً وآياً تَتابعَتْ ... لَكُمْ نُصُبٌ فيها الَّذي الشَّكُّ مَنصِبُ

واستند في ولائه ومودّته لأهل البيت عليهم السلام إلى الآية الكريمة في سورة حم، وهي: ﴿ **قُل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ** ﴾(١)، كما استند إلى آيات أخرى في غير سورة حم، وهي قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً** ﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿ **وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ** ﴾(٣).

إلى غير ذلك من الآيات الكريمة التي ألزمت المسلمين بحبّ أهل البيت عليهم السلام، وجعلتهم ذخائر هذه الأمّة، وقادتها إلى الخير والتقوى. وقد وجّه نقده لبني أُميّة، ولمن شايعهم وتابعهم. يقول:

فَقُلْ لِبَني أُميَّةَ حَيثُ حَلُّوا ... وَإنْ خِفْتَ المُهنَّدَ والقَطِيعا
أَجاعَ اللهُ مَنْ أَشْبَعْتُموهُ ... وأَشْبَعَ مَنْ بِجَورِكُمْ أُجِيعا
بِمَرضِيِّ السِّياسَةِ هاشِميٍّ ... يَكونُ حَياً لأُمَّتِهِ رَبِيعا(٤)

لقد وهب الكميت حياته ومواهبه لأهل البيت عليهم السلام، ويمثّل شعره في مدحهم وذمّ أعدائهم أرقى ما وصل إليه الأدب العربي من التجدّد والتطوّر في ذلك العصر، فقد أبدع في الاستدلال والاحتجاج على أصالة مذهبه في أحقّيّة بني هاشم للخلافة الإسلاميّة، وبذلك كان الكميت أوّل شاعر عربي يتحوّل بالشعر العربي عن مجالات العاطفة إلى مجالات العقل.

---

(١) الشورى ٤٢: ٢٣.
(٢) الأحزاب ٣٣: ٣٣.
(٣) الإسراء ١٧: ٢٦.
(٤) الأغاني: ١٥: ١١٤.

وعلى أي حال ، فلسنا بصدد دراسة شعر الكميت ، وإنّما بصدد ما قاله في أهل البيت عليهم السلام من روائع الشعر ، الذي لا يقتصر على إبراز الناحية السياسيّة للحزب العلويّ ، الذي كان من أهمّ قادته ، وإنّما كان ملمّاً بأوصاف السادة العلويّين التي تعنو لها الجباه ، اسمعوا ما يقوله فيهم :

وَالْحُماةِ الْكُفاةِ في الحَرْبِ إنْ لَفَّ ـ ضِـرامٌ وَقـودَهُ بِـضِرَامِ
وَالْـغُيُوثِ الَّـذينَ إنْ أمْحَلَ النّا ـ سُ فَـمَأوى حَـواضِـنِ الأَيْـتامِ
غـالِبِيِّينَ هـاشِمِيِّينَ فـي الْـعِلْـ ـمِ رَبَـوا مِـنْ عَـطِيَّةِ الْـعَلَّامِ
وَهُـمُ الْآخِـذونَ مِـنْ ثِـقَةِ الْأَمْـ ـرِ بِـتَقْواهُـمُ عُـرَىً لَا انْـفِصامِ[١]

أرأيتم هذه الأوصاف الكريمة التي تحلّى بها أهل البيت عليهم السلام فهي التي دفعت الكميت إلى ولائهم وحبّهم ، ويستمرّ الكميت في وصف أهل البيت ، ووصف خصومهم ، فيقول :

لِـلْقَريبينَ مِـنْ نَـدَىً وَالْـبَعيدِيـ ـنَ مِنَ الْجَوْرِ في عُرَى الْأَحْكَامِ[٢]
وَالْـمُصيبينَ بـابَ مـا أَخْـطَأَ النّـا ـسُ وَمُـرْسي قَـواعِـدَ الْإِسْـلامِ
وَالْحُماةِ الْكُفاةِ فـي الحَـرْبِ إنْ لَفَّ ـ ضِـرامٌ وَقـودَهُ بِـضِرَامِ[٣]
وَالْـغُيُوثِ الَّـذينَ إنْ أمْـحَلَ النّـا ـ سُ فَـمَأوى حَـواضِـنِ الأَيْـتامِ[٤]
راجِحي الْوَزْنِ كامِلي الْـعَدْلِ فـي الـ ـسِّيرَةِ طَـبِّينَ بِـالأُمورِ الْـعِظامِ[٥]

---

(١) الروضة المختارة : ٢٠.

(٢) **الندى** : الكريم.

(٣) **الضّرام** : الوقود.

(٤) **الغيث** : المطر والخصب. **أمحل الناس** : أجدبوا، **والمحل** : القحط، **والممحل** : المجدب.

(٥) **الطب** : الحاذق من الرجال، الماهر بعلمه.

سَــاسَةٌ لا كَــمَنْ يَــرْعى النّــا   سَ سَــواءَ وَرِعْــيَةَ الْأَنْــعامِ[1]
لَا كَــعَبْدِ الْــمَليكِ أَوْ كَــوَلِيدٍ   أَوْكَسُــلَيْمانَ بَــعْدُ أَوْ كَــهِشامِ
رَأْيُــهُ فِــيهِمْ كَــرَأْيِ ذَوي الثُّــلَّـ   ـةِ في الثّـائِجاتِ جُنْحَ الظَّـلَامِ[2]
جَزُّ ذي الصُّوفِ وَانْتِقاءُ[3] لِذي الْمُخـ   ـةِ نَــعْقاً وَدَعْــدَعاً بــالْبِهامِ
وَهُــمُ الْأَوْفُــونَ بِــالنّاسِ فــي الرَّأْ   فَــةِ وَالْأَحْــلَمونَ فــي الْأَحْــلامِ
أَخــذوا القَــصْدَ فَــاسْتَقاموا عَــليهِ   حــينَ مــالَتْ زَوامِــلُ الْآثـامِ[4]

وهذه النزعات الشريفة الماثلة في أهل البيت عليهم السلام هـي التـي دفـعت الكـميت وغيره من ذوي النفوس الكريمة إلى الولاء والإخلاص لأهل البيت.

ومن الجدير بالذكر أنّ الكميت قد شاهد فضائل السادة العظام من أهل البيت، وعاين مآثرهم، ورأى مناقبهم، فتأثّر بها، فهام في ولائهم ومودّتهم.

ومن أعلام الحزب العلويّ الشاعر الكبير أيمن بن خريم، وقد هام بحبّ أهـل البيت عليهم السلام، وهو القائل فيهم:

نَــهارُكُــمُ مُكــابَدَةٌ وصَــومٌ   وَلَــيلُكُمُ صَــلاةٌ وَاقــتِراءُ
وَلِــيتُمْ بِــالقُرآنِ وَبِــالتَّزَكّي   فَــأَسرَعَ فــيكُمُ ذاكَ البَــلاءُ

---

(١) يقول: إنّهم يتعهّدون الناس بحسن السياسة لا يدعونهم هملاً كالأنعام، وقوله: «لا كـمن يرعى الناس» يعني بهم بنو اُميّة. الروضة المختارة: ٨ ـ ١٤.

(٢) رأيه: أي رأي الواحد من هؤلاء الخلفاء كرأي أصحاب القطع الكثيرة من الغنم. **الثائجات**: الضأن، أي الصائحات. **الثلّة**: الكثير من الضأن.

(٣) **الانتقاء**: الاختيار. **ذي المخة**: أراد السمينة من الغنم. **نعقاً**: أي ينعق نعقاً يصيح في الغنم. **الدعدعة**: زجر البهائم.

(٤) **القصد**: الاعتدال والتوسّط في الأمور. **الزوامل**: الإبل التي تحمل عليها الحمولة، فشبّه الآثام بالزوامل. الروضة المختارة: ٢٠.

أَأجـعَلُكُمْ وَأَقْـواماً سَـواءً ... وَبَـيـنَكُمْ وبَـينَهُمُ الهَـواءُ
وَهُمْ أَرضٌ لأَرْجُلِكُمْ وَأَنْـتُمْ ... لأَرْؤُسِهِمْ وَأَعْيُنِهِمْ سَماءُ(١)

إنّه لا يقاس بآل النبيّ ﷺ فإنّهم سلام الله عليهم الرؤوس والأعـلام ، وغـيرهم أرض لأرجلهم ، فهم عصمة الدين ، الذين كانوا يقضون نهارهم في الصوم ، وليلهم في الصلاة وقراءة القرآن الكريم .

ومن شعراء الحزب العلويّ كثير بن كثير السهمي ، وقد سمع خالد القسري يشتم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وأبناءه على المنابر ، فقال كثير في الردّ عليه :

لَـعَنَ اللهُ مَـنْ يَسُبُّ عَـلِيّاً ... وحُسَيناً مِنْ سُوقَةٍ وَإِمامِ
أَيُسَبُّ المُـطَيَّبونَ جُـدوداً ... وَالكِرامُ الأَخوالِ وَالأَعـمامِ
يَأْمَنُ الظَّبْيُ وَالحَمامُ وَلَا يَأْ ... مَنُ آلُ الرَّسولِ عِندَ المَقامِ
طِبْتَ بَيتاً وَطابَ أَهلُكَ أَهلاً ... أَهْلُ بَـيتِ النَّبِيِّ وَالإِسلامِ
رَحْـمَةُ اللهِ والسَّـلامُ عَـلَيهِمْ ... كُـلَّما قـامَ قـائِمٌ بِسـلامِ(٢)

ومن الشعراء السياسيّين للحزب العلوي عبدالله بن همام السلوي ، فـقد حـمل حملة شعواء على بني أُميّة في ترشيح أبنائهم للخلافة من بعدهم . يقول :

فَـإِنْ تَـأْتوا بِـرَمْلَةَ أَوْ بِـهِنْدٍ ... نُـبايِعُها أَمـيرَةَ مُـؤْمِنينا
إِذا ما ماتَ كِسْرى قامَ كِسْرَى ... نَـعُدُّ ثَـلاثَةً مُـتَناسِقينا
فَـيا لَـهْفاً لَـو أَنَّ لَـنا أُلوفـاً ... ولكِـنْ لا نَـعودُ كَـما عُـنينا
إِذاً لَـضُرِبْتُمْ حَـتّى تَـعودوا ... بِـمَكَّةَ تَـلعَقونَ بِـها السَّخينا

---

(١) الأغاني : ٢١ : ٦.

(٢) المؤتلف والمختلف : ١٦٩ . معجم الشعراء : ٣٤٨.

خَشِينا الغَيظَ حَتّى لَوْ شَرِبْنا ... دِماءَ بَنِي أُمَيَّةَ ما رَوِينا
لَقَدْ ضاعَتْ رَعِيَّتُكُمْ وَأَنْتُمْ ... تَصيدونَ الأَرانِبَ غافِلينا (١)

لقد كان الشعر السياسي للحزب العلوي له طابعه الخاصّ ، وهو الولاء الخالص لعترة النبيّ صلى الله عليه وآله ، الذين هم سفن النجاة ، وأمن العباد ، وأنّهم أحقّ بالنبيّ صلى الله عليه وآله ، وأجدر بالخلافة من غيرهم ، وكان الشيعة الأوائل لا يظنّون أنّ الخلافة تكون لغير الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، وذلك لسبقه إلى الإسلام وفقهه وتقواه . يقول بعض ولد أبي لهب :

ما كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ الأَمْرَ مُنصرِفٌ ... عَنْ هاشِمٍ ثُمَّ مِنْها عَنْ أَبي الحَسَنِ
أَلَيسَ أَوَّلَ مَنْ صَلّى لِقِبلَتِكُمْ ... وَأَعْلَمَ النّاسِ بِالْقُرآنِ وَالسُّنَنِ (٢)

ومن الجدير بالذكر أنّ الشعر السياسي لشعراء الشيعة تغلب عليه العاطفة الحزينة ، وكان ذلك ناشئاً ممّا كابدوه طوال حياتهم من المآسي الموجعة ، فحفل شعرهم بالبكاء والندب لشهدائهم ، ومن فقدوا من أهل البيت عليهم السلام .

يقول الدكتور مجاهد مصطفى : « ويصحّ أن نطلق على هذا النمط من الرثاء الرثاء السياسي والمذهبي ، لأنّه يمثّل وجهة نظر الشيعة ، ويتّصل بعقيدتهم ، ويوافق اتّجاهاتهم »(٣) .

وعلى أي حال ، فإنّ الشعراء الذين ناصروا أهل البيت عليهم السلام قد آمنوا بالقيم والمبادئ التي كانوا يدعون إليها ، ولم ينحازوا إليهم مدفوعين بنزعتهم القبليّة أو رغبة في المكاسب ، وغير ذلك من شؤون الحياة الماديّة .

---

(١) مروج الذهب : ٢ : ٣٢٩.
(٢) شرح نهج البلاغة : ٥ : ٨.
(٣) التيّار الإسلامي في شعر العصر العبّاسي الأوّل : ٢٨٣.

الحياة العلميّة

وجهد أئمّة أهل البيت عليهم السلام على نشر العلوم وإشاعة المعارف بين المسلمين، لأنّ ذلك جزء أصيل من رسالة الإسلام الخالدة الهادفة إلى بلورة الوعي، وتنمية الفكر، وتطوير الحياة، وقد جعل الإسلام طلب العلم فريضة على كلّ مسلم، وفي أيّام الحكم الأموي لم تعن الأوساط الحاكمة بالشؤون العلميّة، وقضت سياستها على نشر الجهل، ومحاربة الوعي من أجل إقامة حكمها اللاشرعي، وبالرغم من هذه السياسة القائمة فقد أُقيمت في يثرب مدرستان كان لهما الأثر البالغ في إشاعة العلم، وهما:

١ ـ مدرسة أهل البيت

وهي أوّل مدرسة علميّة أُنشئت في الإسلام، ولم تقتصر العلوم التي تلقى فيها على التشريع الإسلامي، وإنّما شملت جميع العلوم والمعارف من الفلسفة والحكمة والطب والكيمياء وعلم الكلام والسياسة والاقتصاد، فقد كان الإمام أبو جعفر محمّد الباقر عليه السلام يتناول في محاضراته أسرار الكون، ويبحث عن الكواكب والفضاء، وغير ذلك، وقد بهر من ذلك الوليد بن يزيد، وسأل حاكم يثرب عمرو بن عبدالعزيز، فأجابه أنّ الإمام في بحوثه يتناول جميع أسرار الكون.

وعلى أي حال، فإنّ هذه المؤسّسة قامت بدور مهم في تدوين العلوم بعد أن منع الخليفة الأوّل والثاني تدوين الحديث، ذاهبين إلى أنّ ذلك قد يؤثّر على كتاب الله، فينصرف المسلمون عن قراءته وهو اعتذار مهلهل ليس له أي سند من الفكر والعلم.

ويذكر السيّد حسن الصدر أنّ الشيعة هم أوّل من عنوا بالفقه الإسلامي، وتدوين بعض مسائله، وذكر منهم عليّ بن أبي رافع، وهو من أعلام الشيعة وخيارهم في عصر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، كما كان كاتباً له، وقد ألّف كتاباً في فنون الفقه:

كالوضوء والصلاة وسائر الأبواب ، كما كان من المؤلّفين سليم بن قيس الهلالي الكوفي ، وهو من أصحاب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، وعاش إلى زمن الحجّاج ، وقد أراد الحجّاج قتله ، فلجأ سليم إلى أبان بن أبي عيّاش فآواه ، وحينما حضرته الوفاة أعطاه كتابه المشهور باسمه ، وهو أوّل كتاب ظهر للشيعة رواه أبان بن أبي عيّاش (١) .

وعلى أي حال ، فإنّ مدرسة أهل البيت عليهم السلام قد فتحت آفاق الفكر ، وأشاعت العلوم بين الناس ، وكان أوّل من أسّسها سيّد العترة الطاهرة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، وقام السادة الأئمّة من بعده برعايتها ، وقد ازدهرت في أيّام الإمام أبي جعفر عليه السلام ، فقد التفّ حوله العلماء والرواة ، وهم ينتهلون من نمير علومه ، وقد رووا عنه مجموعة كبيرة من العلوم ، وآداب السلوك ، وقواعد الأخلاق .

وقام من بعده الإمام الصادق عليه السلام عملاق الفكر الإسلامي ، فقد أينعت هذه المؤسّسة في عهده وازدهرت ، وكانت من الأحداث المهمّة لا في عصره وإنّما في العصور التي تلت من بعده ، وقد تحدّثنا عنها بالتفصيل في الحلقة الأُولى من هذا الكتاب .

٢ ـ مدرسة التابعين

أمّا المدرسة الثانية التي تأسّست في عصر الإمام الصادق عليه السلام فهي مدرسة التابعين ، حيث عنيت بعلوم الشريعة الإسلاميّة ولم تتجاوزها .

أمّا أعضاؤها فهم سعيد بن المسيّب ، وعروة بن الزبير ، والقاسم بن محمّد بن أبي بكر ، وأبو بكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام ، وسليمان بن يسار ، وعبيدالله بن عتبة بن مسعود ، وخارجة بن زيد ، ونظم بعض الشعراء أسماءهم بقوله :

إذا قيلَ مَنْ في العِلمِ سَبعَةُ أبْحُرٍ ... رِوايَتُهُمْ لَيْسَتْ عن العِلمِ خارِجَهْ

---

(١) حياة الإمام محمّد الباقر عليه السلام : ٢ : ١٤٠ .

فَـقُلْ هُـم عُـبَيْدُاللهِ عُـروةُ قـاسِمٌ　　　سَـعيدٌ أَبـو بَكـرٍ سُـلَيمانُ خـارِجَهْ

وقال فيهم شاعر آخر:

أَلَا كُـلُّ مَـنْ لا يَـقْتَدي بِـأَئِمَّةٍ　　　فَقِسْمَتُهُ ضِيزى عَنِ العِلْمِ خارِجَهْ
فَـخُذْهُمْ عُـبَيْدُ اللهِ عُـروةُ قـاسِمٌ　　　سَعيدٌ سُليمانٌ أَبو بَكرٍ خارِجَهْ(١)

وقد ذكرنا تراجم هؤلاء الأعلام في كتاب (حياة الإمام محمّد الباقر عليه السلام)، فلا حاجة للإعادة.

ومن الجدير بالذكر أنّ معظم هؤلاء السادة الأعلام قد تتلمذوا عند الإمام أبي جعفر عليه السلام وولده الإمام الصادق عليه السلام.

الحياة الاقتصاديّة

وكانت الحياة الاقتصاديّة في عصر الإمام الصادق عليه السلام مشلولة ومضطربة، فقد انحصرت ثروة البلاد عند الفئة الحاكمة، وعند عملائها، وهم ينفقونها بسخاء على شهواتهم وملاذّهم، في حين أنّ عامّة الشعب كانت في حالة شديدة من البؤس والضيق والحرمان، فالأسعار قد أرهقت كواهل الناس، وكلّفتهم من أمرهم شططاً، وقد خلت أكثر البيوت من الحاجات الضروريّة. يقول جرير للحجّاج شاكياً بؤس قومه وفاقتهم:

أَلَا نَشكـو إِلَـيْكَ زَمـانَ مَـحْلٍ　　　وشُربَ الماءِ في زَمَنِ الجَلِيدِ
وَمَـعتَبةَ العِيـالِ وهُـمْ سِـغابٌ　　　عَـلى دُرِّ المُـجالَحَةِ الرفـودِ
زَمـاناً يَـترُكُ الفَـتياتِ سُـوداً　　　وَقَدْ كانَ المحاجِرُ غَيرَ سُودِ(٢)

---

(١) تاريخ أبي الفداء: ١: ٢٨٠. حياة الإمام محمّد الباقر عليه السلام: ٢: ١٣٣.
(٢) ديوان جرير: ٩٦.

أرأيتم ما صارت إليه حياة الناس من الضيق والحرمان، في حين أنّ ذهب الأرض كان بأيدي الحكّام يتصرّفون فيه حيث ما شاءوا من دون محاسب أو رقيب، وصوّر جرير حالة اليتامى في قصيدته التي ألقاها على سليمان. يقول:

أَلَا هَلْ لِلخَليفَةِ في نِزارٍ ... فَقَدْ أَمْسَوا وَأَكْثَرُهُمْ كَلولُ[1]
وتَدْعوكَ الأرامِلُ واليَتامىٰ ... وَمَنْ أَمْسى ولَيسَ بِهِ حَويلُ
وتَشْكو الماشِياتُ إليكَ جَهْداً ... وَلا صَعْبٌ لَهُنَّ وَلَا ذَلولُ[2]
وَأَكْثَرُ زادِهِنَّ وَهُنَّ سَفْعٌ ... حُطامُ الجِلْدِ والعَصَبُ المَليلُ[3]
ويَدْعوكَ المُكَلَّفُ بَعدَ جَهدٍ ... وَعانٍ قَدْ أَضَرَّ بِهِ الكُبُولُ[4]

إنّ الضيق والحرمان قد شمل حتّى الحيوانات، فليس عندنا ما تسدُّ به رمقها، وكان ذلك ناجماً من ظلم الأمويّين وجورهم ونهبهم لأموال الرعيّة.

ويعرض الفرزدق على الوليد بن عبدالملك ما تعانيه قبائل مضر من مآسي البؤس والفقر. يقول:

رأَوْني فَنادَوني أَسوقُ مَطِيَّتي ... بِأَصْواتِ هُلّاكٍ سِغابٍ حَرائِرُهْ
فَقالوا أَغِثْنا إنْ بَلَغْتَ بِدَعْوَةٍ ... لَنا عِندَ خَيرِ النّاسِ إنَّكَ زائِرُهْ
فَقُلْتُ لَهُمْ إنْ يُبلِغِ اللهُ ناقَتي ... وَإِيّاي أُنْبِئْ بِالَّذي أَنا خابِرُهْ
بِحَيثُ رأَيتُ الذِّئبَ كُلَّ عَشيَّةٍ ... يَروحُ عَلى مَهزولِكُمْ ويُباكِرُهْ
لِيَجْتَرَّ مِنْكُمْ إنْ رَأى بارِزاً لَهُ ... مِنَ الجِيَفِ اللاتي عَلَيكُمْ حَظائِرُهْ

---

(١) **الكلول**: المرضى والمتعبون.

(٢) **الماشيات**: النساء الأرامل. **الصعب والذلول**: أي المطايا العسيرة.

(٣) **المليل**: أي ما وضع في الملّة، أي الرماد الحارّ.

(٤) ديوان جرير: ٣٤٧.

أغِثْ مُـضَراً إنَّ السِّـنينَ تَـتابَعَتْ … عَـلَيها بِـحَزٍّ يَكسِـرُ العَـظْمَ جـازِرُهْ
فَكُـلُّ مَـعَدٍّ غَـيرُهُم حَـولَ سـاعِدٍ … مِنَ الرِّيفِ لَمْ تَخْطُرْ عَـلَيهِمْ قَـناطِرُهْ
وَهُمْ حَيْثُ حَلَّ الجُـوعُ بَـينَ تِـهامةٍ … وَخَيْبَرَ وَالوادي الَّذي الجُوعُ حاضِرُهْ
بِـــوادٍ بِـــهِ مـاءُ الكِـلابِ وبَـطْنُهُ … بِهِ العَلَمُ الباكي مِنَ الجوعِ سـاجِرُهْ
وحَـلَّتْ بِـدَهْناها تَـميمٌ وَأَلْـجَأَتْ … إلى رِيـــفِ بَـــرْنِيٍّ كَـثيرٍ تَـمائِرُهْ
كَـــأَنَّهُمْ لِـــلمُبتَغِي الزادِ عِـنْدَهُمْ … بَـخارِتِيٌّ جَـمّالٍ ضَـمورٍ قَـياسِرُهْ
وَلَـوْ لَـمْ تَكُـنْ عَـبْسٌ تُـقاتِلُ مَسَّـها … مِــنَ الجُـوعِ لا يُـغَمِّضُ سـاهِرُهْ
وَلكِــنَّهُمْ يَســتَكرِهونَ عَـدُوَّهُمْ … إذا هَـزَّ خِـرْصانَ الرِّمـاحِ مَسـاعِرُهْ
أغِـثْني بِكُـنْهي فـي نِـزارٍ ومُـقْبَلي … فَـإنّي كَـريمُ المَشـرِقَينِ وشـاعِرُهْ[١]

إنّ هذا البؤس الشامل ، والفقر المدقع الذي نهش جسوم الناس ، وتركهم أشباحاً كأنّها مجرّدة من الحياة ، إنّ ذلك كان من فساد السلطة التي أمعنت في نهب أموال الناس من دون أن تقوم بأي عمل في إنعاش المواطنين ورخائهم ، ويسترحم جرير عمر بن عبدالعزيز أن ينقذ قومه من المجاعة الشاملة . يقول :

أَأَذْكُرُ الجُهدَ وَالْبَلْوى الَّـتي نَـزَلَتْ … أَمْ تَكْتَفي بِالَّذي بَلَغتُ مِنْ خَبَري
مـا زِلتُ بَـعْدَكَ فـي دارٍ تَـعَرَّقُني … قَدْ طالَ بعدك إصعادي ومُنحَدَري
لا يَـنفعُ الحـاضِرُ المَـجْهودُ بـادِيَنا … وَلَا يَـجودُ لَـنا بـادٍ عَـلىٰ حَـضَرِ
كَـمْ بِـالمَواسِـمِ مِـنْ شَـعثاءَ أَرمَـلةٍ … وَمِنْ يَتيمٍ ضَعيفِ الصَّوتِ وَالْبَصَرِ
يَـدعوكَ دَعْـوةَ مَـلْهوفٍ كَـأَنَّ بِـهِ … خَبْلاً مِنَ الجِنِّ أَوْ مَسّاً مِنَ النُّشَرِ[٢]
مِـمَّنْ يَـعُدُّكَ تَكْـفي فَـقْدَ والِـدِهِ … كالفَرخِ في الْعُشِّ لَمْ يَدْرُجْ وَلَمْ يَطِرِ

---

(١) ديوان الفرزدق : ١ : ٢٤٨ .

(٢) **النُّشر** : جمع نشرة ، وهي رقية يعالج بها المجنون والمريض.

يَرْجوكَ مِثْلَ رجاءِ الغَيثِ تجبُرُهُمْ بُورِكتَ جابرَ عَظْمِ هِيضَ مُنكَسِرِ
فَإنْ تَدَعْهُمْ فَمَنْ يَرجونَ بَعدَكُمُ أَوْ تُنجِ مِنْها فقَدْ أَنجَيتَ مِنْ ضَرَرِ (١)

صوّرت هذه الأبيات المآسي الفظيعة التي حلّت بالناس من جرّاء تدهور الاقتصاد الذي عمد الأمويّون إلى شلّه ، فلم يقوموا بتحسين الزراعة ، ولا بإيجاد الطرق السليمة التي تعمر بها البلاد ، وإنّما كان جلّ همّهم جلب الخراج ، ونهب ما عند الناس من لقمة العيش .

ويقول الفرزدق مخاطباً عمر بن عبدالعزيز :

وساقَنا مِنْ قَسَاً يُزْجي رَكائِبَنا إليكَ مُنْتَجَعُ الْحاجاتِ وَالقَدَرُ
وَجائِحاتٌ ثَلاثٌ ما تَرَكْنَ لَنا مالاً بِهِ بَعدَهُنَّ الغَيثُ يُنتَظَرُ
ثِنْتانِ لَمْ تَترُكا لَحماً وحاطِمَةٌ بِالعَظْمِ حَمراءُ حَتّى اجْتيحَتِ الغُرَرُ
فقُلتُ كَيفَ بِأَهلي حينَ عَضَّ بِهِمْ عامٌ لَهُ كُلُّ مالٍ مُعْنِقٌ جَزَرُ
عامٌ أَتى قَبْلَهُ عامانِ ما تَرَكا مالاً ولا بَلَّ عُوداً فيهِما مَطَرُ (٢)

صوّرت هذه الأبيات كوارث الطبيعة ، وما حلّ بقوم الفرزدق من الجهد والضيق ، وهو يسأل من الخليفة أن ينقذهم ، ويقوم بإسعافهم من هذه المحنة .

ولو كانت تلك الحكومات شرعيّة لما بلغ الضيق بالناس إلى هذا الحال الذي يرثى له .

وصوّر الشاعر الأسدي سوء حياته الاقتصاديّة بقصيدة يمدح بها بعض نبلاء الكوفة ، ويطلب منه أن يسعفه بمعروفه . يقول :

---

(١) ديوان جرير : ٢١٠.

(٢) ديوان الفرزدق : ١ : ١٨٢ و ١٨٣.

يــا أبــا طَـلحَةَ الجَـوادَ أَغِـثْني بِســجالٍ مِنْ سَـيبِكَ المَـقْسُومِ[١]
أحيي نَفسي ـفَدَتْكَ نَفسي ـفـإنّي مُفلِسٌ ـقَدْ عَلِمتَ ذاكَ ـعَدِيمُ[٢]
أَوْ تَـــطَوَّعْ لَـــنا بِسَـــلْفٍ دقـيقٍ أجـرُهُ ـإنْ فَـعَلْتَ ذاكَ ـعَـظيمُ[٣]
قَـدْ عَـلِمتُمْ ـفَـلَاتَـعامَسْ عَـنّي ـ ما قَـضَى اللهُ فـي طَـعامِ اليَـتيمِ[٤]
لَــيْسَ لي غَـيرُ جَـرَّةٍ وَأَصـيصٍ وَكِـــتابٍ مُـــنَمْنَمٍ كَـالوُشومِ[٥]
وَكِســـــاءٍ أبـــيعُهُ بِـــرَغيفٍ قَـــدْ رَقَـــعْنا خُـروقَهُ بِـأَديمِ[٦]
وَإِكـــــافٍ أعــــارَنيهِ نَشِـــيطٌ هُـو لِـحافٌ لِكُـلِّ ضَـيفٍ كَـريمِ[٧]

وأنت ترى أنّ هذا الشاعر البائس قد استعطف هذا الكريم ، وطلب منه أن يسعفه بالطعام ليحيي نفسه التي أماتها الجوع ، وقد ذكر ما يملكه من أثاث بسيط كان به في منتهى الفقر والبؤس والضيق .

وكان عامّة الناس على هذا الغرار يعيشون حياة بائسة لا ظلّ فيها للرخاء ، قد نهشهم الجوع ، فقد تحوّل اقتصاد الأُمّة إلى جيوب الأمويّين ، ومن سار في ركابهم من دون أن ينفق منها أي شيء على تطوّر الحياة العامّة وازدهارها ، ولهذه الجهة فقد ثار العلويّون دعاة العدل الاجتماعي مطالبين بإنعاش الناس ورخائهم ، ودفع غائلة

---

(١) **سجال** : جمع سجل ـبالفتح ـ وهو الدلو العظيمة المملوءة . **السيب** :العطاء .

(٢) **عديم** :فقير .

(٣) **السلف** ـبالفتح ـ: الجراب الضخم .

(٤) **التعامس** :التغافل والتعامي .

(٥) **الأصيص** :إناء كهيئة الجرّة ، له عروتان ، يحمل فيه الطين .

(٦) **الأديم**:الجلد لم يدبغ.

(٧) حياة الحيوان / الجاحظ : ٥: ٢٩٧ .

الإكاف ـبالكسر والضمّ ـ: البرذعة . **نشيط** :علم من أعلام الناس .

الجوع والبؤس عنهم .

انظر إلى ما يقوله الفرزدق أمام سليمان بن عبدالملك :

كَمْ فِيكَ إنْ مَلَكَتْ يَداكَ لَنا ... يَوماً نَواصينا مِنَ النُّذْرِ

مِنْ حَجٍّ حافِيَةٍ وَصائِمَةٍ ... سَنَتَينِ أُمِّ أُفَيرِخٍ زُغْرِ[١]

لَمْ يَبقَ مِنْهُم غيرُ أَلسِنَةٍ ... وَأُعَيْظِمٍ وَحَواصِلٍ حُمْرِ

وَيُجَمَّرونَ بِغَيرِ أَعْطِيَةٍ ... في الْبَرِّ مَنْ بَعَثُوا وفي البَحرِ[٢]

وَيُكَلَّفونَ أَباعِراً ذَهَبَتْ ... جِيَفاً بِلِينَ تَقادُمَ العَصْرِ

حَتّىٰ غَبَطْنا كُلَّ مُحْتَمَلٍ ... يُمْشِي بِأَعْظُمِهِ إلَى الْقَبْرِ

وَتَمنَّتِ الأَحياءُ أَنَّهُمُ ... تَحتَ التُّرابِ وَجِيءَ بِالْحَشْرِ

وَالرّاقِصاتِ بِكُلِّ مُبتَهِلٍ ... مِنْ فَجٍّ كُلِّ عَمايقٍ غُبْرِ

ما قلتُ إلّا الْحَقَّ تَعرِفُهُ ... في القَولِ مُرتَجِلاً وفي الشِّعْرِ

ما أَصْبَحَتْ أَرْضُ العِراقِ بِها ... وَرَقٌ لِمُخْتَبِطٍ وَلَا قِشْرِ

إنْ نَحْنُ لَمْ نُمنَعْ بِطاعَتِنا ... وَالحُبِّ لِلمَهدِيِّ وَالشُّكْرِ

فَغَدَتْ عَلينا في مَنازِلِنا ... رُسُلُ العَذابِ بِرَغْوَةِ البِكْرِ[٣]

وقد ذكرنا في البحوث السابقة جور العمّال وظلمهم للرعيّة ، وجبايتهم للأموال بلا رحمة ولا رأفة ، فلم يتركوا عند أحد فضلاً من المال إلّا صادروه ، وقد تمنّى الناس الموت ليتخلّصوا من إرهاقهم وجورهم .

---

(١) **الأفيرخ الزُّغر** : الفرخ الصغير الذي لم ينبت شعره بعد.

(٢) **يجمرون** : يحبسون في المغازي.

(٣) ديوان الفرزدق : ١ : ٢٦٢.

رغوة البكْرِ : أي بكر ناقة صالح إذا رغا على قوم ثمود فأهلكوا.

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن الحياة الاقتصاديّة في عصر الإمام عليه السلام.

ترف الملوك ولهوهم

وانغمس ملوك الأمويّين بالترف واللهو، وتهالكوا على اللذّة والمجون، وتابعهم على ذلك عملاؤهم، وذو الثراء من الناس، فلم يتركوا لوناً من ألوان الترف إلّا استعملوه، وقد شذّوا بذلك عمّا كان سائداً في حياة المسلمين أيّام عصر الرسول صلى الله عليه وآله، فقد كانت الحياة العامّة يسودها التقشّف والزهد، وقد سألت عائشة عن ثيابها أيّام الرسول صلى الله عليه وآله فقالت: أما والله ما كان خزّاً ولا قزّاً ولا ديباجاً ولا قطناً ولا كتّاناً، إنّما كان سداه من شعر، ولحمته من أوبار الإبل(١).

وتغيّرت هذه الحياة في العصر الأموي، فكان شباب بني أُميّة يرفلون في الوشي كأنّهم الدنانير الهرقليّة(٢).

وكان مروان بن أبان بن عثمان يلبس سبعة أقمص كأنّها درج بعضها أقصر من بعض، وفوقها رداء عدني بألفي درهم(٣).

وكان عمر بن عبدالعزيز أيّام ولايته على المدينة يلبس الثوب بأربعمائة، ويقول: ما أخشنه(٤).

ويروي هارون بن صالح عن أبيه أنّه قال: «كنّا نعطي الغسّال الدراهم الكثيرة حتّى يغسل ثيابنا في أثر ثياب عمر بن عبدالعزيز من كثرة الطيب الذي فيها»(٥).

---

(١) العقد الفريد: ١: ٣٩٤.
(٢) الأغاني: ١: ٣١٠.
(٣) الأغاني: ١٧: ٨٩.
(٤) الطبقات الكبرى: ٥: ٢٤٦.
(٥) الأغاني: ٩: ٢٦٢.

كما تغيّرت ثياب النساء في يثرب ، فكنّ يلبسْنَ الديباج والحرير[١] ، كما أنّ الرجال أخذوا يلبسون المضرّجات[٢] ، والممصّرات والملوّنات[٣] .

وكان من لهو ملوك الأمويّين ومجونهم أنّه وُجِد عند الوليد بن يزيد بن عبدالملك بعد مقتله في سنة ١٢٦هـ أربعين جفنة بلور كأعظم ما يكون من الجفان ، كان يملأها شراباً[٤] ، وشرب ليلة وكانت الجفان بين يديه ، وطلع القمر وهو يشرب ، وندماؤه معه ، فقال : أين القمر الليلة ؟ فذكر له بعض الأبراج .

فقال بعض جلسائه : هو في الجفنة .

فقال : والله ما عدوت ما في نفسي ، وطرب طرباً شديداً[٥] .

المغالاة في المهور

ومن مظاهر الترف والبذخ عند الملوك وعملائهم في ذلك العصر المغالاة في المهور . فقد تزوّجت السيّدة عائشة بعد وفاة زوجها عبدالله بن عبدالرحمن بن أبي بكر بمصعب بن الزبير ، فأمهرها بألف ألف درهم[٦] .

ويقول المؤرّخون عن ترفها وبذخها : إنّها إذا حجّت ذهبت معها ستّون بغلة عليها الهوادج والرحائل فتعرض لها عروة بن الزبير فقال لها :

عائِشُ يا ذاتَ البِغالِ السِّتِّينْ ... أَكُلُّ عامٍ هكَذا تَحُجِّينْ[٧]

---

(١) الطبقات الكبرى : ٨ : ٣٥٢.

(٢) **المضرّجة** : الثياب المصبوغة بالحمرة الغير المشبعة بها وفوق الموردة .

(٣) الأغاني : ٦ : ١٣ .

(٤) في مطالع البدور : ١ : ١٢٨ : «كأعظم ما يكون في الجفان، قيل : إنّها تسع ثلاثمائة رطل ».

(٥) الذخائر والتحف : ١٧٤.

(٦) و (٧) الأغاني : ١٠ : ٦٠.

ويقول أنس بن أبي أُناس مخاطباً عبدالله بن الزبير في زواج أخيه مصعب بعائشة ويعاتبه على ما بذل من مهر :

أَبْلِغْ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ رِسالةً   مِنْ ناصِحٍ ما أَنْ يُرِيدَ مَتاعا
بِضْعُ الفَتاةِ بِأَلفِ أَلفِ دِرْهَمٍ   وَتَبيتُ قاداةُ الجُيوشِ جِياعا
فَلَو أُخبِرَ الفاروقُ بِالَّذي   شاهَدْتُهُ ورأَيْتُهُ لَارْتاعا (١)

لقد تسلّط هؤلاء الذئاب على أموال الأُمّة ، فاتّخذوها دولاً ينفقونها على شهواتهم وملاذّهم من دون أن تنعم الأُمّة بشيء من اقتصادها .

ترف النساء

وكان من الطبيعي بعد حصول الثراء العريض عند الفئة الحاكمة وعملائها ، أن يسود الترف عند نسائهم ، فقد روى المؤرّخون أمثلة كثيرة من ترف نسائهم كان منها : أنّ عاتكة بنت يزيد بن معاوية استأذنت عبدالملك في الحجّ ، فقال لها : ارفعي حوائجك واستظهري ، فإنّ عائشة بنت طلحة تحجّ ، ففعلت وجاءت بهيئة جهدت فيها ، فلمّا كانت بين مكّة والمدينة إذ أقبل موكب فضغطها وفرّق جماعتها ، فقالت : أي هذه عائشة بنت طلحة فسألت عنها ، فقالوا : هذه خازنتها .

ثمّ جاء موكب آخر أعظم من ذلك فضغطها ، فسألت عنه فقالوا : هذه ماشطة عائشة ، وأقبلت مواكب أُخرى على هذه الهيئة ، وهي تحمل حاشية عائشة .

ثمّ أقبلت كوكبة فيها ثلاثمائة راحلة عليها القباب والهوادج ، وفيها عائشة ، فبهرت عاتكة وقالت : ما عند الله خير وأبقى (٢) .

---

(١) أنساب الأشراف : ٥ : ٢٨٣ . الأغاني : ٣ : ١٢٢ .

(٢) الأغاني : ١٠ : ٦٠ .

ونقل الرواة صوراً كثيرة من ترف نساء الملوك والأمراء، كان من بينها أنّ مصعب أهدى إلى عائشة ثماني حبّات من اللؤلؤ قيمتها عشرون ألف دينار، فلمّا دخل عليها وجدها نائمة فأيقظها، فلمّا رأت الهدية لم تعن بها، وقالت: كان النوم أحبّ إليّ(١).

لقد اقتصر البذخ والترف على نساء الأمراء والملوك، في حين أنّ السيّدات من نساء المسلمين كنّ يعانين الجهد والضيق والحرمان.

الغناء والمجون

وكان من مظاهر حياة الملوك ومن سار في ركابهم في ذلك العصر انتشار الغناء والمجون، فقد عاشوا حياة لاهية ليس فيها أي طابع من القيم الدينيّة والأعراف الاجتماعيّة. وقد انتشر الغناء بصورة خاصّة في يثرب، فقد عمد الأمويّون إلى جعل يثرب مركزاً من مراكز الغناء، وذلك لإسقاط هيبتها من نفوس المسلمين.

يقول أبو الفرج: «إنّ الغناء في المدينة لا ينكره عالمهم، ولا يدفعه عابدهم»(٢).

وكان فقيه المدينة مالك بن أنس له معرفة تامّة بالغناء، فقد روى حسين بن حمّاد الأشقر، قال: «كنت بالمدينة فخلا لي الطريق وسط النهار، فجعلت أُغنّي:

ما بالُ أهلِكِ يا رَبابُ خُزراً كَأَنَّهُمُ غِضابُ

قال: فإذا خوخة قد فتحت، وإذا وجه قد بدا تتبعه لحية حمراء، فقال: يا فاسق أسأت التأدية، ومنعت القائلة، وأذعت الفاحشة، ثمّ اندفع يغني فظننت أنّ طويساً ـ وهو من أشهر المغنّين ـ قد نشر بعينه.

---

(١) الأغاني: ١٠: ٥٧.

(٢) الأغاني: ٣: ٢٧٦.

فقلت له : أصلحك الله ، من أين لك هذا الغناء ؟

فقال : نشأت وأنا غلام حيث أتّبع المغنّين وآخذ عنهم ، فقالت لي أُمّي : يا بنيّ ، إنّ المغنيّ إذا كان قبيح الوجه لم يلتفت إلى غنائه ، فدع الغناء واطلب الفقه ، فإنّه لا يضرّ معه قبح الوجه ، فتركت المغنّين واتّبعت الفقهاء .

فقلت له : فأعد جعلت فداك .

فقال : لا ولا كرامة ، أتريد أن تقول : أخذته من مالك بن أنس ، وإذا هو مالك بن أنس »(١) .

ومن طريف ما ينقل أنّ دحمان المغنّي شهد عند القاضي لرجل من أهل المدينة على عراقي فأجازه القاضي ، فقال له العراقي : إنّه دحمان .

فقال القاضي : أعرفه ولو لم أعرفه لسألت عنه .

فقال العراقي : إنّه يغنّي ويعلّم الجواري الغناء !

قال القاضي : غفر الله لنا ولك ، وأيّنا لا يغنّي ؟(٢)

وهكذا انتشر الغناء بصورة واسعة في يثرب التي هي عاصمة الإسلام ، والتي ينبغي أن تكون مثالاً للقداسة والطهر ، وممّا لا شكّ فيه أنّ ذلك كان بوحي من الحكومة الأمويّة وتشجيع منها لإسقاط هيبة عاصمة النبيّ ﷺ .

لقد شجّعت الحكومة الأمويّة الغناء ، ووهبت الأموال الطائلة للمغنّين .

يقول المؤرّخون : إنّه وفد على يزيد بن عبدالملك كلّ من معبد ومالك بن أبي السمح ، وابن عائشة ، فأمر لكلّ واحد منهم ألف دينار(٣) .

---

(١) الأغاني : ٤ : ٢٢٢ .

(٢) الأغاني : ٦ : ٢١ .

(٣) الأغاني : ٥ : ١٠٩ .

وأعطى الوليد بن يزيد معبد المغنّي إثني عشر ألف دينار، كما استقدم مغنّي الحجاز وأجازهم جوائز كثيرة[١].

وقد راج الغناء، وأقبل الناس على تعلّمه حينما رأوا ملوك بني أُميّة قد قرّبوا المغنّين، ووهبوهم الثراء العريض.

ومن طريف ما نقل أنّ الوليد بن يزيد لمّا ولي الخلافة استدعى عطرد بن يثرب، وكان جميل الوجه، حسن الغناء، طيّب الصوت، فغنّاه، فشق الوليد حلّة وشي كانت عليه، ورمى بنفسه في بركة خمر، فما زال حتّى أُخرج كالميّت من السكر، فلمّا أفاق قال له: كأنّي بك الآن قد أتيت المدينة فقمت في مجالسها ومحافلها وقلت: دعاني أمير المؤمنين، فدخلت عليه فاقترح عليَّ فغنّيته، وأطربته فشقّ ثيابه وقال: والله لئن تحرّكت شفتاك بشيء ممّا جرى فبلغني لأضربنّ عنقك، ثمّ أعطاه ألف دينار، فأخذها وانصرف إلى المدينة[٢].

وكثير من أمثال هذه الصور الخلاعيّة قد رواها المؤرّخون، وهي تدلّل على خلاعة بني أُميّة واستهتارهم، وأنّهم قد انحرفوا عمّا أمر به الإسلام من ترك حياة العبث واللهو والمجون[٣].

وكان من أشهر المغنّين في ذلك العصر حمّاد عجرد، وقد أسرف في المجون والتهتّك فلامه أبو حنيفة، فردّ عليه حمّاد بهذه الأبيات:

إِنْ كـانَ نُسكُكَ لا يَـتـ ... ـمُّ بِغَيرِ شَتْمي وانتِقاصي
فاقْعُدْ وقُمْ بي حيثُ شِئـ ... ـتَ مَعَ الأَدانِيَ وَالأَقاصي
فَـلَطالَما زَكَّـيتَني ... وَأَنا المُقيمُ عَلى المَعاصي

---

(١) الأغاني: ٥: ١٦١.

(٢) الأغاني: ٣: ٣٠٧.

(٣) حياة الإمام محمّد الباقر عليه السلام: ٢: ١٥٤ ـ ١٥٦.

أيّـــام نــأخُذُها ونُـــعـ ... طي في أباريقِ الرصاصِ[١]

وقد انتشرت الخمرة بشكل فظيع ، فكان الكثيرون لا يطيقون صبراً عنها . يقول آدم بن عبدالعزيز وهو من مخضرمي الدولتين :

اِسْـقِني واسقِ خَـليلَيَّ ... في مَدَى اللَّيلِ الطَّويلِ
قَـهْوَةً صَـهْباءَ صِـرْفاً ... سُـبِيَتْ مِـنْ نَـهرِ بِـيلِ
لَـــونُها أَصـفَرُ صــافٍ ... وَهـيَ كَـالمِسْكِ الفَـتيلِ
فــي لِسانِ الْـمَرْءِ مِنْها ... مِـثْلُ طَـعْمِ الزَّنْـجَبيلِ
رِيـــحُها يَـــنْفَحُ مِـنْها ... ســاطِعاً مِنْ رأسِ مِيلِ
مَـنْ يَـنَلْ مِـنْها ثَـلاثاً ... يَـنْسَ مِـنهاجَ السَّـبيلِ
فَـمَتى مـا نـالَ خَـمْساً ... تَــرَكَــتْهُ كَـــالقَتيلِ
لَيسَ يَدري حينَ ذاكُـمْ ... مـــا دَبِـيرٌ مِـنْ قَـبيلِ
إنَّ سَمْعي عَـنْ كـلامِ الـ ... ـلائِــمي فــيها الثَّـقيلِ
لَشَـــديدُ الوَقْـــرِ إنّــي ... غـيرُ مِـطْواعٍ ذَليـلِ[٢]

وكانوا يصرّون على شرب الخمر لا يدعونه حتّى ينتزعهم الموت ، وينتزع منهم الكأس . يقول التيمي :

وَلَنْ أَنْتَهيَ عَنْ طَيِّبِ الراحِ أَو يَرَى ... بِوادي عِظامي في ضَريحي لاحِدُ
أَضَعْتُ شَبابي في الشَّرابِ تَـلذُّذاً ... وكُنتُ امرَءاً غِرَّ الشَّبابِ أُكابِدُ[٣]

---

(١) من تاريخ الأدب العربي : ٢ : ١٣٥ .
(٢) الأغاني : ١٤ : ٥٨ و ٥٩ .
(٣) الأغاني : ١٨ : ١١٥ .

والشيء المؤكّد أنّ الخمرة هي الدافع الأكبر لجميع ألوان اللهو والمجون ، وقد تحدّث مطيع بن إياس ، وهو من مخضرمي الدولتين عن مجالسهم وما يجري فيها من شراب وغناء وعبث ومجون . يقول :

وَيَومٍ بِبَغدادٍ نَعِمْنا صَباحَهُ ... عَلىٰ وَجْهِ حَوْراءِ المَدامِعِ تُطرِبُ
بِبَيتٍ تَرَى فيهِ الزُّجاجَ كَأَنَّهُ ... نُجومُ الدُّجى بَينَ النَّدامى تَقَلَّبُ
يَصرفُ ساقِينا ويَقْطِبُ تارَةً ... فيا طِيبَها مَقطوبَةً حينَ يُقَطَّبُ[١]
عَلَينا سَحيقُ الزَّعفرانِ وَفَوْقَنا ... أَكاليلُ فيها الياسَمِينُ الْمُذَهَّبُ
فَما زِلْتُ أَسْقى بينَ صَنْجٍ وَمِزْهَرٍ ... مِنَ الرّاحِ حَتّى كادَتِ الشَّمسُ تَغرُبُ[٢]

وهكذا قد سادت حياة اللهو والمجون في كثير من الأوساط ، وقد خالفوا بذلك ما أمر به الإسلام من الجدّ وترك العبث ، والتوازن في السلوك ، والابتعاد عن اللهو ، وعن كلّ ما يخلّ بشرف الإنسان .

انتشار الزندقة

ومن بين المظاهر التي سادت في عصر الإمام الصادق عليه السلام انتشار الزندقة ، فقد جهر بها بعض الشعراء ، وقد وجد في بيت أبي نؤاس هذان البيتان بعد موته :

باحَ لِساني بِمُضْمَرِ السِّرِّ ... وذاكَ إِنّي أَقولُ بالدَّهرِ
ولَيسَ بَعدَ الْمَماتِ حادِثَةٌ ... وَإِنَّما المَوتُ بيضةُ العُقرِ[٣]

وأخذت الزندقة تهاجم الدين ، وتهاجم الأخلاق مهاجمة صريحة لا لبس فيها

---

(١) **يقطب** : يمزج.
(٢) الأغاني : ١٣ : ٢٨٣. **الصنج** :آلة بأوتار يُضْرَب بها. **المزهر** :العود.
(٣) الحور العين : ١٩٢.

ولا غموض ، وأظهروا الخروج على ماكان يخضع له المسلمون من القيم والتقاليد ، وكان ذلك في سلوكهم وفي آرائهم .

وعلى رأس الملحدين كان عبدالكريم ، فكان يظهر الدعايات ضدّ الإسلام ، وضدّ الأديان السماويّة الأُخرى ، وكان له أتباع ومبشّرون كبشّار الذي كان يفضّل النار على الطين ، ويدعو إلى عبادتها ، وقد شاعت المزدكيّة التي تبيح الاشتراك بالنساء ، كما شاعت المانويّة التي كانت تقول بأزليّة النور والظلمة . ولم يقدر على ردّ شبه الملحدين ـ في ذلك العصر ـ سوى الإمام الصادق عليه السلام والمتكلّمون من تلاميذه ، أمثال هشام بن الحكم ، فقد تصدّوا بحزم إلى إبطال شبههم ، وتفنيد أوهامهم .

يقول الدكتور مجاهد مصطفى : « وقد أسهم الإمام الصادق عليه السلام في دحض آراء الزنادقة ، وتفنيد حججهم في كتابه (توحيد المفضّل) ، وكان الزنادقة يحذّرونه لقوّة حجّته ، يقول ابن المقفّع محذّراً ابن أبي العوجاء : لا تفعل فإنّي أخاف أن يفسد عليك ما في يدك »[١] .

ويقول الدكتور عبدالله سلّوم السامرائي : « يعتبر الإمام الصادق من أشهر المفكّرين العرب الذين دافعوا عن الإسلام ، وردّوا على خصومه ، إلّا أنّه لم يستعمل لفظة الزنديق في كتابه (توحيد المفضّل) الذي ردّ فيه على المانويّة ، واكتفى بالقول فيها كالذي قدمت عليه المانيّة الكفرة ، وجاهرت به الملحدة المارقة الفجرة »[٢] .

فإنّه على الرغم من شهرة ماني بالزندقة ، وادّعائه علم الأسرار ، وطعنه في ذات الله تعالى ، فإنّ الإمام الصادق عليه السلام اكتفى بوصفه بالمخذول .

ويذكر الشيخ الكليني أن الإمام الصادق استعمل لفظ زنديق بصدد أبي شاكر الديصاني ، الذي ادّعى أنّ في القرآن آية ـ تدلّ على تعدّد الآلهة ـ وهي ﴿ **وَهُوَ الَّذِي**

---

(١) التيّار الإسلامي في شعر العصر العبّاسي الأوّل : ١١٥ .

(٢) توحيد المفضّل : ٦٥ .

﴿فِي السَّمَاءِ إِلَـهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَـهٌ﴾[(١)]، فقال عليه السلام: «**هذا كلامُ زِنْديقٍ خبيثٍ**»[(٢)]. فإذا صحّ هذا القول عن الإمام الصادق عليه السلام فتكون الزندقة قد أطلقت في مراحل على من أنكر التوحيد، وقال بوجود إلـهين كما يرى ذلك واضحاً في قول الديصاني[(٣)].

وعلى أي حال، فقد شاع الإلحاد والارتداد عن الدين في ذلك العصر، وكان من المرتدّين في ذلك عبدالله بن ميمون القدّاح، وهو القائل:

هاتِ اسْقِني الخَمْرَةَ يا سَنْبرُ[(٤)] فَلَيسَ عِندي أَنَّني أُنشَرُ
أَما تَرَى الشّيعَةَ في فِتنةٍ يَغرُّها مِنْ دينِها جَعفَرُ

وقال في أبيات يهجو بها الإمام، كان منها:

فَلَو كانَ أَمرُكُمُ صادِقاً لَما ظَلَّ مَقتولُكُمْ يُسحَبُ[(٥)]
ولا غَفا مِنكُمْ عَتِيقٌ[(٦)] وَلَا سَما عُمَرٌ فَوْقَكُمْ يَخْطِبُ[(٧)]

وعلى أي حال، فإنّ الشبهات التي أُثيرت حول الإسلام قد تصدّى الإمام الصادق عليه السلام لردّها بالأسلوب الفلسفي تارة، وبالأمور الوجدانيّة أُخرى، وهي التي أقام الإسلام عقيدته العظمى عليها.

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن عصر الإمام عليه السلام.

الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله الطاهرين

---

(١) الزخرف ٤٣: ٨٤.

(٢) أُصول الكافي: ١: ١٢٨ و ١٢٩، الحديث ١٠.

(٣) الشعوبيّة حركة مضادّة للإسلام والأُمّة العربيّة: ١٠٠.

(٤) سنبر: اسم الساقي.

(٥) أراد به الشهيد الخالد مسلم بن عقيل الذي سحب في شوارع الكوفة.

(٦) عتيق: هو الخليفة الأوّل أبو بكر.

(٧) رسالة الغفران: ٤٦٧ و ٤٦٨.

المصادر

القرآن الكريم

١ ـ **الأئمّة الاثنا عشر**: ابن طولون، شمس الدين محمّد: منشورات الرضي، قم المقدّسة.

٢ ـ **الأئمّة الأربعة**: د. الشرباصي، أحمد.

٣ ـ **أبجد العلوم**: وزارة الثقافة والإرشاد ـ دمشق، الطبعة الثانية / ١٩٧٨م.

٤ ـ **الإتحاف بحُبِّ الأشراف**: الشبراويّ الشافعيّ، عبد الله بن محمّد بن عامر (ـ ١١٧٢هـ): تحقيق: سامي الغريريّ، مؤسّسة دار الكتاب الإسلاميّ ـ قم المقدّسة، الطبعة الأُولى ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.

٥ ـ **اثنا عشر رسالة (م)**: المير داماد: محمّد بن محمّد باقر الاستراباديّ الداماد (ـ ١٠٤١): عني بطبعه ونشره ونفقته: السيّد جمال الدين الميردامادي، بخطّ: أحمد النجفي الزنجاني.

٦ ـ **الاثنى عشريّة في المواعظ العدديّة**: العيناثي = محمّد بن محمّد بن حسن الحسيني العاملي (كان حيّاً ١٠٧٨هـ).

٧ ـ **أجوبة المسائل الصاغانيّة**: الشيخ المفيد: أبو عبدالله محمّد بن محمّد النعمان العكبري البغدادي (٣٣٦ ـ ٤١٣هـ): المؤتمر العالمي لألفيّة الشيخ المفيد ـ قم المقدّسة / ١٤١٣هـ.

٨ ـ **الاحتجاج على أهل اللجاج**: الطبرسي، أبو منصور أحمد بن عليّ بن أبي طالب (ـ ٥٦٠هـ): تحقيق: إبراهيم البهادري و محمّد هادي به، الناشر: دار أُسوة ـ ايران، الطبعة السادسة / ١٤٢٥هـ.

٩ ـ **الإحكام في أصول الأحكام**: ابن حزم الأندلسي أبو محمّد عليّ بن أحمد بن سعيد الظاهري (٣٨٤ ـ ٤٥٦هـ): دار الكتب العلمية ـ بيروت / ١٤٠٥ (٨ أجزاء في مجلّدين).

١٠ ـ **أخبار الخلفاء**: أبو الحاتم محمّد بن حبّان.

١١ ـ **أخبار الدول وآثار الأُول**: القرمانيّ، أحمد بن يوسف (٩٣٩ ـ ١٠١٩هـ): الحلبي ـ القاهرة / ١٩٨٢م.

١٢ ـ **أخبار القرامطة**: الشطرنجي، أبو بكر.

١٣ ـ **الاختصاص**: الشيخ المفيد: أبو عبدالله محمّد بن محمّد النعمان العكبري البغدادي (٣٣٦ ـ ٤١٣هـ): المؤتمر العالمي لألفيّة الشيخ المفيد ـ قم المقدّسة، الطبعة الأُولى / ١٤١٣هـ.

١٤ ـ **الآداب السلطانيّة والدول الإسلاميّة**: ابن طباطبا، محمّد بن عليّ (٦٦٠ ـ ٧٠٩هـ): دار صادر ـ بيروت / ١٩٩٠م.

١٥ ـ **أدب النفس**: العيناثي = محمّد بن محمّد بن حسن الحسيني العاملي (كان حيّاً ١٠٧٨هـ): المكتبة المرتضويّة ـ طهران / ١٣٨٠هـ. ش.

١٦ ـ **أدب الصحبة والمعاشرة**: العزالي، أبو حامد: العاني ـ بغداد / ١٩٨٤م.

١٧ ـ **الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد**: الشيخ المفيد: أبو عبدالله محمّد بن محمّد النعمان العكبري البغدادي (٣٣٦ ـ ٤١٣هـ): طبع وتحقيق: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام ـ قم المقدّسة / ١٤١٦هـ.

١٨ ـ **إرشاد القلوب**: الديلميّ، أبو محمّد الحسن بن محمّد الواعظ (ـ ٨٤١هـ): كمال الملك ـ قم المقدّسة / ١٤٢٦هـ.

١٩ ـ **الاستبصار فيما اختلف من الأخبار**: شيخ الطائفة، أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي (٣٨٥ ـ ٤٦٠هـ): تحقيق: الشيخ محمّد جواد الفقيه، دار الأضواء ـ بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.

٢٠ ـ **الاستيعاب في معرفة الأصحاب** : ابن عبدالبرّ = أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمّد النمري القرطبيّ الأندلسي (٣٦٨ ـ ٤٦٣هـ) : دار الإسلام ـ عمّان / ٢٠٠٢م .

٢١ ـ **أُسد الغابة في معرفة الصحابة** : ابن الأثير الجزري = عزّ الدين عليّ بن محمّد بن محمّد (٥٥٥ ـ ٦٣٠هـ) : دار الكتاب العربي ـ بيروت / ٢٠٠٦م .

٢٢ ـ **إسعاف الراغبين في سيرة المصطفى وآل بيته الطاهرين** : الصبّان ، محمّد بن عليّ (ـ ١٢٠٦هـ) ، نشر دار الفكر ـ بيروت .

٢٣ ـ **أشعّة من بلاغة الإمام الصادق** عليه‌السلام : الواعظي ، عبدالرسول : دار الهداية ـ طهران / ١٤٠٤هـ.

٢٤ ـ **أصل الشيعة وأُصولها** : آل كاشف الغطاء ، محمّد حسين (١٨٧٧ ـ ١٩٧٤م) : تحقيق : علاء آل جعفر ، مؤسّسة الإمام عليّ عليه‌السلام ـ قم المقدّسة ، الطبعة الأُولى / ١٤١٥هـ.

٢٥ ـ **الأُصول الفكريّة للثقافة الإسلاميّة** : د. الخالديّ ، محمود : دار الفكر للنشر ـ عمان ، الطبعة الأُولى / ١٩٨٤.

٢٦ ـ **الأعلام** : الزركليّ ، خير الدين بن محمود بن محمّد (ـ ١٤١٠هـ) : دار العلم للملايين ـ بيروت ، الطبعة التاسعة / ١٩٩٠م .

٢٧ ـ **إعلام الورى بأعلام الهدى** : الطبرسيّ ، الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن (من أعلام القرن السادس) : مؤسّسة آل البيت عليهم‌السلام لإحياء التراث ـ قم المقدّسة / ١٤١٧هـ.

٢٨ ـ **أعيان الشيعة** : الأمين العاملي ، محسن (١٨٦٥ ـ ١٩٥٢م) : دار التعارف للمطبوعات ـ بيروت / ٢٠٠٠م .

٢٩ ـ **الأغاني** : أبو الفرج الاصفهانيّ ، عليّ بن حسين (٢٨٤ ـ ٣٥٦هـ) : دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / ١٩٩٤م .

٣٠ ـ **إقبال الأعمال**: السيّد ابن طاووس = رضيّ الدين أبي القاسم عليّ بن بن سعد الدين إبراهيم بن موسى بن جعفر (٥٨٩ ـ ٦٦٤هـ): تقديم وتعليق: الشيخ حسين الأعلمي ، مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت ، الطبعة الأُولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.

٣١ ـ **أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد**: الخوري ، سعيد الشرتوني اللبناني: مكتبة المرعشي النجفي ﷺ ـ قم المقدّسة / ١٤٠٣هـ.

٣٢ ـ **الأمالي**: الشيخ الصدوق ، أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي (٣١١ـ ٣٨١هـ): تحقيق ونشر: قسم الدراسات الإسلاميّة ، مؤسّسة البعثة ـ قم المقدّسة ، الطبعة الأُولى / ١٤١٧هـ.

٣٣ ـ **الأمالي**: شيخ الطائفة الطوسي ، أبو جعفر محمّد بن الحسن (٣٨٥ ـ ٤٦٠هـ) ، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميّة في مؤسّسة البعثة ، الناشر: نشر دار الثقافة ـ قم المقدّسة ، الطبعة الأُولى / ١٤١٤هـ.

٣٤ ـ **أمالي المجلسي**: العلّامة المجلسي.

٣٥ ـ **أمالي المرتضى = غرر الفوائد ودرر القلائد**: السيّد المرتضى ، عليّ بن الحسين الموسويّ (٤٣٦هـ): دار الكتاب العربي ـ بيروت / ١٣٨٧هـ.

٣٦ ـ **الأمالي**: الشيخ المفيد: أبو عبدالله محمّد بن محمّد النعمان العكبري البغدادي (٣٣٦ـ ٤١٣هـ): تحقيق: علي أكبر غفّاري ، الناشر: مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين ـ قم المقدّسة ، الطبعة الخامسة / ١٤٢٥هـ.

٣٧ ـ **الأمالي والنوادر**: القالي البغدادي = إسماعيل بن القاسم (٢٨٨ ـ ٣٥٦هـ):

٣٨ ـ **الإمام جعفر الصادق** عليه السلام: مغنية ، أحمد: مكتبة الأندلس ـ بيروت ، الطبعة الأُولى / ١٩٥٦م.

٣٩ ـ **الإمام الرضا** عليه السلام: **فضل الله ، السيّد محمّد جواد.**

٤٠ ـ **الإمام الصادق خصائصه ومميزاته**: فضل الله ، السيّد محمّد جواد.

٤١ ـ **الإمام الصادق علم وعقيدة** : لاوند ، رمضان : دار مكتبة الحياة ـ بيروت .

٤٢ ـ **الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب** : ترجمة : آل عليّ ، نور الدين : مجمع الذخائر ـ قم المقدّسة / ١٤٢٥هـ.

٤٣ ـ **الإمام الصادق والمذاهب الأربعة** : أسد حيدر (١٩١١ ـ ١٩٨٠م) : دار التعارف ـ بيروت / ١٣٨٠ش .

٤٤ ـ **الامتاع والمؤانسة** : أبو حيّان التوحيدي = عليّ بن محمّد : مكتبة الهلال ـ بيروت / ٢٠٠٢م .

٤٥ ـ **مآثر الإنافة في معالم الخلافة** : القلقشندي = أحمد بن عليّ (٧٥٦ ـ ٨٢١هـ) : دار الثقافة ـ القاهرة / ١٩٨٥م .

٤٦ ـ **الأنساب** : السمعاني التميمي = أبو سعد عبدالكريم بن محمّد بن منصور (٥٠٦ ـ ٥٦٢هـ) : تحقيق : عبدالله عمر البارودي ودار الجنان ، دار الكتب العلميّة ـ بيروت ، الطبعة الأُولى ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

٤٧ ـ **أوائل المقالات** : الشيخ المفيد : أبو عبدالله محمّد بن محمّد النعمان العكبري البغدادي (٣٣٦ ـ ٤١٣هـ) : سلسلة مؤلّفات الشيخ المفيد ، دار المفيد ـ بيروت ، الثانية / ١٤١٤هـ

٤٨ ـ **الإيضاح** : ابن شاذان ، أبو محمّد الفضل بن شاذان الأزدي (ـ ٢٦٠) : تحقيق جلال الدين الحسيني اللأرموي ، جامعة طهران ، الطبعة الأُولى / ١٣٥١هـ ش .

٤٩ ـ **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار** : العلّامة المجلسيّ = محمّدباقر بن محمّد تقي (١٠٣٧ ـ ١١١١هـ) : دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / ١٩٨٩م .

٥٠ ـ **البخلاء** : الجاحظ عمرو بن بحر (١٥٠ ـ ٢٥٥هـ) : دار مكتبة الهلال ـ بيروت ، الطبعة الثانية / ١٩٨٥م .

٥١ ـ **البداية والنهاية في التاريخ = تاريخ ابن كثير** : ابن كثير الدمشقي ، أبو الفداء إسماعيل بن كثير (٧٠٠ ـ ٧٧٤هـ) : تحقيق : مكتب تحقيق التراث ، نشر دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / ١٩٩٣م .

٥٢ ـ **البدء والتاريخ** : ابن قيسراني ، محمّد بن طاهر (٤٤٨ ـ ٥٠٧هـ) : دار صادر ـ بيروت / ١٩٩٤م .

٥٣ ـ **البرهان في تفسير القرآن** (تفسير) : البحراني ، السيّد هاشم بن سليمان بن إسماعيل الحسيني التوبلي (ـ ١١٠٧هـ) : مؤسّسة الأعلميّ ـ بيروت ، الطبعة الأُولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م .

٥٤ ـ **بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمّد** : الصفّار ، الثقة الجليل أبو جعفر محمّد بن الحسن بن فروخ (ـ ٢٩٠هـ) : تعليق : التبريزي ، منشورات مكتبة المرعشي النجفي ، قم المقدّسة / ١٤٠٤هـ .

٥٥ ـ **البلد الأمين** : الكفعميّ ، الشيخ تقي الدين إبراهيم بن عليّ بن الحسن بن محمّد العامليّ الحارثيّ (٨٤٠ ـ ٩٠٥هـ) : مؤسّسة قائم آل محمّد عجّل الله فرجه الشريف ـ قم المقدّسة ، الطبعة الأُولى ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .

٥٦ ـ **بهجة المجالس وأُنس المجالس** : ابن عبدالبرّ = يوسف بن عبدالله النمريّ القرطبيّ : الدار المصريّة ـ القاهرة / ١٩٠٠م .

٥٧ ـ **البيان في تفسير القرآن** (تفسير) : السيّد الخوئي ١ ، أبو القاسم الموسوي (١٢٧٨ ـ ١٣٧١هـ) : دار الثّقلين ـ قم المقدّسة ، الطبعة الأُولى ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، مجلّد .

٥٨ ـ **البيان والتبيين** : الجاحظ ، عمرو بن بحر (١٥٠ ـ ٢٥٥هـ) : مكتبة الخانجي ـ القاهرة / ١٩٦٨م .

٥٩ ـ **تاج العروس من جواهر القاموس**: الزبيدي الحنفي = محبُّ الدين أبي فيض السيّد محمّد مرتضى الحسيني الواسطي (١١٤٥ ـ ١٢٠٥هـ): دراسة وتحقيق: علي شيري، دار الفكر ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م (٢٠ مجلّداً).

٦٠ ـ **تاريخ آل زرارة**: أبو غالب الزراري (ـ ٣٦٨هـ): المطبعة ربّاني ـ قم المقدّسة.

٦١ ـ **تاريخ ابن الورديّ**: ابن الورديّ، زين الدين عمر بن مظفّر (ـ ٧٤٩هـ): دار الكتب العلميّة ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.

٦٢ ـ **تاريخ أبي الفداء = المختصر في أخبار البشر**: أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن عليّ بن محمود بن عمر بن شاهنشاه بن أيّوب (٦٧٢ ـ ٧٣٢هـ): تعليق: محمود ديوب، منشورات دار الكتب العلميّة ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

٦٣ ـ **تاريخ الأدب العربي**: بروكلمان، كارل: نقله إلى العربية: عبدالحليم النّجار، دار الكتاب الإسلامي ـ قم المقدّسة / ١٤١٤هـ.

٦٤ ـ **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير الأعلام**: شمس الدين الذهبيّ = محمّد بن أحمد بن عثمان (٦٧٣ ـ ٧٤٨هـ): دار الكتاب العربي ـ بيروت / ٢٠٠٤م.

٦٥ ـ **تاريخ أسماء الثقات**: عمر بن شاهين، أبو حفص (ـ ٣٨٥هـ): تحقيق: أمين قلعچي، دار الكتب العلميّة ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

٦٦ ـ **التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين**: د. فاروق عمر: مكتبة النهضة ـ بغداد، الطبعة الثانية / ١٩٨٥م.

٦٧ ـ **تاريخ بغداد**: الخطيب البغداديّ، أبو بكر أحمد بن عليّ (٣٩٢ ـ ٤٦٣هـ): تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلميّة ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

٦٨ ـ **تاريخ الخلفاء**: جلال الدين السيوطيّ، عبدالرحمن بن أبي بكر الشافعيّ (٨٤٩ ـ ٩١١هـ): السعادة ـ القاهرة، الطبعة الأُولى / ١٩٥٢م.

٦٩ ـ **تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس**: الدياربكريّ = حسين بن محمّد بن حسن (ـ ٩٦٦هـ): مؤسّسة شعبان ـ بيروت / ١٩٩٠م.

٧٠ ـ **تاريخ الدعوة الإسلاميّة**: الألوري، آدم عبدالله.

٧١ ـ **تاريخ الطبري = تاريخ الأمم والملوك**: الطبري، أبو جعفر محمّد بن جرير بن يزيد بن خالد (٢٢٤ ـ ٣١٠هـ): مؤسّسة الأعلميّ ـ بيروت، الطبعة الخامسة ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.

٧٢ ـ **تاريخ العرب**: حتّي، فيليب.

٧٣ ـ **تاريخ الفكر العربي**: مظهر، إسماعيل.

٧٤ ـ **تاريخ القضاعي** (م): القضاعي محمّد بن سلامة (ـ ٤٥٤هـ):

٧٥ ـ **تاريخ الكوفة**: البراقيّ، السيّد حسين النجفيّ (ـ ١٣٣٢هـ): المكتبة الحيدريّة / ١٤٢٤هـ.

٧٦ ـ **تاريخ مدينة دمشق**: ابن عساكر، أبو القاسم عليّ بن الحسين بن هبة الله الشافعي الدمشقي (٤٩٩ ـ ٥٧١هـ): دار الفكر ـ دمشق / ١٤١٩هـ.

٧٧ ـ **تاريخ اليعقوبيّ**: اليعقوبيّ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ـ ٢٧٨هـ): دار صادر ـ بيروت / ١٩٨٤م.

٧٨ ـ **تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام**: الصدر، السيّد حسن (١٣٥٤هـ): شركة النشر ـ بغداد / ١٩٥١م.

٧٩ ـ **تحسين التقبيح وتقبيح الحسن**: أبو منصور الثعالبي النيسابوري = عبد الملك بن محمّد (ـ ٤٢٩هـ):

٨٠ ـ **تحف العقول عن آل الرسول**: ابن شعبة الحرّانيّ، أبو محمّد الحسن بن عليّ بن الحسين (من أعلام القرن الرابع الهجري): دار الشريف الرضيّ ـ قم المقدّسة / ١٤٢١هـ.

٨١ ـ **التحفة الاثنى عشريّة**: الدهلوي، عبدالعزيز.

٨٢ ـ **التذكرة الحمدونيّة** : ابن حمدون ، أبو المعالي محمّد البغداديّ : دار صادر ـ بيروت ، الطبعة الأُولى / ١٩٩٦م .

٨٣ ـ **تذكرة الحُفّاظ** : الذهبيّ ، شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان (ـ ٧٤٨هـ) : وضع حواشيه : زكريّا عميرات ، دار الكتب العلميّة ـ بيروت ، الطبعة الأُولى / ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م (٤ أجزاء في مجلّدين) .

٨٤ ـ **التشريع الإسلامي** : المدرّسي ، السيّد محمّدتقي : انتشارات المدرّسي ـ طهران ، الطبعة الثانية / ١٤١٢هـ .

٨٥ ـ **التطوّر والتجديد في الشعر الأموي** : ضيف ، شوقي : دار المعارف ـ القاهرة ، الطبعة الخامسة / ١٩٧٢م .

٨٦ ـ **تفسير الأصفى** : الفيض الكاشاني ، الملّا محسن بن مرتضى محمّد محسن (١٠٠٧ ـ ١٠٩١هـ) : اللوح المحفوظ ـ طهران / ١٤٢٣هـ .

٨٧ ـ **تفسير الطبريّ = جامع البيان عن تأويل آي القرآن** : الطبريّ ، أبو جعفر محمّد بن جرير (ـ ٣١٠هـ) : تحقيق : الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي ، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر ـ القاهرة ، الطبعة الأُولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م ، (٢٤ مجلّداً + مجلّدا الفهارس) .

٨٨ ـ **تفسير العيّاشيّ** : العيّاشيّ ، أبو النضر محمّد بن مسعود بن عيّاش السلميّ السمرقنديّ (ـ ٣٢٠هـ) : تحقيق : قسم الدراسات الإسلاميّة ، مؤسّسة البعثة ـ قم المقدّسة ، الطبعة الأُولى / ١٤٢١هـ (٣ مجلّدات) .

٨٩ ـ **تفسير فُرات الكوفي** : فرات بن إبراهيم بن فرات (ـ ٣٥٢هـ) : تحقيق : محمّد الكاظم ، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلاميّ ـ طهران ، الطبعة الأُولى / ١٤١٠هـ .

٩٠ ـ **تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن** : الأنصاري ، أبو عبدالله محمّد بن أحمد (ـ ٦٧١هـ) : التحقيق : هشام سمير البخاري ، دار عالم الكتب ـ الرياض ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م .

٩١ ـ **تفسير القمّي** : القمّي ، أبو الحسن عليّ بن إبراهيم بن هاشم (ـ ٣٢٩هـ) : تحقيق : السيّد طيّب الجزائري الموسوي ، الناشر دار السرور ـ بيروت ، الطبعة الأُولى ١٤١١هـ. / ١٩٩١م (مجلّدان) .

٩٢ ـ **تفسير الكبير = مفاتيح الغيب** : الفخر الرازي = خطيب الريّ ، فخر الدين أبي عبدالله محمّد بن ضياء الدين عمر بن الحسن بن الحسين (٥٤٤ ـ ٦٠٦هـ) : تقديم : الشيخ خليل محيي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ، الطبعة الأُولى ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م (٣٢ جزءاً في ١٦ مجلّداً + مجلّد الفهرس) .

٩٣ ـ **تقوية الإيمان في الردّ على ابن أبي سفيان** : العلوي ، محمّد بن عقيل بن عمر (١٨٦٣ ـ ١٩٣١هـ) : دار البيان العربي ـ بيروت ، الطبعة الأُولى ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م .

٩٤ ـ **تلخيص الشافي** : شيخ الطائفة = أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي (٣٨٥ ـ ٤٦٠هـ) : تحقيق : السيّد حسين بحرالعلوم ، مؤسّسة انتشارات المحبّين ، الطبعة الأُولى / ١٣٨٢هـ. ش .

٩٥ ـ **التمثيل والمحاضرة** : أبو منصور الثعالبي النيسابوري = عبد الملك بن محمّد (ـ ٤٢٩هـ) : دار إحياء الكتب العربيّة ـ القاهرة / ١٩٦١م .

٩٦ ـ **التمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلاميّة** : عبدالرزّاق ، مصطفى : لجنّة التأليف ـ القاهرة ، الطبعة الثالثة / ١٩٦٦م .

٩٧ ـ **تنقيح المقال في علم الرجال** : المامقاني ، الشيخ عبدالله (ـ ١٣٥١هـ) : المطبعة المرتضويّة ـ النجف الأشرف / ١٣٥٢هـ.

٩٨ ـ **التوحيد** : الصدوق ، أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي (٣١١ ـ ٣٨١هـ) : نشر وتحقيق : مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ـ قم المقدّسة ، الطبعة الثامنة / ١٤٢٣هـ.

٩٩ ـ **توحيد المفضّل** : الجعفي ، المفضّل بن عمر : الحيدريّة ـ النجف الأشرف / ١٩٤٩م .

١٠٠ ـ **تهذيب الأحكام** : شيخ الطائفة =أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي (٣٨٥ ـ ٤٦٠هـ) : مكتبة الصدوق ـ طهران / ١٤١٧هـ.

١٠١ ـ **تهذيب الأسماء واللغات** : النووي =أبو زكريّا محيي الدين بن شرف (ـ ٦٧٦هـ) : طبعة دار الكتب العلميّة ـ بيروت.

١٠٢ ـ **تهذيب تاريخ دمشق** : بدران ، عبدالقادر ، (ـ ١٣٤٦هـ) : تحقيق : رياض عبدالحميد مراد ، دار الفكر ـ بيروت ، الطبعة الأُولى ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

١٠٣ ـ **تهذيب التهذيب** : ابن حجر العسقلاني ، أحمد بن عليّ بن محمّد (٧٧٣ ـ ٨٥٢هـ) : دار الفكر ـ بيروت / ١٩٩٥م.

١٠٤ ـ **تهذيب الكمال في أسماء الرجال** : الحافظ المزّي ، جمال الدين أبي الحجّاج يوسُف (٦٥٤ ـ ٧٤٢هـ) : مراجعة : سُهيل زكار ، تحقيق : أحمد علي عبيد ، وحسن أحمد آقا ، دار الفكر ـ بيروت ، الطبعة الأُولى ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م (٢٢ مجلّداً + مجلّدا الفهارس).

١٠٥ ـ **التيار الإسلامي في شعر العصر العبّاسي الأوّل** : بهجت ، مجاهد مصطفى.

١٠٦ ـ **تيسير المطالب** : ابن هارون ، يحيى بن الحسين : مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت / ١٣٩٥هـ.

١٠٧ ـ **ثمار القلوب** : أبو منصور الثعالبي النيسابوري = عبد الملك بن محمّد (ـ ٤٢٩هـ) : المدني ـ القاهرة / ١٩٦٥م.

١٠٨ ـ **جابر بن حيّان** : حدّاد ، خالد.

١٠٩ ـ **جابر بن حيّان وخلفاؤه** : فيّاض ، محمّد محمّد.

١١٠ ـ **جامع الأحاديث** : القمّي ، أبو محمّد جعفر بن أحمد بن عليّ : مجمع البحوث الإسلاميّة ـ مشهد المقدّسة / ١٤١٣هـ.

١١١ ـ **جامع الأخبار = معارج اليقين في أُصول الدين** : السبزواري ، محمّد بن محمّد : (من أعلام القرن السابع الهجري) : مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم المقدّسة ، الطبعة الأولى / ١٤١٤هـ.

١١٢ ـ **جامع أسانيد أبي حنيفة** : الأنصاري ، أبو يوسف يعقوب .

١١٣ ـ **جامع السعادات** : النراقي ، مهدي بن أبي ذرّ (١١٢٨ ـ ١٢٠٩هـ) : تعليق : مؤسّسة السيّدة المعصومة عليها السلام ـ قم المقدّسة / ٢٠٠٥م .

١١٤ ـ **الجدول في تواريخ المعصومين** : الكفعمي ، الشيخ تقي الدين إبراهيم بن عليّ بن الحسن بن محمّد العامليّ الحارثيّ (٨٤٠ ـ ٩٠٥هـ) :

١١٥ ـ **الجرح والتعديل** : ابن أبي حاتم الرازي ، أبو محمّد عبدالرحمن بن محمّد بن إدريس بن المنذر التميمي (ـ ٣٢٧هـ) : تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، الطبعة الأُولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م (٩ مجلّدات + مجلّد الفهرس) .

١١٦ ـ **جعفر بن محمّد** : سيّد الأهل ، عبدالعزيز : دار الشرق الجديد ـ بيروت ، الطبعة الأُولى / ١٩٤٥م .

١١٧ ـ **جعفر الصادق ملهم الكيمياء** : تامر ، عارف .

١١٨ ـ **الجعفريّات** (المنسوب إلى الإمام جعفر الصادق عليه السلام) : الحميريّ ، عبدالله بن جعفر (ـ ٣١٠هـ) : مؤسّسة الثقافة ـ قم المقدّسة / ١٤١٧هـ.

١١٩ ـ **جمال الأُسبوع بكمال العمل المشروع** : السيّد ابن طاووس = رضيّ الدين أبي القاسم عليّ بن بن سعد الدين إبراهيم بن موسى بن جعفر (٥٨٩ ـ ٦٦٤هـ) : دار الذخائر ـ قم المقدّسة / ١٤١١هـ.

١٢٠ ـ **جمهرة أشعار العرب** : ابن شبّة ، أبو زيد عمر النميري البصري ، الطبعة الأميريّة / ١٣٠٨هـ.

١٢١ ـ **جمهرة أشعار العرب** : ابن أبي الخطّاب ، محمّد القرشي : دار صادر ـ بيروت / ١٩٦٣ .

١٢٢ ـ **جمهرة الأولياء** : أبو الفيض ، محمود .

١٢٣ ـ **جنّة المأوى** : كاشف الغطاء ، الشيخ محمّد حسين (١٨٧٧ ـ ١٩٥٤هـ) : دار الأضواء ـ بيروت ، الطبعة الثانة / ١٩٨٨م .

١٢٤ ـ **جوامع الجامع** (تفسير) : الطبرسيّ = الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن (٤٦٨ ـ ٥٤٨هـ) : تحقيق ونشر : مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين ـ قم المقدّسة ، الطبعة الأُولى / ١٤١٨هـ .

١٢٥ ـ **جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام** : الشيخ النجفي ، محمّد حسن ابن الشيخ باقر ابن الشيخ عبدالرحيم (١٢٠٠ ـ ١٢٦٦) : حقّقه وعلّق عليه وأشرف على طبعه : الشيخ عبّاس القوچانيّ ، دار إحياء التراث العربيّ ـ بيروت / ١٤٠٠هـ .

١٢٦ ـ **جوهرة الكلام في مدح السادة الأعلام** : القراغوليّ البغداديّ ، السيّد محمود : الآداب ـ بغداد / ١٣٢٩هـ .

....

١٢٧ ـ **الحقائق في محاسن الأخلاق** : الفيض الكاشاني ، الملّا محسن بن مرتضى محمّد محسن (١٠٠٧ ـ ١٠٩١هـ) :

١٢٨ ـ **حلية الأبرار محمّد وآله الأئمّة الأطهار** : تحقيق : الشّيخ غلام رضا مولانا البروجردي ، مؤسّسة المعارف الإسلامية ـ قم المقدّسة / ١٤١٥هـ .

١٢٩ ـ **حلية الأبرار** : البحراني ، السيّد هاشم بن سليمان بن إسماعيل الحسيني التوبلي (ـ ١١٠٧هـ) : مؤسّسة المعارف الإسلاميّة ـ قم المقدّسة ، الطبعة الأُولى / ١٤١١هـ .

١٣٠ ـ **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء** : أبو نعيم الاصفهانيّ ، الحافظ أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران (٣٣٦ ـ ٤٣٠هـ) : دار الكتاب العربي ـ بيروت / الطبعة الخامسة / ١٩٨٧م .

١٣١ ـ **الحور العين** : الحميري ، أبو سعيد بن نشوان .

١٣٢ ـ **حياة الحيوان الكبرى** : الدميريّ ، كمال الدين محمّد بن موسى (٧٤٢ـ ٨٠٨هـ) : ناصر خسرو ـ طهران (اوفسيت عن طبعة مصطفى البابي الحلبي ـ القاهرة ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م) .

١٣٣ ـ **حياة الإمام الحسن بن عليّ** ٨ : القرشيّ ، باقر شريف (١٩٢٦ ـ م) : تحقيق : مهدي باقر القرشيّ (ضمن موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام) : دار المعروف ، الطبعة الأُولى ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م .

١٣٤ ـ **حياة الإمام محمّد الباقر** عليه السلام : القرشيّ ، باقر شريف (١٩٢٦ ـ م) : تحقيق : مهدي باقر القرشيّ (ضمن موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام) : دار المعروف ، الطبعة الأُولى ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م .

١٣٥ ـ **حياة الإمام موسى بن جعفر الكاظم** عليه السلام : القرشيّ ، باقر شريف (١٩٢٦ ـ م) : تحقيق : مهدي باقر القرشيّ (ضمن موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام) : دار المعروف ، الطبعة الأُولى ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م .

١٣٦ ـ **الخرائج والجرائح** : الراوندي ، الشيخ قطب الدين أبي الحسين سعيد بن هبة الله (ـ ٥٧٣هـ) : مؤسسة النور للمطبوعات ـ بيروت ، الثانية / ١٤١١هـ .

١٣٧ ـ **خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب** : البغداديّ ، عبدالقادر بن عمر (١٠٣٠ ـ ١٠٩٣هـ) : مكتبة الخانجي ـ القاهرة / ١٩٨٣م .

١٣٨ ـ **الخصال** : الشيخ الصدوق = أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي (٣١١ ـ ٣٨١هـ) : نشر وتحقيق : مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين / ١٤٢٤هـ .

١٣٩ ـ **خطط الشام** = **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار** : المقريزي ، أحمد بن عليّ (٧٦٦ ـ ٨٤٥هـ) : مشهد المقدّسة / ١٣٧٩هـ . ش .

١٤٠ ـ **خلاصة الأقوال في معرفة الرجال = رجال العلّامة الحلّيّ** : العلّامة الحلّيّ ، الحسن بن يوسف بن المطهّر الأسدي (ـ ٧٢٥هـ) : تحقيق : الشيخ جواد القيّومي ، مؤسّسة نشر الفقاهة ـ قم المقدّسة ، الطبعة الأولى / ١٤١٧هـ.

١٤١ ـ **خلاصة تهذيب الكمال** : الخزرجيّ الأنصاريّ ، أحمد .

١٤٢ ـ **دائرة المعارف** : البستانيّ ، بطرس (١٨١٩ ـ ١٨٨٣م) : دار الجيل ـ بيروت / ١٩٧٩م .

١٤٣ ـ **دائرة المعارف الإسلاميّة** : المستشرق فنسك .

١٤٤ ـ **دائرة المعارف الحديثة** : عطيّة الله ، أحمد .

١٤٥ ـ **دراسات في الفرق والعقائد الإسلاميّة** : د . عبدالحميد ، عرفان .

١٤٦ ـ **الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور** (تفسير) : السيوطيّ ، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (٨٤٩ ـ ٩١١هـ) : تصحيح وتخريج الأحاديث : الشيخ نجدت نجيب ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م (٨ مجلّدات) .

١٤٧ ـ **الدرّ النظيم في مناقب الأئمّة** : الشاميّ العاملي ، يوسف بن حاتم (من أعلام القرن السابع الهجري) : مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين ـ قم المقدّسة / ١٤٠٩هـ.

١٤٨ ـ **دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام** : القاضي التميميّ المغربيّ ، أبو حنيفة النعمان بن محمّد بن منصور (ـ ٣٦٣هـ) : اسماعيليان ـ قم المقدّسة / ١٣٧٢هـ. ش .

١٤٩ ـ **دلائل الإمامة** : ابن رستم الطبريّ ، أبو جعفر محمّد بن جرير (ـ ٣١٠هـ) : مؤسّسة البعثة ـ قم المقدّسة / ١٤١٢هـ.

١٥٠ ـ **ديوان ابن قيس الرقيّات** : قيس الرقيّات ، عبيدالله القرشي (ـ ٧٥هـ) :

١٥١ ـ **ديوان أبي الأسود**: الدؤلي، أبو الأسود ظالم بن سفيان (ـ ٦٩هـ): المعارف ـ بغداد، الطبعة الثانية / ١٩٦٤م.

١٥٢ ـ **ديوان الأخطل**: الأخطل، غياث بن غوث (ـ ٩٥هـ): دار المشرق ـ بيروت، الطبعة الثانية / ١٩٨٦م.

١٥٣ ـ **ديوان جرير**: الخطفي، جرير بن عطيّة (ـ ١١١هـ): دار بيروت ـ بيروت / ١٤٠٦هـ.

١٥٤ ـ **ديوان الحميري**: الحميري، إسماعيل بن محمّد (١٠٥ ـ ١٧٣هـ): دار صادر ـ بيروت / ٢٠٠٥م.

١٥٥ ـ **ديوان دعبل بن علي الخزاعي**: دعبل الخزاعي (١٤٨ ـ ٢٤٦هـ): الشريف الرضي ـ قم المقدّسة / ١٤١٧هـ.

١٥٦ ـ **ديوان الطرمّاح**: الطرمّاح، ابن حكيم (ـ ١٢٥هـ):

١٥٧ ـ **ديوان الفرزدق**: الفرزدق، همام بن غالب بن صعصعة (ـ ١١٠هـ): دار صادر ـ بيروت.

١٥٨ ـ **ديوان كثير**: الخزاعي، عزّة بن عبدالرحمن (ـ ١٠٥هـ): دار الثقافة ـ بيروت / ١٩٧١م.

١٥٩ ـ **ديوان مؤيّد في الدين**: الشيرازي، هبة الله: دار الكتب المصريّة ـ بيروت، الطبعة الأُولى / ١٩٤٩م.

١٦٠ ـ **الذخائر والتحف**: ابن الرشيد، الرشيد بن الزبير: مطبعة حكومة الكويت ـ الكويت / ١٩٥٩م.

١٦١ ـ **الذريعة إلى تصانيف الشيعة**: آقا بزرك الطهرانيّ، محمّد محسن (١٢٥٥ ـ ١٣٨٩هـ): دار الأضواء ـ بيروت، الطبعة الثالثة / ١٤٠٣هـ.

١٦٢ ـ **ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة**: الشهيد الأوّل، شمس الدين محمّد بن جمال الدين مكّي العامليّ الجزينيّ (٧٣٤ ـ ٧٨٦هـ): نشر وتحقيق: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام ـ قم المقدّسة، الطبعة الأُولى / ١٤١٩هـ.

١٦٣ ـ **ربيع الأبرار ونصوص الأخبار**: جار الله الزمخشري = أبو القاسم محمود بن عمر (٤٦٧ـ ٥٣٨هـ)، دار الذخائر ـ قم المقدّسة / ١٤١٠هـ.

١٦٤ ـ **رجال ابن داود**: ابن داود الحلّيّ، الحسن بن عليّ (ـ ٧٠٧هـ): المطبعة الحيدريّة ـ النجف الأشرف ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م.

١٦٥ ـ **رجال البرقي**: البرقي، أحمد بن محمّد بن خالد (ـ ٢٧٤ أو ٢٨٠هـ): جواد القيّومي الاصفهاني، مؤسّسة القيومي ـ قم المقدّسة، الطبعة الأولى / ١٤١٩هـ.

١٦٦ ـ **رجال الطوسي**: شيخ الطائفة = أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي (٣٨٥ـ ٤٦٠هـ): تحقيق: جواد القيّومي الاصفهاني، مؤسّسة النشر الإسلامي ـ قم المقدّسة، الطبعة الثانية / ١٤٢٠هـ.

١٦٧ ـ **رجال الكشّي = اختيار معرفة الرجال**: شيخ الطائفة، أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي (٣٨٥ ـ ٤٦٠هـ): تحقيق: محمّد تقي فاضل الميبديّ والسيّد أبوالفضل الموسويان، وزارة الثقافة والإرشاد ـ طهران، الطبعة الأولى / ١٣٨٢هـ. ش.

١٦٨ ـ **رجال النجاشي**: أبو العبّاس الأسديّ الكوفيّ، أحمد بن عليّ (٣٧٢ـ ٤٥٠هـ): جماعة المدرّسين ـ قم المقدّسة / ١٤٠٧هـ.

١٦٩ ـ **رسائل الجاحظ**: الجاحظ، عمرو بن بحر (١٥٠ ـ ٢٥٥هـ): اعتناء: السندوبيّ: دار مكتبة الهلال ـ بيروت / ١٩٩٥م.

١٧٠ ـ **الرسالة الرمضانيّة**: جمع وتحقيق: سيف الدين.

١٧١ ـ **الرسالة العدديّة** (المطبوعة بعنوان: جوابات أهل الموصل في العدد والرؤية ضمن مصنّفات الشيخ المفيد ـ المجلّد التاسع): الشيخ المفيد: أبو عبدالله محمّد بن محمّد النعمان العكبري البغدادي (٣٣٦ ـ ٤١٣هـ): تحقيق: الشيخ مهدي نجف، المؤتمر العالمي لألفيّة الشيخ المفيد ـ قم المقدّسة، الطبعة الأولى / ١٤١٣هـ.

١٧٢ ـ **رسالة الغفران**: المعرّي، أبو العلاء أحمد بن عبدالله (ـ ٤٤٩هـ).

١٧٣ ـ **رسالة الصداقة والصديق**: أبو حيان التوحيدي: دار الفكر ـ دمشق / ١٩٦٤م.

١٧٤ ـ **رسم المصحف**: قدّوري، غانم: المطبوعات العربيّة ـ بيروت.

١٧٥ ـ **الروض النضير فيما يتعلّق بآل بيت البشير النذير**: السجاعي المصري، شهاب الدين أحمد بن أحمد بن محمّد الشافعي (ـ ١١٩٧هـ)، القاهرة.

١٧٦ ـ **روضة المحبّين ونزهة المشتاقين**: ابن قيم الجوزيّة = شمس الدين أبي عبدالله محمّد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي (٦٩١ ـ ٧٥١هـ).

١٧٧ ـ **الروضة المختارة** ـ شرح القصائد الهاشميّات والعلويّات للكميت بن زياد (٦٠ ـ ١٢٦هـ): ابن أبي الحديد المعتزلي (ـ ٦٥٦هـ) ـ: مؤسّسة النعمان ـ بيروت، الطبعة الأُولى / ١٩٧٩م.

١٧٨ ـ **روضة الواعظين وبصيرة المتعلّمين**: الفتّال النيشابوري، محمّد بن أحمد (ـ ٥٠٨هـ): دار الشريف الرضي ـ قم المقدّسة، الطبعة الأُولى / ١٣٨٦ش.

١٧٩ ـ **رياض السالكين**: المدني الشيرازي، السيّد علي خان الحسيني (ـ ١١٢٠هـ): تحقيق: السيّد محسن الحسيني الأميني، مؤسّسة النشر الإسلامي ـ قم المقدّسة، الطبعة الرابعة / ١٤١٥هـ.

....

١٨٠ ـ **زهر الآداب وثمر الألباب**: القيروانيّ، أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصريّ: دار الجيل ـ بيروت / ١٩٧٣م.

١٨١ ـ **زهرة المقول في نسب فرعي الرسول**: الدمشقي الحمزي المدني، زين الدين: الحيدريّة ـ النجف الأشرف، الطبعة الأُولى / ١٩٦٢م.

١٨٢ ـ **الزينة في الكلمات الإسلاميّة والعربيّة**: أبو حاتم الرازي، أحمد بن حمدان (ـ ٣٢٢هـ): الحلبي ـ القاهرة / ١٤١٢م.

١٨٣ ـ **سبائك الذهب في معرفة أنساب العرب**: السويدي ، محمّد أمين : منشورات الشريف الرضي ـ قم المقدّسة ، الطبعة الثانية .

١٨٤ ـ **السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي** : ابن إدريس الحلّي ، أبو جعفر محمّد بن منصور بن أحمد (قيل ٥٤٣ ـ ٥٩٨هـ) : تحقيق ونشر : مؤسّسة النشر الإسلامي ـ قم المقدّسة ، الطبعة الرابعة / ١٤١٧هـ .

١٨٥ ـ **سراج الملوك** : الطرطوشي ، أبو بكر محمّد بن وليد (٥٢٠ ـ ٤٥١هـ) : رياض الريّس ـ لندن / ١٩٩٠م .

١٨٦ ـ **سرّ السلسلة العلويّة** : البخاري ، أبو نصر سهل بن عبدالله بن داود (ـ ٣٤١هـ) : الشريف الرضي ـ قم المقدّسة ، الطبعة الأولى / ١٤١٣هـ .

١٨٧ ـ **سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار** : الشيخ القمّيّ ، عبّاس بن محمّد رضا (١٢٥٤ ـ ١٣٥٩هـ) : دار أُسوة للطباعة والنشر ـ قم المقدّسة ، الطبعة الرابعة / ١٤٢٧هـ .

١٨٨ ـ **سفينة النجاة** : السرابي التنكابني (ـ ١١٢٤هـ) ، تحقيق : السيّد مهدي الرجائي ، أمير ـ قم المقدّسة ، الطبعة الأُولى ١٤١٩هـ / ١٣٧٧هـ . ش .

١٨٩ ـ **سنن أبي داود** : الحافظ أبو داود السجستاني ، سليمان بن الأشعث الأزدي (٢٠٢ ـ ٢٧٥هـ) : تحقيق : سعيد محمّد اللّحام ، دار الفكر ـ بيروت ، الطبعة الأُولى ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .

١٩٠ ـ **السيادة العربيّة** : فلوتن ، خراوف فان (١٨٦٦ ـ ١٩٠٣م) : القاهرة / ١٩٣٤م .

١٩١ ـ **سير أعلام النبلاء** : شمس الدين الذهبيّ = محمّد بن أحمد بن عثمان (٦٧٣ ـ ٧٤٨هـ) : مؤسّسة الرسالة ـ بيروت / ١٤١٩هـ .

١٩٢ ـ **السيرة الحلبيّة** : الحلبيّ = عليّ بن برهان الدين (٩٧٥ ـ ١٠٤٤هـ) : دار الكتب العلميّة ـ بيروت / ٢٠٠٦م .

١٩٣ ـ **الشجرة العذراء**: الفكيكي، توفيق.

١٩٤ ـ **شذرات الذهب في أخبار مَن ذهب**: ابن عماد، عبدالحيّ بن أحمد (١٠٣٢ ـ ١٠٨٩هـ): دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / ١٩٦٧م.

١٩٥ ـ **شرح الشفا**: الخفاجيّ الحنفيّ، عليّ بن سلطان محمّد القاري: الأزهريّة المصريّة ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت / ١٣٢٧هـ.

١٩٦ ـ **شرح توحيد المفضّل**: الخليلي، محمّد (١٩٠٠ ـ ١٩٦٨م): مطبعة النعمان ـ النجف الأشرف / ١٩٥٧م.

١٩٧ ـ **شرح عقائد الصدوق**: الشيخ المفيد: أبو عبدالله محمّد بن محمّد النعمان العكبري البغدادي (٣٣٦ ـ ٤١٣هـ):

١٩٨ ـ **شرح لاميّة العجم**: صلاح الدين الصفدي = خليل بن أيبك بن عبدالله (٦٩٦ ـ ٧٦٤هـ): دار الكتب العلميّة ـ بيروت، الطبعة الأُولى / ١٩٧٥م.

١٩٩ ـ **شرح المواقف**: الجرجاني، عليّ بن محمّد (ـ ٤٨٢هـ): مطبعة السعادة ـ القاهرة، الطبعة الأُولى ١٣٢٥هـ / ١٩٠٧م.

٢٠٠ ـ **شرح الموطّأ**: الزرقاني، محمّد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن علوان المصري الأزهري المالكي (ـ ١١٢٢هـ).

٢٠١ ـ **شرح نهج البلاغة**: ابن أبي الحديد، عزّ الدين أبي حامد عبدالحميد بن هبة الله بن محمّد بن محمّد بن الحسين المدائنيّ المعتزليّ (٥٨٦ ـ ٦٥٥هـ)، قدّم له وعلّق عليه: الشيخ حسين الأعلميّ، الناشر: مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات ـ بيروت، الطبعة الأُولى / ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

٢٠٢ ـ **الشيعة في التاريخ**: الزين، محمّد حسين.

٢٠٣ ـ **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**: القلقشنديّ =أحمد بن علي بن أحمد (ـ ٨٢١هـ): دار الكتب العلميّة ـ بيروت / ١٩٨٧م.

٢٠٤ ـ **صحاح الأخبار**: الرفاعي، مصطفى: البهيّة المصريّة / ١٣٠٦هـ.

٢٠٥ ـ **الصحيفة السجاديّة (أدعية الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين عليه السلام)**: تحقيق ونشر: مدرسة ومؤسّسة الإمام المهدي عجل الله فرجه ـ قم المقدّسة ـ الطبعة الخامسة / ١٤٢٣هـ.

٢٠٦ ـ **صفة الصفوة**: ابن الجوزيّ، أبو الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن عليّ بن محمّد (٥٠٨ ـ ٥٩٧هـ): دار المعرفة ـ بيروت / ١٩٧٩م.

٢٠٧ ـ **الصناعتين في الكتابة والشعر**: أبو الهلال العسكري، الحسن بن عبدالله (ـ ٣٩٥هـ): تحقيق: محمّد علي البجاوي و محمّد أبو الفضل إبراهيم.

٢٠٨ ـ **الصواعق المحرقة على أهل الرّفض والضلاَل والزّندقة**: ابن حجر الهيتميّ، أبو العبّاس أحمد بن محمّد بن عليّ (٩٠٩ ـ ٩٧٤هـ): تحقيق: عبدالرحمان التركي وكامل محمّد الخرّاط، مؤسّسة الرسالة ـ بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م (مجلّدان).

٢٠٩ ـ **طبّ الأئمّة** (برواية عبدالله والحسين ابني بسطام بن سابور الزيّات النيسابوريّين ـ القرن الرابع الهجري): المكتبة الحيدريّة ـ قم المقدّسة / ١٤١٦هـ.

٢١٠ ـ **طبّ الإمام الصادق عليه السلام**: الخليلي، محمّد (١٩٠٠ ـ ١٩٦٨م): الحيدريّة ـ النجف الأشرف، الطبعة الرابعة / ١٩٦٦م.

٢١١ ـ **الطبقات الكبرى**: ابن سعد، أبو عبدالله محمّد بن سعد بن منيع البصريّ الواقديّ الزهري (١٦٨ ـ ٢٣٠هـ): تحقيق: محمّد عبد القادر عَطا، دار الكتب العلميّة ـ بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م (٨ مجلّدات + مجلّد الفهارس).

٢١٢ ـ **طبقات الشعراء**: ابن المعتزّ (ـ ٢٩٦هـ): تحقيق: عبدالستار أحمد فراج، دار المعارف ـ القاهرة / ١٩٦٨م.

٢١٣ ـ **طبقات فحول الشعراء** : ابن سلام ، محمّد الجمحي (ـ ٢٣٢هـ) : شرح : محمود محمّد شاكر ، مطبعة المدني ، المؤسّسة السعوديّة بمصر / ١٩٧٣م .

٢١٤ ـ **الطبّ محراب الإيمان** : كنجر ، د . خالص جلبي : كلّيّة الطبّ ـ جامعة دمشق / ١٩٧١م .

٢١٥ ـ **العتب الجميل على أهل الجرح والتعديل** : العلوي ، محمّد بن عقيل بن عمر (١٨٦٣ ـ ١٩٣١هـ) : دار الأضواء ـ بيروت .

٢١٦ ـ **العصر العبّاسي الأوّل** : الدوري ، عبدالعزيز : مركز دراسات الوحدة العربيّة ـ بيروت ، الطبعة الأُولى / ٢٠٠٦م .

٢١٧ ـ **عصر المأمون** : الرفاعي ، أحمد فريد : مطبعة جامعة البصرة / ١٩٨٠م .

٢١٨ ـ **العقد الفريد** : ابن عبدربّه الأندلسيّ ، أبو عمر أحمد بن محمّد (٢٤٦ ـ ٣٢٨هـ) : دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / ١٩٨٩م .

٢١٩ ـ **العقيدة الإسلاميّة وأُسسها** : حنبكة ، عبدالرحمن حسن .

٢٢٠ ـ **العقيدة والشريعة في الإسلام** : جولد زيهر ، أجناس : ترجمة : محمّد يوسف ، دار النهضة ـ بيروت / ١٩٩٠م .

٢٢١ ـ **علل الشرائع** : الشيخ الصّدوق ، أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي (٣١١ ـ ٣٨١هـ) : دار الحُجّة للثقافة ـ قم المقدّسة ، الطبعة الأُولى / ١٤١٦هـ (جزءان في مجلّد) .

٢٢٢ ـ **العلل ومعرفة الرجال** : ابن حنبل ، أحمد بن محمّد (ـ ٢٤١هـ) : تحقيق : د . وصيّ الله بن محمود عبّاس ، دار الخاني ـ الرياض ، الطبعة الأُولى / ١٤٠٨هـ .

٢٢٣ ـ **العلم يدعو للإيمان** : موريسون ، كرس : مكتبة النهضة المصريّة ـ القاهرة ، الطبعة الخامسة / ١٩٦٥م .

٢٢٤ ـ **عيون الأخبار**: ابن قتيبة الدينوريّ، عبدالله بن مسلم (٢١٣ ـ ٢٧٦هـ): دار الكتب المصريّة ـ القاهرة / ١٩٩٦م.

٢٢٥ ـ **عيون أخبار الرضا** عليه السلام: الشيخ الصدوق، أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي (٣١١ ـ ٣٨١هـ): تحقيق: الشيخ حسين الأعلميّ، مؤسّسة الأعلميّ ـ بيروت، الطبعة الأُولى / ١٤٠٤هـ.

٢٢٦ ـ **الغايات**: ابن الرازي، جعفر بن أحمد (القرن الرابع الهجري)، آستانه قدس رضوي ـ مشهد المقدّسة / ١٤١٣هـ.

٢٢٧ ـ **غاية الاختصار في البيوتات العلويّة المحفوظة من الغبار**: الحسينيّ الحلبيّ، ابن زهرة، المكتبة الحيدريّة ـ النجف الأشرف / ١٣٨٢هـ.

٢٢٨ ـ **غاية النهاية في طبقات القرّاء**: الجزري، شمس الدين محمّد.

٢٢٩ ـ **الغدير في الكتاب والسنّة والأدب**: العلّامة الأمينيّ، عبدالحسين (١٢٨١ ـ ١٣٤٩هـ): دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / ١٩٩٠م.

٢٣٠ ـ **الغذاء لا دواء**: د. القبّاني، صبري: دار العلم للملايين ـ بيروت، الطبعة العاشرة / ١٩٧٧م.

٢٣١ ـ **الغَيبة**: شيخ الطائفة = أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسيّ (ـ ٤٦٠هـ): تحقيق: الشيخ عبدالله الطهراني والشيخ عليّ أحمد صالح، مؤسّسة المعارف الإسلاميّة ـ قم المقدّسة، الثالثة / ١٤٢٥هـ.

٢٣٢ ـ **الفخري في أنساب الطالبيّين**: المروزي، إسماعيل بن الحسين المروزي الأزورقاني: مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم المقدّسة / ١٤٠٩هـ.

٢٣٣ ـ **فِرق الشيعة** : النوبختي ، الحسن بن موسى (ـ ٣١٠هـ) : تعليق : السيّد محمّد صادق آل بحر العلوم ، المطبعة الحيدريّة ـ النجف الأشرف ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م .

٢٣٤ ـ **الفرق بين الفِرق** : البغدادي ، عبدالقاهر بن طاهر بن محمّد البغدادي الاسفرائيني التميمي (٤٢٩هـ) : تحقيق : محمّد محي الدين عبدالحميد ، مكتبة دار التراث ـ القاهرة .

٢٣٥ ـ **الفصل في الملل والأهواء والنِّحل** : ابن حزم الأندلسي ، أبو محمّد عليّ بن أحمد بن سعيد الظاهري (٣٨٤ ـ ٤٥٦هـ) : بولاق ـ القاهرة / ١٤٠١هـ.

٢٣٦ ـ **الفصول المهمّة في معرفة أحوال الأئمّة** : ابن الصّبّاغ = عليّ بن محمّد بن أحمد المالكي (ـ ٨٥٥هـ) : دار الأضواء ـ بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م .

٢٣٧ ـ **فلاح السائل ونجاح المسائل في عمل اليوم والليلة** : السيّد ابن طاووس ، رضيّ الدين أبي القاسم عليّ بن بن سعد الدين إبراهيم بن موسى بن جعفر (٥٨٩ ـ ٦٤٤هـ) : تحقيق: غلام حسين المجيدي ، نشر مكتب الإعلام الإسلامي ـ قم المقدّسة ، الطبعة الأُولى / ١٤١٩هـ.

٢٣٨ ـ **فلاسفة الشيعة** : ابن نعمة ، عبد الله : دار الفكر اللبناني ـ بيروت / ١٩٨٧م .

٢٣٩ ـ **الفلسفة الإسلاميّة** : الأبهري ، إبراهيم : دار الهادي ـ بيروت ، الطبعة الأُولى / ٢٠٠٧م .

٢٤٠ ـ **الفهرست** : شيخ الطائفة = أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي (٣٨٥ ـ ٤٦٠هـ) : تحقيق ونشر : الفقاهة ـ قم المقدّسة / ١٤١٧هـ.

٢٤١ ـ **فهرست ابن النديم** : ابن نديم ، محمّد بن إسحاق (ـ ٣٨٥هـ) : تعليق : الشيخ إبراهيم رمضان ، دار المعرفة ـ بيروت ، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .

٢٤٢ ـ **في ظِلال القرآن** (تفسير) : سيّد قطب (١٩٠٦ ـ ١٩٦٦م) : دار الشروق ـ القاهرة ، الطبعة الرابعة والعشرون ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م (٦ مجلّدات) .

٢٤٣ ـ **قاعدة جليلة في التوسّل والوسيلة** : ابن تيميّة الحرانيّ ، تقي الدين أحمد بن عبدالحليم الدمشقي (٦٦١ ـ ٧٨٢هـ) : المنار ـ القاهرة ، الأُولى / ١٣٢٧هـ.

٢٤٤ ـ **القراءات القرآنيّة** : د. الفضلي ، عبدالهادي : دار القلم ـ بيروت ، الطبعة الثانية .

٢٤٥ ـ **قرب الإسناد** : الحميريّ ، أبو العبّاس عبدالله بن جعفر (ـ ٣١٠هـ) : مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ بيروت ، الطبعة الأُولى ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .

٢٤٦ ـ **الكافي** : ثقة الإسلام الكلينيّ ، أبو جعفر محمّد بن يعقوب بن إسحاق الرازي (٣٢٨ ـ ٣٢٩هـ) : مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت ، الطبعة الأُولى ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م .

٢٤٧ ـ **كامل الزيارات** : ابن قولويه ، الشيخ أبو القاسم جعفر بن محمّد القمّي (ـ ٣٦٨هـ) : دار السرور ـ بيروت ، الطبعة الأُولى / ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م .

٢٤٨ ـ **الكامل في التاريخ** : ابن الأثير ، عزّ الدين أبي الحسن عليّ بن محمّد بن أبي الكرم الشيبانيّ (٥٥٥ ـ ٦٣٠هـ) : دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ، الطبعة الأُولى ١٤٠٨هـ / ١٩٨٩م .

٢٤٩ ـ **الكامل في اللغة والأدب** : المبرّد ، أبو العبّاس محمّد بن يزيد (٢١٠ ـ ٢٨٦هـ) : دار الفكر العربي ـ القاهرة / ١٩٩٧م .

٢٥٠ ـ **الكامل في ضعفاء الرجال** : الجرجاني ، أبو أحمد عبدالله بن عَديّ بن عبدالله بن محمّد بن المبارك (ـ ٣٦٥هـ) : تحقيق : عادل أحمد وعلي معوّض ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، الطبعة الأُولى ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧م (٩ مجلّدات) .

٢٥١ ـ **كشف الريبة عن أحكام الغيبة** : الشهيد الثاني ، الشيخ زين الدين بن عليّ بن أحمد بن جمال الدين العاملي (٩١١ ـ ٩٦٥هـ) : الناشر مكتبة بصيرتي ـ قم المقدّسة .

٢٥٢ ـ **كشف الغمّة في معرفة الأئمّة** : الإربلي ، أبو الحسن عليّ بن عيسى بن أبي الفتح (٤٦٧ ـ ٥٣٨هـ) : دار الأضواء ـ بيروت / ١٩٨٥م .

٢٥٣ ـ **كشف المحجّة**: السيّد ابن طاووس، رضيّ الدين أبي القاسم عليّ بن بن سعد الدين إبراهيم بن موسى بن جعفر (٥٨٩ ـ ٦٤٤هـ):

٢٥٤ ـ **كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام**: العلّامة الحلّي، الحسن بن يوسف بن المطهّر (ـ ٧٢٦هـ): مجمع إحياء الثقافة الإسلامية ـ قم المقدّسة / ١٤١٣هـ.

٢٥٥ ـ **كمال الدين وتمام النعمة**: الشيخ الصدوق، أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي (٣١١ ـ ٣٨١هـ): صحّحه وعلّق عليه: علي أكبر الغفّاريّ، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين ـ قم المقدّسة / ١٤٢٢هـ.

٢٥٦ ـ **كنز الفوائد**: الكراجكي، أبو الفتح محمّد بن علي بن عثمان الطرابلسي (ـ ٤٤٩هـ): مكتبة المصطفوي ـ قم المقدّسة، الطبعة الثانية / ١٤١٠هـ.

٢٥٧ ـ **كنوز الحقائق**: المناويّ، محمّد عبدالرؤوف بن تاج العارفين (٩٥٢ ـ ١٠٣١هـ): المكتبة الإسلاميّة ـ القاهرة / ١٩٨٦م.

٢٥٨ ـ **الكنى والألقاب**: الشيخ القمّي، عبّاس (١٢٥٤ ـ ١٣١٩هـ): مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين ـ قم المشرّفة، الطبعة الأُولى / ١٤٢٥هـ.

٢٥٩ ـ **لباب في تهذيب الأنساب**: ابن أثير الجرزي، أبو الحسن عليّ بن أبي الكرم المعروف بابن الأثير الجوزي (ـ ٦٣٠هـ)، الطبعة الثالثة.

٢٦٠ ـ **لسان البيان**: الأشبيلي، الحافظ أبو محمّد.

٢٦١ ـ **لسان العرب**: ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمّد بن مكرم بن عليّ بن أحمد الأنصاري الأفريقي المصري (٦٣٠ ـ ٧١١هـ): تنسيق وتعليق: علي شيري، دار صادر ـ بيروت / ١٩٩٥م.

٢٦٢ ـ **لسان الميزان** : ابن حجر العسقلاني ، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن عليّ (٧٧٣ ـ ٨٥٣هـ) : تحقيق : عادل أحمد وعلي معوّض ، دار الكتب العلميّة ـ بيروت ، الطبعة الأُولى ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م (٧ مجلّدات) .

٢٦٣ ـ **اللمعة الدمشقيّة في فقه الإماميّة** : الشهيد الأوّل : محمّد بن مكّي العامليّ الجزينيّ (٧٣٤ ـ ٧٨٦هـ) : تحقيق : محمّد تقي وعلي أصغر مرواريد ، نشر دار التراث ـ بيروت ، الطبعة الأُولى ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .

....

٢٦٤ ـ **مثير الأحزان** : ابن نما الحلّي (٦٤٥هـ) : تحقيق ونشر : مدرسة ومؤسّسة الإمام المهدي عجّل الله فرجه ـ قم المقدّسة / ١٤٠٦هـ .

٢٦٥ ـ **المجدي في أنساب الطالبيّين** : العلوي العمري ، نجم الدين أبو الحسن عليّ بن محمّد : مكتبة آية الله العظمى المرعشي ١ ـ قم المقدّسة / ١٤٠٩هـ .

٢٦٦ ـ **المجالس المؤيّديّة** : الشيرازي ، المؤيّد في الدين : دار الثقافة ـ القاهرة / ١٩٧٥م .

٢٦٧ ـ **مجلّة الأضواء** .

٢٦٨ ـ **مجلّة دراسات إسلاميّة** : أحمد فؤاد ، نعمات .

٢٦٩ ـ **مجلّة العربي** : العدد ١٣٤ .

٢٧٠ ـ **مجمع البحرين ومطلع النيّرين** : فخر الدين الطريحي = محمّد بن عليّ (٩٧٩ ـ ١٠٨٥هـ) : تحقيق : قسم الدراسات الإسلاميّة ، مؤسّسة البعثة ـ طهران ، الطبعة الأُولى / ١٤١٤هـ (٣ مجلّدات) .

٢٧١ ـ **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد** : الهيثميّ ، الحافظ نور الدين عليّ بن أبي بكر المصري الشافعي (٧٣٥ ـ ٨٠٧هـ) : دار الكتب العلميّة ـ بيروت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

٢٧٢ ـ **مجموعة ورّام = تنبيه الخواطر ونزهة النواظر** : المالكيّ الأشتريّ ، الأمير أبو الحسين ورّام بن أبي فراس (ـ ٦٠٥هـ) : دار الكتب الإسلاميّة ـ طهران ، الطبعة الثانية / ١٣٦٨هـ .

٢٧٣ ـ **المحاسن** : البرقيّ ، أبو جعفر أحمد بن محمّد بن خالد (ـ ٢٧٤هـ) : المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام ـ قم المقدّسة / ١٤١٦هـ.

٢٧٤ ـ **مختصر أخبار الخلفاء** : ابن الساعي البغدادي = تاج الدين عليّ بن أنجب (٥٩٣ ـ ٦٧٤هـ) : مصر.

٢٧٥ ـ **المخلاة** : الشيخ البهائي = بهاء الدين محمّد بن الحسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي (ـ ١٠٣٠هـ) :

٢٧٦ ـ **المراجعات** : الإمام شرف الدين ، عبدالحسين الموسوي العاملي (١٨٧٣ ـ ١٩٥٨م) : دار الأنصار ـ قم المقدّسة / ١٣٨٦هـ.

٢٧٧ ـ **مرآة الجنان وعبرة اليقظان** : اليافعيّ ، أبو محمّد عبدالله بن أسعد بن عليّ بن سليمان (ـ ٧٦٨هـ) : وضع حواشيه خليل المنصور ، نشر دار الكتب العلميّة ـ بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

٢٧٨ ـ **مرآة الزمان في تاريخ الأعيان** : سبط ابن الجوزيّ ، شمس الدين أبي المظفر يوسف بن فرغلي بن عبدالله البغدادي (٥٨١ ـ ٦٥٤هـ) : مؤسّسة آل البيت عليهم السلام ، قم المقدّسة / ١٣٦٦هـ.

٢٧٩ ـ **المرشد إلى الأدب الإسماعيلي** : الباحث أبو أنف.

٢٨٠ ـ **مروج الذهب ومعادن الجوهر** : المسعوديّ ، أبو الحسن عليّ بن الحسين بن عليّ (ـ ٦٥٤هـ) : تحقيق : عبدالأمير المهنّا ، نشر مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ / ١٩٩١م.

٢٨١ ـ **مستدرك سفينة البحار** : الشيخ النمازي.

٢٨٢ ـ **المستدرك على الصحيحين** : الحاكم النيسابوريّ ، محمّد (ـ ٤٠٥هـ) : تحقيق : مصطفى عبدالقادر عطا ، نشر : دار الكتب العلميّة ـ بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ / ١٩٩٠م.

٢٨٣ ـ **مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل**: المحدّث النوريّ، الحاج الميرزا حسين بن محمّد تقي بن تقيّ الطبرسيّ (١٢٥٤ ـ ١٣٢٠هـ): مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم المقدّسة، الطبعة الأولى / ١٤٠٨هـ.

٢٨٤ ـ **مستند الشيعة في أحكام الشريعة**: النراقي، المولى أحمد بن محمّد مهدي (١١٨٥ أو ١١٨٦ ـ ١٢٤٥هـ): تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم المقدّسة، الطبعة الأولى / ١٤١٥هـ.

٢٨٥ ـ **مسند زيد بن عليّ**: زيد بن عليّ رضي الله عنه (٧٩ ـ ١٢٢هـ): مكتبة اليمن الكبرى ـ صنعاء / ١٩٨٧م.

٢٨٦ ـ **المصباح في الأدعية والصلوات والزيارات**: الكفعمي، الشيخ تقي الدين إبراهيم بن عليّ بن الحسن بن محمّد العامليّ الحارثيّ (٨٤٠ ـ ٩٠٥هـ): مؤسّسة الأعلميّ ـ بيروت، الطبعة الثانية / ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

٢٨٧ ـ **مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة** (المنسوب إلى الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام): مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات ـ بيروت، الطبعة الأولى / ١٤٠٠هـ.

٢٨٨ ـ **مصباح المتهجّد**: شيخ الطائفة، أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي (٣٨٥ ـ ٤٦٠هـ): مؤسّسة فقه الشيعة ـ بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ / ١٩٩١م.

٢٨٩ ـ **مطالب السؤول في مناقب آل الرسول**: القرشيّ، كمال الدين محمّد بن طلحة بن محمّد بن الحسن الشافعي (٥٨٣ ـ ٦٥٢هـ): مؤسّسة أمّ القرى ـ قم المقدّسة / ١٤٢٠هـ.

٢٩٠ ـ **مطالع البدور**: البهائي، عليّ.

٢٩١ ـ **المعارف**: ابن قتيبة الدينوريّ، أبو محمّد عبدالله بن مسلم (٢١٣ ـ ٢٧٦هـ): دار الكتب العلميّة، بيروت / ١٤٠٧هـ.

٢٩٢ ـ **معالم العلماء**: ابن شهرآشوب، محمّد بن عليّ (ـ ٥٨٨هـ): المطبعة الحيدريّة ـ النجف الأشرف / ١٣٨٠هـ.

٢٩٣ ـ **معاني الأخبار**: الشيخ الصدوق، أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي (٣١١ ـ ٣٨١هـ): قدّم له: الشيخ حسين الأعلمي، تعليق: علي أكبر الغفّاري، نشر مؤسّسة الأعلميّ ـ بيروت، الأولى ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.

٢٩٤ ـ **المعتبر في شرح المختصر**: المحقّق الحلّيّ، أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن الهُذَلي (٦٠٢ ـ ٦٧٦هـ): مؤسّسة سيّد الشهداء عليه السلام ـ قم المقدّسة / ١٣٦٤هـ.

٢٩٥ ـ **المعتزلة**: أحمد بن يحيى.

٢٩٦ ـ **معجم البلدان**: ياقوت الحمويّ، شهاب الدين أبو عبدالله الروميّ البغداديّ (ـ٦٢٦هـ): دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / ١٣٩٩هـ.

٢٩٧ ـ **معجم رجال الحديث**: السيّد الخوئيّ، السيّد أبوالقاسم الموسوي (ـ ١٤١٣هـ): الثقافة الإسلاميّة ـ قم المقدّسة الطبعة الخامسة ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.

٢٩٨ ـ **معجم الشعراء**: المرزباني، محمّد بن عمران (٢٩٧ ـ ٣٨٤هـ): المكتبة الإسلاميّة ـ القاهرة / ١٣٥٤هـ.

٢٩٩ ـ **معجم المؤلّفين تراجم مصنّفي الكتب العربيّة**: د. كحّالة، عمر رضا، مؤسّسة الرسالة ـ بيروت، الطبعة الأولى / ١٤١٤هـ

٣٠٠ ـ **مفاهيم إنسانيّة في كلمات جعفر الصادق**: مغنية، محمّد جواد (١٩٠٤ ـ ١٩٧٩م): دار مكتبة الهلال ـ بيروت / ١٩٩٢م.

٣٠١ ـ **مفتاح السعادة**: أحمد بن مصطفى، عصام الدين.

٣٠٢ ـ **مقاتل الطالبيّين**: أبو الفرج الأصفهاني، عليّ بن الحسين بن محمّد بن أحمد (ـ ٣٥٦هـ): مكتبة الشريف الرضيّ ـ قم المقدّسة / ١٤١٦هـ.

٣٠٣ ـ **المقالات والفرق: الأشعري القمّي، سعد بن عبدالله (ـ ٢٩٩ أو ٣٠١).**

٣٠٤ ـ **مكارم الأخلاق**: أمين الإسلام، أبو عليّ الفضل بن الحسن بن الفضل الطوسي الطبرسي (٤٦٨ ـ ٥٤٨هـ): دار الفقه ـ قم المقدّسة / ١٤٢٥هـ.

٣٠٥ ـ **المكاسب المحرّمة** : الشيخ الأعظم = مرتضى بن محمّد أمين الدزفولي الأنصاري (١٢١٤ ـ ١٢٨١هـ) : دار الحكمة ـ قم المقدّسة / ١٤١٦هـ.

٣٠٦ ـ **المكافأة** : ابن الداية.

٣٠٧ ـ **الملل والنحل** : الشهرستاني ، أبو الفتح محمّد بن عبدالكريم (٤٧٩ ـ ٥٤٨هـ) : مؤسّسة الصادق عليه‌السلام ـ طهران / ١٣٨٧هـ.

٣٠٨ ـ **مناقب أبي حنيفة** : أخطب خوارزم = الموفّق بن أحمد بن محمّد البكري الحنفي المكّي الخوارزمي (٤٨٤ ـ ٥٦٨هـ) : مكتبة الخانجي ـ القاهرة / ١٩٨٨م.

٣٠٩ ـ **مناقب آل أبي طالب** : ابن شهرآشوب ، أبو جعفر رشيد الدين محمّد بن عليّ السرويّ المازندرانيّ (٤٨٨ ـ ٥٨٨هـ) : دار الأضواء ـ بيروت ، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.

٣١٠ ـ **من الكفر إلى الإيمان** : محمود ، مصطفى.

٣١١ ـ **من تاريخ الأدب العربي** : طه حسين (١٨٨٩ ـ ١٩٧٣م) : دار العلم للملايين ـ بيروت / ١٩٩١م.

٣١٢ ـ **من تاريخ الإلحاد في الإسلام** : د. البدوي ، عبدالرحمن : بيروت / ١٤٠٥هـ.

٣١٣ ـ **المنتظم في تاريخ الأُمم والملوك** : ابن الجوزيّ ، أبو الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن عليّ بن محمّد (٥٠٨ ـ ٥٩٧هـ) : تحقيق وتقديم : سهيل زكار ، الطبعة الأُولى / ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

٣١٤ ـ **المنجد في اللغة** : لويس معلوف ، الناشر دار المشرق ـ بيروت ، الطبعة الخامسة والثلاثون / ١٩٩٦م.

٣١٥ ـ **من لا يحضره الفقيه** : الشيخ الصدوق ، أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي (٣١١ ـ ٣٨١هـ) : مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات ، الطبعة الأُولى ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

٣١٦ ـ **منهاج التوسّل** : البسطامي ، عبدالرحمن.

٣١٧ ـ **مواهب الرحمن في تفسير القرآن (تفسير)**: السبزواري ، السيّد عبدالأعلى الموسوي (١٢٨٨ ـ ١٣٧٢هـ): مؤسّسة المنار ـ قم المقدّسة ، الطبعة الثانية / ١٤١٤هـ(١٠ مجلّدات ، غير كامل).

٣١٨ ـ **المؤتلف والمختلف** : الدارقطني ، عليّ بن عمر : دار الغرب الإسلامي ـ بيروت / ١٤٠٦هـ.

٣١٩ ـ **الموضوعات** : ابن الجوزيّ ، أبو الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن عليّ بن محمّد (٥٠٨ ـ ٥٩٧هـ) : أضواء السلف ـ الرياض / ١٩٩٧م.

٣٢٠ ـ **مهج الدعوات في منهج العبادات** : السيّد ابن طاووس ، رضيّ الدين أبي القاسم عليّ بن بن سعد الدين إبراهيم بن موسى بن جعفر (٥٨٩ ـ ٦٤٤هـ) : دار الكتب الإسلاميّة ـ طهران ، الطبعة الأُولى / ١٤١٦هـ.

٣٢١ ـ **ميزان الاعتدال في نقد الرجال** : الذهبيّ = شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان (٦٧٣ ـ ٧٤٨هـ) : دار الفكر ـ بيروت / ١٤٢٠هـ.

٣٢٢ ـ **الميزان في تفسير القرآن** (تفسير) : الطباطبائيّ ، محمّد حسين (١٢٨١ ـ ١٣٦٠هـ) : تحقيق : الشيخ حسين الأعلميّ ، الناشر مؤسّسة الأعلميّ ـ بيروت ، الطبعة الأُولى المحقّقة ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

٣٢٣ ـ **نثر الدرر** : منصور بن الحسين ، أبو سعد (ـ ٤٢١هـ) : الدار التونسيّة ـ تونس ، الطبعة الأُولى / ١٩٨٣م.

٣٢٤ ـ **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** : الأتابكيّ ، أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي (٨١٣ ـ ٧٨٤هـ) : وزارة الثقافة والإرشاد القومي ـ القاهرة / ١٩٧٢م.

٣٢٥ ـ **النزاع والتخاصم فيما بين بني أُميّة وبني هاشم** : تقي الدين المقريزي ، أحمد بن عليّ (٧٦٦ ـ ٨٤٥هـ) : قم المقدّسة / ١٤١٩هـ.

٣٢٦ ـ **نزهة المجالس ومنتخب النفائس** : الصفوري الشافعي ، عبدالرحمان بن عبدالسلام (ـ ٨٩٤هـ) : المعارف ـ الاسكندريّة /٢٠٠١م .

٣٢٧ ـ **نظرة عامّة في تاريخ الفقه الإسلامي** : علي حسن ، عبدالقادر .

٣٢٨ ـ **نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثني عشريّة** : صبحي ، أحمد محمود ، المعارف ـ مصر .

٣٢٩ ـ **نقد النثر** : البغدادي ، أبو الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة (ـ ٣٣٧هـ) : دار الكتب العلميّة ـ بيروت / ١٩٨٢م .

٣٣٠ ـ **نكت الهميان في نكت العميان** : صلاح الدين الصفدي = خليل بن أيبك بن عبدالله (٦٩٦ ـ ٧٦٤هـ) : الجماليّة ـ القاهرة / ١٩١١م .

٣٣١ ـ **نوادر المخطوطات** : هارون ، عبدالسلام : مجموعة من المؤلّفين ـ لجنة التأليف ـ القاهرة ، الطبعة الأُولى / ١٩٥١م .

٣٣٢ ـ **نور الأبصار في مناقب آل بيت النبيّ المختار** : الشبلنجيّ ، مؤمن بن حسن بن مؤمن : تحقيق : عبد الوارث محمّد عليّ ، دار الكتب العلميّة ـ بيروت ، الطبعة الأُولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م .

٣٣٣ ـ **نور البراهين** : الجزائري ، نعمة الله بن عبدالله (١٠٥٠ ـ ١١١٢هـ) : ذوي القربى ـ قم المقدّسة / ١٤٢٢هـ .

٣٣٤ ـ **نور الثقلين** (تفسير) : الحويزي ، الشيخ عبد عليّ بن جمعة العروسي (ـ ١١١٢هـ) : مؤسسة إسماعيليان ـ قم المقدّسة ، الرابعة / ١٤١٥هـ .

٣٣٥ ـ **النهاية في غريب الحديث والأثر** : ابن الأثير الجزريّ ، مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمّد (٥٤٤ ـ ٦٠٦هـ) : دار الفكر ـ بيروت / ١٩٩٠م .

٣٣٦ ـ **نهاية الإرب في فنون الأدب** : النويريّ ، أحمد بن عبدالوهاب (ـ ٧٣٣هـ) : طبعة وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، المؤسّسة المصرية ، مطبعة دار الكتب المصرية .

٣٣٧ ـ **نهج البلاغة** (مجموع ما اختاره الشريف الرضي من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام): دار التعارف للمطبوعات ـ بيروت، الطبعة الأولى / ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

٣٣٨ ـ **الوافي**: الفيض الكاشاني، الملّا محسن بن مرتضى محمّد محسن (ـ ١٠٩١هـ): تحقيق: ضياء الدين حسين الأصفهاني، مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ـ اصفهان، الطبعة الأُولى / ١٤٠٦هـ.

٣٣٩ ـ **وجود الله**: القرضاوي، يوسف.

٣٤٠ ـ **الوزراء والكتّاب**: الجهشياري، محمّد بن عبدوس: مصطفى البابي الحلبي ـ القاهرة، الطبعة الأُولى / ١٩٣٨م.

٣٤١ ـ **وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة**: الحرّ العامليّ، محمّد بن الحسن بن عليّ بن محمّد بن الحسين (١٠٣٣ ـ ١١٠٤هـ): مؤسّسة آل البيت عليهم السلام ـ قم المقدّسة، الطبعة الثانية / ١٤١٦هـ.

٣٤٢ ـ **وسيلة المآل في عدّ مناقب الآل** (م): الحضرميّ الشافعيّ، شهاب الدين أحمد بن الفضل (١٠٤٧هـ).

٣٤٣ ـ **وعّاظ السلاطين**: الوردي، عليّ.

٣٤٤ ـ **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**: ابن خلّكان، أبو العباس شمس الدّين أحمد بن محمّد بن أبي بكر (ـ ٦٨١هـ): تحقيق: د. إحسان عباس، منشورات الشريف الرضي ـ قم المقدّسة، الطبعة الثانية / ١٤٠٦هـ.

....

٣٤٥ ـ **هدية العارفين أسماء المؤلّفين وآثار المصنّفين**: البغدادي، إسماعيل باشا (ـ ١٣٣٩هـ): دار الفكر ـ بيروت / ١٤٠٢هـ.

٣٤٦ ـ **ينابيع المودّة لذوي القربى** : القندوزيّ ، سليمان بن إبراهيم الحنفي (ـ ١٢٩٤هـ) : تحقيق : السيّد عليّ جمال أشرف الحسينيّ ، الناشر : دار الأُسوة للطباعة والنشر ـ قم المقدّسة ، الطبعة الأُولى / ١٤١٦هـ.

٣٤٧ ـ **يوم الإسلام** : أمين ، أحمد : دار الكتاب العربي ـ بيروت .

المحتويات

تقديم ٧

ملوك الأمويين

١١ ـ ١٠٧

حكومة الإمام عليه السلام ١٦
حكومة معاوية ٢٤
حكومة يزيد ٢٧
قتل الإمام الحسين عليه السلام ٢٧
واقعة الحرّة ٢٩
هلاك الطاغية ٢٩
معاوية بن يزيد ٢٩
حكومة مروان ٣١
عبدالملك بن مروان ٣٢
ولايته للحجّاج ٣٤
ولاته وحاشيته ٤٣
عبدالملك مع الأخطل ٤٤
الإمام عليه السلام في دمشق ٤٦
هلاك عبدالملك ٤٧

الوليد بن عبدالملك ٤٨
الإمام عليه السلام مع الوليد ٤٩
وفاة الوليد ٥١
سليمان بن عبدالملك ٥١
عمر بن عبدالعزيز ٥٣
رفعه السبّ عن الإمام عليّ عليه السلام ٥٤
صلته للعلويّين ٥٧
ردّه فدك للعلويّين ٥٧
مع الإمام الباقر عليه السلام ٥٧
مؤاخذات ٥٨
وفاته ٦٠
يزيد بن عبدالملك ٦٠
هشام بن عبدالملك ٦٢
١ ـ البخل ٦٢
٢ ـ الحقد ٦٣
٣ ـ القسوة ٦٣
٤ ـ خبث المنطق ٦٣
مع ابنه سعيد ٦٤
مع الإمام الباقر عليه السلام ٦٤
خطاب الإمام عليه السلام في دمشق ٦٦
اعتقال الإمام عليه السلام ٦٧
إغلاق الحوانيت بوجه الإمام عليه السلام ٦٨
ثورة الشهيد زيد رضي الله عنه ٦٨

خيانة الكوفيّين ٧١
في ذمّة الخلود ٧٢
حرق الجثمان ٧٤
الإمام الصادق عليه السلام وزيد رضي الله عنه ٧٥
وفاة هشام ٧٧
الوليد بن يزيد ٧٧
يزيد بن الوليد ٧٩
إبراهيم بن الوليد ٨٠
مروان بن محمّد ٨٠
دعاة العلويّين ٨٢
مؤتمر الأبواء ٨٣
انتخاب أبي مسلم ٨٤
وصيّة إبراهيم لأبي مسلم ٨٤
في خراسان ٨٥
مع نصر بن سيّار ٨٦
موقف الإمام الصادق عليه السلام ٨٨
الإمام مع العلويّين ٨٩
مع أبي سلمة ٩٠
ندم أبي مسلم ٩٣
نهاية الدولة الأمويّة ٩٤
هرب الأمويّين ٩٧
إبادتهم ٩٨
موقف الإمام الصادق عليه السلام ٩٩

السياسة العامّة للأمويّين ٩٩
١ ـ مناهضة أهل البيت عليهم السلام ١٠٠
٢ ـ احتقار الشعوب ١٠٠
٣ ـ الاستهانة بالقيم والمبادئ ١٠٢
٤ ـ العصبيّة القبليّة ١٠٢
٥ ـ السياسة الماليّة ١٠٣

في عهد السفاح والمنصور

١٠٩ ـ ٢١٥

حكومة السفّاح ١١٣
جهازه الإداري ١١٥
السفّاح والعلويّين ١١٧
موقف الإمام عليه السلام من السفّاح ١١٩
انتقاله إلى الحيرة ١٢٠
احتفاء العلماء به ١٢١
زياراته لمرقد جدّه عليه السلام ١٢٢
حثّه على زيارة جدّه عليه السلام ١٢٤
زياراته لمرقد الإمام الحسين عليه السلام ١٢٥
فضل زيارة الإمام الحسين عليه السلام ١٢٥
دعاؤه عليه السلام لزوّار الإمام الحسين عليه السلام ١٢٧
وفاة السفّاح ١٣٠
حكومة المنصور ١٣٢
عناصره النفسيّة ١٣٣

البخل ١٣٣
مع حادي إبله ١٣٧
مع ابن السمّان ١٣٧
مع الوضين بن عطاء ١٣٨
مع الشعراء ١٣٩
تدهور الاقتصاد ١٤٠
أسباب بخله ١٤١
استبداده ١٤٢
الغدر والفتك ١٤٣
أبو مسلم ١٤٣
عبدالله بن عليّ ١٤٤
محمّد بن أبي العبّاس ١٤٦
ترويعه للمدنيّين ١٤٦
التنكيل بالعلويّين ١٤٨
التجسّس على العلويّين ١٥٠
القبض على العلويّين ١٥٢
حملهم إلى العراق ١٥٣
فجيعة الإمام الصادق عليه السلام ١٥٤
رسالة الإمام عليه السلام إلى عبدالله ١٥٥
في الربذة ١٦١
في الهاشميّة ١٦٢
مصادرة أموال العلويّين ١٦٥
ثورة الزكيّ محمّد ١٦٥

إعلان الثورة ١٦٦
ثورة الزكيّ إبراهيم ١٧٠
وضع العلويّين في الاسطوانات ١٧٥
خزانة رؤوس العلويّين ١٧٦
استرحام العلويّين ١٧٧
النيل من الإمام عليّ عليه السلام ١٧٨
موقف الإمام عليه السلام من المنصور ١٧٩
موقف المنصور من الإمام عليه السلام ١٨٤
الاجراءات القاسية ١٨٥
١ ـ حرق دار الإمام عليه السلام ١٨٥
٢ ـ حجبه عن الناس ١٨٥
٣ ـ اعتقال الإمام عليه السلام ١٨٦
٤ ـ عزمه على قتل الإمام عليه السلام ١٨٧
امتناعه من إجابة المنصور ١٩٠
نجاة الإمام عليه السلام من شرّه ١٩٢
المنصور مع الإمام في الربذة ١٩٥
استدعاؤه عليه السلام إلى الكوفة ١٩٧
استدعاؤه عليه السلام إلى بغداد ٢٠١
الإمام الصادق عليه السلام في ذمّة الخلود ٢٠٧
الإمام عليه السلام ينعى نفسه ٢٠٧
اغتياله عليه السلام ٢٠٨
وصاياه عليه السلام ٢٠٩
إلى جنّة المأوى ٢١٠

تجهيزه عليه السلام ٢١١

تأبين الإمام عليه السلام ٢١٢

١ ـ أبو هريرة ٢١٢

٢ ـ مالك بن أعين ٢١٢

٣ ـ العوني ٢١٣

٤ ـ شاعر مجهول ٢١٣

٥ ـ المنصور الدوانيقي ٢١٣

إسراج الضياء في بيت الإمام عليه السلام ٢١٥

سنة شهادته عليه السلام ٢١٥

عمره الشريف ٢١٥

الفِرَقُ الدِّينيّة

٢١٧ ـ ٣٢٣

الشيعة ٢٢١

معنى الشيعة ٢٢١

نشأة التشيّع ٢٢٢

أضواء على التشيّع ٢٢٥

ضرورة الإمامة ٢٢٥

شروط الإمامة ٢٢٦

عليّ عليه السلام والخلافة ٢٢٧

نظرة الشيعة للأئمّة ٢٣٠

حبّ الشيعة للأئمّة ٢٣٢

مظاهر الولاء للأئمّة عليهم السلام ٢٣٥

الفكر السياسي الشيعي ٢٣٧
١ ـ الرخاء الاقتصادي ٢٣٧
٢ ـ بسط العدل ٢٣٨
٣ ـ إلغاء التمايز العنصري ٢٣٨
٤ ـ الثورة على الظلم ٢٣٩
الاضطهاد القاسي ٢٤٠
عدم قبول شهادتهم ٢٤١
رفض شهادة محمّد بن مسلم ٢٤١
ردّ شهادة أبو كريبة ٢٤٣
الإمام الصادق عليه السلام والشيعة ٢٤٤
مودّته للشيعة ٢٤٥
١ ـ مع بشير الكناسي ٢٤٥
٢ ـ مع أبي كهمش ٢٤٥
٣ ـ مع عليّ بن عبدالعزيز ٢٤٥
٤ ـ مع جماعة من شيعته ٢٤٦
إشادته بأعلام شيعته ٢٤٦
وصيّته لشيعته بالورع ٢٤٧
حثّه على طلب العلم ٢٤٨
حثّه على التطوّر الاقتصادي ٢٤٩
التبشير بمبادئ الشيعة ٢٥١
محافظته على الشيعة ٢٥١
١ ـ إلزامهم بالتقيّة ٢٥٢
٢ ـ إلقاء الخلاف بين أصحابه ٢٥٤

فِرق الشيعة ٢٥٥
الكيسانيّة ٢٥٥
الزيديّة ٢٥٧
١ ـ الجاروديّة ٢٥٧
٢ ـ الجريريّة ٢٥٨
٣ ـ البتريّة ٢٥٨
الإسماعيليّة ٢٥٩
المرجئة ٢٦٠
الشيعة والمرجئة ٢٦١
المعتزلة ٢٦٣
تأسيس الاعتزال ٢٦٣
الاعتزال والسياسة ٢٦٤
أُصولهم الاعتقاديّة ٢٦٥
الشيعة والمعتزلة ٢٦٩
المسائل المتّفق عليها بين الشيعة والمعتزلة ٢٧٠
المسائل الخلافيّة ٢٧١
فرق المعتزلة ٢٧٢
الإمام عليه السلام مع المعتزلة ٢٧٣
الغلوّ ٢٧٣
تكفير الشيعة للغلاة ٢٧٣
الغلوّ في الإمام الصادق عليه السلام ٢٧٥
١ ـ أبو الخطّاب ٢٧٦
براءة الإمام عليه السلام منه ٢٧٦

فرق الخطابيّة ٢٧٨
٢ ـ بشّار الشعيري ٢٧٩
٣ ـ المغيرة بن سعيد ٢٨٠
الخوارج ٢٨٣
دعاء الإمام عليه السلام عليهم ٢٨٤
إبادتهم ٢٨٥
آراؤهم ومبادئهم ٢٨٦
فِرق الخوارج ٢٨٧
الأحزاب السياسيّة ٢٨٩
١ ـ الحزب الأموي ٢٨٩
٢ ـ الحزب الزبيري ٢٩٤
٣ ـ حزب الخوارج ٢٩٥
٤ ـ الحزب العلوي ٢٩٧
الحياة العلميّة ٣٠٥
الحياة الاقتصاديّة ٣٠٧
ترف الملوك ولهوهم ٣١٣
المغالاة في المهور ٣١٤
ترف النساء ٣١٥
الغناء والمجون ٣١٦
انتشار الزندقة ٣٢٠

مصادر الكتاب ٣٢٣
محتويات الكتاب ٣٥٩